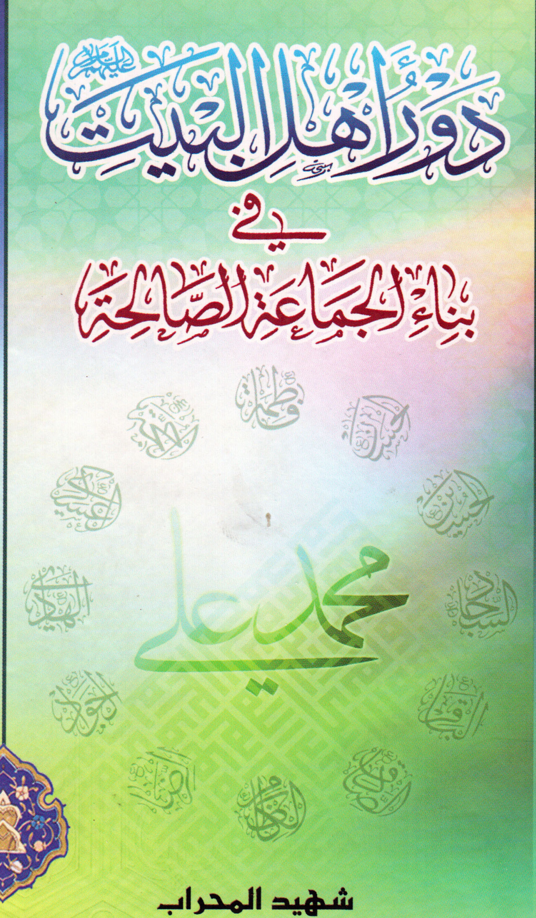
دور أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة



شهيد المحراب

آية الله العظمى السيد محمد باقر الحكيم

الجزء الثاني



دور أهل البيت
في بناء الجماعة الصالحة

دور أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة

الجزء الثاني

شهيد المحراب

آية الله العظمى السيد محمد باقر الحكيم قدس سره



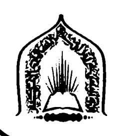
اسم الكتاب: دور أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة

الناشر: مؤسسة تراث الشهيد الحكيم قدس سره

المطبعة: العترة الطاهرة

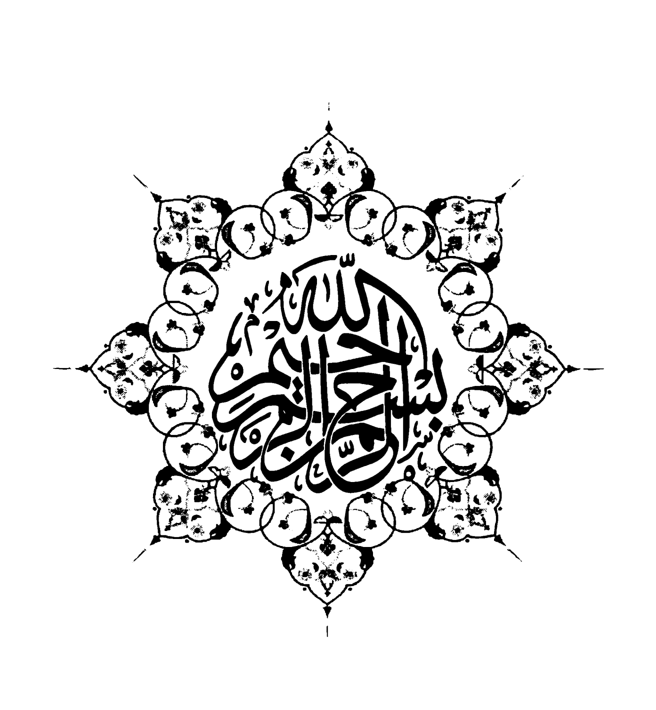
الطبعة: الخامسة

الكمية: ٥٠٠٠ نسخة



النجف الأشرف

صيف سنة ٢٠٠٧م


بسم الله الرحمن الرحیم

الباب السادس
نظام العلاقات الاجتماعية العامة

القسم الثاني

البناء الفوقي للنظرية

الفصل الأول:

البناء الفوقي وأبعاد النظرية

الفصل الثاني:

البناء الفوقي والقواعد

تمهيد

نقصد بالبناء الفوقي لنظام العلاقات الاجتماعية: تفاصيل نظام المعاشرة أو العشرة الذي تناولته كتب الحديث، وهو مجموعة الأحكام الواجبة، أو الآداب والسنن الإسلامية المستحبة التي تناولت تفاصيل وأشكال المعاشرة، وشخصت الصيغة الصحيحة أو المثلى للعلاقات الاجتماعية بين الناس.

لأن الإسلام عندما وضع النظرية بأبعادها وحدد الأُسس والقواعد وضع صيغاً صحيحة وأساليب محددة للتعبير عن هذه الأبعاد، وإقامة البناء على هذه الأُسس والقواعد، فكان ذلك بمجموعه يمثل البناء الفوقي للعلاقات.

وسوف نتناول هذه التفاصيل من النظرية بشيء من الإيجاز، وتقديم التصور العام عن علاقة هذه التفاصيل من النظام بالجانبين السابقين من النظرية الإسلامية لنظام العلاقات: جانب أبعاد النظرية، وجانب القواعد والأُسس؛ ليصبح الترابط واضحاً بين قواعد النظرية وأبعادها من ناحية، والبناء الفوقي المتمثل بهذه التفاصيل من ناحية أُخرى، ونترك التفصيل في عرض الصيغ والمفردات وتوضيحها إلى كتابنا الخاص ببحث النظرية الإسلامية في العلاقات الاجتماعية[1].

ويشتمل هذا القسم - الثاني - من البحث على فصلين أيضاً:

الفصل الأول: البناء الفوقي المرتبط بأبعاد النظرية، والذي يؤكد هذه الأبعاد ويوضحها.

---

(١) اعتمدنا أساساً ما ذكره الحر العاملي في كتابه: الجامع (تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة) كتاب الحج، أبواب أحكام العشرة، الجزء الثامن، مضافاً إلى بعض الموارد من كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، وكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الجزء الحادي عشر. منهﷺ.

الفصل الثاني: البناء الفوقي المرتبط بالقواعد والأُسس السابقة.

وسوف نتناول تفاصيل هذا البناء حسب التسلسل السابق في القسم الأول لعرض الأبعاد والقواعد.



البناء الفوقي وأبعاد النظرية

١. بُعد الانفتاح

٢. بُعد تقوية البناء الاجتماعي

٣. بُعد الإخوة والمساواة

٤. بُعد مستويات العلاقة

٥. بُعد المعاملة الخاصة

ذكرنا سابقاً خمسة أبعاد للنظرية الإسلامية في العلاقات العامة.

وهنا نستعرض التفاصيل والبناء الفوقي لها واحداً بعد آخر.

أولاً: بُعد الانفتاح

أ) مؤشرات إضافية للانفتاح

على مستوى بُعد الانفتاح في العلاقات الاجتماعية، نجد مؤشرات إضافية أُخرى تؤكد هذا البعد في تفاصيل النظام.

منها: ما ورد من تأكيد إفشاء السلام بين الناس، حيث يكون السلام عادة مفتاح العلاقة العامة مع الناس.

فقد روى الكليني بسند معتبر عن أبي جعفر عليه السلام قال: ((**إنّ الله عزّ وجلّ يحب إفشاء السلام**))[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: ((**من التواضع أنْ تسلم على من لقيت**))[2].

وجاء في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: ((**يا علي، ثلاث كفارات: إفشاء السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام**))[3].

ومنها: تأكيد أنّ من صفات الإنسان المؤمن أنْ يكون إنساناً يألف الناس ويألفونه، ولا يتحقق ذلك - بطبيعة الحال - إلاّ من خلال المعاشرة الواسعة والطويلة.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أفضلكم أحسنكم**

---

(١) الكافي٢: ٦٤٥، ح٥.

(٢) الكافي٢: ٦٤٦، ح١٢.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٤٣٩، ح٥.

أخلاقاً، الموطئون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون، وتوطأ رحالهم))[١].

ومنها: ما ورد من حرمة الهجران والقطيعة بين المسلمين، حيث إنّ هذا الحكم الشرعي يصب في نفس هذا الاتجاه من الانفتاح في المعاشرة، فإنّ هذه الحرمة عندما تأتي بهذا الشكل القاطع - وحتى في فرض أنْ يكون أحد الطرفين مظلوماً - نفهم من ذلك منهج الإسلام في ضرورة بقاء الباب مفتوحاً في العلاقات.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**لا خير في المهاجرة**))[٢].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: ((**ما من مؤمنين اهتجرا فوق ثلاث إلا وبرئتُ منهما في الثالثة. قيل: هذا حال الظالم فما بال المظلوم؟ فقال: ما بال المظلوم لا يصير إلى الظالم فيقول: أنا الظالم، حتى يصطلحا**))[٣].

وعن القاسم بن الربيع قال: في وصية المفضل سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ((**لا يفترق رجلان على الهجران إلاّ استوجب أحدهما البراءة واللعنة، وربما استحق ذلك كلاهما، فقال له معتّب: جعلت فداك، هذا الظالم فما بال المظلوم؟ قال: لأنه لا يدعو أخاه إلى صلته، ولا يتغامس له من كلامه، سمعت أبي عليه السلام يقول: إذا تنازع اثنان فعازّ أحدهما الآخر فليرجع المظلوم إلى صاحبه حتى يقول لصاحبه: أي أخي أنا الظالم، حتى يقطع الهجران بينه وبين صاحبه، فإنّ الله تبارك وتعالى حكم عدل يأخذ للمظلوم من الظالم**))[٤].

وعنه عليه السلام قال: ((**قال أبي: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أيّما مسلمين تهاجرا**

(١) الكافي٢: ١٠٢، ح١٦.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٥٨٤، ح٢.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٥٨٦، ح١٠.

(٤) وسائل الشيعة٨: ٥٨٤، ح٣.

فمكثا ثلاثاً لا يصطلحان إلاّ كانا خارجين من الإسلام، ولم يكن بينهما ولاية، فأيهما سبق إلى كلام أخيه كان السابق إلى الجنة يوم الحساب))[1].

ومنها: ما ورد في وجوب قبول العذر من الآخرين عندما يقعون في خطأ مع الإنسان، فيعتذرون منه، فإنّ ذلك يؤكد أهمية بقاء العلاقات واستمرارها، وسد كل أبواب القطيعة، ومحو أسبابها وآثارها، كما سوف يأتي توضيحه في موضوع الإحسان واليد العليا.

ب) الاستثناءات

إلى جانب هذه المؤشرات الإضافية التي تؤكد موضوع الانفتاح في العلاقات، نجد النظرية الإسلامية تضع مجموعة من الاستثناءات فيه، الأمر الذي يكمل الصورة في هذا البعد من النظرية من جانب، ويؤكد موضوع الانفتاح من جانب آخر، لأن الاستثناء كما أنّه يدل على خروج المستثنى من حكم المستثنى منه، كذلك يؤكد شمول الحكم للمصاديق الباقية تحت المستثنى منه كما هو واضح.

وقد أشرنا في سياق الحديث عن البعد الرابع للنظرية إلى بعض الاستثناءات على مستوى العلاقة العامة، وهنا نشير إلى عموم هذه الاستثناءات التي يمكن تلخيصها في الخطوط الأربعة التالية:

الأول: اجتناب مواضع التهمة

اجتناب المصاديق من العلاقات التي تثير الالتباس والاتهام والشكوك حول طرف العلاقة، الأمر الذي يؤدي إلى الإضرار بالإنسان الذي يريد أنْ يوجد العلاقة الاجتماعية في نظر الناس وتشويه صورته، ومن مفرداتها:

أ) علاقات التهمة في السلوك، كبعض العلاقات مع النساء التي تثير تهمة

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٥٨٥، ح٥.

العلاقات غير المشروعة، بل حتى مع الأولاد أو الرجال، أو العلاقة مع الأغنياء والمترفين، وهذه التهمة قد يحققها أصل العلاقة أو شكلها وصورتها. وقد ورد النهي عن هذا النوع من العلاقات.

فعن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، قال: ((**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ثلاثة مجالستهم تميت القلب: الجلوس مع الأنذال، والحديث مع النساء، والجلوس مع الأغنياء**))[١].

وعنه عليه السلام قال: ((**قال أمير المؤمنين عليه السلام: من عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن، ومن كتم سره كانت الخيرة في يده**))[٢].

وروي عن أبي الحسن عليه السلام أنه قال: ((**قال أبو عبد الله عليه السلام: اتقوا مواقف الريب، ولا يقفنّ أحدكم مع أمه في الطريق، فإنه ليس كل أحد يعرفها**))[٣].

ب) علاقات التهمة في الانحراف العقائدي أو الفكري أو السياسي، كصحبة أهل البدع والضلال، أو الجلوس إليهم، أو الدرس لديهم والأخذ منهم، حيث ورد النهي أيضاً عن هذا النوع من العلاقات.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**لا تصحبوا أهل البدع، ولا تجالسوهم فتكونوا عند الناس كواحد منهم. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: المرء على دين خليله وقرينه**))[٤].

---

(١) الكافي٢: ٦٤١، ح٨.

(٢) الكافي٢: ١٥٢، ح١٣٧.

(٣) وسائل الشيعة١٢: ٣٧، ح٥.

(٤) وسائل الشيعة٨: ٤٣٠، ح١.

الثاني: الابتعاد عن قرناء السوء

الأفراد الفاسدون في سلوكهم ممن يعبّر عنهم بـ «قرناء السوء»، حيث تلحق بالإنسان نفسه الأضرار من خلال مصاحبتهم، ويتأثر بهم، لأن الإنسان يتأثر بطبيعة الحال بقرينه وينفعل به.

فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ((**انظروا من تحادثون، فإنّه ليس من أحد ينزل به الموت إلاّ مثّل له أصحابه إلى الله، فإنْ كانوا خياراً فخياراً، وإنْ كانوا شراراً فشراراً، وليس أحد يموت إلاّ تمثلت له عند موته**))[1].

وعن أبي الحسن عليه السلام قال: ((**قال عيسى عليه السلام: إنّ صاحب الشر يعدي، وقرين السوء يردي، فانظر من تقارن**))[2].

نعم، إذا كانت العلاقة لغرض صالح، كهدايتهم وإرشادهم، أو لوجود مصلحة دينية أو دنيوية مشروعة خاصة فلا مانع من ذلك.

وقرناء السوء الذين وردت عناوينهم وأسماؤهم في الروايات هم:

أ) من كانوا من المنحرفين سلوكياً وأخلاقياً عن جادة الشرع، مثل الفاجر والكذاب وقاطع الرحم والبخيل والجبان والأحمق.

روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**كان أمير المؤمنين إذا صعد المنبر قال: ينبغي للمسلم أنْ يتجنب مؤاخاة ثلاثة: الماجن الفاجر، والأحمق، والكذاب. فأما الماجن الفاجر فيزيّن لك فعله، ويحب أنْ تكون مثله، ولا يعينك على أمر دينك ومعادك، ومقاربته جفاء وقسوة، ومدخله ومخرجه عار عليك.**

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٤١١، ح١.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٤١٢، ح٢.

وأمّا الأحمق فإنّه لا يشير عليك بخير، ولا يرجى لصرف السوء عنك ولو أجهد نفسه، وربما أراد منفعتك فضرك، فموته خير من حياته، وسكوته خير من نطقه، وبعده خير من قربه.

وأمّا الكذاب فإنه لا يهنئك معه عيش. ينقل حديثك وينقل إليك الحديث. كلما أفنى أُحدوثة مطّها بأُخرى مثلها، حتى إنه يحدث بالصدق فما يصدّق، ويفرق بين الناس بالعداوة فينبت السخائم في الصدور. فاتقوا الله وانظروا لأنفسكم))[1].

ب) من كانوا من الجهال والأدنياء اجتماعياً، أو المتخلفين عقلياً وثقافياً، كالمجانين والحمقى والسفلة والأنذال والأراذل والأعراب وأولاد الزنى من الناس.

فعن عمار بن موسى قال: ((**قال أبو عبد الله عليه السلام: يا عمار، إنْ كنت تحب أنْ تستتب لك النعمة، وتكمل لك المروءة، وتصلح لك المعيشة فلا تشارك العبيد والسفلة في أمرك، فإنهم إنْ ائتمنتهم خانوك، وإنْ حدثوك كذبوك، وإنْ نكبت خذلوك، وإنْ وعدوك أخلفوك، قال: وسمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: حب الأبرار للأبرار ثواب للأبرار، وحب الفجار للأبرار فضيلة للأبرار، وبغض الفجار للأبرار زين للأبرار، وبغض الأبرار للفجار خزي على الفجار))**[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((**خمسة يُجتنبون على كل حال: المجذوم، والأبرص، والمجنون، وولد الزنى، والأعرابي))**[3].

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٤١٦، ح١.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٤١٨، ح١.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٤٣١، ح٤.

الثالث: اجتناب أصحاب المهن المحرّمة

أصحاب الحرف والمهن المحرمة، أو المحترفون للأعمال الفاسدة، والمستهزئون بالأحكام الشرعية والآداب الإسلامية العامة، مثل العناوين المذكورة في الروايات التالية:

عن جعفر بن محمد، عن آبائه عليهم السلام قال: ((**ستة لا يسلّم عليهم: اليهودي والنصراني، والرجل على غائطه، وعلى موائد الخمر، وعلى الشاعر الذي يقذف المحصنات، وعلى المتفكهين بسب الأمهات**))[١].

والظاهر أنّ المقصود بالسلام تحية الإسلام المعروفة وهي: (السلام عليكم)، وأمّا إلقاء التحية بطريقة أُخرى مثل: صباح الخير أو مساء الخير فلا مانع منه.

وعن الأصبغ بن نباتة، عن علي عليه السلام في حديث قال: ((**ستة لا ينبغي أنْ يسلم عليهم: اليهود والنصارى، وأصحاب النرد والشطرنج، وأصحاب الخمر والبربط والطنبور، والمتفكهون بسب الأمهات، والشعراء**))[٢].

ومن الواضح أنّ المقصود بالشاعر هو من يقذف المحصنات، أو يتجاوز الحدود الشرعية، كالمداحين للطغاة أو المروجين للفساد، كما أشار القرآن الكريم إلى ذلك ﴿**وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۝ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ ۝ إلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيراً وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ**﴾[٣].

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٤٣٢، ح٥.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٤٣٢، ح٦.

(٣) الشعراء: ٢٢٤ – ٢٢٧.

الرابع: اجتناب الاختلاط بذوي الأمراض المعدية

الاختلاط بذوي الأمراض المعدية والعاهات السارية، كما لاحظنا ذلك في بعض الروايات السابقة، ومنها أيضاً ما روي عن الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام في حديث المناهي، قال: ((**وكره أنْ يكلم الرجل مجذوماً إلاّ أنْ يكون بينه وبينه قدر ذراع**)). وقال عليه السلام: ((**فرّ من المجذوم فرارك من الأسد**))[1].

ثانياً: بُعد تقوية البناء الاجتماعي

وأمّا على مستوى البعد الآخر، وهو تقوية البناء الاجتماعي، فيمكن أنْ نلاحظ مبادئ وأساليب أُخرى - مضافاً إلى ما سبق - حثّ عليها الإسلام وأهل البيت عليهم السلام بشكل خاص، منها:

الأول: عقد الاجتماعات

منهج عقد الاجتماعات المنظمة لتدارس أُمور الدين والدنيا؛ باعتبار أنّ ذلك من أفضل الأساليب التي تحكم بناء الجماعة الصالحة، ولعل هذا المنهج من أفضل الأساليب التي اختص بها أهل البيت عليهم السلام، وحثوا عليها بشكل أكيد.

وقد أكدوا أنّ هذه الاجتماعات لها آثار متعددة دينية وروحية وأخلاقية، وسبب للقربى من الله تعالى، كما أنها تمثل إحياءً لأمرهم، وراحة للنفس، وغفراناً للذنب، وأنهم يحبونها ويتمنون المشاركة فيها.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**تزاوروا فإنّ في زيارتكم إحياءً لقلوبكم، وذكراً لأحاديثنا، وأحاديثنا تعطف بعضكم على بعض، فإنْ أخذتم بها رشدتم ونجوتم، وإنْ تركتموها ضللتم وهلكتم، فخذوا بها وأنا بنجاتكم**

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٤٣١، ح٢.

زعيم))[١].

وعن ميسر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ((**قال لي: أتخلون وتتحدثون وتقولون ما شئتم؟ فقلت: إنا لنخلو ونتحدث ونقول ما شئنا. فقال: أما والله لوددت أني معكم في بعض تلك المواطن، أما والله إني لأحب ريحكم وأرواحكم، وإنكم على دين الله ودين ملائكته، فأعينوا بورع واجتهاد))**[٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**ما اجتمع ثلاثة من المؤمنين فصاعداً إلاّ حضر من الملائكة مثلهم، فإنْ دعوا بخير أمّنوا، وإنْ استعاذوا من شر دعوا الله ليصرفه عنهم، وإنْ سألوا حاجة تشفعّوا إلى الله وسألوه قضاءها))**[٣].

وعن معتب مولى أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول لداود بن سرحان: ((**يا داود، أبلغ مواليّ عني السلام، وإني أقول: رحم الله عبداً اجتمع مع آخر فتذاكرا أمرنا، فإنْ ثالثهما ملك يستغفر لهما، وما اجتمع اثنان على ذكرنا إلاّ باهى الله تعالى بهما الملائكة، فإذا اجتمعتم، فاشتغلوا بالذكر، فإنّ في اجتماعكم ومذاكرتكم إحياءنا، وخير الناس بعدنا من ذاكر بأمرنا ودعا إلى ذكرنا))**[٤].

وعن خيثمة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**أبلغ موالينا السلام، وأوصهم بتقوى الله العظيم، وأنْ يعود غنيهم على فقيرهم، وقويهم على ضعيفهم، وأنْ يشهد أحياؤهم جنائز موتاهم، وأنْ يتلاقوا في بيوتهم، فإنّ في لقياهم**

---

(١) وسائل الشيعة١١: ٥٦٧، ح٣.

(٢) وسائل الشيعة١١: ٥٦٧، ح٥.

(٣) الكافي٢: ١٨٧، ح٦.

(٤) وسائل الشيعة١١: ٥٦٨، ح١٠.

حياة لأمرنا. ثم قال: رحم الله مَن أحيا أمرنا))[١].

وعن شعيب العقرقوفي قال: ((**سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لأصحابه: اتقوا الله وكونوا إخوة بررة متحابين في الله، متواصلين متراحمين. تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا أمرنا وأحيوه**))[٢].

الثاني: النصيحة للمسلمين

الأمر بالنصيحة بمعنى الإخلاص في التعامل مع المسلمين، والنصح لهم في أداء الأعمال، وتقديم النصيحة لهم والحث على قبولها والرضا بها، بل الشكر عليها إذا كان فيها تشخيص لعيوب الإنسان.

ولاشك أنَّ هذا المبدأ من أهم المبادئ التي تقوي العلاقات بين الأفراد، وتصنع لها القاعدة القوية القائمة على أساس الإحساس بالمسؤولية والثقة والتفاهم للوصول إلى الحقيقة.

ومن الضروري أنْ يتم ذلك وفق قواعد الحكمة والموعظة الحسنة.

وقد جاءت النصوص في هذا المجال عديدة، وفي أبواب متفرقة. نشير إلى بعضها:

عن أبي عبد الله عليه السلام: ((**يجب للمؤمن على المؤمن أنْ يناصحه**))[٣].

وقال عليه السلام: ((**يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة له في المشهد والمغيب**))[٤].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((**الدين نصيحة، قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: لله**

---

(١) قرب الإسناد: ٣٢، ح١٠٥.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٤١١، ح٨.

(٣) الكافي٢: ٢٠٨، ح١.

(٤) وسائل الشيعة١١: ٥٩٤، ح٢.

ولرسوله ولأئمة الدين ولجماعة المسلمين))[١].

وعن أبي العديس قال: ((**قال أبو جعفر عليه السلام: يا صالح، اتبع من يبكيك وهو لك ناصح، ولا تتبع من يضحكك وهو لك غاش، وستردون على الله جميعاً فتعلمون))**[٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**أحبُ إخواني إليّ من أهدى إليّ عيوبي))**[٣].

وقال عليه السلام: ((**لا يستغني المؤمن عن خصلة، وبه الحاجة إلى ثلاث خصال: توفيق من الله عزّ وجلّ، وواعظ من نفسه، وقبول ممن ينصحه))**[٤].

الثالث: التراحم والتعاطف والتزاور

الأمر بالتراحم والتعاطف والتزاور والألفة، فإنّ المضمون العاطفي والروحي للعلاقة من أهم عناصر تقويتها وإرسائها على أساس محكم، كما أشرنا إلى ذلك. وتجسيد هذه العواطف والمشاعر عملياً إنما يكون من خلال هذا اللون من السلوك.

وقد وصف القرآن الكريم الجماعة الصالحة من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله بأنهم ﴿**رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**﴾ وأنهم ﴿**أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾ وأنّ ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾. وقد أشرنا إلى هذا المبدأ في مواضع سابقة.

---

(١) وسائل الشيعة ١١: ٥٩٥، ح٧.

(٢) تهذيب الأحكام ٦: ٣٧٧، ح٢٢٥.

(٣) وسائل الشيعة ٨: ٤١٣، ح٢.

(٤) المحاسن ٢: ٦٠٤، ح٣٣.

وقد عُقد في الوسائل بابٌ لهذا المبدأ نذكر بعض نصوصه.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**يحق على المسلمين الاجتهاد في التواصل، والتعاون على التعاطف، والمواساة لأهل الحاجة، وتعاطف بعضهم على بعض، حتى تكونوا كما أمركم الله عزّ وجلّ، رحماء بينهم متراحمين، مغتمين لما غاب عنهم من أمرهم على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله**))[١].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: ((**رحم الله أمرء ألّف بين وليين لنا. يا معشر المؤمنين، تألّفوا وتعاطفوا**))[٢].

الرابع: إصلاح ذات البين

الحث على إصلاح ذات البين، بحيث يكون ذلك أفضل من عامة الصلاة والصيام، حيث وردت النصوص العديدة التي تؤكد على فضل هذا العمل وأهميته، بما له من آثار في توطيد وتقوية العلاقة الاجتماعية العامة بين الناس، وإزالة العوائق والمشكلات.

وقد عقد الفقهاء كتاباً للصلح جاءت فيه الأحاديث والتشريعات التفصيلية.

فقد ورد عن الإمام أمير المؤمنين، والإمام الصادق عليهما السلام في حديث معتبر أنهما قالا: ((**لأن أصلح بين اثنين أحب إليّ من أنْ أتصدق بدينارين**))[٣].

وعنه عليه السلام: ((**صدقة يحبها الله إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا، وتقارب بينهم إذا تباعدوا**))[٤].

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٥٥٢، ح٢.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٥٥٢، ح٥.

(٣) وسائل الشيعة١٣: ١٦٢، ح٦.

(٤) الكافي٢: ٢٠٩، ح١.

كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لولديه الحسن والحسين عندما ضربه ابن ملجم: ((**فإني سمعت جدكما رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام**))[1].

وعن أبي حنيفة سائق الحاج قال: ((**مرّ بنا المفضل وأنا وختني نتشاجر في ميراث، فوقف علينا ساعة ثم قال: تعالوا إلى المنزل، فأتيناه فأصلح بيننا بأربعمائة درهم، فدفعها إلينا من عنده، حتى إذا استوثق كل واحد منّا من صاحبه، قال: أما إنها ليست من مالي، ولكن أبو عبد الله عليه السلام أمرني إذا تنازع رجلان من أصحابنا في شيء أنْ أصلح بينهما**))[2].

بل إنّ الشارع المقدس اتخذ إجراءً مهماً في هذا المجال، وهو الإذن بالكذب في مقام الإصلاح، وعدم جواز الصدق في مقام الإفساد بين المؤمنين.

فبالرغم من أنّ الكذب من أعظم الحرمات، ولكنه مع هذا يصبح جائزاً في حدود شرعية ذكرها الفقهاء في مقام الإصلاح لذات البين، وحل الخلافات والنزاعات.

فعن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله: ((**ثلاثة يحسن فيهن الكذب: المكيدة في الحرب، وعدتك زوجتك، والإصلاح بين الناس، وثلاثة يقبح فيهن الصدق: النميمة، وإخبارك الرجل عن أهله بما يكرهه، وتكذيبك الرجل عن الخبر...**))[3].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**الكلام ثلاثة: صدق، وكذب، وإصلاح بين الناس قال: قيل له: جعلت فداك، ما الإصلاح بين الناس؟ قال: تسمع**

---

(١) نهج البلاغة٣: ٧٦، الرقم٤٧.

(٢) وسائل الشيعة١٣: ١٦٢، ح٤.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٥٧٨، ح٢.

من الرجل كلاماً يبلغه فتخبث نفسه فتقول: سمعت من فلان قال فيك من الخير كذا وكذا خلاف ما سمعته منه))[١].

الخامس: الجيران وتقوية البناء الاجتماعي

الاهتمام بالجيران وحسن الجوار بدرجة عالية كما ذكرنا في بُعد المعاملة الخاصة، فإنّ هذا المبدأ يمثل عملاً له أهمية خاصة في إحكام البنية الاجتماعية، حيث يمثل الجيران العلاقة الطبيعية الأُخرى المهمة، إلى جانب العلاقة النسبية الأهم. وكلما كان التعاون بين الجماعة الساكنين في منطقة واحدة حسناً وجيداً أمكن تحقيق المزيد من الرفاه والاستقرار والأمن للمجتمع بشكل عام.

ويأتي في هذا المجال كل التفاصيل التي أشار إليها الشارع المقدس في موضوع الجيران، كما سوف تأتي الإشارة إليها في موضوع المعاملة الخاصة.

السادس: الإجراءات الوقائية

اتخاذ مجموعة من الإجراءات العملية أو الوقائية لإحكام العلاقات، منها:

أ) اجتناب شحناء الناس وعداوتهم وملاحاتهم ومشارّتهم والتباغض معهم.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: **((قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما كاد جبرئيل يأتيني إلاّ قال: يا محمد، اتق شحناء الرجال وعداوتهم))**[٢].

وعنه عليه السلام قال: **((قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أتاني جبرئيل قط إلاّ وعظني، فآخر قوله لي: إياك ومشارّة الناس، فإنها تكشف العورة وتذهب**

---

(١) الكافي٢: ٣٤١، ح١٦.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٥٦٩، ح١.

بالعز))[١].

وروى أيضاً عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال في حديث: ((**ألا إنّ في التباغض الحالقة. لا أعني حالقة الشعر، ولكن حالقة الدين**))[٢].

ب) وجوب رد السلام، وكذلك وجوب الرد على الكتاب والرسالة، والحث على التكاتب بديلاً عن التزاور واللقاء.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**رد جواب الكتاب واجب كوجوب رد السلام، والبادي بالسلام أولى بالله وبرسوله**))[٣].

وعنه عليه السلام: ((**التواصل بين الإخوان في الحضر التزاور، وفي السفر التكاتب**))[٤].

ج) الحث على الوفاء بالوعد ولو بعد سنة، مع أنه أمر غير واجب.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليفِ إذا وعد**))[٥].

د) وضع شروط للصديق الذي يحسن بالإنسان أنْ يضع ثقته فيه.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: ((**الصداقة محدودة، فمن لم تكن فيه تلك الحدود فلا تنسبه إلى كمال الصداقة، ومن لم يكن فيه شيء من تلك الحدود فلا تنسبه إلى الصداقة. أولها أنْ تكون سريرته وعلانيته لك واحدة، والثانية أنْ يرى زينك زينه، وشينك شينه، والثالثة لا يغيره عنك مال ولا ولاية، والرابعة أنْ لا يمنعك شيئاً مما تصل إليه مقدرته، والخامسة لا يسلمك**

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٥٦٩، ح٦.

(٢) الكافي٢: ٣٤٦، ح١.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٤٣٧، ح١.

(٤) وسائل الشيعة٨: ٤٩٤، ح٢.

(٥) وسائل الشيعة٨: ٥١٥، ح٢.

عند النكبات))[١].

هـ) ما سوف نشير إليه في ضبط الانفعالات من استحباب المحافظة على التوازن في العلاقة، بحيث لا تذهب الحشمة والاحترام فتسوء العلاقات نتيجة لذلك.

أو التحذير من المبالغة في الثقة، لئلا يصاب الطرفان بالإحباط. وغير ذلك من المفردات التي نراها منتشرة في أحكام العشرة ذات العلاقة بهذه الإجراءات، التي سوف نشير إلى بعضها الآخر في محلّه إنْ شاء الله.

المشورة حدودها ونتائجها

وفي ختام الحديث عن موضوع تقوية البناء الاجتماعي يحسن بنا أنْ نتحدث قليلاً عن الاستشارة وأحكامها وحدودها وآثارها المترتبة عليها، باعتبارها أحد الأُسس المهمة لتقوية البناء الاجتماعي، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً.

كما أنها أحد الآفاق المهمة في العلاقات الاجتماعية.

أهمية الشورى

لقد أعطى الإسلام وأهل البيت عليهم السلام أهمية خاصة للشورى، بحيث يمكن أنْ نقول: إنّ نظرية الحكم على مستوى التنفيذ في رأي أهل البيت عليهم السلام تقوم على أساس الشورى[٢]، ولكن على مستوى العلاقات الاجتماعية العامة نجد أنّ أهل البيت عليهم السلام يؤكدون على أهمية الاستشارة.

فقد روى البرقي في المحاسن عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: **((قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مشاورة العاقل الناصح رشد ويمن، وتوفيق من الله. فإذا**

---

(١) الخصال: ٢٧٧، ح١٩.

(٢) راجع الحكم الإسلامي بين النظرية والتطبيق ١١٣ – ١٣٦.

أشار عليك الناصح العاقل فإياك والخلاف، فإنّ في ذلك العطب))[١].

وفي رواية أُخرى للبرقي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: ((**في التوراة أربعة أسطر: من لا يستشر يندم، والفقر الموت الأكبر، وكما تدين تدان، ومن ملك استأثر**))[٢].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: ((**الاستشارة عين الهداية**))[٣].

ومن أجل معرفة أهمية الشورى يمكن أنْ نلاحظ الأبعاد التالية في المشورة التي أشار إليها أهل البيت عليهم السلام:

الأول: القوة والإسناد

أنّ الشورى تمثل أفضل ظهير وسند للإنسان في عمله ومسيرته، وبذلك تكون الشورى قوة حقيقية في العلاقات الاجتماعية.

فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه فيما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام قوله: ((**لا مظاهرة أوثق من المشاورة، ولا عقل كالتدبير**))[٤].

كما ورد في نهج البلاغة تأكيد هذا المعنى، حيث قال أمير المؤمنين عليه السلام: ((**لا غنى كالعقل، ولا فقر كالجهل، ولا ميراث كالأدب، ولا ظهير كالمشاورة**))[٥].

---

(١) المحاسن٢: ٦٠٢، ح٢٥.

(٢) المحاسن٢: ٦٠١، ح١٦.

(٣) نهج البلاغة٤: ٤٨، الرقم ٢١١.

(٤) المحاسن٢: ٦٠١، ح١٥.

(٥) نهج البلاغة٤: ١٤، الرقم ٥٤.

الثاني: التصميم والحزم

أنّ الشورى تمثل الحزم في العمل؛ لأنّ المستشير سوف يشعر - بطبيعة الحال - بالاطمئنان والركون إلى الموقف الذي يتخذه، والعمل الذي يلتزم به بعد الاستشارة.

وقد ورد عن الإمام الصادق عن أبيه محمد بن علي الباقر عليهما السلام أنه قال: ((**قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله: ما الحزم؟ قال: مشاورة ذوي الرأي وأتباعهم**))[١].

الثالث: الطريق الأفضل لمعرفة الواقع

تمثل الشورى أفضل الوسائل والطرق للوصول إلى الصواب والواقع، حيث يتوسل الإنسان إلى الواقع برأي أهل الخبرة والتجربة بعيداً عن العواطف والميول والرغبات، التي قد تستولي عليه فتجعله يلتزم رأياً أو موقفاً أو عملاً معيناً.

وقد جاء التأكيد في حديث أهل البيت عليهم السلام على هذه الخصوصية، حيث روي في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين أنه قال: ((**من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها**))[٢].

وقد سبق قوله عليه السلام: ((**الاستشارة عين الهداية**)).

وقد روى البرقي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: ((**استشر العاقل من الرجال الورع، فإنّه لا يأمر إلاّ بخير، وإياك والخلاف؛ فإنّ مخالفة الورع العاقل مفسدة في الدين والدنيا**))[٣].

---

(١) المحاسن٢: ٦٠٠، ح١٤.

(٢) نهج البلاغة٤: ٤١، الرقم ١٦١.

(٣) المحاسن٢: ٦٠٢، ح٢٤.

وقد علم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ولده محمد بن الحنفية كيفية الاستفادة من آراء العقلاء ومشاورتهم من أجل الوصول إلى الحق والصواب، فقد ورد في وصيته عليه السلام له: ((**اضمم آراء الرجال بعضها إلى بعض، ثم اختر أقربها من الصواب، وأبعدها من الارتياب**))، إلى أنْ قال: ((**قد خاطر بنفسه من استغنى برأيه، ومن استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ**))[١].

صفات المستشارين

وبهذا الصدد يحسن بنا أنْ نعرف منذ البداية صفات الأشخاص الذين نستشيرهم ونأخذ بآرائهم، وهي على الإجمال كما وردت في روايات أهل البيت عليهم السلام الأمور التالية:

١. التدين والورع والتقوى وخشية الله.

٢. الإخلاص في النصح، بحيث يكون موقفه من المستشير موقف الأخ الصديق.

٣. العقل والخبرة.

٤. الكتمان والمحافظة على الأسرار.

٥. الاعتدال في الأخلاق الشخصية، بحيث لا يكون إنساناً متصفاً بما يوجب الخلل في شخصية الإنسان، كالبخل والجبن والحرص.

٦. الاستقامة في الوضع الاجتماعي، فلا يصح استشارة السفلة أو العبيد.

٧. الاعتدال في الوضع النفسي والعاطفي، فلا يستشار أصحاب العواطف والأهواء[٢].

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٤٢٩، ح٢.

(٢) لعل السبب في النهي عن استشارة النساء في الروايات هو هذه الخصوصية والصفة، باعتبارها ظاهرة عامة في النساء، وخصوصاً في ذلك العصر. وكذلك ←

ونشير هنا إلى مجموعة من النصوص التي يمكن استفادة هذه الخصائص منها، مضافاً إلى النصوص السابقة:

أ) عن أبي عبد الله عليه السلام في كلام له: **((استشيروا في أمركم الذين يخشون ربهم))**[1].

ب) وعن علي عليه السلام في كلام له: **((شاور في حديثك الذين يخافون الله))**[2].

ج) قال أبو عبد الله عليه السلام: **((ما يمنع أحدكم إذا ورد عليه ما لا قِبَلَ له به أنْ يستشير رجلاً عاقلاً له دين وورع، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: أما إنه إذا فعل ذلك لم يخذله الله، بل يرفعه الله، ورماه بخير الأمور وأقربها إلى الله))**[3].

د) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **((إنّ المشورة لا تكون إلا بحدودها، فمن عرفها بحدودها وإلاّ كانت مضرتها على المستشير أكثر من منفعتها له.**

فأولها: أنْ يكون الذي يشاوره عاقلاً، والثانية: أنْ يكون حراً متديناً، والثالثة: أنْ يكون صديقاً مؤاخياً، والرابعة: أنْ تطلعه على سرك فيكون علمه به كعلمك بنفسك، ثم يستر ذلك ويكتمه، فإنه إذا كان عاقلاً انتفعت بمشورته، وإذا كان حراً متديناً جهد نفسه في النصيحة لك، وإذا كان صديقاً

موضوع العبيد باعتبار أنّ الوسط الاجتماعي والتربية العامة للعبيد يجعلانهم عناصر غير مؤهلة لهذا العمل؛ ولذا نجد في رواية أُخرى في المحاسن تذكر أنّ الإمام الكاظم كان ربما شاور الأسود من سودانه، فقيل له في ذلك فقال: **((... ربما فتح على لسانه))**. راجع المحاسن٢: ٤٣٧، ح.

(١) المحاسن٢: ٦٠١، ح١٧.

(٢) المحاسن٢: ٦٠١، ح١٩.

(٣) المحاسن٢: ٦٠٢، ح٢٦.

مؤاخياً كتم سرك إذا أطلعته على سرك، وإذا أطلعته على سرك فكان علمه به كعلمك تمت المشورة وكملت النصيحة))[١].

هـ) عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، عن آبائه، عن علي عليه السلام قال: **((قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي، لا تشاورن جباناً فإنّه يضيّق عليك المخرج، ولا تشاورن بخيلاً فإنّه يقصّر بك عن غايتك، ولا تشاورن حريصاً فإنّه يزيّن لك شرها. واعلم أنّ الجبن والبخل والحرص غريزة يجمعها سوء الظن))**[٢].

و) قال أبو عبد الله عليه السلام لعمار الساباطي: **((يا عمار، إنْ كنت تحب أنْ تستتب لك النعمة، وتكمل لك المروءة، وتصلح لك المعيشة فلا تستشر العبيد والسفلة في أمرك، فإنك إنْ ائتمنتهم خانوك، وإنْ حدثوك كذبوك، وإنْ نكبت خذلوك، وإنْ وعدوك بوعد لم يصدقوك))**[٣].

ز) عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام قال: **((يا علي، ليس على النساء جمعة))**، إلى أنْ قال: **((ولا تولّى القضاء، ولا تستشار. يا علي، سوء الخلق شؤم، وطاعة المرأة ندامة. يا علي، إنْ كان الشؤم في شيء ففي لسان المرأة))**[٤].

وفي رواية أُخرى معتبرة السند عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **((ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله النساء فقال: اعصوهن في المعروف قبل أنْ يأمرنكم بالمنكر، وتعوذوا بالله من شرارهن وكونوا من خيارهن على حذر))**[٥].

---

(١) المحاسن٢: ٦٠٢، ح٢٨.

(٢) من لا يحضره الفقيه٤: ٤٠٩، ح٥٨٨٩. وقد ورد هذا المضمون أيضاً في نهج البلاغة، في عهد الإمام عليه السلام لمالك الأشتر، باختلاف في اللفظ.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٤١٨، ح١.

(٤) وسائل الشيعة١٢: ٤٦، ح١.

(٥) الكافي٥: ٥١٧، ح٢. وقد أشرنا إلى أنه لا يبعد أنْ تكون هذه الأحاديث عن المرأة ←

واجبات المستشار

وفي بُعد آخر لهذا الحديث لابدّ أنْ نعرف أنّ المستشار يجب عليه النصيحة في المشورة، وبذل الجهد في الدلالة على الصواب والواقع.

فقد ورد في الحديث أنّ «المستشار مؤتمن»[1]، كما ورد في حديث آخر عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: **((من استشار أخاه فلم ينصحه محض الرأي سلبه الله رأيه))**[2].

ومضافاً إلى محض النصح والإخلاص في المشورة يجب على المستشار كتمان سرّ المستشير، فإنّ مقتضى مفاد «المستشار مؤتمن» هو كتمان السر، كما هو محض الإخلاص أيضاً، فإنّ مقتضى الأمانة ذلك كله.

كما أنه يُفهم ذلك من الحديث السابق الذي جاء فيه **((والرابعة أنْ تطلعه على سرك، فيكون علمه به كعلمك بنفسك، ثم يستر ذلك ويكتمه))**.

وبهذا القدر يتضح أنّ موضوع الاستشارة من أهم المبادئ التي أكدها أهل البيت عليهم السلام في موضوع العلاقات الاجتماعية، وفي البناء الاجتماعي بشكل عام.

ثالثاً: بُعد الأخوّة والمساواة

وأما على مستوى أنّ محتوى العلاقة الاجتماعية هو (الأخوّة والمساواة)،

وعن الأوساط الاجتماعية؛ باعتبار طبيعة الظروف والأخلاق العامة التي كانت عليها النساء في ذلك العصر، أو باعتبار الجانب العاطفي الذي يتغلب على المرأة بشكل عام. منه قدس سره.

(١) المحاسن٢: ٦٠١، ح٢٠.

(٢) المحاسن٢: ٦٠٢، ح٢٧.

فيمكن أنْ نجد معالم هذا البعد في مختلف تفاصيل نظام العلاقات الاجتماعية التي تناولت الأبعاد المختلفة للعلاقات، أو الأُسس والقواعد لها، كما يظهر ذلك واضحاً من خلال استعراضنا للأبعاد السابقة، وتفاصيل المؤشرات النظمية لها، مثل موضوع إفشاء السلام، وتحريم هجران المؤمن، والانفتاح الواسع في العلاقات، الذي يؤشر كله على أنَ البعد المنظور في محتوى العلاقة هو المساواة والأخوّة.

وكذلك في موضوع تقوية البناء الاجتماعي، مثل الاجتماع واللقاء والتزاور أو التراحم والتعاطف، أو رد جواب الكتاب، أو غير ذلك من التفاصيل.

ونجد ذلك - أيضاً - في القواعد والأُسس العامة، خصوصاً في قاعدة الالتزام بالواجبات، والتودد والمجاملة.

حيث نلاحظ في القاعدة الأُولى موضوع العلاقة العامة الشرعية المتساوية بين المسلمين، كأداء الأمانة، وإقامة الشهادة، والحقوق العامة الاجتماعية، كحضور الجنائز، وعيادة المرضى.

وكذلك الحقوق المادية للإنسان المسلم، مثل حرمة دمه وماله، فلا يصح قتله، ولا أخذ ماله، ولا التجاوز على عرضه وأهله، وحتى دخول داره والنظر فيها بدون إذنه.

وكذلك الحقوق المعنوية للإنسان المسلم، مثل المحافظة على عرضه وكرامته، وعدم جواز تحقيره وإهانته، أو إذلاله، أو غيبته، أو كشف سره، أو تعييره.

بل لا يصح ظلمه ولا خذلانه، أو إضمار السوء له، أو تهمته، أو إخافته، أو الطعن عليه، أو سبه ولعنه، أو إحصاء عثراته وتتبعها. كما سوف يأتي تفصيل ذلك.

كما نلاحظ ذلك - أيضاً - في القاعدة الرابعة بشكل واضح في عموم المناهج والأساليب التي وضعها الله سبحانه وتعالى، وأكدها أهل البيت عليهم السلام، مثل إفشاء السلام، والابتداء به، وإطابة الكلام، والتعظيم والتوقير للآخرين، واللقاء بالبشر والتبسم، والمصافحة والمعانقة والتقبيل، إلى غير ذلك مما تأتي الإشارة إليه في مواضعه.

ولعل أحد المؤشرات الواضحة في هذا البُعد هو ما ورد في باب السلام من وجوب رد السلام على الجميع تحقيقاً لهذه المساواة، وكذلك وجوب رد جواب الرسالة والكتاب.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: **((رد جواب الكتاب واجب كوجوب رد السلام، والبادي بالسلام أولى بالله وبرسوله))**[1].

وكذلك حرمة التسليم على الفقير المسلم بمستوىً مختلف عن التسليم على الغني المسلم.

فعن الإمام الرضا عليه السلام قال: **((من لقي فقيراً مسلماً فسلم خلاف سلامه على الأغنياء لقي الله عزّ وجلّ يوم القيامة وهو عليه غضبان))**[2].

وكذلك إهانة المؤمن الفقير لفقره.

فعن الصادق عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث المناهي قال: **((ومن استخف بفقير مسلم، فقد استخف بحق الله، والله يستخف به يوم القيامة إلا أنْ يتوب))**[3].

وعنه عليه السلام قال: **((من استذل مؤمناً واحتقره لقلة ذات يده ولفقره، شهّره**

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٤٣٧، ح١.

(٢) عيون أخبار الرضا١: ٥٧، ح٢٠٢.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٥٨٨، ح٤.

الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق))[١].

وعن الرضاعليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: **((خمس لا أدعهنّ حتى الممات: الأكل على الحضيض مع العبيد، وركوبي الحمار مؤكفاً، وحلبي العنز بيدي، ولبس الصوف، والتسليم على الصبيان))**[٢].

ويؤكد هذه الحقيقة تأكيداً واضحاً ما ذكرناه في بيان هذا البعد من التكافؤ بين المؤمنين في موضوع الزواج.

رابعاً: بُعد مستويات العلاقة

وأما على مستوى البُعد الرابع وهو مستويات العلاقة، فقد قلنا: إنّ النظرية الإسلامية بالرغم من إيمانها بالمساواة في محتوى العلاقة، ولكن لأسباب موضوعية أو اجتماعية افترضت أنّ هذه العلاقة لها عدة مستويات، لحظناها ثلاثة:

١. علاقة المجاملة العامة

أمّا علاقة المجاملة والمعاشرة العامة فيمكن أنّ نجد تفاصيل نظمها وأحكامها في عموم ما ذكرناه في بُعد الانفتاح في المعاشرة، وكذلك في مجمل ما يذكر في قاعدة التودد والمجاملة وحسن المعاشرة، وكذلك قاعدة ضبط العواطف والانفعالات، وقاعدة الإحسان واليد العليا، وغيرها مما يأتي بيان تفاصيله في القواعد المذكورة.

فإنّ هذه التفاصيل وإنْ كانت مرتبطة ارتباطاً مباشراً بهذه القواعد والأُسس والأبعاد التي أشرنا إليها سابقاً، ولكنها تعبّر في نفس الوقت عن هذا الأصل أو الخط العام في العلاقات الاجتماعية، المتمثل بضرورة وجود

---

(١) وسائل الشيعة١٢: ٢٧٠، ح٥.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٤٤١، ح١.

علاقة المجاملة مع جميع أفراد المجتمع بشكل عام، إلاّ في الاستثناءات التي تمت الإشارة إليها سابقاً.

٢. علاقة الصحبة العامة (المكاشرة)

ويبدو من الأحاديث السابقة التي ذكرناها في بحث مستويات العلاقة أنّ علاقة الصحبة العامة هي: عبارة عن علاقة متطورة نسبياً لعلاقة المجاملة، فتنتهي بها إلى حالة الصحبة والرفاقة في الحياة، إمّا من خلال العمل المعاشي، أو من خلال السفر، أو السكن والجوار، أو الزمالة في الدرس أو التعليم أو المهنة أو غير ذلك من الأسباب الطبيعية، حيث يحسن بالإنسان في مثل هذه العلاقة أنْ يقف عند حدودها الطبيعية التي يكتسب فيها المنافع الحيوية والمادية في حركته، كما ورد في الحديث: ((**فإنك تصيب منهم لذتك، فلا تقطعن ذلك منهم، ولا تطلبن ما وراء ذلك من ضميرهم**))[١].

والمطلوب فيها المبادلة في هذه المنافع واللذة ((**وابذل لهم ما بذلوا لك من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان**))[٢].

ويمكن أنْ نجد تفاصيل التشريعات ذات العلاقة بهذا المستوى من العلاقة - صحبة المكاشرة - في مثل الأحكام ذات العلاقة بصحبة السفر وآدابه مع رفيق السفر، كما في الأبواب ٣٠ - ٣٤ من أبواب آداب السفر إلى الحج وغيره[٣].

وكذلك في مثل بعض الأحكام ذات العلاقة بالمعاملة مع العمال والمستأجرين، أو بعض الأحكام ذات العلاقة بآداب التعليم والتعلّم مما

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٤٠٤، ح١.

(٢) الحديث نفسه.

(٣) راجع الوسائل ٨: ٢٩٩ – ٣٠٤.

يرتبط بموضوع الرفاقة أو الصداقة.

أو بعض الأحكام ذات العلاقة بآداب المجلس أو الخطاب والحديث، مثل التوسعة في المجلس للمشارك فيه، أو القيام له واحترامه، أو مخاطبته بالكنية ودعوته بأحب الأسماء إليه.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ثلاث يصفين ود المرء لأخيه المسلم: يلقاه بالبشر إذا لقيه، ويوسّع له في المجلس إذا جلس إليه، ويدعوه بأحب الأسماء إليه**))(١).

وعنه عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: ((**إذا أحب أحدكم أخاه المسلم، فليسأله عن اسمه واسم أبيه واسم قبيلته وعشيرته، فإنّ من حقه الواجب، وصدق الإخاء أنْ يسأله عن ذلك، وإلاّ فإنها معرفة حمق**))(٢).

أو الأحكام ذات العلاقة بالتناجي في المجلس.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**إذا كان القوم ثلاثة، فلا يتناجَ منهم اثنان دون صاحبهما، فإنّ في ذلك ما يحزنه ويؤذيه**))(٣).

وكذلك نجد مثل هذه التفاصيل على مستوى الاستثناء في هذه العلاقة، عندما ينصح الشارع المقدس بعدم مرافقة الفاجر والأحمق والكذاب، أو مشاركة العبيد والسفلة والفجار، أو مرافقة قاطع الرحم، أو مجالسة الأنذال والمترفين والنساء، كما أشرنا إلى ذلك في بحث استثناءات الانفتاح.

وكذلك تقدمت الإشارة إلى بعض هذه المعالم وغيرها في بُعد تقوية البناء الاجتماعي، حيث إنّ بعض النصائح في هذا البعد ترتبط بهذا المستوى من العلاقة كما هو واضح.

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٤٣٤، ح٢.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٥٠١، ح٣.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٤٧٢، ح١.

٣. علاقة الصحبة الخاصة

وأمّا المستوى الأعلى للعلاقة فهو علاقة الثقة التي تمثل مستوى علاقة الأُخوّة الحقيقية، وتترتب عليها الحقوق والواجبات الخاصة بهذا المستوى.

ونجد معالم النظم والتشريعات ذات الصلة بهذا المستوى من العلاقة في بعض التشريعات التي تتحدث عن شروط الصديق والأخ الذي يجب أنْ يختاره الإنسان، مثل العقل والتقوى، والأمانة وحفظ الأسرار، والنصرة وعدم الخذلان، والاستعداد للمواساة، والكرم، والصدق في المعاملة، والمحافظة على أداء الواجبات، وخصوصاً الصلوات، والإخلاص في المؤاخاة، وأنْ تكون هذه المؤاخاة في الله سبحانه وتعالى. وقد مرت الإشارة إلى بعض الأحاديث التي تتحدث عن بعض هذه الصفات في (بُعد مستويات العلاقة)، وكذلك في البُعد الأول، وهو الانفتاح عندما تحدثنا عن الاستثناءات.

ويمكن ملاحظة بعض النصوص الأُخرى.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا عليك أنْ تصحب ذا العقل وإنْ لم تحمد كرمه، ولكن انتفع بعقله، واحترس من سيّئ أخلاقه، ولا تدعن صحبة الكريم وإنْ لم تنتفع بعقله، ولكن انتفع بكرمه بعقلك، وافرر كل الفرار من اللئيم الأحمق**))[١].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: ((**عليك بالتلاد، وإياك كل محدث لا عهد له ولا أمانة ولا ذمة ولا ميثاق**))[٢].

وسوف نجد في بعد المعاملة الخاصة مع المؤمنين ما يؤكد هذا المستوى من العلاقة.

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٤٠٩، ح١.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٤١٢، ح٣.

كما أنّ من جملة هذه التشريعات المهمة في هذا المستوى من العلاقة موضوع عقد الاجتماعات واللقاءات التي يتم بها تداول شؤون المسلمين، وإحياء أمر الدين، والقضايا الخاصة بالجماعة الصالحة فكرياً وعقائدياً واجتماعياً وسياسياً، كما عرفنا ذلك في الأبعاد السابقة.

خامساً: بُعد المعاملة الخاصة

في هذا البُعد نجد تفاصيل كثيرة مذكورة في أبواب ومواضع عديدة من الفقه والشريعة يمكن التعرف عليها في محلها المناسب، ولكن نشير هنا إلى بعض النماذج التي وردت في أبواب وآداب العشرة، مضافاً إلى ما سبق الإشارة إليه، أو ما يمكن أنْ نجده في القواعد والأُسس للعلاقات الاجتماعية، وهي محدودة نسبياً، ولكنها مفيدة في توضيح التصور النظري تجاه هذا الموضوع:

أ) الصلاة على آل الرسول

إنّ موضوع الصلاة على رسول الله وآله في جميع المواطن والحالات - كما سوف نشير إليه في نظام الشعائر والعبادات - يعبّر عن هذه المعاملة الخاصة، حتى لنجد أنّ تقديم الصلاة على النبي وآله على الدعاء يكون سبباً في استجابة هذا الدعاء، حيث لا يرد الله سبحانه وتعالى دعاء الصلاة، وهو بكرمه سوف يقرر استجابة الدعاء الآخر بها في عدم الرد، كما ورد ذلك عن علي عليه السلام في قوله: ((**إذا كانت لك إلى الله سبحانه حاجة فابدأ بمسألة الصلاة على رسوله صلى الله عليه وآله ثم سل حاجتك، فإنّ الله أكرم من أنْ يسأل حاجتين فيقضي إحداهما ويمنع الأُخرى**))[1].

---

(١) نهج البلاغة٤: ٨٤، الرقم ٣٦١.

كما أنَّ تحميد الله تعالى عند العطاس يحسن أنْ يقترن بالصلاة على رسول الله وآله، بل في جميع الأحوال حتى الأحوال الخاصة، تعبيراً عن الاهتمام بهذه المعاملة الخاصة.

عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابه قال: ((**عطس رجل عند أبي جعفر عليه السلام فقال: الحمد لله، فلم يسمّته أبو جعفر عليه السلام وقال: نقصنا حقنا. وقال: إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وأهل بيته قال: فقال الرجل، فسمّته أبو جعفر عليه السلام**))[1].

وفي كتاب الإمام الرضا عليه السلام إلى المأمون قال: ((**الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله واجبة في كل موطن، وعند العطاس والذبائح وغير ذلك**))[2].

ب) الإحسان إلى ذرية الرسول

مضافاً إلى ذلك وردت أحاديث عديدة من طريق أهل البيت عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله في تأكيد المعاملة الخاصة لذرية الرسول من العلويين والسادات، وذلك بصنع المعروف معهم والإحسان إليهم.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من صنع إلى أحد من أهل بيتي يداً كافأته به يوم القيامة**))[3].

وعنه عليه السلام قال: ((**إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أيها الخلائق، أنصتوا فإنَّ محمداً صلى الله عليه وآله يكلمكم، فتنصت الخلائق، فيقوم النبي صلى الله عليه وآله فيقول: يا معشر الخلائق، من كانت له عندي يد أو منة أو معروف فليقم حتى أُكافئه، فيقولون: بآبائنا وأمهاتنا، وأي يد أو أي منة وأي معروف لنا؟ بل اليد والمنة**

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٤٦٤، ح١.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٤٦٥، ح٢.

(٣) وسائل الشيعة١١: ٥٥٦، ح١.

والمعروف لله ولرسوله على جميع الخلائق، فيقول لهم: بلى، من آوى أحداً من أهل بيتي، أو برّهم، أو كساهم من عري، أو أشبع جائعهم فليقم حتى أكافئه، فيقوم أناس قد فعلوا ذلك، فيأتي النداء من عند الله تعالى: يا محمد يا حبيبي، قد جعلت مكافأتهم إليك، فأسكنهم من الجنة حيث شئت. قال: فيسكنهم في الوسيلة، حيث لا يحجبون عن محمد وأهل بيته عليهم السلام))[1].

وعن الرضا عليه السلام، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: **((قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذريتي من بعدي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم في أمورهم عندما اضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه))**[2].

وعن الباقر، عن أبيه، عن جده عليهم السلام قال: **((قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مَنْ أراد التوسل إلي، وأنْ يكون له عندي يد أشفع له بها يوم القيامة، فليصل على أهل بيتي، ويدخل السرور عليهم))**[3].

وعن الباقر عليه السلام قال: **((إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين، فينادي منادٍ: من كانت له عند رسول الله صلى الله عليه وآله يد فليقم، فيقوم عنق من الناس فيقول: ما كانت أياديكم عند رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فيقولون: كنا نَصل أهل بيته من بعده، فيقال لهم: اذهبوا فطوفوا في الناس، فمن كانت له عندكم يد فخذوا بيده فأدخلوه الجنة))**[4].

---

(١) وسائل الشيعة ١١: ٥٥٦، ح٣.

(٢) وسائل الشيعة ١١: ٥٥٧، ح٦.

(٣) وسائل الشيعة ١١: ٥٥٨، ح٧.

(٤) وسائل الشيعة ١١: ٥٥٨، ح٩.

ج) الشيوخ

واحترام ذوي الشيبة والشيوخ من الناس تعبيراً عن المعاملة الخاصة تجاه هذا النوع من الناس من الضعفاء.

عن عبد الله بن سنان قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: ((**إنّ من إجلال الله عزّ وجلّ إجلال الشيخ الكبير**))[١].

وعنه عليه السلام قال: ((**ليس منّا مَنْ لم يوقّر كبيرنا ويرحم صغيرنا**))[٢].

د) حامل القرآن

واحترام حامل القرآن باعتباره نموذجاً للعالم بالدين والشريعة، ومبلغاً للرسالة، وتالياً لآيات الله تعالى.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ أهل القرآن في أعلى درجة من الآدميين ما خلا النبيين والمرسلين، فلا تستضعفوا أهل القرآن حقوقهم، فإنّ لهم من الله العزيز الجبار لمكاناً**))[٣].

هـ) المؤمن

وكذلك المعاملة الخاصة مع المؤمن[٤]، من إدخال السرور عليه. فقد ورد ذلك في الأحاديث المعتبرة، مثل ما رواه الكليني عن أبي حمزة الثمالي

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٤٦٦، ح١.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٤٦٧، ح٣.

(٣) وسائل الشيعة٤: ٨٣٠، ح١.

(٤) هناك مجموعة من الأبواب، وعدد كبير من الأحاديث، في الوسائل وغيرها، يحسن مراجعتها والاطلاع عليها. يراجع مثلاً ج١١ من ص٥٦٩ - ٦٠١ حيث يتضح من خلالها المعاملة الخاصة للمؤمن، التي تعبر في الوقت نفسه عن المستوى العالي للعلاقة الاجتماعية مع هذا الوسط المتميز.

قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ((**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مَنْ سرّ مؤمناً فقد سرّني، ومن سرّني فقد سرّ الله**))[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**مِنْ أحب الأعمال إلى الله عزّ وجلّ إدخال السرور على المؤمن، إشباع جوعته، أو تنفيس كربته، أو قضاء دينه**))[2].

أو قضاء حاجة المؤمن، كما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال في حديث: ((**ومن قضى لأخيه المؤمن حاجة قضى الله عز وجل له يوم القيامة مائة ألف حاجة، من ذلك أولها الجنة، ومن ذلك أنْ يدخل قرابته ومعارفه وإخوانه الجنة بعد أنْ لا يكونوا نُصّاباً**))[3].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: ((**إنّ المؤمن لترد عليه الحاجة لأخيه فلا تكون عنده يهتم بها قلبه، فيدخله الله بهمه الجنة**))[4].

أو تفريج كربته وإغاثة لهفته، فعن زيد الشحام قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ((**من أغاث أخاه المؤمن اللهفان عند جهده فنفس كربته، وأعانه على نجاح حاجته، كتب الله عزّ وجلّ له بذلك ثنتين وسبعين رحمة من الله، يعجل له منها واحدة يصلح بها أمر معيشته، ويدخر له إحدى وسبعين رحمة لإفزاع يوم القيامة وأهواله**))[5].

أو غير ذلك من أنحاء المعاملة من التعاون معه أو نصرته أو نصيحته.

---

(١) الكافي٢: ١٨٨، ح١.

(٢) وسائل الشيعة١١: ٥٧٠، ح٦.

(٣) الكافي٢: ١٩٣، ح١.

(٤) وسائل الشيعة١١: ٥٧٦، ح٣.

(٥) وسائل الشيعة١١: ٥٨٦، ح١.

و) الجيران

وكذلك المعاملة الخاصة للجيران، التي تقدم الحديث عنها، والتي تذكر تفاصيل كثيرة حولها في أحكام العشرة. ونشير هنا إلى بعض التفاصيل ضمن نصوص كما وعدنا.

١. عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حسن الجوار يعمر الديار، وينسئ في الأعمار**))[1].

وعن أبي مسعود قال: ((**قال لي أبو عبد الله عليه السلام: حسن الجوار زيادة في الأعمار، وعمارة الديار**))[2].

وعن أبي ربيع الشامي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**قال والبيت غاص بأهله: اعلموا أنه ليس منا من لم يحسن مجاورة من جاوره**))[3].

٢. عن أبي جعفر عليه السلام قال: ((**حد الجوار أربعون داراً من كل جانب، من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله**))[4].

٣. عن عمر بن عكرمة، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث: ((**أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أتاه رجل من الأنصار فقال: إني اشتريت داراً من بني فلان، وإنْ أقرب جيراني مني جواراً مَنْ لا أرجو خيره ولا آمن شره. قال: فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله علياً وسلمان وأبا ذر، ونسيت آخر وأظنه المقداد أنْ ينادوا في المسجد بأعلى أصواتهم بأنه لا إيمان لمن لم يأمن جاره بوائقه، فنادوا بها ثلاثاً، ثم أومأ بيده إلى كل أربعين داراً من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه**

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٤٨٩، ح١.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٤٨٩، ح٣.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٤٨٩، ح٥.

(٤) وسائل الشيعة٨: ٤٩١، ح١.

وعن شماله))[١].

٤. عن الحسن بن عبد الله، عن عبد صالح، قال: ((**ليس حسن الجوار كف الأذى، ولكن حسن الجوار صبرك على الأذى))**[٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**ما أفلت المؤمن من واحدة من ثلاث، ولربما اجتمعت الثلاث عليه: إما بعض من يكون معه في الدار يغلق عليه بابه يؤذيه، أو جار يؤذيه، أو من في طريقه إلى حوائجه يؤذيه. ولو أنّ مؤمناً على قُلّة جبل لبعث الله عزّ وجلّ عليه شيطاناً يؤذيه، ويجعل له من إيمانه أنساً لا يستوحش معه إلى أحد))**[٣].

٥. عن أبي جعفر عليه السلام قال: ((**من القواصم التي تقصم الظهر جار السوء، إنْ رأى حسنة أخفاها، وإنْ رأى سيئة أفشاها))**[٤].

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٤٨٧، ح١.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٤٨٤، ح٢.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٤٨٤، ح٣.

(٤) وسائل الشيعة٨: ٤٩١، ح١.



البناء الفوقي والقواعد

١. الأحكام الشرعية والعرفية

٢. ضبط العواطف والانفعالات

٣. العدل والإنصاف

٤. حسن الخلق والتودد إلى الناس

٥. المعروف واليد العليا

٦. القدوة والسلوك المتميز

يمكن تلخيص البناء الفوقي للقواعد والأُسس بالأُمور التالية، وهي أمور لها دور في كمال الإنسان الذاتي، كما عرفنا من جهاد النفس، ولكن لها بُعد في العلاقات الاجتماعية أيضاً، وهي:

أولاً: الأحكام الشرعية والعرفية

وأولها البناء الفوقي للأحكام الشرعية والعرفية، ويمكن أنْ نلاحظه - كما ذكرنا سابقاً - في مثل الوفاء بالعهود والمواثيق، وأداء الأمانة، وحضور الجنائز وصلوات الجماعة، والاجتماعات العامة، وفي عيادة المرضى، ورد السلام، وجواب الكتاب وغير ذلك.

مضافاً إلى ذلك نجد الواجبات العامة التي أشرنا إليها في بعد تقوية البناء الاجتماعي، مثل مبدأ وجوب التناصر بين المسلمين، ووجوب الاهتمام بأُمورهم، ووجوب التعاون بينهم، ووجوب النصيحة لهم، ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحسن الجوار، والتشاور بينهم، إلى غير ذلك من الواجبات والمسؤوليات العامة.

الالتزام على مستوى الواجبات

وإلى جانب كل ذلك نجد بعض الحقوق والواجبات والمحرمات الشرعية والعرفية في مفردات كثيرة، نشير إلى بعضها في الآتي:

١. يجب على الإنسان أنْ يحتفظ بأسرار أخيه المسلم في العلاقات الاجتماعية، عندما يسمع منه حديثاً في مجلس، أو يأتمنه عليه. فقد ورد أنَّ ((المجالس بالأمانة))، ولكن هناك استثناءات خاصة لهذه الحالة.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: ((**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المجالس بالأمانة**))[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**المجالس بالأمانة، وليس لأحد أنْ يُحدِّث**

(١) وسائل الشيعة٨: ٤٧١، ح١.

بحديث يكتمه صاحبه إلاّ بإذنه، إلاّ أنْ يكون ثقة أو ذكراً له بخير))[١].

وقال رسول الله ﷺ: ((**المجالس بالأمانة إلاّ ثلاثة مجالس: مجلس سفك فيه دم حرام، أو مجلس استحل فيه فرج حرام، أو مجلس يستحل فيه مال حرام بغير حقه**))[٢].

٢. حث الشارع المقدس على الوفاء بالوعود إلى جانب وجوب الوفاء بالعهود والعقود، حيث يرتقي بالوعد إلى درجة العهد.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**قال رسول الله ﷺ: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليفِ إذا وعد**))[٣].

وعن هشام بن سالم قال: ((**سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: عِدة المؤمن أخاه نذر لا كفارة له، فمن أخلف فبخلف الله بدأ، ولمقته تعرض، وذلك قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾**))[٤].

٣. وجوب الصدق في الحديث وفي التعامل مع الآخرين.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**كونوا دعاة للناس بالخير بغير ألسنتكم، ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع**))[٥].

وعن زيد بن علي، عن آبائه قال: ((**قال رسول الله ﷺ: إنّ أقربكم مني غداً وأوجبكم عليّ شفاعة أصدقكم للحديث، وآداكم للأمانة، وأحسنكم**

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٤٧١، ح٣.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٤٧١، ح٤.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٥١٥، ح٢.

(٤) وسائل الشيعة٨: ٥١٥، ح٣.

(٥) وسائل الشيعة٨: ٥١٣، ح١.

خلقاً، وأقربكم من الناس))[١].

٤. وجود مجموعة من الواجبات والالتزامات الحقوقية بين المؤمنين، تحدثنا عن بعضها في بُعد المعاملة الخاصة بين المؤمنين، مضافاً إلى حقوق أُخرى أشرنا إليها في مناسبات متعددة، ونشير هنا إلى نموذج من الروايات يتناول جانباً من هذا الموضوع.

عن المعلّى بن خنيس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**قلت له: ما حق المسلم على المسلم؟ قال: له سبع حقوق واجبات، ما منهن حق إلاّ وهو عليه واجب إنْ ضيع منه شيئاً خرج من ولاية الله وطاعته، ولم يكن لله فيه نصيب. قلت له: جعلت فداك، وما هي؟ قال: يا معلى، إني عليك شفيق أخاف أنْ تُضيّع ولا تحفظ، وتعلم ولا تعمل. قلت: لا قوة إلاّ بالله. قال: أيسر حق منها أنْ تحب له ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك. والحق الثاني: أنْ تجتنب سخطه، وتتّبع مرضاته، وتطيع أمره. والحق الثالث: أنْ تعينه بنفسك ومالك ولسانك ويدك ورجلك. والحق الرابع: أنْ تكون عينه ودليله ومرآته. والحق الخامس: أنْ لا تشبع ويجوع، ولا تروى ويظمأ، ولا تلبس ويعرى. والحق السادس: أنْ يكون لك خادم وليس لأخيك خادم، فواجب أنْ تبعث خادمك فتغسل ثيابه، وتصنع طعامه، وتمهد فراشه. والحق السابع: أنْ تبرّ قسمه، وتجيب دعوته، وتعود مريضه، وتشهد جنازته، وإذا علمت أنْ له حاجة تبادره إلى قضائها، ولا تلجئه إلى أنْ يسألكها، ولكن تبادره مبادرة، فإذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته، وولايته بولايتك**))[٢].

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٥١٤، ح٨.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٥٤٤، ح٧.

الالتزام على مستوى المحرمات

وعلى مستوى المحرمات والممنوعات في هذا المجال نجد مفردات كثيرة أقرها الشارع المقدس لتجسيد هذا النوع من الالتزامات.

١. عدم جواز دخول بيوت الناس بغير إذنهم، بل حتى وجوب إشعارهم عند الدخول، لأن للمسلم حرمة في دمه وماله وعرضه وشؤونه الخاصة.

عن عبد الرحمن بن أبي عبد الله قال: ((**سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ قال: الاستئناس: وقع النعل والتسليم**))[1].

كما ينبغي للمسلم أنْ يجلس من الدار حيث أمره صاحبها.

فعن جعفر بن محمد، عن أبيه عليهما السلام قال: ((**إذا دخل أحدكم على أخيه في رحله فليقعد حيث يأمره صاحب الرحل، فإنّ صاحب الرحل أعرف بعورة بيته من الداخل عليه**))[2].

٢. تحريم المكر والحسد والغش والخيانة.

فعن علي بن موسى الرضا، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام: قال: ((**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مَنْ كان مسلماً فلا يمكر ولا يخدع، فإني سمعت جبرئيل يقول: إنّ المكر والخديعة في النار،** ثم قال: **ليس منا من غش مسلماً، وليس منا من خان مسلماً، ثم قال صلى الله عليه وآله: إنّ جبرئيل الروح الأمين نزل عليّ من عند رب العالمين فقال: يا محمد، عليك بحسن الخلق، فإنّ سوء الخلق ذهب**

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٤٥٤، ح١.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٤٧٦، ح١.

بخير الدنيا والآخرة، ألا وإنّ أشبهكم بي أحسنكم خلقاً))[١].

وروي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: ((**لولا أنّ المكر والخديعة في النار لكنت أمكر الناس**))[٢].

٣. تحريم الكذب بكل أشكاله ودرجاته في مختلف المجالات، وخصوصاً في العلاقات مع الناس، باستثناء بعض الموارد كالإصلاح، بين الناس كما ذكرنا سابقاً.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: ((**إنّ الله عزّ وجلّ جعل للشر أقفالاً، وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب، والكذب شر من الشراب**))[٣].

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: ((**ينبغي للرجل المسلم أن يجتنب مؤاخاة الكذاب، فإنه يكذب حتى يجيء بالصدق فلا يصدق**))[٤].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: ((**كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول لولده: اتقوا الكذب الصغير منه والكبير في كل جدٍ وهزل، فإنّ الرجل إذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير. أما علمتم أنّ** رسول الله صلى الله عليه وآله **قال: ما يزال العبد يصدق حتى يكتبه الله صدّيقاً، وما يزال العبد يكذب حتى يكتبه الله كذاباً**))[٥].

وعن علي أمير المؤمنين عليه السلام قال: ((**لا يصلح من الكذب جد ولا هزل، ولا أنْ يعد أحدكم صبيه ثم لا يفي له. إنّ الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، وما يزال أحدكم يكذب حتى يقال: كذب**

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٥٧٠، ح١.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٥٧١، ح٤.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٥٧٢، ح٣.

(٤) وسائل الشيعة٨: ٥٧٣، ح٦.

(٥) وسائل الشيعة٨: ٥٧٦، ح١.

وفجر، وما يزال أحدكم يكذب حتى لا يبقى موضع إبرة صدق[١]**، فيسمى عند الله كذاباً))**[٢].

٤. النهي عن أنْ يكون الإنسان في علاقاته الاجتماعية ذا وجهين ولسانين.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**من لقي المسلمين بوجهين ولسانين جاء يوم القيامة وله لسانان من نار**))[٣].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: ((**بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين، يطري أخاه شاهداً، ويأكله غائباً. إنْ أُعطي حسده، وإنْ ابتُلي خذله**))[٤].

٥. حرمة قطع ولاء المؤمن، أو التعبير عن عداوته، أو إضمار السوء له.

فقد ورد بطرق متعددة عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: ((**إذا قال الرجل لأخيه المؤمن: أف، خرج من ولايته، وإذا قال: أنت عدوي كفر أحدهما، ولا يقبل الله من مؤمن عملاً وهو مضمر على أخيه المؤمن سوءاً**))[٥].

٦. النهي عن سوء الظن بالمؤمن أو اتهامه.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**إذا اتهم المؤمن أخاه انماث الإيمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء**))[٦].

---

(١) وفي أمالي الصدوق، ٣٤٢: ((**حتى لا يبقى في قلبه موضع إبرة صدق**)).

(٢) وسائل الشيعة٨: ٥٧٧، ح٣.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٥٨١، ح١.

(٤) وسائل الشيعة٨: ٥٨٢، ح٢.

(٥) وسائل الشيعة٨: ٦١١، ح٢.

(٦) وسائل الشيعة٨: ٦١٣، ح١.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: **((قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له: ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك منه، ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً))**[١].

ثانياً: ضبط العواطف والانفعالات

إنّ تفصيل خطوط البناء الفوقي لموضوع ضبط العواطف والانفعالات يمكن أنْ نجده واسعاً في موضوع جهاد النفس كما أشرنا سابقاً، كما نجده في موضوع أحكام المعاشرة أيضاً.

١. ضبط العواطف والصفات الحميدة

فنجد الشارع المقدس عندما يتحدث عن الصفات الحميدة للإنسان، أو الصفات التي لابدّ أنْ يتصف بها ليكون مؤمناً، نراه يؤكد على الصفات ذات العلاقة بهذا الجانب النفسي، وهو العواطف والانفعالات.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: **((ينبغي للمؤمن أنْ يكون فيه ثماني خصال: وقوراً عند الهزاهز، صبوراً عند البلاء، شكوراً عند الرخاء، قانعاً بما رزقه الله، لا يظلم الأعداء، ولا يتحامل للأصدقاء، بدنه منه في تعب، والناس منه في راحة. إنّ العلم خليل المؤمن، والحلم وزيره، والعقل أمير جنوده، والرفق أخوه، والبر والده))**[٢].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: **((ثلاث خصال من كن فيه استكمل خصال الإيمان: إذا رضي لم يدخله رضاه في باطل، وإذا غضب لم يخرجه الغضب من الحق، وإنْ قدر لم يتعاط ما ليس له))**[٣].

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٦١٣، ح٣.

(٢) وسائل الشيعة١١: ١٤٣، ح٩.

(٣) وسائل الشيعة١١: ١٤٨، ح٢٠.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**قال النبي صلى الله عليه وآله: ألا أخبركم بأشبهكم بي؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: أحسنكم خلقاً، وألينكم كنفاً، وأبركم بقرابته، وأشدكم حباً لإخوانه في دينه، وأصبركم على الحق، وأكظمكم للغيظ، وأحسنكم عفواً، وأشدكم من نفسه إنصافاً في الرضا والغضب**))[1].

أ) الصبر على الطاعة والصبر عن المعصية

ومن هنا نجد أنّ الصبر على الطاعة لله، والصبر عن معصيته تعالى يأتيان في مقدمة الأعمال الصالحة.

ففي الحديث الصحيح عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: ((**إذا كان يوم القيامة يقوم عنق من الناس فيأتون باب الجنة فيقال: من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الصبر، فيقال لهم: على ما[2] صبرتم؟ فيقولون: كنا نصبر على طاعة الله، ونصبر عن معاصي الله، فيقول الله عزّ وجلّ: صدقوا. أدخلوهم الجنة. وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾**))[3].

ب) العفة

كما نجد في هذا المجال بعض الصفات التي تكون أفضل العبادات، مثل

---

(١) وسائل الشيعة١١: ١٤٨، ح٢٨.

(٢) هكذا وردت في المصدر، والصواب ((علامَ)) لوجوب حذف ألف ((ما)) الاستفهامية عند وقوعها بعد حرف جر.

(٣) وسائل الشيعة١١: ١٨٦، ح١، وفي هذا الباب أحاديث عديدة في هذا المعنى من المستحسن الاطلاع عليها.

عفة البطن والفرج والعين.

فعن أبي جعفر عليه السلام قال: ((**ما عبادة أفضل عند الله من عفة بطن وفرج**))[١].

وعنه عليه السلام: ((**كل عين باكية يوم القيامة غير ثلاث: عين سهرت في سبيل الله، وعين فاضت من خشية الله، وعين غضت عن محارم الله**))[٢].

ج) الحلم

وكذلك نجد صفة الحلم التي هي: أنْ يعفو الإنسان ويغض النظر عن الآخرين عند الغضب مع القدرة على إمضائه، حيث لا يكون الرجل عابداً إلاّ إذا كان حليماً، وهو أفضل ناصر للإنسان في حركته الاجتماعية، وعلاقاته مع الناس.

فعن محمد بن عبد الله قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: ((**لا يكون الرجل عابداً حتى يكون حليماً، وإنّ الرجل كان إذا تعبّد في بني إسرائيل لم يُعدّ عابداً حتى يصمت قبل ذلك عشر سنين**))[٣].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: ((**كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول: إنّه ليعجبني الرجل أنْ يدركه حلمه عند غضبه**))[٤].

وقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: ((**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أعز الله بجهل قط، ولا أذل بحلم قط**))[٥].

---

(١) وسائل الشيعة ١١: ١٩٧، ح١.

(٢) وسائل الشيعة ١١: ٢٠٠، ح١.

(٣) وسائل الشيعة ١١: ٢١٠، ح١.

(٤) وسائل الشيعة ١١: ٢١٠، ح٢.

(٥) وسائل الشيعة ١١: ٢١١، ح٧.

د) الرفق

وكذلك صفة الرفق، وهو: التعامل باللين مع الآخرين في مقابل العنف والشدة، حيث يكون له دور مهم في مختلف أبعاد حياة الإنسان.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الرفق يمن، والخرق شؤم**))[1].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: ((**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الرفق لم يوضع على شيء إلاّ زانه، ولا نُزع من شيء إلاّ شانه**))[2].

وعن هشام بن أحمر، عن أبي الحسن عليه السلام قال: ((**قال لي وجرى بيني وبين رجل من القوم كلام فقال لي: أرفق بهم، فإنّ كفر أحدهم في غضبه، ولا خير فيمن كان كفره في غضبه**))[3].

هـ) التواضع

وكذلك التواضع الذي هو طريق الارتفاع والصعود إلى الدرجات العالية.

فعن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**سمعته يقول: إنّ في السماء ملكين موكلين بالعباد، فمن تواضع لله رفعاه، ومن تكبر وضعاه**))[4].

والتواضع كما ورد تعريفه في الروايات هو ((**أنْ تعطي الناس ما تحب**

---

(١) وسائل الشيعة١١: ٢١٣، ح١.

(٢) وسائل الشيعة١١: ٢١٤، ح٩.

(٣) وسائل الشيعة١١: ٢١٤، ح١٢.

(٤) وسائل الشيعة١١: ٢١٥، ح١.

أنْ تُعطاه))، وهو أيضاً ((درجات، منها أنْ يعرف المرء قدر نفسه فينزلها منزلتها بقلب سليم، لا يحب أنْ يأتي إلى أحد إلاّ مثل ما يؤتى إليه. إنْ رأى سيئة درأها بالحسنة. كاظم الغيظ، عاف عن الناس والله يحب المحسنين))، وهو أيضاً ((أنْ يرضى بالمجلس دون المجلس، وأنْ يسلّم على من يلقى، وأنْ يترك المراء وإنْ كان محقاً، ولا تحب أنْ تحمد على التقوى))[1].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((أرسل النجاشي إلى جعفر بن أبي طالب وأصحابه، فدخلوا عليه وهو في بيت له جالس على التراب، وعليه خُلقان الثياب. قال: فقال جعفر عليه السلام: فأشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال، فلما رأى ما بنا وتغير وجوهنا قال: الحمد لله الذي نصر محمداً وأقر عينه. ألا أبشركم؟ فقلت: بلى أيها الملك، فقال: إنه جاءني الساعة من نحو أرضكم عين من عيوني هناك، فأخبرني أنّ الله عزّ وجلّ قد نصر نبيه محمداً صلى الله عليه وآله وأهلك عدوه، وأسر فلان وفلان وفلان. التقوا بوادٍ يقال له بدر، كثير الأراك، لكأني أنظر إليه حيث كنت أرعى لسيدي هناك، وهو رجل من بني ضمرة.

فقال له جعفر: أيها الملك، فما لي أراك جالساً على التراب، وعليك هذه الخلقان؟

فقال له: يا جعفر، إنا نجد فيما أنزل الله على عيسى عليه السلام أنّ من حق الله على عباده أنْ يحدثوا له تواضعاً عندما يحدث لهم من نعمة، فلما أحدث الله عزّ وجل لي نعمه بمحمد صلى الله عليه وآله أحدثت لله هذا التواضع، فلما بلغ النبي صلى الله عليه وآله قال لأصحابه: إنّ الصدقة تزيد صاحبها كثرة، فتصدقوا يرحمكم

(١) تجد هذه النصوص وغيرها في الجزء١١ من وسائل الشيعة، أبواب جهاد النفس، الباب٢٨ (استحباب التواضع).

الله، وإنّ التواضع يزيد صاحبه رفعة فتواضعوا يرفعكم الله، وإنّ العفو يزيد صاحبه عزاً فاعفوا يعزكم الله))[١].

وعن معاوية بن وهب قال: ((**سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار، وتواضعوا لمن تعلمونه العلم، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم، ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم))**[٢].

وعن محمد بن سنان رفعه قال: ((**قال عيسى بن مريم عليه السلام للحواريين: لي إليكم حاجة اقضوها لي، فقالوا: قضيت حاجتك يا روح الله، فقام فغسل أقدامهم، فقالوا: كنا أحق بهذا منك، فقال: إنّ أحق الناس بالخدمة العالم. إنما تواضعت هكذا لكيما تتواضعوا بعدي في الناس كتواضعي لكم، ثم قال عيسى عليه السلام: بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبر، وكذلك في السهل ينبت الزرع لا في الجبل))**[٣].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**أفطر رسول الله صلى الله عليه وآله عشية خميس في مسجد قبا، فقال: هل من شراب؟ فأتاه أوس بن خولى الأنصاري بعسٍ مخيض بعسل، فلما وضعه على فيه نحّاه ثم قال: شرابان يكتفى من أحدهما بصاحبه. لا أشربه ولا أحرّمه، ولكن أتواضع لله، فإنه من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر خفضه الله، ومن اقتصد في معيشته رزقه الله، ومن بذّر حرمه الله، ومن أكثر ذكر الموت أحبه الله))**[٤].

---

(١) الكافي٢: ١٢١، ح١.

(٢) وسائل الشيعة١١: ٢١٩، ح١.

(٣) وسائل الشيعة١١: ٢١٩، ح٢.

(٤) وسائل الشيعة١١: ٢١٩، ح١.

و) النية الحسنة والسريرة الصالحة

وكذلك إصلاح النية والسريرة في التعامل مع الآخرين، حيث يضع الله أمام عينه ويقيم العلاقة على أساس هذه الصلة.

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ((**من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله له أمر دنياه، ومن كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ**))[1].

٢. ضبط العواطف والصفات الذميمة

وفي جانب آخر في هذا المجال نجد مجموعة من الاتجاهات والانفعالات النفسية والعاطفية المرتبطة بالعلاقات الاجتماعية يحرمها الشارع المقدس، ويحذر منها أشد التحذير بسبب ما يمكن أنْ تحدثه من تأثير سلبي على مسيرة الإنسان التكاملية الاجتماعية.

أ) حب الرئاسة

فمثلاً حب الرئاسة والإمارة لما كان يمثل اتجاهاً نفسياً يعبّر عن الهوى والشهوات في عواطف الإنسان وأحاسيسه، حذر أهل البيت عليهم السلام منه، خصوصاً مع ملاحظة الواقع الفاسد الذي كان يعيشه الرؤساء في المجتمع الإسلامي آنذاك.

وأصبحت الرئاسة في نظر بعض الفقهاء أمراً محرماً، مع عدم الوثوق بالعدل، واحتمال الانسياق مع آثارها الخطيرة في الظلم أو الكِبر.

عن معمر بن خلاد، عن أبي الحسن عليه السلام أنه ذكر رجلاً فقال: إنّه يحب الرئاسة، فقال: ((**ما ذئبان ضاريان في غنم قد تفرق رعاؤها بأضر في دين**

---

(١) نهج البلاغة ٤: ٢٠، الرقم ٨٩.

المسلم من الرئاسة))[١].

وعن عبد الله بن مسكان قال: ((**سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إياكم وهؤلاء الرؤساء الذين يترأسون، فوالله ما خفقت النعال خلف الرجل إلاّ هلك وأهلك))**[٢].

وعن الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث المناهي قال: ((**ألا ومن تولى عرافة قوم أتى يوم القيامة ويداه مغلولتان إلى عنقه، فإنْ قام فيهم بأمر الله أطلقه الله، وإنْ كان ظالماً هوى به في نار جهنم وبئس المصير))**[٣].

ب) الغضب

كما حذر الشارع المقدس وأهل البيت عليهم السلام من الغضب وآثاره في العلاقات الاجتماعية وفي التكامل الذاتي، وبينوا بعض طرق العلاج لهذه الحالة النفسية والانفعال الخطير في حياة الإنسان مع الآخرين.

فإنّ ((**الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الخل العسل**))، و((**الغضب مفتاح كل شر**))، و((**إنما المؤمن الذي إذا غضب لم يخرجه غضبه من حق**))، و((**من كف غضبه عن الناس كف الله تبارك وتعالى عنه عذاب يوم القيامة**))، و((**فأيما رجل غضب على قوم وهو قائم فليجلس من فوره ذلك، فإنه يذهب عنه رجز الشيطان، وأيما رجل غضب على ذي رحم فليدنُ منه فليمسه، فإنّ الرحم إذا مست سكنت**))[٤].

---

(١) وسائل الشيعة ١١: ٢٧٩، ح١.

(٢) وسائل الشيعة ١١: ٢٧٩، ح٤.

(٣) وسائل الشيعة ١١: ٢٨٢، ح١٤.

(٤) يراجع الوسائل ١١: ٢٨٦، ٢٨٧، باب٥٣ ح١، ٢، ٣، ٤، ٦.

ومن الطرائف في هذا المجال ما رواه الكليني عن معلى بن خنيس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**قال رجل للنبي صلى الله عليه وآله يا رسول الله، علمني. قال: اذهب ولا تغضب، فقال الرجل: قد اكتفيت بذاك، فمضى إلى أهله فإذا بين قومه حرب قد قاموا صفوفاً، ولبسوا السلاح، فلما رأى ذلك لبس سلاحه ثم قام معهم، ثم ذكر قول رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تغضب، فرمى السلاح ثم جاء يمشي إلى القوم الذين هم عدوّ قومه فقال: يا هؤلاء، ما كانت لكم من جراحة أو قتل أو ضرب ليس فيه أثر فعليّ في مالي أنا أوفيكموه، فقال القوم: فما كان فهو لكم. نحن أولى بذلك منكم. قال: فاصطلح القوم وذهب الغضب**))[1].

ج) الحسد

كما حذر الشارع المقدس من الحسد، وهو: أنْ يتصرف الإنسان مع الناس في المجتمع من موقع الرغبة في زوال النعم التي أنعم الله تعالى بها عليهم، أو تحولها منهم إليه.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**إنّ الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب**))[2].

وعنه عليه السلام قال: ((**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله عزّ وجلّ لموسى بن عمران عليه السلام: يا بن عمران، لا تحسدنّ الناس على ما آتيتهم من فضلي، ولا تمدنّ عينيك إلى ذلك، ولا تتبعه نفسك، فإنّ الحاسد ساخط لنعمي، صادٌّ لقسمي الذي قسمت بين عبادي، ومن يكُ كذلك فلست منه وليس**

---

(١) الكافي٢: ٣٠٤، ح١١.

(٢) الكافي٢: ٣٠٦، ح٢.

مني))[١].

كما أنَّ الحسد غير الغبطة، التي يشعر الإنسان فيها بالسرور والأنس لما تفضل الله به على بعض خلقه.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**إنَّ المؤمن يغبط ولا يحسد، والمنافق يحسد ولا يغبط**))[٢].

د) الحمية والعصبية

كما نهى الشارع - في العلاقات الاجتماعية - عن التأثر بالعصبية، والانسياق مع مشاعرها وعواطفها.

والعصبية التي يؤثم عليها صاحبها - كما ورد في تفسيرها عن علي بن الحسين عليهما السلام - هي: ((**أنْ يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين، وليس من العصبية أنْ يحب الرجل قومه ولكن من العصبية أنْ يعين قومه على الظلم**))[٣].

ويبدو من هذا الحديث، ومن مفهوم العصبية نفسها أنَّ العصبية هي: التعصب والتحزب والولاء في العمل لغير الحق[٤].

وهي تدخل في أحد أبعادها في موضوع العدل والإنصاف، الذي سوف

---

(١) الكافي٢: ٣٠٧، ح٦.

(٢) وسائل الشيعة١١: ٢٩٣، ح٧.

(٣) الكافي٢: ٣٠٨، ح٧.

(٤) يؤيد ذلك ما ذكره الكليني في الكافي٢: ٣٠٨، ح٥ عن علي بن الحسين عليهما السلام أنه قال: ((**لم يدخل الجنة حمية غير حمية حمزة بن عبد المطلب، وذلك حين أسلم غضباً للنبي صلى الله عليه وآله في حديث السلا الذي ألقي على النبي صلى الله عليه وآله**)).

يراجع حديث السلا في الكافي١: ٤٤٩، باب مولد النبي صلى الله عليه وآله، ح٣٠.

يأتي الحديث عنه، ولكنها في الوقت نفسه تدخل في موضوع العواطف والمشاعر التي يحتاج الإنسان إلى ضبطها والسيطرة عليها.

وقد وردت أحاديث عديدة في تحريمها، مثل الحديث الصحيح الذي رواه الإمام الصادق عليه السلام عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: ((**من تعصب أو تعصب له فقد خلع ربق الإيمان من عنقه**))[١].

هـ) الكبر والتيه والاختيال

ومن جملة هذه الانفعالات والمشاعر النفسية المحرمة، هو الشعور بالكِبر والخيلاء، والتعامل مع الناس انطلاقاً من هذا الشعور.

ففي الحديث الصحيح عن أحد الباقرين عليهما السلام قال: ((**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من الكِبر**))[٢].

كما ورد أنّ أول ما عُصي الله به الكِبر، وهي معصية إبليس حين أبى واستكبر وكان من الكافرين[٣].

وقد جاء في تعريف الكِبر هو «أنْ تغمص الناس وتسفه الحق»، وفي بعض الروايات المعتبرة أنّ هذا النوع من الكِبر هو من أعظم أنواعه.

فعن عبد الأعلى بن أعين قال: ((**قال أبو عبد الله عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ أعظم الكِبر غمص الخلق وسفه الحق. قال: قلت: وما غمص الخلق وسفه الحق؟ قال: يجهل الحق ويطعن على أهله، فمن فعل ذلك فقد نازع الله عز وجل رداءه**))[٤].

---

(١) الكافي٢: ٣٠٨، ح٢.

(٢) وسائل الشيعة١١: ٣٠٦، ح١.

(٣) وسائل الشيعة١١: ٣٠٨، ح٢.

(٤) وسائل الشيعة١١: ٣٠٦، ح٣.

وفي حديث آخر عن محمد بن عمر بن يزيد، عن أبيه قال: ((**قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنني آكل الطعام الطيب، وأشم الرائحة الطيبة، وأركب الدابة الفارهة، ويتبعني الغلام، فترى في هذا شيئاً من التجبر فلا أفعله؟ فأطرق أبو عبد الله عليه السلام ثم قال: إنما الجبار الملعون من غمص الناس وجهل الحق.**

قال عمر: فقلت: أما الحق فلا أجهله، والغمص لا أدري ما هو؟.

قال: من حقّر الناس وتجبّر عليهم فذلك الجبار))[1].

وقد فسر أهل البيت عليهم السلام سبب التجبر والتيه والتكبر - كما ورد في الحديث عنهم - أنه الشعور بالنقص والإحساس بالذلة في النفس.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**ما من أحد يتيه إلاّ لذلة يجدها في نفسه**))[2].

وعنه عليه السلام في حديث آخر قال: ((**ما من رجل تكبر أو تجبر إلاّ لذلة يجدها في نفسه**))[3].

ومن مصاديق الكِبر - كما ورد في الروايات - العناد، ورفض احترام الآخرين.

فقد ورد في حديث معتبر عن الحسين بن أبي العلا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**سمعته يقول: الكِبر قد يكون في شرار الناس من كل جنس، والكِبر رداء الله، فمن نازع الله رداءه لم يزده إلاّ سفالاً. إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله مرّ في بعض طرق المدينة وسوداء تلقط السرقين، فقيل لها: تنحي**

---

(١) وسائل الشيعة ١١: ٣٠٧، ح٥.

(٢) وسائل الشيعة ١١: ٣٠٣، ح٢.

(٣) وسائل الشيعة ١١: ٣٠٣، ح٣.

عن طريق رسول الله ﷺ، فقالت: إنّ الطريق لمعرض، فهمّ بها بعض القوم أنْ يتناولها، فقال رسول الله ﷺ: دعوها فإنها جبارة))[١].

و) الطمع والكسل والسفه

كما أنَ هناك مجموعة من الأحاسيس والمشاعر والعواطف الاجتماعية الأُخرى المبغوضة للشارع المقدس، لما فيها من آثار ونتائج سلبية وضارة في حركة الإنسان الذاتية والاجتماعية، إذ يصبح فيها الإنسان أسيراً لغيره، أو مضيعاً لحقوق الآخرين، أو منفصلاً ومعزولاً عنهم وعن مجتمعهم.

ومن هذه الأحاسيس ذات التأثير السلوكي السيء هو الطمع.

فقد ورد في الحديث عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: ((**بئس العبد عبد يكون له طمع يقوده، وبئس العبد عبد له رغبة تذلّه**))[٢].

وقال الإمام علي بن الحسين عليه السلام: ((**رأيت الخير كله قد اجتمع في قطع الطمع عما في أيدي الناس**))[٣].

ومن هذه المشاعر الكسل الذي يؤدي في بُعده الاجتماعي إلى ضياع حقوق الآخرين.

فقد ورد في وصية النبي ﷺ لعلي عليه السلام: ((**وإنْ كسلت لم تؤدّ حقاً**))[٤].

وجاء في حديث للنبي ﷺ أنه قال: ((**لأنه إذا كسل فقد ضيع الحقوق**))[٥].

---

(١) وسائل الشيعة ١١: ٣٠٣، ح٤.

(٢) وسائل الشيعة ١١: ٣٢١، ح٢.

(٣) وسائل الشيعة ١١: ٣٢١، ح٣.

(٤) وسائل الشيعة ١١: ٣٢٠، ح٢.

(٥) وسائل الشيعة ١١: ٣٢٠، ح٣.

وفي حديث لأبي الحسن موسى عليه السلام لبعض ولده: ((**وإياك والضجر والكسل؛ فإنهما يمنعانك حظك من الدنيا والآخرة**))[١].

ومن هذه المشاعر - أيضاً - السفه والجهل، وهما سبب في وجود حالة نفسية وروحية عند الإنسان تجعله يتجاوز الحدود والآداب الاجتماعية في الكلام والحديث مع الناس عامة، ويبادر إلى القول والفعل من دون رويّة وتعقل، وهذه الصفة من أبرز مصاديق سوء الخلق.

فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: ((**إنّ السفه خلق لئيم، يستطيل على من هو دونه، ويخضع لمن هو فوقه**))[٢].

وقال عليه السلام: ((**لا تسفهوا، فإنّ أئمتكم ليسوا بسفهاء**))[٣].

وعنه عليه السلام بطريق معتبر: ((**إنّ أبغض خلق الله عبد اتقى الناس لسانه**))[٤].

وقال عليه السلام: ((**من كافأ السفيه بالسفه، فقد رضي بما أتى إليه، حيث احتذى مثاله**))[٥].

٣. ضبط العواطف والمعاشرة

وفي مجال المعاشرة والعلاقات الاجتماعية نجد نماذج ومفردات تفصيلية، يقدمها الشارع المقدس وأهل البيت عليهم السلام، تعبّر عن هذه القاعدة المهمة في النظرية الإسلامية في العلاقات الاجتماعية:

---

(١) وسائل الشيعة ١١: ٣٢٠، ح٤.

(٢) الكافي ٢: ٣٢٢، ح١.

(٣) الكافي ٢: ٣٢٢، ح٢.

(٤) الكافي ٢: ٣٢٢، ح٤.

(٥) الكافي ٢: ٣٢٢، ح٢.

أ) حسن الصحبة

فأولى هذه المفردات، هو حسن الصحبة، وتحمّل الرفقاء والأصحاب وغيرهم، ممن يبتلى الإنسان - عادة - بإيجاد العلاقات الاجتماعية العامة معهم.

عن أبي الربيع الشامي قال: ((**دخلت على أبي عبد الله عليه السلام والبيت غاص بأهله، فيه الخراساني والشامي ومن أهل الآفاق، فلم أجد موضعاً أقعد فيه، فجلس أبو عبد الله عليه السلام وكان متكئاً ثم قال: يا شيعة آل محمد، اعلموا أنه ليس منا من لم يملك نفسه عند غضبه، ومن لم يحسن صحبة من صحبه، ومخالقة من خالقه، ومرافقة من رافقه، ومجاورة من جاوره، ومما لحة من مالحه**))[١].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: ((**ما يُعبأ بمن سلك هذا الطريق إذا لم يكن فيه ثلاث خصال: ورع يحجزه عن معاصي الله، وحلم يملك به غضبه، وحسن الصحبة لمن صحبه**))[٢].

وفي هذا المجال يذكر أهل البيت عليهم السلام بعض (المفردات) التي تعبر عن حسن الصحبة هذه.

مثل ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في كتاب المحاسن بطريق معتبر: ((**ليس من المروءة أنْ يحدّث الرجل بما يلقى في السفر من خير أو شر**))[٣].

ومثل تفقد أحوال رفيق السفر بعد الافتراق، فعن المفضل بن عمر قال: ((**دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي: من صحبك؟**

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٤٠٢، ح٣.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٤٠٢، ح٤.

(٣) المحاسن٢: ١٠٣، ح٧٠.

فقلت له: رجل من إخواني.

قال: فما فعل؟

قلت: منذ دخلت لم أعرف مكانه.

فقال لي: أما علمت أنّ مَنْ صحب مؤمناً أربعين خطوة سأله الله عنه يوم القيامة؟))[1].

وكذلك سؤال ذي الجليس جليسه عن اسمه وكنيته ونسبه وحاله، وكراهة ترك ذلك، ولكن بدون فضول وإحراج، ولعل في هذا الحديث الشريف الذي يرويه علي بن الحسين عليهما السلام عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله ما يلقي الضوء على بعض المصاديق والأمثلة.

فقد روى عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال يوماً لجلسائه: ((**تدرون ما العجز؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. فقال: العجز ثلاثة: أنْ يبدر أحدكم بطعام يصنعه لصاحبه فيخلفه ولا يأتيه، والثانية: أنْ يصحب الرجل منكم الرجل أو يجالسه يحب أنْ يعلم من هو ومن أين هو، فيفارقه قبل أنْ يعلم ذلك، والثالثة: أمر النساء يدنو أحدكم من أهله فيقضي حاجته وهي لم تقض حاجتها.**

فقال عبد الله بن عمرو بن العاص: فكيف ذلك يا رسول الله؟

قال: يتحرش ويمكث حتى يأتي ذلك منهما جميعاً))[2].

وقد عُبّر عن هذه الأفعال الثلاثة بـ ((الجفاء)) في حديث آخر يرويه الإمام الباقر عليه السلام، عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ((**ثلاثة من الجفاء: أنْ يصحب الرجل الرجل فلا يسأله عن اسمه وكنيته، وأنْ يدعى الرجل إلى**

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٤٠٣، ح٨.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٥٠٠، ح١.

طعام فلا يجيب، أو يجيب فلا يأكل، ومواقعة الرجل أهله قبل الملاعبة))[١].

كما جاء في حديث آخر يرويه الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ السؤال عن الاسم والهوية الشخصية من الحق الواجب وصدق الإخاء: **((إذا أحب أحدكم أخاه المسلم، فليسأله عن اسمه واسم أبيه واسم قبيلته وعشيرته، فإنّ من حقه الواجب وصدق الإخاء أنْ يسأله عن ذلك، وإلا فإنها معرفة حمق))**[٢].

ب) الضحك والمزاح

ومن هذه المفردات أنّ الإنسان قد يصادف في حياته الاجتماعية ما يثير عنده الإحساس بالضحك، سواء كان ذلك عن طريق المزاح أم المشاهد المثيرة، وهنا لابدّ له من ضبط هذا الانفعال، سواء بحسب الشكل والصورة، بحيث يحسن به أنْ لا يصل إلى حد القهقهة وارتفاع الصوت، فقد روي عن الإمام الصادق بطريق معتبر أنه قال: **((القهقهة من الشيطان))**[٣].

وفي حديث آخر قال عليه السلام: **((ضحك المؤمن تبسم))**[٤].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: **((إذا قهقهت فقل حين تفرغ: اللهم لا تمقتني))**[٥].

أو ضبط هذا الانفعال من ناحية السبب، فقد ورد عن الإمام

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٥٠١، ح٤.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٥٠١، ح٣.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٤٧٩، ح١.

(٤) وسائل الشيعة٨: ٤٧٩، ح٣.

(٥) وسائل الشيعة٨: ٤٧٩، ح٢.

الصادق عليه السلام أنه قال: ((**إنّ من الجهل الضحك من غير عجب**))[١].

بل دعا أئمة أهل البيت عليهم السلام إلى قلة الضحك والمزاح، لما لهما من آثار اجتماعية سيئة، بالإضافة إلى آثاره الذاتية السيئة.

ففي حديث معتبر عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ((**إياكم والمزاح فإنه يذهب بماء الوجه**))، وقال أيضاً: ((**كثرة الضحك تميت القلب**))، وقال: ((**كثرة الضحك تميث الدين كما يميث الماء الملح**))[٢].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: ((**إياك والمزاح فإنه يجر السخيمة ويورث الضغينة، وهو السبّ الأصغر**))[٣].

وعن الصادق عليه السلام: ((**لا تمازح فيُجترأ عليك**))[٤].

ج) الحشمة والاسترسال في الثقة

ومن هذه المفردات الالتزام بالحشمة في الصداقة والمعاشرة، وعدم الانسياق مع عواطف الحب والمودة في التصرف، وكذلك عدم الاسترسال في الثقة أو الحب والبغض، حيث إنها لابدّ أنْ تخضع للمنطق والصفات الخاصة في الصديق المعاشر، وهذا لا ينافي بطبيعة الحال حسن الظن والانفتاح.

فقد ورد في الحديث المعتبر عن أبي الحسن موسى الكاظم عليه السلام أنه قال: ((**لا تذهب الحشمة بينك وبين أخيك، أبق منها فإنّ ذهابها ذهاب**

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٤٧٩، ح١.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٤٨٠ – ٤٨١، ح١، ٢.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٤٨٢، ح٩.

(٤) وسائل الشيعة٨: ٤٨٢، ح١١.

الحياء))[١].

كما روي عن ابن عباس، والإمام الرضاعليه السلام أنهما قالا في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ**﴾ أنهم كانوا يتضارطون في مجالسهم من غير حشمة ولا حياء[٢].

كما روي عن الإمام الصادقعليه السلام في موضوع الاسترسال في الثقة أنه قال: ((**لا تثق بأخيك كلّ الثقة، فإنّ صرعة الاسترسال لن تستقال**))[٣].

وعن أمير المؤمنينعليه السلام أنه قال: ((**أحبب حبيبك هوناً ما فعسى أنْ يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما فعسى أنْ يكون حبيبك يوماً ما**))[٤].

وقد مرّ علينا سابقاً الحدود والخصائص المطلوبة في الصديق والصاحب التي تعتبر مقاييس في الثقة والاعتماد[٥].

د) كراهة المراء والخصومة

ومن هذه المفردات عدم الانسياق مع الشعور بالانتصار للنفس في الأحاديث والمناقشات، بحيث يتطور ذلك إلى المراء والخصومة، فقد نهى الشارع المقدس عن ذلك.

ففي الحديث المعتبر عن أبي عبد الله الصادقعليه السلام قال: ((**قال أمير المؤمنينعليه السلام: إياكم والمراء والخصومة، فإنهما يمرضان القلوب على**

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٥٠١، ح٢.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٥٠٣، ح٨.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٥٠١، ح١.

(٤) وسائل الشيعة٨: ٥٠٢، ح٧.

(٥) راجع وسائل الشيعة٨: ٥٠٢، ح٣.

الإخوان، وينبت عليهما النفاق))[١].

هـ) حفظ اللسان والسكوت إلاّ عن الخير

ومن هذه المفردات - أيضاً - عدم الانسياق مع الرغبة في الحديث والكلام، ولزوم السيطرة على ما يصدر عن لسان الإنسان، والمراقبة الدقيقة له، فقد ورد التحذير الكثير من الشارع المقدس في هذا المجال إدراكاً منه لوجود هذا الشعور في داخل الإنسان، والأضرار البالغة التي يمكن أنْ تترتب على هفوات اللسان وأخطائه، خصوصاً في مجال العلاقات الاجتماعية. وقد ذهبت الحكمة المنقولة عن لقمان الحكيم في هذا الباب مذهب المثل، فقد روى أبو عبد الله عليه السلام قال: ((**قال لقمان لابنه: يا بنيّ، إنْ كنت زعمت أنّ الكلام من فضة، فإنْ السكوت من ذهب**))[٢].

وفي الحديث المعتبر عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال: ((**من علامات الفقه العلم والحلم والصمت؛ إنّ الصمت باب من أبواب الحكمة، إنّ الصمت يكسب المحبة، إنه دليل على كل خير**))[٣].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**قال رسول الله صلى الله عليه وآله لرجل أتاه: ألا أدلك على أمر يدخلك الله به الجنة؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: أنل مما أنالك الله. قال: فإنْ كنت أحوج ممن أنيله، قال: فانصر المظلوم. قال: فإنْ كنت أضعف ممن انصره. قال: فاصنع للأخرق، يعني أشر عليه. قال: فإنْ كنت أخرق ممن اصنع له. قال: فأصمت لسانك إلاّ من خير. أما يسرّك أنْ يكون**

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٥٦٧، ح١، وينظر كذلك الحديث الثاني.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٥٢٨، ح٥.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٥٢٧، ح١.

فيك خصلة من هذه الخصال تجرك إلى الجنة؟))[١].

ومع كل ذلك نجد أنّ أهل البيت عليهم السلام يؤكدون أهمية الكلام في موضعه أو الذي يكون له نتائج حسنة.

فعن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: ((**كلام في حق خير من سكوت على باطل**))[٢].

وعن علي بن الحسين عليهما السلام قال: ((**القول الحسن يثري المال، وينمي الرزق، وينسئ في الأجل، ويحبب إلى الأهل، ويدخل الجنة**))[٣].

وعن النبي صلى الله عليه وآله في وصيته لأبي ذر يبين فيها الموازنة الصحيحة بين الكلام والسكوت، فقد قال: ((**يا أبا ذر، الذاكر في الغافلين كالمقاتل في الفارّين في سبيل الله. يا أبا ذر، الجليس الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من جليس السوء، وإملاء الخير خير من السكوت، والسكوت خير من إملاء الشر. يا أبا ذر، اترك فضول الكلام، وحسبك من الكلام ما تبلغ به حاجتك. يا أبا ذر، كفى بالمرء كذباً أنْ يحدّث بكل ما سمع. يا أبا ذر، إنه ما من شيء أحق بطول السجن من اللسان. يا أبا ذر، إنّ الله عند لسان كل قائل، فليتّق الله امرؤ وليعلم ما يقول**))[٤].

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال لرجل وقد كلّمه بكلام كثير: ((**أيها الرجل، تحتقر الكلام وتستصغره؛ إنّ الله لم يبعث رسله حيث بعثها ومعها فضة ولا ذهب، ولكن بعثها بالكلام، وإنما عرّف الله نفسه إلى خلقه**

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٥٢٧، ح٤.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٥٢٩، ح١٠.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٥٣٠، ح١٦.

(٤) وسائل الشيعة٨: ٥٣١، ح١.

بالكلام، والدلالات عليه والأعلام))[١].

و) كظم الغيظ والصبر على الحسد

ومن هذه المفردات السيطرة على المشاعر عند إثارة غيظ الإنسان، وحبه للدفاع عن النفس والانتقام، خصوصاً إذا كان الإنسان محقاً أو مظلوماً، حيث يصبح من الضروري أنْ يحكّم عقله وحكمته وإرادته في السيطرة على هذا الشعور القوي، والانفعال الجارف.

فقد ورد بطريق معتبر عن الإمام الصادقعليه السلام أنه قال: ((**نعم الجرعة الغيظ لمن صبر عليها، فإنّ عظيم الأجر لَمِنْ عظيم البلاء، وما أحب الله قوماً إلاّ ابتلاهم**))[٢].

وكذلك ورد بطريق معتبر عن الإمام الصادقعليه السلام أنه قال: ((**كان علي بن الحسين**عليهما السلام **يقول: ما أحب أنّ لي بذلّ نفسي حمر النعم، وما تجرعت جرعة أحب إليّ من جرعة لا أكافئ بها صاحبها**))[٣].

وقد وصف الله سبحانه عباده الصالحين بهذه الصفة في قوله: ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ**﴾[٤].

وفي وصية النبيصلى الله عليه وآله لعليعليه السلام أنه قال: ((**يا علي، أوصيك بوصية فاحفظها، فلا تزال بخير ما حفظت وصيتي، يا علي، من كظم غيظاً وهو**

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٥٣٣، ح٥. راجع الأبواب ١١٧ و١١٨ و١١٩ و١٢٠ من ج٨ من أبواب أحكام العشرة، فإن فيها عشرات الروايات في هذا الباب.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٥٢٣، ح١.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٥٢٣، ح٢.

(٤) آل عمران:١٣٤.

يقدر على إمضائه أعقبه أمناً وإيماناً يجد طعمه...))[1].

ومن هذا الباب الصبر على الحُسّاد ونحوهم من أعداء النعم، الذين يثيرون في الإنسان بتصرفاتهم مختلف الانفعالات والمشاعر؛ لذا كان هذا النوع من البلاء من أشد المحن الاجتماعية التي نُدب المؤمن إلى الصبر عليها.

روي بطريق معتبر عن الصادقعليه السلام أنه قال: **((اصبر على أعداء النعم، فإنك لن تكافئ من عصى الله فيك بأفضل من أنْ تطيع الله فيه))**[2].

وكذا بطريق معتبر عنهعليه السلام قال: **((قال رسول الله**صلى الله عليه وآله**: إنّ الله أخذ ميثاق المؤمن على بلايا أربع، أشدها عليه مؤمن يقول بقوله يحسده، أو منافق يقفو أثره، أو شيطان يغويه، أو كافر يرى جهاده، فما بقاء المؤمن بعد هذا؟))**[3].

ثالثاً: العدل والإنصاف

لقد ذكرنا في توضيح هذا الأساس أنهما ينطلقان من فكرة وجوب العدل وحرمة الظلم، وأنّ أوضح مصاديق العدل في العلاقات الاجتماعية، هو إنصاف الإنسان الناس من نفسه.

حرمة الظلم

إنَّ حرمة الظلم لا تختص بممارسته شخصياً، بل لابدّ للإنسان أنْ يكون موقفه في رفض الظلم شمولياً وواسعاً، ويمكن أنْ نلاحظ هذه الشمولية في الأمور التالية:

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٥٢٤، ح١١.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٥٢٦، ح١.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٥٢٦، ح٢.

أ) رد المظالم

إذا ارتكب الإنسان ظلماً في حق أحد من الناس، فأخذ منه ماله، أو اغتصب منه حقاً من حقوقه ثم تاب من ذلك وارتدع، فلابدّ له أنْ يرد للمظلوم مظلمته، وهو ما يسمى بـ (ردّ المظالم).

عن أبي جعفر عليه السلام قال: ((**الظلم ثلاثة: ظلم يغفره الله، وظلم لا يغفره الله، وظلم لا يدعه الله، فأمّا الظلم الذي لا يغفره فالشرك، وأمّا الظلم الذي يغفره فظلم الرجل نفسه فيما بينه وبين الله، وأمّا الظلم الذي لا يدعه فالمداينة بين العباد**))[1].

وعن وهب بن عبد ربه، وعبيد الله الطويل، عن شيخ من النخع قال: ((**قلت لأبي جعفر عليه السلام: إني لم أزل والياً منذ زمن الحجاج إلى يومي هذا، فهل لي من توبة؟ قال: فسكت، ثم أعدت عليه فقال: لا حتى تؤدي إلى كل ذي حق حقه**))[2].

وعن أبي بصير قال: ((**سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من أكل من مال أخيه ظلماً ولم يردّه إليه، أكل جذوة من النار يوم القيامة**))[3].

وهكذا إذا ارتكب في حق الآخرين ظلماً معنوياً مثل الغيبة والهتك والقذف، وغيرها مما سوف نذكره من مصاديق الظلم والعدوان فإنه لابدّ أنْ يسعى برده لهم بطلب المغفرة منهم - بعد التوبة إلى الله تعالى - وبالاستغفار وعمل الخير لهم، وبإعادة الاعتبار لهم وغير ذلك مما يعتبر رداً لذلك الحق.

---

(١) وسائل الشيعة١١: ٣٤٢، ح١.

(٢) وسائل الشيعة١١: ٣٤٢، ح٣.

(٣) وسائل الشيعة١١: ٣٤٢، ح٤.

ب) الهداية بعد الضلال

ولعل من أوضح وأشد مصاديق الظلم المعنوي للآخرين، هو إذا ما أضل شخصاً عن الحق وساقه إلى الباطل، ثم تاب عن ذلك، فيجب عليه أنْ يسعى إلى هدايته وإرشاده إلى الحق، وإرجاعه إلى طريق الصواب.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**كان رجل في الزمن الأول طلب الدنيا من حلال فلم يقدر عليها، وطلبها من حرام فلم يقدر عليها، فأتاه الشيطان فقال له: ألا أدلك على شيء تكثر به دنياك، وتكثر به تبعك؟ فقال: بلى. قال: تبتدع ديناً وتدعو الناس إليه، ففعل فاستجاب له الناس وأطاعوه، فأصاب من الدنيا، ثم إنه فكر فقال: ما صنعت؟! ابتدعت ديناً ودعوت الناس إليه؛ ما أرى لي من توبة إلاّ أنْ آتي من دعوته إليه فأرده عنه، فجعل يأتي أصحابه الذين أجابوه فيقول: إنّ الذي دعوتكم إليه باطل، وإنما ابتدعته، فجعلوا يقولون: كذبت، هو الحق، ولكنك شككت في دينك فرجعت عنه، فلما رأى ذلك عمد إلى سلسلة فوتد لها وتداً ثم جعلها في عنقه، قال: لا أحلها حتى يتوب الله عز وجل عليّ، فأوحى الله عز وجل إلى نبي من الأنبياء: قل لفلان: وعزتي لو دعوتني حتى تتقطع أوصالك ما استجبت لك حتى تردّ من مات على ما دعوته إليه فيرجع عنه**))[1].

ج) معونة الظالم

وكما يحرم على الإنسان أنْ يباشر الظلم بنفسه، يحرم عليه أنْ يعين الظالم على ظلمه، أو يكون بحسب الفهم الاجتماعي للعلاقات من أعوان الظالمين.

---

(١) وسائل الشيعة ١١: ٣٤٣، ح١.

عن عبد الله بن سنان قال: ((**سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من أعان ظالماً على مظلوم لم يزل الله عليه ساخطاً حتى ينزع من معونته**))[١].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ((**للظالم من الرجال ثلاث علامات: يظلم من فوقه بالمعصية، ومن دونه بالغلبة، ويظاهر القوم الظلمة**))[٢].

وعن علي بن الحسين عليهما السلام في حديث قال: ((**إياكم وصحبة العاصين ومعونة الظالمين**))[٣].

وعن جعفر بن محمد، عن آبائه عليهم السلام قال: ((**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أين أعوان الظلمة، ومن لاق**[٤] **لهم دواة، أو ربط كيساً، أو مدّ لهم مدّة قلم؟ فاحشروهم معهم**))[٥].

د) الرضا بالظلم والسكوت عنه

وكما يحرم على الإنسان أنْ يباشر الظلم يحرم عليه الرضا والقبول به والسكوت عنه.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**العامل بالظلم والمعين له والراضي به، شركاء ثلاثتهم**))[٦].

وعنه عليه السلام: ((**من عذر ظالماً بظلمه، سلّط الله عليه من يظلمه، فإنْ دعا**

---

(١) وسائل الشيعة١١: ٣٤٥، ح٥.

(٢) نهج البلاغة٤: ٨٢، الرقم: ٣٥٠.

(٣) وسائل الشيعة١٢: ١٢٨، ح١.

(٤) لاق الدواة: أصلح مدادها.

(٥) وسائل الشيعة١٢: ١٣٠، ح١١. وفي هذا الباب أحاديث كثيرة بهذا المضمون سبقت الإشارة إلى بعضها.

(٦) وسائل الشيعة١١: ٣٤٥، ح١.

لم يستجب له، ولم يأجره الله على ظلامته))[(١)].

وعنه عليه السلام في حديث له: ((**ومن أحب بقاء الظالمين، فقد أحب أنْ يُعصى الله**))[(٢)].

مصاديق لإنصاف الناس من النفس

وفي مجال (العدل) وإنصاف الناس من النفس نلاحظ أنّ أهل البيت عليهم السلام يرشدوننا إلى مجموعة من المصاديق، مضافاً إلى ما أشرنا إليه من (حب المؤمن لأخيه ما يحبه لنفسه):

أ) رد المعروف

فمن ذلك أنْ يقابل المعروف الذي يصله من الناس بمثله أو أفضل منه، كما قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿**هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ**﴾[(٣)].

وهذا نظير رد السلام بمثله أو بأفضل منه ﴿**وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا**﴾[(٤)].

وقد ورد في الحديث الشريف تأكيد رد المعروف.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: من صنع بمثل ما صُنع إليه فإنما كافأه، ومن أضعفه كان شكوراً، ومن شكر كان كريماً، ومن علم أنّ ما صنع إنما صنع إلى نفسه لم يستبطئ الناس في شكرهم، ولم**

---

(١) وسائل الشيعة١١: ٣٤٥، ح٢.

(٢) وسائل الشيعة١٢: ١٣٤، ح٥.

(٣) الرحمن:٦٠.

(٤) النساء:٨٦.

يستزدهم في مودتهم، ولا تلتمس من غيرك شكر ما أتيت إلى نفسك، ووقيت به عرضك، واعلم أنّ الطالب إليك الحاجة لم يكرم وجهه عن وجهك فأكرم وجهك عن ردّه))[١].

وعن علي بن سالم قال: ((**سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: آية في كتاب مسجلة. قلت: وما هي؟ قال: ﴿هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ جرت في المؤمن والكافر، والبَرّ والفاجر، من صُنع إليه معروف فعليه أنْ يكافئ به، وليست المكافأة أنْ يصنع كما صُنع به، بل يرى مع فعله لذاك أنّ له الفضل المبتدأ**))[٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**لعن الله قاطعي سبيل المعروف! قيل: وما قاطعو سبيل المعروف؟ قال: الرجل يصنع إليه المعروف فيكفره، فيمتنع صاحبه من أنْ يصنع ذلك إلى غيره**))[٣].

وعنه عليه السلام قال: ((**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أتى إليه معروف فليكافئ به، فإنْ عجز فليُثن عليه، فإنْ لم يفعل فقد كفر النعمة**))[٤].

ب) ردّ الحقوق

ومنه أنْ يعرف حق أخيه كما يعرف أخوه حقه، فإنّ الحقوق بين المؤمنين متبادلة، كما نجد ذلك في النصوص التي وردت في حق المؤمن، ومنها النص الذي ورد عن الإمام الصادق عليه السلام من قوله: ((**أما يستحيي الرجل**

---

(١) وسائل الشيعة ١١: ٥٣٦، ح١.

(٢) وسائل الشيعة ١١: ٥٣٧، ح٣.

(٣) وسائل الشيعة ١١: ٥٣٩، ح١.

(٤) وسائل الشيعة ١١: ٥٣٩، ح٢.

منكم أنْ يعرف جاره حقه، ولا يعرف حق جاره))[١].

ج) الاشتغال بعيبه عن عيوب الناس

ومنه أنْ يشتغل بعيوبه وإصلاحها عن عيوب الناس، فقد ورد في الحديث عن أبي جعفر الباقرعليه السلام قال: ((**قال رسول الله**صلى الله عليه وآله: **ثلاث خصال من كن فيه أو واحدة منهنّ كان في ظل عرش الله يوم لا ظل إلاّ ظله: رجل أعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم، ورجل لم يقدّم رجلاً ولم يؤخر رجلاً حتى يعلم أنّ ذلك لله رضاً، ورجل لم يعب أخاه المسلم بعيب حتى ينفي ذلك العيب عن نفسه، فإنّه لا ينفي منها عيباً إلاّ بدا له عيب، وكفى بالمرء شغلاً بنفسه عن الناس))**[٢].

وعنهعليه السلام قال: ((**كفى بالمرء عيباً أنْ يتعرف من عيوب الناس ما يعمى عليه من أمر نفسه، أو يعيب على الناس أمراً هو فيه لا يستطيع التحول عنه إلى غيره، أو يؤذي جليسه بما لا يعنيه))**[٣].

د) القول الحسن في الناس

ومنه أنْ يقول في الناس أحسن ما يحب أنْ يقال فيه، من الظن الحسن وحمل أقواله وأفعاله على أحسن الوجوه، ومدحه والثناء عليه.

فعن أبي جعفرعليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً**﴾ قال: ((**قولوا للناس أحسن ما تحبون أنْ يقال فيكم))**[٤].

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٣٩٩، ح٤.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٢٢٨، ح١.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٢٢٩، ح٣.

(٤) وسائل الشيعة١١: ٥٦٣، باب٢١، ح٣.

فانَّ هذه المصاديق تدخل تحت عنوان إنصاف الناس من نفسه.

مصاديق للظلم والعدوان

وفي مجال ظلم الناس والعدوان عليهم حدد الشارع المقدس - كما ورد في حديث أهل البيت عليهم السلام - مصاديق عديدة، وذلك من خلال الفهم الإنساني الواسع لموضوع العدل والظلم، بحيث أعطى للمسلم حرمة وصيانة تستلزمان معاملة خاصة في العلاقات الاجتماعية، وتمنعان من سلوكيات وأعمال كثيرة، نشير إلى بعض مصاديقها المهمة:

أ) قتل المسلم وإيذاؤه

قتل المسلم، أو إيذاؤه، أو إخافته حتى لو كان ذلك بكلمة أو نظرة، وكذلك الإعانة على هذه الأعمال. وإليك مجموعة من نماذج الروايات والأحاديث المعتبرة التي تدل على هذا المضمون.

عن هشام بن سالم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ((**قال الله عزّ وجل: ليأذن بحرب منّي من آذى عبدي المؤمن، وليأمن غضبي من أكرم عبدي المؤمن**))[1].

وعن حماد بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام أو عمن ذكره عنه قال: ((**يجيء يوم القيامة رجل إلى رجل حتى يلطخه بدمه، والناس في الحساب، فيقول: يا عبد الله، مالي ولك؟ فيقول: أعنت عليّ يوم كذا وكذا فقُتلت**))[2].

وفي حديث معتبر عن أبي جعفر عليه السلام قال: ((**إنّ العبد يحشر يوم القيامة**

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٥٨٧، ح١.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٦١٥، ح١.

وما أدمى دماً، فيدفع إليه شبه المحجمة أو فوق ذلك، فيقال له: هذا سهمك من دم فلان، فيقول: يا رب، إنك تعلم أنك قبضتني وما سفكت دماً، قال: بلى، وما سمعت من فلان بن فلان كذا وكذا فرويتها عنه فنقلت حتى صار إلى فلان فقتله عليها، فهذا سهمك من دمه))(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: **((قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من نظر إلى مؤمن نظرة ليخيفه بها أخافه الله عزّ وجل يوم لا ظلّ إلا ظلّه))**(٢).

ب) إهانة المسلم

إهانة المؤمن أو خذلانه بأي درجة كانت، فعن أبي جعفر عليه السلام قال: **((لمّا أسري بالنبي صلى الله عليه وآله قال: يا رب ما حال المؤمن عندك؟ قال: يا محمد، من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، وأنا أسرع شيء إلى نصرة أوليائي))**(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: **((ما من مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته إلاّ خذله الله في الدنيا والآخرة))**(٤).

ج) إذلال المؤمن

إذلال المؤمن، أو احتقاره، أو الاستخفاف به، فعن معلّى بن خنيس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **((سمعته يقول: قال الله عزّ وجل: ليأذن بحرب**

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٦١٥، ح٣.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٦١٤، ح١.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٥٨٨، ح١.

(٤) وسائل الشيعة٨: ٥٨٩، ح٩.

مني من أذل عبدي المؤمن، وليأمن غضبي من أكرم عبدي المؤمن))[١].

وعنه عليه السلام قال: ((**قال رسول الله: لقد أسرى ربي بي فأوحى إليّ من وراء الحجاب ما أوحى، وشافهني أنْ قال لي: يا محمد، من أذل لي ولياً فقد أرصد لي بالمحاربة، ومن حاربني حاربته. قلت: يا رب، ومن وليك هذا؟ فقد علمت أنّ من حاربك حاربته، فقال: ذاك من أخذت ميثاقه لك ولوصيك ولذريتكما بالولاية))**[٢].

وعن أبي هارون، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**قال لنفر عنده وأنا حاضر: ما لكم تستخفون بنا؟! قال: فقام إليه رجل من خراسان فقال: معاذ لوجه الله أنْ نستخف بك أو بشيء من أمرك، فقال: بلى، إنك أحد من استخف بي، فقال: معاذ لوجه الله أنْ أستخف بك، فقال له: ويحك! ألم تسمع فلاناً ونحن بقرب الجحفة وهو يقول لك: احملني قدر ميل فقد والله عييت؟ والله ما رفعت به رأساً؛ لقد استخففت به، ومن استخف بمؤمن فبنا استخف، وضيّع حرمة الله عزّ وجل))**[٣].

د) تعيير المؤمن

تعيير المؤمن بارتكاب الذنب أو عمل السوء، وتأنيبه عليه، وهذا غير نهيه عن المنكر أو نصيحته بقصد ردعه عن الذنوب.

فقد ورد في الحديث المعتبر عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: ((**من عيّر مؤمناً بذنب لم يمت حتى يركبه))**[٤].

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٥٩٠، ح١.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٥٩٠، ح٢.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٥٩٢، ح١.

(٤) وسائل الشيعة٨: ٥٩٦، ح١.

وعنه عليه السلام: ((**من لقي أخاه بما يؤنّبه أنّبه الله في الدنيا والآخرة**))[١].

هـ) إحصاء عثرات المؤمن

إحصاء عثرات المؤمنين بقصد الإساءة إليهم، واستغلالها لهتك حرمتهم، وهدم مروّتهم.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**أبعد ما يكون العبد من الله أنْ يكون الرجل يؤاخي الرجل وهو يحفظ زلاته فيعيّره بها يوماً ما**))[٢].

وعن إسحاق بن عمار قال: ((**سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا معشر من أسلم بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه، لا تذمّوا المسلمين ولا تتبّعوا عوراتهم، فإنّه من تتبّع عوراتهم تتبّع الله عورته، ومن تتبّع الله عورته يفضحه ولو في بيته**))[٣].

و) سب المؤمن والطعن فيه

سبّ المؤمن أو لعنه أو الطعن عليه، فقد ورد في الحديث المعتبر عن أبي الحسن موسى عليه السلام في رجلين يتسابان قال: ((**البادي منهما أظلم، ووزره ووزر صاحبه عليه ما لم يعتذر إلى المظلوم**))[٤].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: ((**إنّ رجلاً من تميم أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال: أوصني، فكان فيما أوصاه أنْ قال: لا تسبوا الناس فتكسبوا العداوة**

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٥٩٦، ح٤.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٥٩٤، ح١.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٥٩٤، ح٣.

(٤) وسائل الشيعة٨: ٦١٠، ح١.

لهم))[(١)].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله عزّ وجل خلق المؤمن من عظمة جلاله وقدرته، فمن طعن عليه أو ردّ عليه قوله فقد ردّ على الله**))[(٢)].

وعنه عليه السلام قال: ((**إنّ اللعنة إذا خرجت من صاحبها ترددت بينه وبين الذي يلعن، فإنْ وجدت مساغاً وإلاّ رجعت إلى صاحبها، وكان أحق بها، فاحذروا أنْ تلعنوا مؤمناً فيحل بكم**))[(٣)].

ز) اغتياب المؤمن

ذكر المؤمن في غيبته بسوء يكرهه، وكشف عيوبه المستورة، وهو ما يعبر عنه بـ (الغيبة) التي صرّح القرآن الكريم بتحريمها، ووصفها بأكل لحم الميت **﴿وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾**[(٤)].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**من قال في مؤمن ما رأته عيناه وسمعته أذناه فهو من الذين قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**))[(٥)].

وعن النبي صلى الله عليه وآله في وصيته لأبي ذر: ((**يا أبا ذرّ، إياك والغيبة، فإنّ الغيبة**

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٦١٠، ح٢.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٦١٢، ح٥.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٦١٣، ح١.

(٤) الحجرات:١٢.

(٥) وسائل الشيعة٨: ٥٩٨، ح٦.

أشد من الزنى. قلت: ولم ذاك يا رسول الله؟ قال: لأنّ الرجل يزني فيتوب إلى الله فيتوب الله عليه، والغيبة لا تغفر حتى يغفرها صاحبها. يا أبا ذرّ، سِباب المسلم فسوق، وقتاله كفر، وأكل لحمه من معاصي الله، وحرمة ماله كحرمة دمه. قلت: يا رسول الله، وما الغيبة؟ قال: ذكرك أخاك بما يكره. قلت: يا رسول الله، فإنْ كان فيه الذي يذكر به، قال: اعلم أنك إذا ذكرته بما هو فيه فقد اغتبته، وإذا ذكرته بما ليس فيه فقد بهتّه))(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدّثهم فلم يكذِبْهم، ووعدهم فلم يُخلفهم كان ممن حرمت غيبته، وكملت مروّته، وظهر عدله، ووجبت أخوّته**))(٢).

وقد استثنى الفقهاء من حرمة الغيبة غيبة الفاسق المتجاهر بفسقه، فعن الصادق عليه السلام قال: ((**إذا جاهر الفاسق بفسقه فلا حرمة له ولا غيبة**))(٣).

وعن أبي الحسن عليه السلام قال: ((**مَنْ ذكر رجلاً مِنْ خلفه بما هو فيه مما عرفه الناس لم يغتبه، ومَنْ ذكره مِنْ خلفه بما هو فيه مما لا يعرفه الناس اغتابه، ومَنْ ذكره بما ليس فيه فقد بهته**))(٤).

ح) البهتان

ولاشك أنّ بهتان المؤمن أعظم ظلماً من الغيبة، فقد ورد في الحديث المعتبر عن الإمام الصادق عليه السلام: ((**من بهت مؤمناً أو مؤمنة بما ليس فيه بعثه**

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٥٩٨، ح٩.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٥٩٧، ح٢.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٦٠٤، ح٤.

(٤) وسائل الشيعة٨: ٦٠٤، ح٣.

الله في طينة خبال حتى يخرج مما قال. قلت: وما طينة خبال؟ قال: **صديد يخرج من فروج المومسات))**[١].

ط) النميمة

النميمة وإفساد العلاقات بين المؤمنين والتفريق بينهم، فقد ورد في الحديث الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا أنبئكم بشراركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: المشّاءون بالنميمة، المفرّقون بين الأحبة، الباغون للبَراء المعايب))**[٢].

وعن النبي صلى الله عليه وآله في وصيته لأبي ذرّ قال: ((**يا أبا ذرّ، لا يدخل الجنة القتّات. قلت: يا رسول الله، ما القتات؟ قال: النمّام. يا أبا ذرّ، صاحب النميمة لا يستريح من عذاب الله في الآخرة. يا أبا ذرّ، من كان ذا وجهين ولسانين في الدنيا فهو ذو وجهين في النار. يا أبا ذرّ، المجالس بالأمانة، وإفشاؤك سرّ أخيك خيانة، فاجتنب ذلك واجتنب مجلس العثرة))**[٣].

ي) التهمة

اتهام المؤمن، أو إظهار سوء الظن به.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**إذا اتهم المؤمن أخاه انماث الإيمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء))**[٤].

وعنه عليه السلام قال: ((**قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له: ضع أمر أخيك على**

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٦٠٣، ح١.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٦١٦، ح١.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٦١٧، ح٤.

(٤) وسائل الشيعة٨: ٦١٣، ح١.

أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك منه، ولا تظنّن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً))(١).

نماذج راقية من العدل في العلاقات

لقد بالغ الشارع المقدس في التأكيد عملياً على (العدل) في العلاقات الاجتماعية والمعاشرة، تعبيراً عن رسوخ هذه القاعدة المهمة في إرساء البناء الفوقي لها.

ويمكن أنْ نذكر بهذا الصدد بعض المصاديق التي لها دلالتها الخاصة في هذا المجال:

أ) التناجي

نهى الشارع المقدس عن التناجي بين شخصين، وهو: الخفت والإسرار في الحديث، فيما إذا كان هناك شخص ثالث معهما، وقد عاب القرآن الكريم هذا العمل على بعض المسلمين عندما نهاهم عنه ثم عادوا إليه ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ**﴾(٢).

وقد ورد في الحديث الصحيح عن الإمام الصادقعليه السلام: ((**إذا كان القوم ثلاثة فلا يتناجى**(٣) **منهم اثنان دون صاحبهما، فإنّ في ذلك ما يحزنه ويؤذيه**))(٤).

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٦١٤، ح٣.

(٢) المجادلة:٨.

(٣) هكذا ورد في المصادر، وقد تكون ((لا)) نافية، فتكون الجملة خبرية متضمنة معنى النهي.

(٤) وسائل الشيعة٨: ٤٧٢، ح١.

ب) تقسيم اللحظات

يحسن بالإنسان إذا تحدّث إلى جماعة من الناس أو جلس إليهم أنْ يقسم لحظاته بينهم بالسوية، فقد ورد في الحديث المعتبر عن الإمام الصادقعليه السلام قال: ((**كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقسم لحظاته بين أصحابه، فينظر إلى ذا وينظر إلى ذا بالسوية. قال: ولم يبسط رسول الله صلى الله عليه وآله رجليه بين أصحابه قط، وإنْ كان ليصافحه الرجل فما يترك رسول الله صلى الله عليه وآله يده من يده حتى يكون هو التارك، فلما فطنوا لذلك كان الرجل إذا صافحه قال بيده فنزعها من يده**))[1].

ج) الاعتراض في الحديث

ينبغي عدم اعتراض المتحدث المسلم في حديثه، وقطعه أثناء التحدث، فقد روى الكليني بطريق معروف عن أبي عبد الله الصادقعليه السلام أنه قال: ((**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من عرض لأخيه المسلم المتكلم في حديثه فكأنما خدش وجهه**))[2].

رابعاً: حسن الخلق والتودّد إلى الناس

عرفنا في استعراض الأُسس والقواعد أنّ حسن الخلق والتودد إلى الناس يمثلان الأساس لمنهج الانفتاح من ناحية، وللمضمون الأخلاقي للعلاقات، وهو الحب من ناحية أُخرى، بل يتكامل هذا الحب ليصبح إيماناً وديناً وعقيدة إذا كان في الله، كما هو مطلوب.

وقد أشرنا إلى بعض النصوص ذات العلاقة بتوضيح وتأكيد هذه

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٤٩٩، ح١.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٤٧٢، ح١.

القاعدة والأساس في العلاقات الاجتماعية.

ويمكن أنْ نجد هذه الحقيقة - أيضاً - في معالم أُخرى عامة في العلاقات الاجتماعية تؤكد مضمون هذه القاعدة، مثل ما سبقت الإشارة إليه في منهج الانفتاح من أنّ الانقباض من الناس مكسبة لعداوتهم، وكذلك ما ورد من النهي عن المراء والخصومة، أو التحذير من شحناء الرجال وعداوتهم.

مضافاً إلى ذلك نجد الشارع المقدس يؤكد هذا الاتجاه من الحث على أنْ يكون المؤمن - في مجمل علاقاته بالآخرين - هيناً ليناً.

فقد ورد في الحديث المعتبر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: ((**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا أُخبركم بمن تحرم عليه النار غداً؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الهين القريب، اللين السهل**))[١].

ويؤيد ذلك أحاديث أُخرى، مثل ما روي في الحديث: ((**المؤمنون هينون لينون، كالجمل الأنف إنْ قيد انقاد، وإنْ أُنيخ على صخرة استناخ**))[٢].

هذا كله في العلاقات الاجتماعية، وأمّا في العلاقات السياسية أو في الالتزام بواجباته وعهوده ومواثيقه أو إيمانه وعقيدته، فالمطلوب أنْ يكون المؤمن قوياً وصلباً وشديداً.

إذن فلابدّ من الجمع بين اللين في العلاقة الاجتماعية والقوة والشدة في المبادئ والإيمان.

ويؤكد ذلك ما ورد من أنّ المؤمن يتصف بطلاقة الوجه، وحسن البشر، فقد ورد في الحديث: ((**صنائع المعروف وحسن البشر يكسبان المحبة،**

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٥١٠، ح١.

(٢) الكافي٢: ٢٣٤، ح١٤.

ويـدخلان الجنـة، والبخـل وعبـوس الوجـه يبعـدان مـن الله، ويـدخلان النار))[١].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: ((**أتى رسول الله صلى الله عليه وآله رجل فقال: يا رسول الله، أوصني، فكان فيما أوصاه أنْ قال: الق أخاك بوجه منبسط**))[٢].

وعـن الحـسن بـن الحـسين قـال: سمعـت أبـا عبـد الله عليه السلام يقـول: ((**قـال رسول الله صلى الله عليه وآله: يـا بـني عبـد المطلـب، إنكـم لـن تـسعوا النـاس بـأموالكم، فالقوهم بطلاقة الوجه، وحسن البشر**))[٣].

خطوات ومراتب التودد والمداراة

وإذا تجاوزنـا التوجـه العـام الـذي وضـعه الإسـلام نحـو حـسن الخلـق والمداراة والتـودد، نـأتي لنشير إلى مجموعـة الخطـوات العامـة التـي وضـعها التشريع الإسلامي لتجسيد حسن الخلق والمداراة، مضافا إلى ما سوف نـشير إليه في القاعـدة الآتيـة، وهـي: الإحسان واليـد العليا؛ فإنّ ذلـك يمثـل أعلـى مستوىً لحسن الخلق والمداراة والتودد.

فقد سبق في بُعد تقوية البناء الاجتماعي أهمية التزاور في تحقيق المـضمون العاطفي للعلاقة، وهو الحب؛ حيث إنّ الحث على الزيـارة يحقـق موضـوع اللقاء بين المؤمنين، ويوجد الفرصـة لحسن الخلـق والمـداراة، كـما ورد أيـضاً عن النبي صلى الله عليه وآله في وصيته لعلي عليه السلام تأكيد أهمية الزيارة ((**سِرْ أربعة أميال زُرْ أخاً في الله**))[٤].

---

(١) الكافي٢: ١٠٣، ح٥.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٥١٢، ح٢.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٥١٢، ح٤.

(٤) وسائل الشيعة٨: ٢٤٨، ح٣.

كما سبق عن شعيب العقرقوفي أنه روى في حديثه عن الإمام الصادق قوله: ((**تزاوروا وتلاقوا**))[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**التواصل بين الإخوان في الحضر التزاور**))[٢].

وكذلك ورد عنه عليه السلام أنّ من حقوق المسلم على أخيه المسلم أنه ((**إذا شهِد فزُرْه**))[٣].

كما ورد عنه عليه السلام أيضاً أنه قال: ((**لا تملّ من زيارة إخوانك؛ فإنّ المؤمن إذا لقي أخاه فقال له: مرحباً، كتب له مرحباً إلى يوم القيامة، فإذا صافحه أنزل الله فيما بين إبهامهما مائة رحمة، تسعة وتسعون منها لأشدّهما حبّاً لصاحبه، ثم أقبل الله عليهما بوجهه فكان على أشدهما حبّاً لصاحبه أشدّ إقبالاً، فإذا تعانقا غمرتهما الرحمة**))[٤].

وقد وضع أهل البيت عليهم السلام هدفاً عاماً أمام هذه الزيارات واللقاءات والمداراة، وهو إيجاد مرتبة عالية من الحب والود والارتباط الروحي والنفسي، بحيث يعبّر عنه الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة ((**خالطوا الناس مخالطة إنْ متّم معها بكوا عليكم، وإنْ عشتم حنّوا إليكم**))[٥].

فهذه المداراة ليست مجرد تظاهر شكلي حتى يحمل على كسب المصالح الخاصة أو النفاق، بل هي عمل له هدف ومضمون حقيقي، وهو الحب والود.

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٥٥٢، ح١.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٤٩٤، ح٢.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٥٤٥، ح٨.

(٤) وسائل الشيعة٨: ٥٦٤، ح٣.

(٥) نهج البلاغة٤: ٤، الرقم١٠.

وباعتبار أنّ الزيارة والمخالطة لهما ذلك الشأن الخاص في العلاقات الاجتماعية، وذلك الدور في حسن الخلق والمداراة، نجد الشارع المقدس قد اهتم بوضع الأُصول والقواعد والضوابط الجميلة لتحقيق أفضل النتائج من هذه الزيارات، وكان ذلك ضمن الخطوات التالية:

الخطوة الأولى: اللقاء بالبشر والسلام

يمثل اللقاء الخطوة الأُولى في العلاقات، ولذا كان شكل اللقاء وكيفيته هما الخطوة الأُولى في التودد، وقد حث الإسلام في هذا المجال على عدة أُمور، تأتي في مقدمتها الأُمور الثلاثة التالية:

الأول: الابتداء بالسلام في اللقاء والمبادرة إليه أيضاً، فقد ورد في الحديث المعتبر عن أبي عبد الله الصادقعليه السلام قال: ((**البادي بالسلام أولى بالله ورسوله**))[1].

كما ورد في مضمون حديث آخر معتبر عن علي بن الحسينعليهما السلام، أنّ من أخلاق المؤمن ابتداؤه المؤمنين: بالسلام عليهم[2].

كما ورد عن رسول اللهصلى الله عليه وآله بطريق معتبر أنه قال: ((**ابدأوا بالسلام قبل الكلام، فمن بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه**))[3].

وقد منح الإسلام السلام شأناً خاصاً، وجعله شعاراً للمسلمين، ووضع له آداباً وقواعد كثيرة مفصلة ليأخذ موقعه من تعامل المسلمين بعضهم مع بعض؛ وقد ذكر صاحب الوسائل أكثر من عشرين باباً لبيان تفاصيل هذه

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٤٣٥، ح١.

(٢) راجع الوسائل٨: ٤٣٦، ح٢.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٤٣٦، ح٤.

الآداب والواجبات يحسن مراجعتها[١].

وقد أشرنا إلى بعض التفاصيل في طيّات أحاديثنا السابقة، ولعلنا نوفَق للإشارة إلى بعضها الآخر في موضوع نظام الشعائر والعبادات.

الثاني: لقاء المسلمين بالبشر، فقد ورد في حديث النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ثلاث يصفين ود المرء لأخيه المسلم: يلقاه بالبشر إذا لقيه، ويوسع له في المجلس إذا جلس إليه، ويدعوه بأحب الأسماء إليه**))[٢].

ويأتي في هذا المجال موضوع استحباب التبسم في وجه المؤمن، فعن أبي جعفر عليه السلام قال: ((**تبسم المؤمن في وجه أخيه حسنة، وصرفه القذى عنه حسنة، وما عُبد الله بمثل إدخال السرور على المؤمن**))[٣].

الثالث: إطابة الكلام في الحديث عند اللقاء، حيث ورد التأكيد على إفشاء السلام وإطابة الكلام.

روي عن أبي جعفر عليه السلام قال: ((**إنّ الله عز وجل يحب إفشاء السلام**))[٤].

وعن أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال: ((**كان علي عليه السلام يقول: لا تَغضبوا ولا تُغضبوا. أفشوا السلام، وأطيبوا الكلام، وصلّوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام، ثم تلا عليهم قوله عزّ وجل: ﴿السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ﴾**))[٥].

---

(١) راجع الوسائل٨: ٤٣٥ – ٤٥٤، و٤٥٦ – ٤٥٨، وغيرها.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٤٣٤، ح٢.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٤٨٣، ح٢.

(٤) وسائل الشيعة٨: ٤٣٨، ح١.

(٥) وسائل الشيعة٨: ٤٣٨، ح٣.

الخطوة الثانية: المصافحة والمعانقة والتقبيل والإخبار بالحب

وتُعدّ طريقة التعامل في اللقاء الخطوة الثانية، التي يمكن من خلالها أنْ يتجسد حسن الخلق والمداراة والتودد؛ وهنا نجد أنّ الشارع المقدس يؤكد عدة أُمور ويحث عليها ويستحسنها، ليكون اللقاء وسيلة للتودد والمداراة، ومعبراً عن حسن الخلق، وهي:

الأول: المصافحة للمؤمن عند لقائه، حيث يعتبر ذلك شكلاً من أشكال التعبير عن الود والحب والولاء، فقد روي بطريق معتبر عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: ((**إنّ المؤمنَين إذا التقيا فتصافحا أقبل الله عليهما بوجهه، وتساقطت عنهما الذنوب كما يتساقط الورق من الشجر**))[1].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: ((**تصافحوا فإنها تذهب بالسخيمة**))[2].

وقد وردت النصوص في بعض آداب ورسوم هذه المصافحة أيضاً، الأمر الذي يؤكّد أهميتها ودورها ويجعلها شعاراً آخر من شعائر الإسلام[3].

الثاني: معانقة المؤمن وتقبيله عند لقائه تأكيداً للحب والود، وتعبيراً عن حسن الخلق، فقد ورد في الحديث عن أبي جعفر الباقر، وأبي عبد الله الصادق عليهما السلام أنهما قالا: ((**أيما مؤمن خرج إلى أخيه يزوره عارفاً بحقه كتب الله له بكل خطوة حسنة، ومحيت عنه سيئة، ورفعت له درجة، فإذا طرق الباب فتحت له أبواب السماء، فإذا التقيا وتصافحا وتعانقا أقبل الله**

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٥٥٤، ح٢.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٥٥٤، ح٥.

(٣) راجع وسائل الشيعة٨، باب١٢٧.

عليهما بوجهه، ثم باهى بهما الملائكة فيقول: انظروا إلى عبديَّ تزاورا وتحابّا فيَّ؛ حقٌ عليَّ أن لا أعذّبهما بالنار بعد ذلك الموقف...))[١].

وكذلك ورد في الحديث الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**إنَّ المؤمنَين إذا اعتنقا غمرتهما الرحمة، فإذا التزما لا يريدان بذلك إلاّ وجه الله، ولا يريدان غرضاً من أغراض الدنيا قيل لهما: مغفور لكما فاستأنفا، فإذا أقبلا على المساءلة قالت الملائكة بعضها لبعض: تنحّوا عنهما، فإنَّ لهما سرّاً وقد ستره الله عليهما...**))[٢].

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله في قصة لقائه صلى الله عليه وآله بابن عمه جعفر بن أبي طالب عليه السلام بعد أنْ فتح الله عليه حصن خيبر بيد أخيه علي بن أبي طالب عليه السلام: ((**إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لما جاء جعفر بن أبي طالب من الحبشة، قام إليه واستقبله اثنتي عشرة خطوة، وعانقه وقبل ما بين عينيه، وبكى وقال: لا أدري بأيهما أنا أشد سروراً، بقدومك يا جعفر أم بفتح الله على يد أخيك خيبر؟! وبكى فرحاً برؤيته**))[٣].

كما روي بسند صحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**إنَّ من تمام التحية للمقيم المصافحة، وتمام التسليم على المسافر المعانقة**))[٤].

الثالث: إخبار المؤمن أخاه المؤمن بحبه ومودته، إذ إنّ الكشف عن هذه العاطفة، والتعبير عنها تارة يتم من خلال العمل، كالمصافحة والمعانقة والتقبيل كما مرّ، وأُخرى يكون عن طريق الكلام وإخباره بهذه المودة، وقد ورد في هذا المعنى بطريق معتبر عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: ((**إذا أحببت**

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٥٦٣، ح١.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٥٦٣، ح٢.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٥٥٩، ح١، مع هامشه.

(٤) وسائل الشيعة٨: ٤٤٩، ح١.

رجلاً فأخبره بذلك، فإنه أثبت للمودة بينكما))، وفي رواية أخرى ((**فإنه أبقى للمودة وخير في الألفة**))، وفي ثالثة ((**إذا أحببت أحداً من إخوانك فأعلمه ذلك؛ فإنّ إبراهيم**عليه السلام **قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾**))[1].

الخطوة الثالثة: آداب المجلس والمحادثة

وطريقة التعامل في المجلس والمحادثة تعتبر الخطوة الثالثة في حسن الخلق والمداراة، ومن هنا نجد أنّ التشريع الإسلامي قد أولى هذا الموضوع اهتماماً خاصاً يمكن أنْ نلاحظه في الأُمور التالية:

الأول: آداب الجلوس وطريقة التعامل في المجالس والاجتماعات، وهي عديدة:

أ) التفسح والتوسعة في المجالس، وكذلك الانتشار والنشوز والقيام منها عند انتهاء وقت الاجتماع والجلوس العادي، حيث نص القرآن الكريم على ذلك: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾**[2].

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ((**ينبغي للجلساء في الصيف أنْ يكون بين كل اثنين مقدار عظم الذراع لئلاً يشق بعضهم على بعض**))[3].

---

(١) راجع الوسائل٨: ٤٣٤، ح١، ٢، ٣.

(٢) المجادلة:١١.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٤٠٥، ح٢.

كما ورد عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿**إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[١] قال: ((**كان يوسع المجلس، ويستقرض للمحتاج، ويعين الضعيف**))[٢].

مضافاً إلى ذلك نجد التأكيد من الشارع المقدس لمجموعة من الآداب في هذا المجال، فراجع كتاب الوسائل.

ب) استقبال وتوديع الإنسان الذي يقصد المجلس، فقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام بطريق مشهور أنه قال: ((**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من حق الداخل على أهل البيت أنْ يمشوا معه هنيئة إذا دخل وإذا خرج**))[٣].

ج) الجلوس حيث يأمر صاحب البيت، لأنّ صاحب البيت هو أعرف بالمواضع المناسبة للجلوس فيه، سواء فيما يتعلق بإكرام الضيف، أم ما يتعلق بصاحب المنزل من شؤون، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: ((**إذا دخل أحدكم على أخيه المسلم في بيته فهو أمير عليه حتى يخرج**))[٤].

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه عليهما السلام قال: ((**إذا دخل أحدكم على أخيه في رحله فليقعد حيث يأمره صاحب الرحل، فإنّ صاحب الرحل أعرف بعورة بيته من الداخل عليه**))[٥].

د) كيفية الجلوس، فقد روى السيد عبد العظيم الحسني أنه: ((**كان النبي صلى الله عليه وآله يجلس ثلاثاً: القرفصاء، وهو أنْ يقيم ساقيه ويستقبلهما بيديه، ويشد يده في ذراعه، وكان يجثو على ركبتيه، وكان يثني رجلاً واحدة**

---

(١) يوسف: ٣٦، ٧٨.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٤٠٥، ح١.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٤٧١، ح١.

(٤) وسائل الشيعة٨: ٤٧١، ح٧٠.

(٥) وسائل الشيعة٨: ٤٧٦، ح١.

ويبسط عليها الأخرى، ولم يُرَ ﷺ متربّعاً قط))[١].

وقد ورد في جلسة التربع بعض الروايات عن أهل البيت عليهم السلام تدل على صحتها إذا كانت للاستراحة المؤقتة، حيث جاء التعبير عنها في حديث عن علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: ((**إنما جلست هذه الجلسة للملالة**))[٢].

ومن الواضح أنّ هذه الهيئات الثلاثة إنما كانت تمثل منتهى الأدب من ناحية، والاقتصاد في المكان من ناحية أُخرى بما يتلاءم مع الأوضاع الاجتماعية والحيوية لذلك العصر.

هـ) التواضع في الجلوس، وهو أنْ يجلس الإنسان في أدنى مجلس إليه إذا دخل، فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام بطريق معتبر قال: ((**من رضي بدون الشرف من المجلس لم يزل الله وملائكته يصلون عليه حتى يقوم**))[٣].

وهذا هو المروي أيضاً في أخلاق رسول الله ﷺ، حيث روي عن الصادق عليه السلام قوله: ((**كان رسول الله ﷺ إذا دخل منزلاً قعد في أدنى المجلس إليه حين يدخل**))[٤].

ويأتي في هذا الباب استحباب أنْ يستقبل الجالس القبلة في جلوسه، وعدم استقبال الشمس فيه، لما يترتب على ذلك من آثار معنوية ومادية[٥].

الثاني: تسميت العاطس، وهو أنْ يقال للرجل حين يعطس: يرحمك الله، فيقول له: ((**يهديكم الله ويصلح بالكم**)) أو غير ذلك من الأدعية، مثل: ((**يغفر الله لكم ويرحمكم**)) أو ((**يغفر الله لنا ولك**)) فإنّ هذا

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٤٧٢، ح١.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٤٧٣، ح٢.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٤٧٤، ح١.

(٤) وسائل الشيعة٨: ٤٧٤، ح٢.

(٥) راجع الوسائل٨: ٤٧٥، باب٧٦، ٧٧.

الأدب في الاجتماع مما أكده أهل البيت عليهم السلام تأسياً برسول الله صلى الله عليه وآله.

فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: ((**للمسلم على أخيه المسلم من الحق أنْ يسلم عليه إذا لقيه، ويعوده إذا مرض، وينصح له إذا غاب، ويسمته إذا عطس، يقول: الحمد لله رب العالمين لا شريك له، ويقول: يرحمك الله، فيجيب يقول له: يهديكم الله ويصلح بالكم، ويجيبه إذا دعاه، ويشيعه إذا مات**))[١].

كما روي عنه عليه السلام أيضاً قال: ((**قال رسول الله** صلى الله عليه وآله: **إذا عطس الرجل فسمتوه ولو كان من وراء جزيرة**))[٢].

وفي هذا الباب توجد مجموعة من الآداب والتعاليم، مثل أنْ يقول العاطس: الحمد لله، واستحباب الصلاة على محمد وآله بعد ذلك، وتكرار التسميت عند تكرر العطاس ثلاثاً، وجواز تسميت الذمي، وغير ذلك من الشؤون[٣].

الثالث: المحادثة، والآداب والالتزامات التي يحسن أنْ تتحكم فيها، وقد سبق أنْ أشرنا إلى عدة أبعاد في هذا المجال، مثل: لزوم حفظ السر والأمانة فيها؛ لأن المجالس بالأمانة، وليس لأحد أنْ يحدّث بحديث يكتمه صاحبه إلاّ بإذنه، إلاّ أنْ يكون ثقة أو ذِكراً له بخير، وغير ذلك من الاستثناءات[٤].

وكذلك مثل كراهة أنْ يتناجى اثنان مع وجود صاحب لهما ثالث.

ومثل كراهة اعتراض حديث المسلم وقطعه؛ لأن ((**من عرض لأخيه**

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٤٥٩، ح١.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٤٥٩، ح٢، وفي الباب روايات أخرى نافعة في المقام.

(٣) راجع الوسائل ج ٨، أبواب أحكام العشرة، باب٥٧ – ٦٦.

(٤) راجع الوسائل ٨: ٤٧١، باب٧١.

المسلم المتكلم في حديثه فكأنما خدش وجهه)) كما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

الرابع: المزاح والضحك، وقد سبق الحديث في ضبط الانفعالات، أنّ القهقهة من الضحك شيء مذموم؛ حيث جاء وصفها في الحديث المعتبر أنها من الشيطان، وكذلك دعوة الأئمةعليهم السلام إلى قلة المزاح، إذ إنه يذهب بماء الوجه، ويجر السخيمة، ويورث الضغينة.

ولكن المزاح والضحك المحدودين بدون إكثار ولا فحش شيء محبوب للشارع، وهو يعبّر عن نوع من التودد والتحبب، ومن ثم الانسجام مع الوضع الروحي والنفسي للمحادثة، والمجلس في حدود الآداب الاجتماعية العامة.

ورد عن معمر بن خلاد بطريق معتبر، قال: **((سألت أبا الحسنعليه السلام فقلت: جعلت فداك، الرجل يكون مع القوم فيجري بينهم كلام يمزحون ويضحكون، فقال: لا بأس ما لم يكن، فظننت أنه عنى الفحش، ثم قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يأتيه الأعرابي فيهدي إليه الهدية ثم يقول مكانه: أعطنا ثمن هديتنا، فيضحك رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان إذا اغتم يقول: ما فعل الأعرابي؟ ليته أتانا!))**[2].

كما روي عن أبي عبد الله الصادقعليه السلام أنه قال: **((إنّ الله يحب المداعب في الجماعة بلا رفث))**[3].

وعن يونس الشيباني قال: **((قال أبو عبد الله عليه السلام: كيف مداعبة بعضكم بعضاً؟ قلت: قليل، قال: فلا تفعلوا، فإنّ المداعبة من حسن الخلق، وإنك**

---

(١) راجع الوسائل ٨: ٤٧٢، باب٧٢ و ٧٣.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٤٧٧، ح١.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٤٧٨، ح٥.

لتدخل بها السرور على أخيك، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يداعب الرجل يريد أنْ يسرّه))[١].

وعن الفضل بن أبي قرة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**ما من مؤمن إلاّ وفيه دعابة. قلت: وما الدعابة؟ قال: المزاح))**[٢].

الخامس: قبول الإحسان والكرامة عند تقديمهما؛ لأنه من ألوان التودد والتحبب وحسن الخلق، وقد ورد في أحاديث عديدة الحث على قبول الكرامة، وأنّه لا يردها إلاّ حمار، وهي مثل التوسعة في المجلس والوسادة تقدم له، والطيب كذلك، أو أي شيء آخر يقدم للإنسان من أجل تكريمه في الاجتماعات واللقاءات.

روى عبد الله بن جعفر في قرب الإسناد بطريق معتبر عن الصادق، عن أبيه، عن علي عليهما السلام قال: ((**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا عُرض على أحدكم الكرامة فلا يردّها، فإنما يردّ الكرامة الحمار))**[٣].

وسئل الرضا عليه السلام عن معنى الكرامة فقال: ((**لا يأبى الكرامة إلاّ حمار، فقلت: ما معنى ذلك؟، قال: ذلك في الطيب يعرض عليه، والتوسعة في المجالس، من أباهما كان كما قال))**[٤].

وأضيف في بعض الروايات الوسادة وكل ما يكرم به الرجل[٥].

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٤٧٨، ح٤.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٤٧٧، ح٣.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٤٧، ح٧.

(٤) وسائل الشيعة٨: ٤٧٠، ح٥.

(٥) راجع الحديثين ٣، ٤ من الباب السابق.

الخطوة الرابعة: الاحترام والتبجيل

لاشك أنّ جميع موارد الإحسان والمعروف تُعدّ مصاديق لحسن الخلق والتودد والتحبب للناس، كما عرفنا ذلك في القاعدة الخامسة، وسوف نتبين بعض التفاصيل والتوضيحات لذلك عندما نتناول البناء الفوقي للقاعدة الخامسة أيضاً.

والاحترام والتوقير يدخلان في باب المعروف والإحسان، وكل منهما أحد مصاديقه، ولكن لّما كان لهذا الموضوع ارتباط بموضوع اللقاءات والاجتماعات كان من المناسب أنْ نذكره في هذا الباب (التودد والتحبب)، لأنه جاء مختصاً بهذا الموضوع.

وقد أولى الشارع المقدس هذا الموضوع اهتماماً خاصاً - أيضاً - من خلال مجموعة من التشريعات والآداب والرسوم نشير إلى بعضها:

أ) تعظيم الأصحاب وتوقيرهم، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: ((**كان أبو جعفر عليه السلام يقول: عظموا أصحابكم ووقروهم، ولا يتهجّم بعضكم على بعض...**))[1].

وقد تقدم في المعاملة الخاصة الإشارة إلى توقير ذوي الشيبة والكبراء من الناس وإجلالهم، وأنه إجلال لله تعالى.

ب) إكرام الشرفاء والكرام من القوم، بل عموم الوافدين من الأشخاص الذين يأتون إلى الاجتماعات، وقد عرفنا جانباً من ذلك في موضوع كراهة ردّ الكرامة، ويشير إلى ذلك أيضاً ما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله بعدي بن حاتم من توقير له، فقد روى أمير المؤمنين عليه السلام قال: ((**لما قدم عدي بن حاتم إلى النبي صلى الله عليه وآله أدخله النبي بيته، ولم يكن في البيت غير خصفة**

---

(١) الكافي٢: ١٧٣.

ووسادة أدم، فطرحها رسول الله ﷺ لعدي بن حاتم))[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**قال رسول الله ﷺ: مَنْ أكرم أخاه المؤمن بكلمة يلطفه بها، وفرّج عنه كربته، لم يزل في ظل الله الممدود عليه من الرحمة ما كان في ذلك))**[٢].

وعن رسول الله ﷺ قال: ((**إذا أتاكم شريف قوم فأكرموه))**[٣].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**قال رسول الله ﷺ: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه))**[٤].

وقد فُسِّر الشريف في الرواية بصاحب المال، والحسب بالأفعال الحسنة، والكرم بالتقوى[٥].

بل إنّ هذا الحكم هو أعم وأشمل، فقد ورد في حديث معتبر عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ((**من أتاه أخوه المسلم فأكرمه فإنّما أكرم الله عزّ وجل))**[٦].

ج) ذكر الإنسان بأحب الأسماء إليه، وكذلك ذكره بكنيته إذا كان حاضراً، فإنّ في ذلك توقيراً له، وتودداً إليه.

روى الكليني بطريق معتبر عن أبي الحسن عليه السلام قال: ((**إذا كان الرجل حاضراً فكنّه، وإذا كان غائباً فسمّه))**[٧].

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٤٦٩، ح٤.

(٢) وسائل الشيعة١١: ٥٩١، ح٢.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٤٦٨، ح١.

(٤) وسائل الشيعة٨: ٤٦٩، ح٢.

(٥) راجع الوسائل٨: ٤٦٨، ح١.

(٦) وسائل الشيعة١١: ٥٩٠، ح١.

(٧) الكافي٢: ٦٧١، ح٢.

ولعل هذا الفرق باعتبار أنّ الاسم يعرّف الإنسان تعريفاً أقوى، وعندما يكون غائباً يكون أحوج إلى هذا التعريف، بخلاف ما إذا كان حاضراً فإنّ في حضوره تعريفاً له.

وقد سبق عن الإمام الصادقعليه السلام أنه قال: ((**قال رسول الله**صلى الله عليه وآله: **ثلاث يصفين ودّ المرء لأخيه المسلم: يلقاه بالبشر إذا لقيه، ويوسع له في المجلس إذا جلس إليه، ويدعوه بأحب الأسماء إليه**))(١).

وروي أنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله كان يدعو أصحابه بكناهم إكراماً لهم، واستمالة لقلوبهم، ويكني من ليس له كنية، فكان يدعى بما كناه به.

وكان أيضاً يكني النساء اللاتي لهن أولاد، واللاتي لم يلدن يبتدئ لهن الكنى، وكان يكني الصبيان فيستلين قلوبهم.

فقد روي أنّ عمر قال لصهيب: ((**ما لك تكنى وليس لك ولد؟ قال: كناني النبي**صلى الله عليه وآله **بأبي يحيى**))(٢).

وروى أبو بكرة قال: ((**تدلّيت ببكرة في الطائف فقال لي النبي**صلى الله عليه وآله: **فأنت أبو بكرة**))(٣).

خامساً: المعروف واليد العليا

في الحديث عن البناء الفوقي للقاعدة الخامسة - وهي الإحسان واليد العليا - نجد أمامنا آفاقاً واسعة؛ ذلك أنّ الكثير من المفردات السابقة تدخل في باب الإحسان واليد العليا، وإنْ كان طابعها العام يتصف بصبغة أُخرى.

فمثلاً في بُعد الانفتاح في المعاشرة أشرنا إلى إفشاء السلام وحرمة القطيعة

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٤٣٤، ح٢.

(٢) الطبقات الكبرى٣: ٢٢٧.

(٣) قاموس الرجال٢٠: ٤٠١، باختلاف يسير.

والهجرة بين المؤمنين، باعتبارهما دليلين على هذا الاتجاه (الانفتاح) وهذا البعد في النظرية الإسلامية، ولكن في الوقت نفسه يعتبر إفشاء السلام وإنهاء الهجرة من قبل المظلوم إحساناً للظالم.

وهكذا الأمر في مبدأ التكافل الاجتماعي، ومبدأ التناصر والتراحم، ومبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التي أشرنا إليها في قاعدة تقوية البناء الاجتماعي، أو حسن الظن وغض النظر عن أعمال السوء الشخصية أو الأذى الشخصي.

وكذلك الحال في صفة التواضع، والصبر على الحسّاد اللذين أشرنا إليهما في قاعدة ضبط العواطف والانفعالات، فإنّ جميع ذلك أيضاً من الإحسان والمعروف.

ولعل عموم حالات التودد والمجاملة وحسن الخلق - التي أشرنا إليها سابقاً - هي أيضاً ألوان من الإحسان والمعروف، وهكذا الكثير من الواجبات والالتزامات الشرعية أو الاجتماعية، فإنها تعتبر أيضاً ألواناً من الإحسان واليد العليا في مجمل حركة الإنسان في مجال العلاقات.

لذا سوف نقتصر في بحث البناء الفوقي لهذه القاعدة على الإشارة إلى جوانب أربعة ترتبط بهذه القاعدة:

الجانب الأول: ضوابط الإحسان

وهي الأُصول والضوابط العامة في الإحسان، التي تعتبر - أيضاً - جانباً مهماً من النظرية الإسلامية في العلاقات؛ ونشير هنا إلى ضوابط عامة في موضوع الإحسان:

الضابطة الأُولى: الموازنة بين الربح والخسارة

إنّ الإحسان وإنْ كان محبوباً بصفة عامة، ويعبّر عن سمة الإيثار في أكثر

موارده، لأنه ينطلق من مفهوم الأُخوّة والعدل والمساواة بين المؤمنين، ولكن لابدّ للإنسان أنْ يلاحظ فيه ألاّ يكون ضرره وخسارته أكبر من النفع والفائدة التي تلحق أخاه المؤمن، كما يصنع الإنسان مع نفسه تماماً في باب المعاملات والمعاوضات، فإنه حينما يقدّم مالاً أو حقاً عوضاً عن مال أو حق، يلاحظ أنْ تكون منفعته أكثر، أو مساوية على الأقل.

وقد ورد في ذلك الحديث عن أهل البيت عليهم السلام، فقد روى الحسن بن محمد الطوسي في مجالسه بسند معتبر عن إسماعيل بن خالد قال: ((**سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام يقول: جمعنا أبو جعفر (الباقر) عليه السلام فقال: يا بَنيّ، إياكم والتعرض للحقوق، واصبروا على النوائب، وإنْ دعاكم بعض قومكم إلى أمر ضرره عليكم أكثر من نفعه له فلا تجيبوه**))[1].

وذكر الكليني في الكافي هذا المعنى ضمن أحاديث متعددة عن الصادق والكاظم عليهما السلام: ((**لا تدخل لأخيك في أمر مضرّته عليك أعظم من منفعته له**))، و((**لا تبذل لإخوانك من نفسك ما ضره عليك أكثر من منفعته لهم**))[2].

الضابطة الثانية: تعجيل المعروف

تعجيل المعروف لصاحبه وستره عليه، وتصغيره لديه، لما لذلك من آثار روحية ونفسية واجتماعية على صاحب المعروف وأهله، فقد روى الكليني في الكافي والصدوق في الفقيه والخصال عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**رأيت المعروف لا يتم إلاّ بثلاث: تصغيره، وستره، وتعجيله، فإنّك إذا صغرته عظمته عند من تصنعه إليه، وإذا سترته تمّمته، وإذا عجّلته هنّأته، وإذا كان**

---

(١) أمالي الطوسي: ٧٣، ح١٠٧.

(٢) الكافي ٤: ٣٢ – ٣٣، ح١، ٢.

غير ذلك سخّفته ونكّدته))[١].

وبهذا المعنى جاء الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: **((لا يستقيم قضاء الحوائج إلاّ بثلاث، باستصغارها لتعظم، وباستكتامها لتظهر، وبتعجيلها لتهنؤ))**[٢].

كما روي بسند معتبر عن حمران عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: **((لكل شيء ثمرة، وثمرة المعروف تعجيل السراح))**، وفي رواية أخرى للصدوق **((تعجيله))**[٣].

الضابطة الثالثة: وضع المعروف عند أهله

الاهتمام بوضع المعروف عند أهله من الناس، وهم خيارهم، فإذا كان ممن ليس من أهل المعروف لا يصح صنع المعروف له.

وهذه الضابطة لا تنافي ما أشرنا إليه سابقاً من صنع المعروف مع كل أحد، فإنّ ما ذكرناه هناك إنما هو في حالة عدم معرفة الناس، فيحسن بالإنسان أنْ يصنع المعروف لحبّه المعروف، ولكن عندما يتبين له سوء حال الشخص الذي يريد أنْ يصنع إليه المعروف، وأنه ليس من أهله لا يصح له ذلك، لأنه لا يستحقه فيضيع المعروف، بل تكون آثار صنع المعروف معه سلبية في بعض الأحيان، إذ يقطع سبيل المعروف بكفره ونكرانه له.

وقد وردت في هذا الموضوع روايات معتبرة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، تؤكّدها روايات أُخرى عديدة.

عن سيف بن عميرة قال: **((قال أبو عبد الله عليه السلام لمفضل بن عمر:**

---

(١) الخصال: ١٣٣، ح١٤٣.

(٢) نهج البلاغة٤: ٢٢، الرقم١٠١.

(٣) من لا يحضره الفقيه٢: ٥٧، ح١٦٩٠.

يا مفضل، إذا أردت أنْ تعلم أشقي الرجل أم سعيد، فانظر سيبه ومعروفه إلى من يصنعه، فإنْ كان يصنعه إلى من هو أهله، فاعلم أنه إلى خير، وإنْ كان يصنعه إلى غير أهله فاعلم أنه ليس له عند الله خير))[١].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: **((من كان له منكم مال فإيّاه والفساد، فإنّ إعطاءه في غير حقه تبذير وإسراف، وهو يرفع ذكر صاحبه في الناس، ويضعه عند الله، ولم يضع امرؤ ماله في غير حقه، وعند غير أهله إلاّ حرمه الله شكرهم، وكان لغيره ودّهم، فإنْ بقي معه بقية ممن يظهر الشكر له، ويريد النصح فإنما ذلك ملق وكذب، فإنْ زلت به النعل ثم احتاج إلى معونتهم ومكافأتهم فألأم خليل، وشر خدين، ولم يضع امرؤ ماله في غير حقه، وعند غير أهله إلاّ لم يكن له من الحظ فيما أتى إلاّ محمدة اللئام وثناء الأشرار ما دام منعماً مفضلاً، ومقالة الجاهل: ما أجوده، وهو عند الله بخيل، فأي حظ أبور وأخسر من هذا الحظ؟! وأي فائدة معروف أقل من هذا المعروف؟! فمن كان منكم له مال فليصل به القرابة، وليحسن منه الضيافة، وليفك به العاني والأسير وابن السبيل، فإنّ الفوز بهذه الخصال مكارم الدنيا وشرف الآخرة))**[٢].

وفي وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام قال: **((يا علي، أربعة تذهب ضياعاً: الأكل على الشبع، والسراج في القمر، والزرع في السبخة، والصنيعة عند غير أهلها))**[٣].

---

(١) وسائل الشيعة ١١: ٥٣٢، ح١.

(٢) وسائل الشيعة ١١: ٥٣٢، ح٣.

(٣) وسائل الشيعة ١١: ٥٣٣، ح٤.

الضابطة الرابعة: تحمّل مؤنة المعروف

تحمّل مؤنة النعم التي يتفضل الله سبحانه وتعالى بها على عباده، وذلك من خلال المزيد من الإنفاق وصنع المعروف، فإنّ الإنسان إذا أنعم الله عليه بنعمة ظاهرة يتوجه إليه الناس - بطبيعة الحال - فيثقلونه بالطلبات والحاجات، فينشأ له بسبب ذلك الكثير من الضغط والكلفة.

والضابطة التي وضعها أهل البيت عليهم السلام لذلك هو أنْ يتحمل الإنسان مؤنة هذه النعمة، ويصبر على هذا الضغط، ويلبي هذه الطلبات، فإنّ ذلك يكون سبباً لاستدامتها وبقائها واستمرارها، وبدون ذلك قد تتعرض هذه النعمة إلى الزوال.

وقد نبّه أهل البيت عليهم السلام شيعتهم والجماعة الصالحة من أتباعهم إلى هذه الحقيقة، والسنّة الكونية في النعم الإلهية.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**من عظمت نعمة الله عليه اشتدت مؤنة الناس إليه ؛ فاستديموا النعمة باحتمال المؤنة، ولا تعرّضوها للزوال، فقلّ من زالت عنه النعمة فكادت أنْ تعود إليه**))[1].

وعن أبان بن تغلب قال: ((**قال أبو عبد الله عليه السلام للحسين الصحاف: يا حسين، ما ظاهر الله على عبد النعم حتى ظاهر عليه مؤنة الناس، فمن صبر لهم وقام بشأنهم زاده الله في نعمه عليه عندهم، ومن لم يصبر لهم ولم يقم بشأنهم أزال الله عزّ وجل عنه تلك النعمة**))[2].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ((**إنّ لله تعالى في كل نعمة حقاً، فمن أدّاه**

---

(١) وسائل الشيعة ١١: ٥٤٩، ح١.

(٢) وسائل الشيعة ١١: ٥٤٩، ح٣.

زاده الله منها، ومن قصر خاطر بزوال نعمته))[١].

وقال عليه السلام: ((**إنّ لله عباداً يختصّهم بالنعم لمنافع العباد، فيقرّها في أيديهم ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم ثمّ حوّلها إلى غيرهم))**[٢].

الضابطة الخامسة: شكر النعم والمعروف

شكر النعم وصنائع المعروف، فإنّ الإنسان إذا تفضل الله عليه بنعمة من عنده، أو بتسخير عبد من عباده ليحسن له ويصنع المعروف إليه، فلابدّ له أنْ يشكر هذه النعمة وهذا المعروف؛ فإنّ شكر النعم سبب لاستمرارها وبقائها، وكفرانها سبب لزوالها، ومن أفضل أنواع الشكر صنع المعروف إلى الآخرين، والإحسان لهم، وكذلك شكر الله المنعم، وشكر عباده المحسنين.

عن محمد بن عجلان قال: ((**سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أحسنوا جوار النعم، قلت: وما حسن جوار النعم؟ قال: الشكر لمن أنعم بها، وأداء حقوقها))**[٣].

وعن داود بن سرحان قال: ((**كنا عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل سدير الصيرفي فسلم وجلس، فقال له: يا سدير، ما كثر مال أحد قط إلاّ كثرت الحجة لله تعالى عليه، فإنْ قدرتم تدفعونها**[٤] **عن أنفسكم فافعلوا، فقال: يا بن رسول الله، بماذا؟ فقال: بقضاء حوائج إخوانكم من أموالكم**، ثم قال:

---

(١) وسائل الشيعة١١: ٥٥٠، ح٧.

(٢) وسائل الشيعة١١: ٥٥٠، ح١٠.

(٣) وسائل الشيعة١١: ٥٥٢، ح٣.

(٤) هكذا وردت، وفي مجالس ابن الشيخ الذي نقل عنه الوسائل: **((فإن قدرتم أن تدفعوها))**.

تلقّوا النعم يا سدير بحسن مجاورتها، واشكروا من أنعم عليكم، وأنعموا على من شكركم، فإنكم إذا كنتم كذلك استوجبتم من الله الزيادة، ومن إخوانكم المناصحة، ثم تلا ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾))(١).

ويدخل في هذه الضابطة أيضاً مكافأة المعروف بمثله أو بضعفه، أو الدعاء لصاحبه بالخير وحسن الجزاء، فإنّ ذلك لون من ألوان الشكر على المعروف.

فقد سبق ما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**كان أمير المؤمنين** عليه السلام **يقول: من صنع بمثل ما صنع إليه فإنما كافأه، ومن أضعفه كان شكوراً، ومن شكر كان كريماً، ومن علم أنّ ما صنع إنما صنع إلى نفسه لم يستبطئ الناس في شكرهم، ولم يستزدهم في مودتهم. ولا تلتمس من غيرك شكر ما أتيت إلى نفسك، ووقيت به عرضك، واعلم أنّ الطالب إليك الحاجة لم يكرم وجهه عن وجهك، فأكرم وجهك عن ردّه**))(٢).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ((**كفاك بثنائك على أخيك إذا أسدى إليك معروفاً أنْ تقول له: جزاك الله خيراً، وإذا ذُكر وليس هو في المجلس أنْ تقول: جزاه الله خيراً، فإذن أنت قد كافأته**))(٣).

ولذلك حث أهل البيت عليهم السلام على شكر المعروف، وأنكروا كفرانه كما سبق ذلك، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**لعن الله قاطعي سبيل المعروف، قيل: وما قاطعو سبيل المعروف؟ قال: الرجل يُصنع إليه المعروف فيكفره، فيمتنع صاحبه من أنْ يصنع ذلك إلى غيره**))(٤).

---

(١) وسائل الشيعة ١١: ٥٥٢، ح٧.

(٢) وسائل الشيعة ١١: ٥٣٦، ح١.

(٣) وسائل الشيعة ١١: ٥٣٧، ح٧.

(٤) وسائل الشيعة ١١: ٥٣٩، ح١.

وعنه عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: ((**من أتى إليه معروف فليكافئ به، فإنْ عجز فليُثنِ عليه، فإنْ لم يفعل فقد كفر النعمة**))[١].

وعن عمار الدهني قال: ((**سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول: إنّ الله يحب كل قلب حزين، ويحب كل عبد شكور. يقول الله تبارك وتعالى لعبد من عبيده يوم القيامة: أشكرت فلاناً؟ فيقول: بل شكرتك يا رب، فيقول: لم تشكرني إنْ لم تشكره، ثم قال: أشكركم لله أشكركم للناس**))[٢].

الجانب الثاني: أداء الحقوق

إن صنع المعروف والإحسان يكون من خلال أداء الحقوق التي وضعها الله تعالى على الإنسان المسلم أو المؤمن لأخيه المسلم، وقد مرت الإشارة إلى بعض هذه الحقوق سابقاً، ونشير هنا إلى بعض النماذج والمصاديق الأُخرى التي تعبر عن البناء الفوقي لهذا الجانب. علماً بأنَ بعض هذه الحقوق واجب، وبعضها مستحب.

١. الرفق بالرفيق

إذا رافق إنسان إنساناً آخر في طريق أو سفر أو دراسة أو في إنجاز عمل معين أصبح لهذا الرفيق حق على رفيقه، يقتضي الرفق به والإحسان إليه وصنع المعروف لديه، وقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام ما يؤكد هذه الحقوق.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما اصطحب اثنان إلاّ كان أعظمهما أجراً وأحبهما إلى الله عز وجل أرفقهما بصاحبه**))[٣].

---

(١) وسائل الشيعة١١: ٥٣٩، ح٢.

(٢) وسائل الشيعة١١: ٥٣٩، ح٣.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٤٩٢، ح٢.

عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جده عليهما السلام قال: ((**قال رسول الله** صلى الله عليه وآله: **إذا كنتم في سفر فمرض أحدكم فأقيموا عليه ثلاثة أيام**))[١].

٢. قضاء حاجة المؤمن

إن قضاء الحاجات التي يلجأ المؤمن في قضائها إلى إخوانه وهي من جملة الحقوق للمؤمنين على إخوانهم، وقد أشرنا في بعض الأبحاث السابقة إلى أنّ ذلك من الحقوق العامة للمؤمنين على إخوانهم؛ وقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام روايات عديدة تؤكد استحباب ذلك بصفة عامة، والثواب الجزيل المترتب عليه فضلاً عن الآثار الوضعية الدنيوية التي يكون قضاء الحاجة سبباً في وجودها.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: ((**إنّ المؤمن لترد عليه الحاجة لأخيه فلا تكون عنده يهتمّ بها قلبه فيدخله الله بهمّه الجنّة**))[٢].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**ما قضى مسلم لمسلم حاجة إلاّ ناداه الله تبارك وتعالى: عليّ ثوابك، ولا أرضى لك بدون الجنّة**))[٣].

عن إسماعيل بن عمار قال: ((**قلت لأبي عبد الله** عليه السلام: **المؤمن رحمة على المؤمن؟ قال: نعم، قلت: وكيف ذلك؟ قال: أيّما مؤمن أتى أخاه في حاجة فإنما ذلك رحمة من الله ساقها إليه وسبّبها له، فإنْ قضى حاجته كان قد قبل الرحمة بقبولها، وإنْ ردّه عن حاجته وهو يقدر على قضائها فإنما رد عن نفسه رحمة من الله عزّ وجل ساقها إليه وسببها له، وادّخر الله عزّ وجل تلك الرحمة إلى يوم القيامة حتى يكون المردود عن حاجته هو**

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٤٩٣، ح٣.

(٢) وسائل الشيعة١١: ٥٧٦، ح٣.

(٣) وسائل الشيعة١١: ٥٧٦، ح٤.

الحاكم فيه، إنْ شاء صرفها إلى نفسه وإنْ شاء صرفها إلى غيره. (إلى أنْ قال): **استيقن أنه لن يردها عن نفسه. يا إسماعيل، من أتاه أخوه في حاجة يقدر على قضائها فلم يقضها له سلّط الله عليه شجاعاً ينهش إبهامه في قبره إلى يوم القيامة مغفوراً له أو معذّباً**))[١].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**أيما مؤمن سأل أخاه المؤمن حاجة وهو يقدر على قضائها فردّه عنها سلّط الله عليه شجاعاً في قبره ينهش من أصابعه**))[٢].

٣. تفريج كربة المؤمن

ومن هذه الحقوق أنْ يقوم الإنسان المؤمن بتفريج كربة أخيه المؤمن عندما يصاب بشدة أو يتعرض لمحنة وضيق.

عن زيد الشحام قال: ((**سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من أغاث أخاه المؤمن اللهفان عند جهده فنفّس كربته، وأعانه على نجاح حاجته كتب الله عزّ وجل له بذلك ثنتين وسبعين رحمة من الله، يعجل له منها واحدة يصلح بها أمر معيشته، ويدّخر له إحدى وسبعين رحمة لأفزاع يوم القيامة وأهواله**))[٣].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ((**من كفارات الذنوب العظام إغاثة الملهوف، والتنفيس عن المكروب**))[٤].

---

(١) وسائل الشيعة ١١: ٥٧٧، ح٥.

(٢) وسائل الشيعة ١١: ٥٧٩، ح١٠.

(٣) وسائل الشيعة ١١: ٥٨٦، ح١.

(٤) نهج البلاغة ٤: ٧، الرقم ٢٤.

٤. الستر على المؤمن ورد السوء عنه

ومن هذه الحقوق ستر عيوب المؤمنين وعوراتهم، وما يرتكبون من ذنب في خفاء وغفلة، وكذلك تكذيب ما ينسب إليهم من سوء إذا كانوا ينكرون ولا يقولون به.

فقد روى الكليني في الكافي عن الإمام الباقر عليه السلام قال: ((**يجب للمؤمن على المؤمن أنْ يستر عليه سبعين كبيرة**))[١].

كما روى بإسناده عن علي عليه السلام أنه قال: ((**لو وجدت مؤمناً على فاحشة لسترته بثوبي هذا**))[٢].

كما روى القطب الراوندي عن أمير المؤمنين هذا النص في حديث بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله[٣].

كما ورد أيضاً عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: ((**أيها الناس، من عرف من أخيه وثيقة في دين وسداد طريق فلا يسمعن فيه أقاويل الرجال. أما إنه قد يرمي الرامي وتخطئ السهام، ويُحيل الكلام، وباطل ذلك يبور، والله سميع وشهيد. أما إنه ليس بين الحق والباطل إلاّ أربع أصابع. فسئل عليه السلام عن معنى قوله هذا، فجمع أصابعه ووضعها بين أُذنه وعينه ثم قال: الباطل أنْ تقول سمعتُ، والحق أنْ تقول رأيتُ**))[٤].

٥. النصيحة للمؤمن

ومن جملة الحقوق أيضاً وجوب النصيحة للمؤمنين، والإخلاص في

---

(١) الكافي٢: ٢٠٧، ح٨.

(٢) دعائم الإسلام٢: ٤٤٦، ح١٥٥٩.

(٣) جامع أحاديث الشيعة١٦: ١٨٧، ح٢، ٣، وفي الباب أحاديث أخرى.

(٤) وسائل الشيعة١١: ٥٩٣، ح٢.

العمل من أجلهم والصدق فيه، فقد روى الكليني في الكافي بطريق معتبر عن الإمام الصادق والباقر عليهما السلام أنهما قالا: ((**يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة له في المشهد والمغيب**))[(١)].

وقد سبق ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله من أنه قال: ((**الدين النصيحة، قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولرسوله ولأئمة الدين ولجماعة المسلمين**))[(٢)].

وكذلك ورد بطريق معتبر عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: ((**أيّما مؤمن مشى في حاجة أخيه فلم يناصحه فقد خان الله ورسوله**))[(٣)].

وقد تقدم في الأبحاث السابقة أنّ من المعروف الذي يستحقه المؤمن من أخيه المؤمن إكرامه، كما تقدم في التكافل الاجتماعي، وجوب معونة المؤمن عند الضرورة، وتقدم في المعاملة الخاصة بعض الحقوق للمؤمن على إخوانه المؤمنين.

الجانب الثالث: التنازل عن الحقوق المستحقة

التنازل عن الحقوق التي يستحقها الإنسان من الآخرين، وعدم مطالبتهم بالإنصاف لنفسه، فإنّ هذا التنازل وغض النظر عن حقه من أفضل صنائع المعروف، ومن عزم الأمور، كما يعبّر عنه القرآن الكريم: ﴿**وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾[(٤)]، كما أنّ أجر المغفرة والصفح على الله تعالى: ﴿**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لا**

---

(١) الكافي٢: ٢٠٨، ح٢، ٣.

(٢) وسائل الشيعة١١: ٥٩٤ – ٥٩٥، ح٧.

(٣) وسائل الشيعة١١: ٥٩٦، ح٢.

(٤) الشورى:٤٣.

يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[١].

وقد تم تأكيد هذا الاتجاه في أحاديث أهل البيت عليهم السلام ضمن مجموعة من المفردات، وقد ورد عنهم - كما سنشير إليه - أنّ التنازل عن الحقوق هو خير أخلاق الدنيا والآخرة.

المفردة الأُولى: العفو والصفح

العفو والصفح والمغفرة للمسيء، خصوصاً عند القدرة على العقاب والأخذ بالثأر أو استرجاع الحق، ويترتب على العفو آثار وضعية دنيوية، وآثار معنوية ذاتية، وآثار أُخروية من الثواب والأجر الجزيل.

وكل ذلك وردت فيه روايات وأحاديث عن أهل البيت عليهم السلام.

فقد روى الكليني بطريق معتبر في الآثار الوضعية الدنيوية عن ابن فضّال، عن أبي الحسن عليه السلام أنه قال: ((**ما التقت فئتان قط إلاّ نُصر أعظمهما عفواً**))[٢].

وروى أيضاً عن إسماعيل بن زياد السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عليكم بالعفو فإنّ العفو لا يزيد العبد إلاّ عزاً، فتعافوا يعزّكم الله**))[٣].

وروى الصدوق عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ((**عفو الملك أبقى للملك**))[٤].

---

(١) الشورى: ٤٠.

(٢) الكافي٢: ١٠٨، ح٨.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٥١٩، ح٢.

(٤) من لا يحضره الفقيه٤: ٣٨١، ح٥٨٣٠.

وعن علي عليه السلام قال: ((**العفو زكاة الظفر**))[١].

وفي جانب الآثار المعنوية ما رواه الرضي في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: ((**إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه**))[٢]، وقال عليه السلام: ((**أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة**))[٣]، وفي هذين النصين بيان لما يحصل عليه الإنسان من تكامل ذاتي، من خلال العفو عند القدرة في شكره لله تعالى، وفي تفضيله على الآخرين.

وفي جانب الأجر والثواب ورد عن أهل البيت عليهم السلام ما يبين عظم جزاء أهل الحلم والعفو؛ من ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله الذي رواه عنه الباقر عليه السلام قال: ((**إذا كان يوم القيامة ينادي منادٍ يسمع آخرهم كما يسمع أولهم فيقول: أين أهل الفضل؟ فيقوم عُنق من الناس فيستقبلهم الملائكة فيقولون: ما فضلكم هذا الذي نوديتم به؟ فيقولون: كنا يُجهل علينا في الدنيا فنحمل، ويساء إلينا فنعفو، فينادي منادٍ من الله تعالى: صدق عبادي، خلّوا سبيلهم ليدخلوا الجنة بغير حساب**))[٤].

المفردة الثانية: قبول العذر

إذا أساء شخص إلى آخر بقول أو فعل ثم جاءه معتذراً عن ذلك، فإنَّ من المعروف والإحسان، الذي يكون مصداقاً للتنازل عن الحقوق هو قبول عذره.

---

(١) عيون الحكم والمواعظ: ٣١.

(٢) نهج البلاغة٤: ٤٨، الرقم١١.

(٣) نهج البلاغة٤: ٤، الرقم٥٢.

(٤) من لا يحضره الفقيه٤: ٣٥٣.

فقد روى الصدوق في الفقيه عن الإمام الصادق، عن آبائه عليهم السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله في وصيته لعلي عليه السلام قال: ((**يا علي، من لم يقبل العذر من متنصل صادقاً كان أو كاذباً لم ينل شفاعتي**))[١].

وروى أيضاً عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لولده محمد بن الحنفية قال: ((**لا تصرم أخاك على ارتياب، ولا تقطعه دون استعتاب، لعل له عذراً وأنت تلوم به. اقبل من متنصّل عذراً صادقاً كان أو كاذباً فتنالك الشفاعة**))[٢].

وروى الكليني في الروضة عن أبي الحسن عليه السلام في حديث أنّ علي بن الحسين قال لولده: ((**وإنْ شتمك رجل عن يمينك ثم تحول إلى يسارك فاعتذر إليك فاقبل عذره**))[٣].

ومن الملاحظ في هذه الأحاديث الثلاثة أنها جاءت من قبل المعصومين توصية لأولادهم وأهل بيتهم؛ لأنّ مثل هذا العمل من الأخلاق يمثل أعلى درجات التكامل.

المفردة الثالثة: إنظار المعسر وإبراؤه

إنظار المدين المعسر وتأجيله في الدين؛ فإنّ ذلك من الواجبات الشرعية التي نص عليها القرآن الكريم، والأفضل هو إبراء ذمته، والتصدق عليه بذلك، فقد قال الله تعالى: ﴿**وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[٤].

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٥٣٣، ح١.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٥٥٣، ح٢.

(٣) الكافي٨: ١٥٣، ح١٤١.

(٤) البقرة: ٢٨٠.

وقد وردت الروايات المعتبرة عن أهل البيت عليهم السلام في تأكيد هذا الأمر بأساليب متعددة.

فعن عبد الرحمن بن أبي عبد الله، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال في يوم حارّ وحنا كفّه: من أحب أنْ يستظل من فور جهنم - قالها ثلاث مرات - فقال الناس في كل مرة: نحن يا رسول الله. فقال: من أنظر غريماً أو ترك المعسر. ثم قال لي أبو عبد الله عليه السلام: قال عبد الله بن كعب بن مالك: إنّ أبي أخبرني أنه لزم غريماً له في المسجد، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله فدخل بيته ونحن جالسان، ثم خرج في الهاجرة، فكشف رسول الله صلى الله عليه وآله ستره فقال: يا كعب، مازلتما جالسين؟ قال: نعم بأبي وأمي، قال: فأشار رسول الله صلى الله عليه وآله بكفه خذ النصف، قال: فقلت: بأبي وأمي، ثم قال: اتبعه ببقية حقك. قال: فأخذت النصف ووضعت له النصف**))[1].

وعن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: ((**من أراد أنْ يظله الله يوم لا ظل إلاّ ظله - قالها ثلاثاً - فهابه الناس أنْ يسألوه، فقال: فليُنظر معسراً، أو ليدع له من حقه**))[2].

وعنه عليه السلام قال: ((**صعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنبر ذات يوم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، ليبلغ الشاهد منكم الغائب. ألا ومن أنظر معسراً كان له على الله عزّ وجل في كل يوم صدقة بمثل ماله حتى يستوفيه**، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: **﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إنّه معسر فتصدقوا عليه بما لكم عليه، فهو خير**

---

(١) وسائل الشيعة١١: ٥٤٦، ح٢.

(٢) وسائل الشيعة١١: ٥٤٦، ح١.

لكم))[١].

المفردة الرابعة: تحليل الميت والحي من الدين

تحليل المدين من الدين، ولاسيما الميت، فإنَّ ذلك من أفضل أنواع الصدقات، وأرقى درجات الإحسان، حيث يُحسن إليه بالقرض - كما سوف نشير إليه - ويحسن إليه أيضاً بإبراء ذمته وتحليله مرة أُخرى.

وقد أكد أهل البيت عليهم السلام هذا النوع من الإحسان والتنازل عن هذا الحق، فقد روى الكليني في الكافي عن الحسن بن خنيس قال: ((**قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنَّ لعبد الرحمان بن سيابة ديناً على رجل قد مات، وكلّمناه أن يحلّله فأبى، فقال: ويحه! أما يعلم أنَّ له بكل درهم عشرة إذا حلّله، فإذا لم يحلّله فإنما له درهم بدل درهم**))[٢].

وعن معتّب قال: ((**دخل محمد بن بشر الوشاء على أبي عبد الله عليه السلام فسأله أنْ يكلم شهاباً أنْ يخفف عنه حتى ينقضي الموسم، وكانت له عليه ألف دينار، فأرسل إليه فأتاه، فقال له: قد عرفت حال محمد وانقطاعه إلينا، وقد ذكر أنَّ لك عليه ألف دينار لم تذهب في بطن ولا فرج، وإنما ذهبت ديناً على الرجال، ووضائع وضعها، فأنا أحب أنْ تجعله في حل، فقال: لعلك ممن يزعم أنه يقبض من حسناته فتعطاها، فقال: كذلك هو في أيدينا، فقال أبو عبد الله عليه السلام: الله أكرم وأعدل من أنْ يتقرب إليه عبده فيقوم في الليلة القرّة، ويصوم في اليوم الحار، ويطوف بهذا البيت ثم يسلبه ذلك فتعطاه، ولكن لله فضل كثير يكافئ المؤمن، فقال: هو في حل**))[٣].

---

(١) وسائل الشيعة ١١: ٥٤٦، ح٤.

(٢) الكافي ٤: ٣٦، ح١.

(٣) وسائل الشيعة ١١: ٥٤٨، ح٢.

وفي ختام هذا الجانب لابدّ أنْ نشير أيضاً إلى وجود مجموعة من المفردات الأُخرى، التي تعبّر عن هذا النوع من الإحسان - الذي هو التنازل عن الحقوق - وقد تقدم الحديث عنها، كحرمة القطيعة مع المؤمنين حتى لو كان الإنسان مظلوماً؛ فإنه لا يجوز الهجرة أكثر من ثلاثة أيام، وكذلك غض النظر، وغير ذلك.

الجانب الرابع: اليد العليا في الإحسان

أنْ يكون الإنسان ذا يد عليا في الإحسان والمعروف، وتتحقق هذه اليد تحققاً جلياً واضحاً عندما يبادر الإنسان إلى المعروف وصنعه مع الناس، أو تكون درجته العالية هو أنْ يصنع المعروف مع من أساء إليه أو ظلمه أو قطعه، وهو ما نعبّر عنه بردّ الإساءة بالإحسان. فهنا مستويان:

المستوى الأول: المبادرة إلى المعروف

نجد في أخلاق العلاقات الاجتماعية المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام مفردات كثيرة، أشير إلى بعضها في حسن الخلق وفي التودد والمجاملة وفي تقوية البناء الاجتماعي، وبقية الأبحاث السابقة، وهنا نشير إلى بعض النماذج والمفردات.

المفردة الأُولى: الإنفاق على الأصدقاء والمؤمنين والمسلمين عامة، سواء أكان ذلك بصفة صدقة أم هدية، أم غير ذلك من صنائع المعروف المالي التي يقوم بها الإنسان، والتي تقي مصارع الهوان، كما عبّر عن ذلك أمير المؤمنين عليه السلام[1].

وقد ورد تأكيد الإنفاق في القرآن الكريم كثيراً، ومنه قوله تعالى: ﴿لَنْ

---

(١) راجع نهج البلاغة ١: ٢١٦، الخطبة ١١٠.

تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[١].

كما وردت روايات كثيرة عن أهل البيت عليهم السلام في استحباب الصدقات وأهميتها، وآثارها الدنيوية والأُخروية، مثل: ((**إنّ الصدقة تقضي الدين وتخلف بالبركة**)) و((**تدفع ميتة السوء**)) و((**البرّ والصدقة ينفيان الفقر ويزيدان في العمر**)) و((**إنّ الله ليعطي بالواحدة عشرة إلى مائة ألف فما زاد**)) و((**استنزلوا الرزق بالصدقة**)) وأنّ الصدقة ((**ما تقع في يد السائل حتى تقع في يد الرب جل جلاله**)) و((**أرض القيامة نار ما خلا ظل المؤمن، فإنّ صدقته تظله**)) و((**الصدقة جُنّة من النار**)) و((**داووا مرضاكم بالصدقة**)) و((**لا يكمل إيمان العبد حتى يكون فيه أربع خصال: يحسن خلقه، وتسخو نفسه، ويمسك الفضل من قوله، ويخرج الفضل من ماله**))[٢].

ولأهمية هذا الموضوع نجد أنّ أهل البيت عليهم السلام قد عالجوا فيه مختلف الجوانب والآداب التي يمكن الرجوع إليها في كتب الحديث، وأكدوا نية القربة وضرورة العمل بها قليلاً أو كثيراً، وعدم ردّ السائل، وكذلك صدقة السر والمبادرة فيها، والأوقات الشريفة لها، وتقديم صدقة المؤمن على العبادات الأُخرى المستحبة، وشمول الصدقة لجميع الناس، وكذلك الدواب، وفضل صدقة الرحم[٣].

وقد ورد التأكيد الكثير لصنع المعروف، وخصوصاً الإنفاق العام في أحاديث أهل البيت عليهم السلام. فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**إنّ من بقاء المسلمين وبقاء الإسلام أنْ تصير الأموال عند من يعرف فيها الحق، ويصنع**

---

(١) آل عمران:٩٢.

(٢) راجع الوسائل٦: ٢٥٥ - ٢٥٩، من أحاديث الباب الأول من أبواب الصدقة.

(٣) راجع الوسائل٦: ٢٥٥، ٣٣٦.

المعروف، وإنّ من فناء الإسلام وفناء المسلمين أنْ تصير الأموال في أيدي من لا يعرف فيها الحق، ولا يصنع فيها المعروف))(١).

وعنه عليه السلام قال: ((**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كل معروف صدقة**))(٢).

وعنه عليه السلام قال: ((**المعروف شيء سوى الزكاة، فتقربوا إلى الله عزّ وجل بالبرّ وصلة الرحم**))(٣).

وعن الباقر عليه السلام قال: ((**صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وكل معروف صدقة، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة، وأول أهل الجنة دخولاً إلى الجنة أهل المعروف، وإنّ أول أهل النار دخولاً إلى النار أهل المنكر**))(٤).

وعن أبي بصير قال: ((**ذكرنا عند أبي عبد الله عليه السلام الأغنياء من الشيعة، فكأنه كره ما سمع منا فيهم، فقال: يا أبا محمد، إذا كان المؤمن غنياً وصولاً رحيماً له معروف إلى أصحابه، أعطاه الله أجر ما ينفق في البر مرتين ضعفين؛ لأنّ الله يقول في كتابه: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إلا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾**))(٥).

وعنه عليه السلام قال: ((**أيّما مؤمن أوصل إلى أخيه المؤمن معروفاً فقد أوصل ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله**))(٦).

---

(١) وسائل الشيعة ١١: ٥٢١، ح١.

(٢) وسائل الشيعة ١١: ٥٢١، ح٢.

(٣) وسائل الشيعة ١١: ٥٢٢، ح٧.

(٤) وسائل الشيعة ١١: ٥٢٣، ح١٠.

(٥) وسائل الشيعة ١١: ٥٢٤، ح١٣.

(٦) وسائل الشيعة ١١: ٥٢٤، ح١٥.

المفردة الثانية: إطعام الطعام وبذله ودعوة الناس إليه، ولذلك جعل الإسلام هذا العمل من الأعمال الدينية، كما في بعض الكفارات، ومن المراسم الاجتماعية، كما في مراسم الزواج والسفر وغيرها.

وقد وردت عن أهل البيت عليهم السلام روايات عديدة في فضل هذا العمل وأهميته، منها ما ورد بطريق معتبر، كما عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**من الإيمان حسن الخلق وإطعام الطعام**))[1].

وقد سبق في رواية أُخرى عنه عليه السلام قال: ((**من المنجيات إطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام**))[2].

كما ورد عن أبي جعفر عليه السلام بطريق معتبر قال: ((**إنّ الله عز وجل يحب إهراق الدماء، وإطعام الطعام**))[3]، والمقصود هنا من إهراق الدماء هو ذبح الذبائح، وتوفير اللحم في الطعام.

وفي رواية أُخرى معتبرة عن أبي عبد الله عليه السلام، عن أبيه عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ((**الرزق أسرع إلى من يطعم الطعام من السكين في السنام**))[4].

المفردة الثالثة: إقراض المؤمنين وسد حاجاتهم عن هذا الطريق الذي يحفظ ماء وجه المؤمن، ويغيث لهفته، ويرفع ضيقه، وقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام الحث على هذا المعروف، وفضلوه على الصدقة، وقرنوه بالصلاة والعبادة.

روى الكليني بطريق معتبر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**ما من مؤمن**

---

(١) وسائل الشيعة١١: ٥٥٤، ح٢.

(٢) وسائل الشيعة١١: ٥٥٤، ح٥.

(٣) وسائل الشيعة١١: ٥٥٤، ح٦.

(٤) وسائل الشيعة١١: ٥٥٤، ح٨.

أقرض مؤمناً يلتمس وجه الله إلاّ حسب الله له أجره بحساب الصدقة حتى يرجع إليه ماله))[1]، وفي رواية: **((ما من مسلم أقرض مسلماً))**.

كما روى أيضاً بطريق معتبر عنه عليه السلام قال: **((مكتوب على باب الجنة: الصدقة بعشرة، والقرض بثمانية عشر))**[2].

وفي رواية الصدوق عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: **((الصدقة بعشرة، والقرض بثمانية عشر، وصلة الإخوان بعشرين، وصلة الرحم بأربعة وعشرين))**[3].

وفي رواية أخرى للكليني عن عقبة بن خالد. عن أبي عبد الله عليه السلام أنَ عثمان بن عمران قال له: **((إني رجل موسر، فقال له: بارك الله لك في يسارك، قال: ويجيء الرجل فيسألني الشيء، وليس هو إبّان زكاتي، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: القرض عندنا بثمانية عشر، والصدقة بعشرة، وماذا عليك إذا كنت كما تقول موسراً أعطيته، فإذا كان إبّان زكاتك احتسبت بها من الزكاة. يا عثمان، لا تردّه فإنّ ردّه عند الله عظيم))**[4].

المفردة الرابعة: البر بالمؤمنين وإدخال السرور عليهم واللطف بهم وإتحافهم، فإنّ في ذلك المزيد من الإحسان والمعروف واليد العليا عليهم، وقد وردت الأحاديث المتعددة في الحث على هذا النوع من الإحسان والمعروف.

فقد روى الكليني بطريق معتبر عن أبي حمزة الثمالي قال: **((سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سرّ مؤمناً فقد سرّني، ومن**

---

(١) الكافي٤: ٣٤، ح١.

(٢) الكافي٤: ٣٤، ح٢.

(٣) من لا يحضره الفقيه٢: ٦٧، ح١٧٣٨.

(٤) الكافي٤: ٣٤، ح٤.

سرّني فقد سرّ الله عزّ وجل))[١].

وعن مفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: ((**لا يرى أحدكم إذا أدخل على مؤمن سروراً أنه عليه أدخله فقط، بل والله علينا، بل والله على رسول الله صلى الله عليه وآله**))[٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام في حديث صحيح قال: ((**أوحى الله عزّ وجل إلى داود عليه السلام: إنّ العبد من عبادي ليأتيني بالحسنة فأبيحه جنتي، فقال داود عليه السلام: يا رب، وما تلك الحسنة؟ قال: يُدخل على عبدي المؤمن سروراً ولو بتمرة، قال داود: يا رب، حُقّ لمن عرفك ألاّ يقطع رجاءه منك**))[٣].

وعن جميل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**سمعته يقول: إنّ مما خص الله به المؤمن أنْ يعرّفه برّ إخوانه وإنْ قلّ، وليس البرّ بالكثرة، وذلك أنّ الله عزّ وجل يقول في كتابه: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، ثم قال: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، ومن عرّفه الله عزّ وجل بذلك أحبه، ومن أحبه الله تبارك وتعالى وفّاه أجره يوم القيامة بغير حساب، ثم قال: يا جميل، ارو هذا الحديث لإخوانك فإنه ترغيب في البر**))[٤].

وعن بكر بن محمد قال: ((**أكثر ما كان يوصينا به أبو عبد الله عليه السلام البرّ والصّلة**))[٥].

وعن سعدان بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**من أخذ من وجه**

---

(١) الكافي٢: ١٨٨، ح١.

(٢) الكافي٢: ١٨٩، ح٦.

(٣) الكافي٢: ١٨٩، ح٥.

(٤) وسائل الشيعة١١: ٥٩١، ح١.

(٥) وسائل الشيعة١١: ٥٩٢، ح٤.

أخيه المؤمن قذاه كتب الله عزّ وجل له عشر حسنات، ومن تبسم في وجه أخيه كانت له حسنة))[١].

وعن زيد بن أرقم قال: ((**قال رسول الله ﷺ ما في أمتي عبد ألطف أخاه في الله بشيء من لطف إلاّ ألطفه الله من خدم الجنة))**[٢].

المستوى الثاني: ردّ الإساءة بالإحسان

رد الإساءة بالإحسان، فإنّ ذلك يعني أعلى درجة في الإحسان، فأداء الحقوق الواجبة يُعدّ الدرجة الأُولى، والتنازل عن الحق يُعدّ الدرجة الثانية، والمبادرة إلى الإحسان يعدّ الدرجة الثالثة، وأما أنْ يحسن الإنسان في مقابل الإساءة فهذا هو أعلى المستويات، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المستوى من الإحسان في وصف الخاصة من المؤمنين، وجعله فرضاً على الأنبياء في عدة مواضع: ﴿**وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ**﴾[٣].

وقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام روايات عديدة تؤكد هذا الخلق وتجعله (خير الخلائق) وأعلاها، وتذكر هذه الروايات عدة نماذج ومصاديق يبتلى بها الإنسان تجسّد هذا الخلق الفاضل.

فقد روى الكليني بسند معتبر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: ((**قال رسول الله ﷺ في خطبة: ألا أخبركم بخير خلايق (أخلاق) الدنيا**

---

(١) وسائل الشيعة١١: ٥٨٩، ح١.

(٢) وسائل الشيعة١١: ٥٩٠، ح٣.

(٣) الرعد:٢٢، المؤمنون:٩٦، القصص:٥٤.

والآخرة؟: العفو عمن ظلمك وتصل من قطعك والإحسان إلى من أساء إليك وإعطاء من حرمك))[١].

وفي رواية معتبرة عن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: **((سمعته يقول: إذا كان يوم القيامة جمع الله تبارك وتعالى الأولين والآخرين في صعيد واحد، ثم ينادي منادٍ: أين أهل الفضل؟ قال: فيقوم عنق من الناس فتتلقّاهم الملائكة فيقولون: وما كان فضلكم؟ فيقولون: كنّا نصل من قطعنا، ونعطي من حرمنا، ونعفو عمّن ظلمنا، قال: فيقال لهم: صدقتم ادخلوا الجنّة))**[٢].

وعن محمد بن علي بن الحسين، عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لمحمد ابن الحنفية قال: **((لا يكونن أخوك على قطيعتك أقوى منك على صلته، ولا على الإساءة إليك أقدر منك على الإحسان إليه))**[٣].

وعن زرارة قال: **((سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّا أهل بيت مروّتنا العفو عمّن ظلمنا))**[٤].

وعن علي بن جعفر بن محمد قال: **((إنّ محمد بن إسماعيل شاء أنْ يستأذن عمه أبا الحسن موسى عليه السلام في الخروج إلى العراق، قال: فأذن له، فقام محمد بن إسماعيل فقال: يا عم أحب أنْ توصيني، فقال: أوصيك أنْ تتقي الله في دمي، قال: ثم ناوله أبو الحسن عليه السلام صرة فيها مائة وخمسون ديناراً، فقبضها محمد، ثم ناوله أُخرى فيها مائة وخمسون ديناراً فقبضها، ثم أعطاه أُخرى فيها مائة وخمسون ديناراً فقبضها، ثم أمر له بألف**

---

(١) الكافي٢: ١٠٧، ح١.

(٢) الكافي٢: ١٠٨، ح٤.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٥٢٢، ح٧.

(٤) وسائل الشيعة٨: ٥٢٢، ح٨.

وخمسمائة درهم كانت عنده، فقلت له في ذلك فاستكثرته، فقال: هذا ليكون أوكد لحجتي عليه إذا قطعني ووصلته، ثم ذكر أنه سعى بعمّه إلى الرشيد وأنه يدعي الخلافة ويجيء له الخراج، فأمر له بمائة ألف درهم ومات في تلك الليلة))[1].

سادساً: القدوة والسلوك المتميز

لاشك أنّ إيجاد الإنسان الأُسوة والقدوة من أهم الأهداف التي استهدفها أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة، كما أشرنا إلى ذلك في عدة مواضع من الأهداف والخصائص والجانب الروحي والأخلاقي، وفي الأُسس والقواعد لنظرية العلاقات الاجتماعية وغيرها من المواضع، باعتبار أنّ القدوة لها أبعاد في التأثير.

وهنا نريد أنْ نتحدث عن البناء الفوقي الذي رسمه أهل البيت للقدوة في العلاقات الاجتماعية وتأثيرها في هذا المجال.

القدوة والعلاقات الاجتماعية

ونجد أهل البيت عليهم السلام يؤكدون وجود العلاقة بين القدوة والعلاقات الاجتماعية، وأثرها في ترسيخ دعائم هذه العلاقات، وتحقيق الغرض منها.

فقد روى الشريف الرضي في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: **((من أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن عمل لدينه كفاه الله أمر دنياه، ومن أحسن فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس))**[2]. فإنَ الفقرة الأخيرة من هذا النص تشير إلى وجود العلاقة بين صلاح النفس

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٥٢٢، ح٩.

(٢) نهج البلاغة٤: ٩٩ الرقم٤٢٣.

وصلاح العلاقات الاجتماعية مع الناس، وأنّ القدوة الصالحة تكامل للإنسان في نفسه كما هي تكامل في المجتمع الإنساني.

وقد تقدم في (الصحبة) النصيحة من أهل البيت بمصاحبة الأخيار؛ باعتبار تأثر العلاقات الاجتماعية والسلوك العام للإنسان بالصاحب، فعندما يكون خيّراً وقدوة يكون له تأثير في طبيعة الإنسان الآخر؛ ولذلك جاءت التوصية من رسول الله بهذا الشأن على ما رواه ابن عباس قال: ((**قيل: يا رسول الله، أي الجلساء خير؟ قال: من تذكّركم الله رؤيته، ويزيد في علمكم منطقه، ويرغبكم في الآخرة عمله**))[1]، فإنّ الفقرتين الأُولى والأخيرة ترتبطان بتأثير القدوة على الآخرين في العلاقات.

وفي هذا المجال يمكن أنْ نقسم الصفات القدوة ذات التأثير في العلاقات الاجتماعية إلى قسمين:

أحدهما: الصفات التي تعبّر عن الارتباط بين الإنسان القدوة مع الله تعالى، والتي عبّر عنها قول أمير المؤمنين عليه السلام ((**من أحسن فيما بينه وبين الله...**)).

ثانيهما: الصفات التي تعبر عن السلوك المتميز للإنسان القدوة في العلاقات الاجتماعية.

الارتباط بالله تعالى

أما القسم الأول من الصفات فقد ذكرها الأخلاقيون وعلماء الحديث في جهاد النفس والصفات الحميدة، وهي: كثيرة نشير هنا إلى أهمها، وهي اليقين بالله تعالى، وحسن الظن به، والتوكل عليه، والحب لله، والرجاء له، والخوف منه.

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٤١٢، ح٤.

وقد اهتم أهل البيت في بناء الكتلة الصالحة بهذه الصفات، باعتبارها الأساس الروحي والأخلاقي لشخصية الإنسان الصالح؛ وقد تناولنا هذا الجانب سابقاً في البناء الروحي والأخلاقي عندما أشرنا إلى موضوع جهاد النفس، والخطوط العامة له.

وهنا نشير إلى بعض الأحاديث الشريفة ذات الصلة بهذه الصفات مما يرتبط بالعلاقات الاجتماعية:

١. ورد في موضوع (اليقين بالله) عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: ((**ليس شيء إلاّ وله حد، قلت: جعلت فداك فما حد التوكل؟ قال: اليقين. قلت: فما حد اليقين؟ قال: ألاّ تخاف مع الله شيئاً**))[1].

وهذا الحديث تعبير عن الآية الكريمة: ﴿**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إلا الله وَكَفَى بِالله حَسِيباً**﴾[2].

وفي رواية أُخرى معتبرة توضيح لصلة اليقين بالعلاقات الاجتماعية. فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: ((**من صحة يقين المرء المسلم أنْ لا يرضي الناس بسخط الله، ولا يلومهم على ما لم يؤته الله؛ فإنّ الرزق لا يسوقه حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره؛ ولو أنّ أحدكم فرّ من رزقه كما يفر من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت**، ثم قال: **إنّ الله بعدله وقسطه جعل الروح والراحة في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط**))[3].

٢. إن التوكل على الله تعالى في العمل الاجتماعي، والحركة السياسية في المجتمع صفة مهمة في القدوة، بعد أنْ يبذل الإنسان كل جهده ويستجيب

---

(١) وسائل الشيعة١١: ١٥٨، ح٤.

(٢) الأحزاب:٣٩.

(٣) وسائل الشيعة١١: ١٥٨، ح٥.

لوظيفته في هذا العمل والحركة. وقد ورد عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام قال: ((**خرجت حتى انتهيت إلى هذا الحائط فاتكأت عليه، فإذا رجل عليه ثوبان أبيضان ينظر في تجاه وجهي، ثم قال: يا علي بن الحسين، ما لي أراك كئيباً حزيناً؟ أعلى الدنيا، فرزق الله حاضر للبر والفاجر؟ قلت: ما على هذا أحزن، وإنه لكما تقول، قال: فعلى الآخرة، فوعدٌ صادق يحكم فيه ملك قاهر (أو قال: قادر)، قلت: ما على هذا أحزن، وإنه لكما تقول، فقال: مم حزنك؟ قلت: مما نتخوف من فتنة ابن الزبير وما فيه الناس، قال: فضحك ثم قال: يا علي بن الحسين عليه السلام، هل رأيت أحداً دعا الله فلم يجبه؟ قلت: لا، قال: فهل رأيت أحداً توكل على الله فلم يكفه؟ قلت: لا، قال: فهل رأيت أحداً سأل الله فلم يعطه؟ قلت: لا، ثم غاب عني**))[١].

فإنّ الإمام وإنْ كان قد طرح في السؤال موضوعاً اجتماعياً، وهو التخوف من فتنة ابن الزبير وآثارها على الناس، لكن الجواب جاء يؤكد على التوكل بعد أنْ لم يكن باليد شيء من العمل يقوم به الإمام عليه السلام.

٣. إن حسن الظن بالله تعالى في سيرة العبد في حياته الدنيوية والأخروية له آثار عظيمة في الحياة كلها؛ فقد روى الكليني في الكافي بسند معتبر عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: ((**أحسن الظن بالله، فإنّ الله عزّ وجل يقول: أنا عند ظن عبدي المؤمن بي، إنْ خيراً فخيراً وإنْ شراً فشراً**))[٢].

وفي حديث معتبر عن بريد بن معاوية، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ((**وجدنا في كتاب علي عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال على منبره: والذي لا إله إلاّ هو ما أُعطي مؤمن قط خير الدنيا والآخرة إلاّ بحسن ظنّه بالله، ورجائه له، وحسن خلقه، والكف عن اغتياب المؤمنين، والذي لا إله إلاّ هو لا يعذب**

---

(١) الكافي٢: ٦٣، ح٢.

(٢) وسائل الشيعة١١: ١٨٠، ح١.

الله مؤمنا بعد التوبة والاستغفار إلاّ بسوء ظنّه بالله وتقصير من رجائه له، وسوء خلقه، واغتياب المؤمنين، والذي لا إله إلاّ هو لا يحسن ظن عبد مؤمن بالله إلاّ كان الله عند ظن عبده المؤمن؛ لأن الله كريم بيده الخير يستحيي أنْ يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظن ثم يخلف ظنه ورجاءه فأحسنوا بالله الظن وارغبوا إليه))[١].

ولاشك أنّ حُسن الظن هذا له انعكاس طبيعي على النظرة إلى العلاقات الاجتماعية مع الناس وثباتها واستمرارها.

فقد روى الصدوق في من لا يحضره الفقيه بإسناده في وصية علي عليه السلام لولده محمد بن الحنفية قال: **((ولا يغلبن عليك سوء الظن بالله عزّ وجل؛ فإنه لن يدع بينك وبين خليلك صلحاً))**[٢].

٤. إن حب الله من أعظم الصفات التي تنسحب على جميع مناحي حياة الإنسان؛ وقد أكد القرآن الكريم هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ**﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً للهِ**﴾[٤].

وقد وردت روايات أهل البيت عليهم السلام تؤكد هذه الصفة في العلاقات الاجتماعية، وتجعلها قائمة على أساس الحب في الله والبغض في الله تعالى، واعتبرت أنّ حقيقة الدين، هو هذا الحب وهذه المودة، كما سبق أنْ أشرنا إلى ذلك عندما تحدثنا عن محتوى العلاقة الاجتماعية، وقلنا: إنها هي المودة والحب، وأعلى مستوىً لهذه المودة وهذا الحب أنْ يكونا حبّاً ومودة في الله

---

(١) وسائل الشيعة١١: ١٨١، ح٣.

(٢) من لا يحضره الفقيه٤: ٣٨٥، ح٥٨٣٤.

(٣) آل عمران: ٣١.

(٤) البقرة: ١٦٥.

تعالى.

فقد سبقت رواية الكليني في الكافي بطريق معتبر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: ((**من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله فهو ممّن كمل إيمانه**))[١].

وفي رواية أُخرى معتبرة عن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: ((**إذا جمع الله الأولين والآخرين قام منادٍ فنادى يسمع الناس فيقول: أين المتحابون في الله؟ قال: فيقوم عُنق من الناس فيقال لهم: اذهبوا إلى الجنّة بغير حساب، قال: فتلقّاهم الملائكة فيقولون: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنّة بغير حساب، قال: ويقولون: وأي حزب أنتم من الناس؟ فيقولون: نحن المتحابون في الله، قال: فيقولون: أي شيء كانت أعمالكم؟ قالوا: كنا نحب في الله ونبغض في الله، قال: فيقولون: نعم أجر العاملين**))[٢].

وفي رواية ثالثة صحيحة السند عن أبي عبيدة زياد الحذّاء، عن أبي جعفر عليه السلام (في حديث) أنه قال له: ((**يا زياد، ويحك! وهل الدين إلاّ الحب؟! ألا ترى إلى قوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ أو لا ترى قول الله لمحمد صلى الله عليه وآله: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ وقال: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ فقال: الدين هو الحب، والحب هو الدين**))[٣].

٥. ومن هذه الصفات العالية رجاء العبد لله تعالى في كل أمر مهما ضاقت به الأحوال أو اشتدت عليه الأُمور أو تراكمت عليه الذنوب،

---

(١) الكافي٢: ١٢٥، ح١.

(٢) وسائل الشيعة١١: ٤٣٢، ح٦.

(٣) وسائل الشيعة١١: ٤٣٥، ح٧.

والخوف من الله تعالى في كل الأحوال مهما صلح حاله أو كثرت عبادته، وقد أكد القرآن الكريم على هذه الصفة في مواضع عديدة عندما تحدث عن المؤمنين: ﴿**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً**﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ**﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿**وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[٣].

وفي رواية عن علي بن إبراهيم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**كان أبي يقول: إنه ليس من عبد مؤمن إلاّ وفي قلبه نوران، نور خيفة ونور رجاء، لو وزن هذا لم يزد على هذا، ولو وزن هذا لم يزد على هذا**))[٤].

وعن حماد بن عيسى، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: ((**كان فيما أوصى به لقمان لابنه أنْ قال: يا بني خف الله خوفاً لو جئته ببر الثقلين خفت أنْ يعذبك الله، وارجُ الله رجاءً لو جئته بذنوب الثقلين رجوت أنْ يغفر الله لك**))[٥].

وروى الشريف الرضي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في خطبة له: ((**يدعي بزعمه أنه يرجو الله، كذب والعظيم، ما باله لا يتبيّن رجاؤه في عمله؟! فكل من رجا عُرف رجاؤه في عمله، وكل رجاء إلاّ رجاء الله تعالى فإنه مدخول، وكل خوف محقّق إلاّ خوف الله فإنه معلول؛ يرجو الله في الكبير، ويرجو العباد في الصغير فيعطي العبد ما لا يعطي الرّب، فما بال**

---

(١) السجدة:١٦.

(٢) الإسراء:٥٧.

(٣) الأعراف:٥٦.

(٤) وسائل الشيعة١١: ١٧٠، ح٤.

(٥) وسائل الشيعة١١: ١٧٠، ح٦.

الله جل ثناؤه يُقصِّر به عما يُصنع لعباده؟ أتخاف أن تكون في رجائك له كاذباً؟ أو تكون لا تراه للرجاء موضعاً؟ وكذلك إنْ هو خاف عبداً من عبيده أعطاه من خوفه ما لا يعطي ربّه، فجعل خوفه من العباد نقداً وخوفه من خالقه ضِماراً ووعداً...))[1].

الصفات التي تعبّر عن السلوك المتميز

وأما القسم الثاني، وهو الصفات التي تعبّر عن السلوك المتميز والقدوة في العلاقات الاجتماعية فهي عديدة، وقد تحدثنا عن عدد منها في هذا البحث حيث كان لها ارتباط بتلك الموضوعات، مثل: التواضع، والعفة، والحلم، والعفو، والرفق، وكظم الغيظ، ونشير هنا إلى مجموعة أخرى من مفردات هذه الصفات التي لها أهمية خاصة في العلاقات الاجتماعية، وتعبّر عن القدوة في العلاقات، وهي: الصبر والزهد، والحياء، وأداء الأمانة، والقناعة، والورع عن المحارم، والاستدامة في العمل.

الصبر

يتعرض الإنسان في حركته الاجتماعية وعلاقاته مع الناس إلى مشاكل وتعقيدات ومحن وآلام واختبار وامتحان؛ ولذلك فهو في أشد الحاجة إلى الطاقة والقوة التي يتغلب بها على جميع هذه المصاعب، ويجتاز بها هذا الطريق ويتحمل بها الضغوط، وهذه الطاقة إنما هي الصبر والثبات والاستقامة؛ وقد ورد في القرآن الكريم في آيات عديدة التأكيد ومدحه والثناء عليه، وما أعده الله تعالى من أجر وثواب للصابرين، وكذلك على الاستقامة والثبات.

كما ورد عن أهل البيت عليهم السلام تأكيد ذلك في أحاديث كثيرة، ولعل من

---

(١) نهج البلاغة٢: ٥٧، الخطبة١٦٠.

أفضل هذه الأحاديث ما رواه الكليني في أصول الكافي في باب الصبر، وقد جمع فيه بين الآيات القرآنية والحديث الشريف. عن حفص بن غياث قال: ((قال أبو عبد الله عليه السلام: يا حفص، إنّ من صبر صبر قليلاً، وإنّ من جزع جزع قليلاً، ثم قال: عليك بالصبر في جميع أمورك ؛ فإنّ الله عزّ وجل بعث محمداً صلى الله عليه وآله فأمره بالصبر والرفق، فقال: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً ۞ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي النَّعْمَةِ﴾، وقال تبارك وتعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ [السيئة][1] فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۞ وَمَا يُلَقَّاهَا إلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ فصبر رسول الله صلى الله عليه وآله حتى نالوه بالعظائم، ورموه بها فضاق صدره فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۞ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾، ثم كذبوه ورموه، فحزن لذلك فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ ۞ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ فألزم النبي صلى الله عليه وآله نفسه الصبر، فتعدّوا فذكروا الله تبارك وتعالى وكذبوه، فقال: قد صبرت في نفسي وأهلي وعرضي ولا صبر لي على ذكر الهي؛ فأنزل الله عزّ وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُغُوبٍ ۞ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ فصبر النبي صلى الله عليه وآله في جميع أحواله، ثم بشر في عترته بالأئمة عليهم السلام ووصفوا بالصبر فقال جل ثناؤه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا

---

(١) هكذا وردت الآية في هذا الحديث، وفي المصحف لا توجد كلمة ((السيئة)) في هذه الآية.

بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾، فعند ذلك قال النبيﷺ: الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، فشكر الله عز وجل ذلك له، فأنزل الله عز وجل ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾، فقالﷺ: إنه بشرى وانتقام، فأباح الله عز وجل له قتال المشركين، فأنزل الله ﴿اقْتُلُوا[1] الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾، ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ فقتلهم الله على يدي رسول اللهﷺ وأحبائه، وجعل له ثواب صبره مع ما ادّخر له في الآخرة؛ فمن صبر واحتسب لم يخرج من الدنيا حتى يقرّ [الله] له عينه في أعدائه مع ما يدّخر له في الآخرة))[2].

وعن محمد بن علي بن الحسين، عن أمير المؤمنينعليه السلام في وصيته لمحمد ابن الحنفية قال: ((ألق عنك واردات الهموم بعزائم الصبر؛ عود نفسك الصبر فنعم الخلق الصبر، واحملها على ما أصابك من أهوال الدنيا وهمومها))[3].

وعن أبي بصير، عن أبي عبد اللهعليه السلام قال: ((سمعت أبا جعفرعليه السلام يقول: إني لأصبر من غلامي هذا ومن أهلي على ما هو أمرّ من الحنظل. إنه من صبر نال بصبره درجة الصائم القائم، ودرجة الشهيد الذي قد ضرب بسيفه قدام محمدﷺ))[4].

وعن أبي عبد اللهعليه السلام قال: ((إنّا صُبّر وشيعتنا أصبر منا، قلت: جعلت

---

(١) في المصحف الشريف (فاقتلوا).

(٢) الكافي٢: ٨٨، ح٣.

(٣) وسائل الشيعة١١: ٢٠٨، ح٣.

(٤) وسائل الشيعة١١: ٢٠٩، ح٥.

فداك كيف صار شيعتكم أصبر منكم؟ قال: لأنا نصبر على ما نعلم وشيعتنا يصبرون على ما لا يعلمون))[١].

الزهد

يتعرض الإنسان في حياته ومعيشته وكذلك في علاقاته الاجتماعية إلى ضغوط الهوى وشهوات الدنيا ورغباتها المختلفة؛ الأمر الذي قد يربك كل مسيرة الإنسان عندما يريد أنْ يستجيب لكل هذه الشهوات والآفات؛ ومن ثم يحتاج إلى نظرة موضوعية للدنيا وما فيها تجعله قادراً على التعامل مع كل هذه الأشياء، ومن خلال العقل والمصلحة وما ينتهي به إلى الكمالات الحقيقية، ويعني الزهد في الدنيا معرفة حقيقتها وموقعها من حياة الإنسان والنظرة الواقعية الصادقة؛ ولذلك نجد أنّ القرآن الكريم يحث على الزهد في قوله تعالى: **﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ ۞ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۞ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ ۞ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾**[٢].

وقد جاء الحديث عن أهل البيت يؤكد هذا الاتجاه ويشرحه في سيرة

---

(١) الكافي٢: ٩٣، ح٢٥.

(٢) الحديد: ٢٠ – ٢٣.

الإنسان الصالح (القدوة).

عن محمد بن يحيى عن الهيثم بن واقد الحريري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**من زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه، وانطق بها لسانه، وبصّره عيوب الدنيا داءها ودواءها، وأخرجه من الدنيا سالماً إلى دار السلام**))[١].

وعن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**سمعته يقول: جعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا، ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يجد الرجل حلاوة الإيمان في قلبه حتى لا يبالي من أكل الدنيا، ثم قال أبو عبد الله: حرام على قلوبكم أنْ تعرف حلاوة الإيمان حتى تزهد في الدنيا**))[٢].

وعن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ((**قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ من أعون الأخلاق على الدين الزهد في الدنيا**))[٣].

وعن علي بن هاشم بن البريد، عن أبيه أنّ رجلاً سأل علي بن الحسين عليهما السلام عن الزهد، فقال: ((**عشرة أشياء، فأعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع، وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين، وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرّضا. ألا وإنّ الزهد في آية من كتاب الله عزّ وجل: ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾**))[٤].

وعن جميل بن درّاج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**مرّ رسول**

---

(١) الكافي٢: ١٢٨، ح١.

(٢) الكافي٢: ١٢٨، ح٢.

(٣) الكافي٢: ١٢٨، ح٣.

(٤) الكافي٢: ١٢٨، ح٤.

الله ﷺ بجدي أسكّ ملقىً على مزبلة ميتاً فقال لأصحابه: كم يساوي هذا؟ فقالوا: لعله لو كان حياً لم يساوِ درهماً، فقال النبي ﷺ: والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذا الجدي على أهله))[١].

وعن الزهري محمد بن مسلم بن شهاب قال: **((سئل علي بن الحسين عليه السلام أيُّ الأعمال أفضل عند الله عزّ وجل؟ فقال: ما من عمل بعد معرفة الله عزّ وجل ومعرفة رسوله ﷺ أفضل من بغض الدنيا؛ وإنّ لذلك لشعباً كثيرة وللمعاصي شعباً، فأول ما عُصي الله به الكبر، وهي معصية إبليس حين أبى واستكبر وكان من الكافرين، والحرص وهي معصية آدم وحوّا**[٢] **حين قال الله عزّ وجل لهما: ﴿كُلا**[٣] **مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فأخذا ما لا حاجة بهما إليه فدخل ذلك على ذرّيتهما إلى يوم القيامة؛ وذلك أنّ أكثر ما يطلب ابن آدم ما لا حاجه به إليه.**

ثم الحسد وهي معصية ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله، فتشعّب من ذلك حبّ النساء وحب الدنيا وحب الرئاسة وحب الراحة وحب الكلام وحب العلوّ والثروة، فصرن سبع خصال، فاجتمعن كلهن في حب الدنيا، فقال الأنبياء والعلماء بعد معرفة ذلك: حبُّ الدنيا رأس كل خطيئة، والدنيا دنياوان: دنيا بلاغ ودنيا ملعونة))[٤].

---

(١) الكافي٢: ١٢٩، ح٩.

(٢) المعروف لدى الإمامية أن النهي لآدم عن أكل الشجرة كان نهياً تنزيهياً إرشادياً، والتعبير بالمعصية هنا تعبير مجازي.

(٣) في المصحف الشريف (فكلا).

(٤) الكافي٢: ١٣٠، ح١١.

القناعة

وتكوّن القناعة جانباً من الخلفية النفسية للإنسان الذي يكون زاهداً في هذه الدنيا، ويكون قادراً نفسياً وروحياً على التعامل مع شهواتها ولذاتها، ولذلك لابدّ للإنسان أنْ يربي نفسه على التحلّي بهذه الصفة.

وقد أكد القرآن الكريم هذه الصفة في مثل قوله تعالى: ﴿**فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ**﴾[١].

أو قوله تعالى: ﴿**وَلا تَمُدَّنَ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ**﴾[٢].

وقد ورد الحديث عن أهل البيت عليهم السلام يؤكد هذه الصفة المتميزة في سلوك الإنسان.

ففي رواية عن أحمد بن أبي عبد الله، عن عمرو بن أبي المقدام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**مكتوب في التوراة: ابن آدم كن كيف شئت كما تَدين تُدان، من رضي من الله بالقليل من الرزق قبل الله منه اليسير من العمل، ومن رضي باليسير من الحلال خفّت مؤنته وزكت مكسبته وخرج من حدّ الفجور**))[٣].

وعنه عليه السلام قال: ((**من قنع بما رزقه الله فهو من أغنى الناس**))[٤].

وعن حمزة بن حران قال: ((**شكا رجل إلى أبي عبد الله عليه السلام أنه يطلب فيصيب ولا يقنع، وتنازعه نفسه إلى ما هو أكثر منه، وقال: علّمني شيئاً**

---

(١) التوبة:٥٥.

(٢) طه:١٣١.

(٣) الكافي٢: ١٣٨، ح٤.

(٤) الكافي٢: ١٣٩، ح٩.

أنتفع به، فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنْ كان ما يكفيك يغنيك فأدنى ما فيها يغنيك، وإنْ كان ما يكفيك لا يغنيك فكل ما فيها لا يغنيك))[1].

الورع عن المحارم

ويعتبر الورع عن المحارم الجانب الآخر من الخلفية النفسية للزهد في الدنيا وشهواتها؛ حيث يجب على الإنسان أنْ يختار من الدنيا ما حلل الله تعالى له منها: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾[2]. ويجتنب الفواحش والإثم والرجس والزور، وقد جعل الله تعالى في مقدمة صفات المؤمن بعد إيمانه بالله وتوكله عليه هذه الصفة: ﴿**وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ**﴾[3].

لذا جاء عن أهل البيت عليهم السلام التأكيد لأهمية ودور اجتناب المحارم والورع عنها، ففي رواية عن علي بن إبراهيم، عن عمرو بن سعيد بن هلال الثقفي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**قلت له: إني لا ألقاك إلاّ في السنين، فأخبرني بشيء آخذ به، فقال: أوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد، واعلم أنه لا ينفع اجتهاد لا ورع فيه))**[4].

وعن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: ((**كثيراً ما كنت أسمع أبي يقول: ليس من شيعتنا من لا تتحدّث المخدّرات بورعه في خدورهنّ، وليس من أوليائنا**

---

(١) الكافي٢: ١٣٩، ح١٠.

(٢) الأعراف:٣٢.

(٣) الشورى:٣٧.

(٤) الكافي٢: ٧٦، ح١.

من هو في قرية فيها عشرة آلاف رجل فيهم من خلق الله أورع منه))[١].

وعن حنان بن سدير قال: ((**قال أبو الصباح الكناني لأبي عبد الله عليه السلام: ما نلقى من الناس فيك؟! فقال أبو عبد الله عليه السلام: وما الذي تلقى من الناس فيّ؟ فقال: لا يزال يكون بيننا وبين الرجل الكلام فيقول: جعفري خبيث، فقال: يعيّركم الناس بي؟! فقال له أبو الصباح: نعم. قال: فقال: ما أقلّ والله من يتّبع جعفراً منكم، إنما أصحابي من اشتدّ ورعه، وعمل لخالقه، ورجا ثوابه، فهؤلاء أصحابي))**[٢].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: ((**كل عين باكية يوم القيامة غير ثلاث: عين سهرت في سبيل الله، وعين فاضت من خشية الله، وعين غضت عن محارم الله))**[٣].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**فيما ناجى الله عزّ وجل به موسى عليه السلام: يا موسى، ما تقرب إليّ المتقرّبون بمثل الورع عن محارمي، فإني أُبيحهم جنّات عدن لا أشرك معهم أحداً))**[٤].

الحياء

ويعدّ الحياء صفة نفسية وخلقية عالية تمنع الإنسان من الاندفاع في الشهوات والانسياق مع الغرائز، وتعطي فرصة للعقل في التحكم بسيرة الإنسان واختيار الصالح فيها؛ ولذلك جاء التأكيد لأهمية هذه الصفة وخصوصاً في النساء، باعتبار ما أودع فيها من الشهوة بما يزيد على الرجل؛

---

(١) الكافي٢: ٧٩، ح١٥.

(٢) الكافي٢: ٧٧، ح٦.

(٣) الكافي٢: ٨٠، ح٢.

(٤) الكافي٢: ٨٠، ح٣.

فإنّ الحياء هو الذي يضبط هذه الشهوة.

فقد روى الكليني في الكافي بطريق معتبر عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ((**خلق الله الشهوة عشرة أجزاء، فجعل تسعة أجزاء في النساء، وجزءاً واحداً في الرجال؛ ولولا ما جعل الله فيهن من الحياء على قدر أجزاء الشهوة لكان لكل رجل تسع نسوة متعلّقات به**))[1].

ومن هنا نجد أنّ أهل البيت عليهم السلام يجعلون الحياء من الإيمان، وبدون الحياء فلا إيمان.

روى الكليني في الكافي بطريق معتبر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: ((**الحياء من الإيمان والإيمان في الجنّة**))[2].

وعن معاذ بن كثير عن أحدهما عليهما السلام قال: ((**الحياء والإيمان مقرونان في قَرَن، فإذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه**))[3].

وعن أحمد بن أبي عبد الله، عن بعض أصحابنا، رفعه قال: ((**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الحياء حياءان: حياء عقل وحياء حمق، فحياء العقل هو العلم، وحياء الحمق هو الجهل**))[4].

الصدق وأداء الأمانة

ولعل من أكثر الصفات المتميزة ذات الصلة المباشرة بالعلاقات الاجتماعية، والتي تعبّر عن القدوة الصالحة هما الصدق والأمانة، وقد عرف عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه كان يوصف قبل البعثة بـ(الصادق الأمين)

---

(١) الكافي٥: ٣٣٨، ح١.

(٢) الكافي٢: ١٠٦، ح١.

(٣) الكافي٢: ١٠٦، ح٤.

(٤) الكافي٢: ١٠٦، ح٦.

وكان لهذه الصفة دور مهم في التأثير على مسيرة الدعوة الإسلامية.

وقد أكد القرآن الكريم هذه الصفة فأمر بها ونهى عن مخالفتها ووصف عباده المؤمنين بها في آيات عديدة، كما وصف بها بعض أنبيائه في مقام التأكيد لأهميتها، كقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ**﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً**﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً**﴾[٣].

وقد ورد حديث أهل البيت عليهم السلام ليؤكد هذه الصفة كثيراً، فقد روى الكليني في الكافي بطريق معتبر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: ((**إنّ الله عزّ وجل لم يبعث نبياً إلاّ بصدق الحديث وأداء الأمانة إلى البر والفاجر**))[٤].

وعن إسحاق بن عمّار وغيره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**لا تغترّوا بصلاتهم ولا بصيامهم؛ فإنّ الرجل ربما لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش، ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة**))[٥].

وعن عمرو بن أبي المقدام قال: ((**قال لي أبو جعفر عليه السلام في أول دخلة**

---

(١) المؤمنون:٨.

(٢) مريم:٥٤.

(٣) الأحزاب:٣٥.

(٤) الكافي٢: ١٠٤، ح١.

(٥) الكافي٢: ١٠٤، ح٢.

دخلت عليه: تعلّموا الصدق قبل الحديث))[1].

وعن أبي كهمس قال: ((**قلت لأبي عبد الله عليه السلام: عبد الله بن أبي يعفور يقرئك السلام. قال: عليك وعليه السلام. إذا أتيت عبد الله فأقرئه السلام وقل له: إنّ جعفر بن محمد يقول لك: انظر ما بلغ به علي عليه السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله فالزمه، فإنّ علياً عليه السلام إنما بلغ ما بلغ به عند رسول الله صلى الله عليه وآله بصدق الحديث وأداء الأمانة))**[2].

وعن عبد الله بن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**كونوا دعاة للناس بالخير بغير ألسنتكم؛ ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع))**[3].

الاستقامة

إن صفة الاستقامة في العمل والثبات فيه والاستمرار عليه، لها تأثير كبير في بناء شخصية الإنسان وتطور العلاقات الاجتماعية وثباتها.

وقد أكد أهل البيت عليهم السلام هذه الصفة من خلال النصح بالبقاء والاستمرار في العمل سنة - على الأقل - من أجل أنْ لا يوجد انطباع للإنسان أنه متغير ومتقلب، مضافاً إلى أنّ نتائج العمل لا تظهر عادة في وقت قصير، بل لابدّ من الصبر والانتظار فيه حتى يتأكد الإنسان من صلاحه وفساده.

فقد روى الكليني في الكافي بطريق معتبر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: ((**أحب الأعمال إلى الله عز وجل ما داوم عليه العبد وإنْ قل))**[4].

---

(١) الكافي٢: ١٠٤، ح٤.

(٢) الكافي٢: ١٠٤، ح٥.

(٣) الكافي٢: ١٠٥، ح١٠.

(٤) الكافي٢: ٨٢، ح٢.

وكذلك روى بطريق معتبر عن علي بن الحسين عليهما السلام أنه كان يقول: ((**إني لأحب أنْ أداوم على العمل وإنْ قل**))[١] و((**إنّي لأحب أنْ أقدم على ربي وعملي مستوٍ**))[٢].

نماذج لصورة القدوة الصالحة

وقد أراد أهل البيت عليهم السلام من خلال هذه الإرشادات والنصائح أنْ توجد الجماعة الصالحة، بل القدوة الصالحة في المجتمع الإسلامي - كما أشاروا إلى ذلك في بعض الأحاديث السابقة - ولذلك نجدهم عليهم السلام يؤكدون على شيعتهم - بل يستنكرون أحياناً غير ذلك - أنْ يتحلّوا بأعلى الأخلاق الإسلامية الراقية التي تجسد هذه القدوة.

وهنا نشير إلى بعض النماذج التي تحدث فيها أهل البيت عليهم السلام عن شيعتهم الحقيقيين والقدوة الراقية للجماعة الصالحة.

عن حمران بن أعين، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**كان علي بن الحسين عليه السلام قاعداً في بيته إذ قرع قوم عليهم الباب فقال: يا جارية، انظري من بالباب؟ فقالوا: قوم من شيعتك، فوثب عجلاً حتى كاد أنْ يقع، فلما فتح الباب ونظر إليهم رجع فقال: كذبوا! فأين السمت في الوجوه؟ أين أثر العبادة؟ أين سيماء السجود؟ إنما شيعتنا يعرفون بعبادتهم وشعثهم، قد قرحت العبادة منهم الآناف، ودثرت الجباه والمساجد، خمص البطون، ذبل الشفاه، قد هيّجت العبادة وجوههم، وأخلق سهر الليالي وقطع الهواجر جثثهم، المسبّحون إذا سكت الناس، والمصلّون إذا نام الناس، والمحزونون**

---

(١) الكافي٢: ٨٢، ح٤.

(٢) الكافي٢: ٨٢، ح٥.

إذا فرح الناس، يعرفون بالزهد، كلامهم الرحمة، وتشاغلهم بالجنّة))[١].

وعن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ((**قال: يا جابر، إنما شيعة علي عليه السلام من لا يعدو صوته سمعه ولا شحناؤه بدنه، لا يمدح لنا قالياً، ولا يواصل لنا مبغضاً ولا يجالس لنا عائباً، شيعة علي عليه السلام من لا يهرُّ هرير الكلب، ولا يطمع طمع الغراب، ولا يسأل الناس وإنْ مات جوعاً، أولئك الخفيضة عيشهم**[٢] **المتنقلة ديارهم، إنْ شهدوا لم يعرفوا، وإنْ غابوا لم يفتقدوا، وإنْ مرضوا لم يعادوا، وإنْ ماتوا لم يشهدوا، في قبورهم يتزاورون. قلت: وأين أطلب هؤلاء؟ قال: في أطراف الأرض بين الأسواق، وهو قول الله عزّ وجل: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾))**[٣].

وعن أبي بصير قال: ((**قال الصادق عليه السلام: شيعتنا أهل الورع والاجتهاد وأهل الوفاء والأمانة، وأهل الزهد والعبادة، أصحاب إحدى وخمسين ركعة في اليوم والليلة، القائمون بالليل، الصائمون بالنهار، يزكون أموالهم ويحجون البيت ويجتنبون كل محرّم))**[٤].

وعن ابن أبي نجران قال: ((**سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: من عادى شيعتنا فقد عادانا، ومن والاهم فقد والانا، لأنهم منّا، خلقوا من طينتنا، من أحبهم فهو منّا، ومن أبغضهم فليس منّا. شيعتنا ينظرون بنور الله، ويتقلّبون في رحمة الله، ويفوزون بكرامة الله، ما من أحد من شيعتنا يمرض إلاّ مرضنا لمرضه، ولا اغتمّ إلاّ اغتممنا لغمّه، ولا يفرح إلاّ فرحنا**

---

(١) بحار الأنوار ٦٥: ١٦٩، ح٣٠.

(٢) هكذا وردت في المصدر، وصوابها إمّا ((الخفيضة عيشتهم)) أو ((الخفيض عيشهم)).

(٣) بحار الأنوار ٦٥: ١٦٨، ح٢٨.

(٤) بحار الأنوار ٦٥: ١٦٧، ح٢٣.

لفرحه، ولا يغيب عنا أحد من شيعتنا أين كان في شرق الأرض أو غربها، ومن ترك من شيعتنا ديناً فهو علينا، ومن ترك منهم مالاً فهو لورثته.

شيعتنا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويحجون البيت الحرام، ويصومون شهر رمضان ويوالون أهل البيت ويتبرأون من أعدائهم، أولئك أهل الإيمان والتقى، وأهل الورع والتقوى، من ردّ عليهم فقد ردّ على الله، ومن طعن عليهم فقد طعن على الله؛ لأنهم عباد الله حقاً، وأولياؤه صدقاً. والله إنّ أحدهم ليشفع في مثل ربيعة ومضر فيشفّعه الله فيهم لكرامته على الله عزّ وجل))[1].

ونختم هذه النماذج بالنص الرائع البديع المروي عن أمير المؤمنين في تصوير شيعة أهل البيت عليهم السلام المعروف بوصف المتقين، والذي أشرنا إلى بعض فقراته في خصائص الجماعة الصالحة[2].

---

(١) بحار الأنوار ٦٥: ١٦٧، ح٢٥.

(٢) ذكر الكراجكي في الكنز بإسناده عن أبي حمزة الثمالي، عن يحيى بن أم الطويل، عن نوف البكالي **((قال: عرضت لي إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حاجة فاستتبعت إليه جندب بن زهير والربيع بن خثيم، وابن أخته همّام بن عباده بن خثيم وكان من أصحاب البرانس، فاقبلنا معتمدين لقاء أمير المؤمنين عليه السلام فألفيناه حين خرج يؤمُّ المسجد، فأفضى ونحن معه إلى نفر مبدّنين قد أفاضوا في الأُحدوثات تفكّهاً وبعضهم يلهي بعضاً، فلما أشرف لهم أمير المؤمنين عليه السلام أسرعوا إليه قياماً فسلّموا فردَّ التحية ثم قال: من القوم؟ قالوا: أُناس من شيعتك يا أمير المؤمنين، فقال لهم خيراً ثم قال: يا هؤلاء ما لي لا أرى فيكم سمة شيعتنا، وحلية أحبّتنا أهل البيت؟ فأمسك القوم حياء.**

قال نوف: فأقبل عليه جندب والربيع فقالا: ما سمة شيعتكم وصفتهم يا أمير المؤمنين؟

فتثاقل عن جوابهما، وقال: اتقيا اللّه أيها الرجلان وأحسنا فإن اللّه مع الذين
←

((أما بعد، فإنّ الله سبحانه وتعالى خلق الخلق حين خلقهم غنياً عن طاعتهم، آمناً من معصيتهم؛ لأنه لا تضره معصية من عصاه، ولا تنفعه طاعة من أطاعه، فقسم بينهم معيشتهم، ووضعهم من الدنيا مواضعهم، فالمتقون فيها هم أهل الفضائل: منطقهم الصواب وملبسهم الاقتصاد، ومشيهم التواضع. غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم. نُزّلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نُزّلت في الرخاء، ولولا الأجل الذي كتب الله عليهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الثواب، وخوفاً من العقاب. عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم.

فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون، وهم والنار كمن قد رآها، فهم فيها معذبون. قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونة، وأجسادهم نحيفة، وحاجاتهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة. صبروا أياماً قصيرة أعقبتهم راحة طويلة، تجارة مربحة يسرّها لهم ربهم. أرادتهم الدنيا فلم يريدوها، وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها.

أما الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن يرتلونها ترتيلاً، يحزّنون به أنفسهم ويستثيرون به دواء دائهم، فإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً، وتطلّعت نفوسهم إليها شوقاً، وظنّوا أنها نصب أعينهم، وإذا مروا

اتقوا والذين هم محسنون.

فقال همام بن عبادة وكان عابداً مجتهداً: أسألك بالذي أكرمكم أهل البيت وخصّكم وحباكم، وفضلكم تفضيلاً إلاّ أنبأتنا بصفة شيعتكم، فقال: لا تقسم فسأنبئكم جميعاً، وأخذ بيد همام فدخل المسجد فسبح ركعتين أوجزهما وأكملهما وجلس وأقبل علينا وحفّ القوم به، فحمد اللّه وأثنى عليه وصلى على النبيﷺ ثم قال:...))

عن بحار الأنوار٦٥: ١٩٢، ح٤٨.

بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم، وظنوا أنّ زفير جهنم وشهيقها في أُصول آذانهم، فهم حانون على أوساطهم، مفترشون لجباههم وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم، يطلبون إلى الله تعالى في فكاك رقابهم، وأما النهار فحلماء علماء، أبرار أتقياء، قد براهم الخوف بري القِداح، ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى، وما بالقوم من مرض، ويقول: لقد خولطوا! ولقد خالطهم أمرٌ عظيم، لا يرضون من أعمالهم القليل، ولا يستكثرون الكثير، فهم لأنفسهم متهمون، ومن أعمالهم مشفقون، إذا زكي أحدٌ منهم خاف مما يقال له، فيقول: أنا أعلم بنفسي من غيري، وربي أعلم بي مني بنفسي. اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني أفضل مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون.

فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة في دين، وحزماً في لين، وإيماناً في يقين، وحرصاً في علم، وعلماً في حلم، وقصداً في غنى، وخشوعاً في عبادة، وتجملاً في فاقة، وصبراً في شدة، وطلباً في حلال، ونشاطاً في هدى، وتحرجاً عن طمع، يعمل الأعمال الصالحة وهو على وَجَل، يمسي وهمه الشكر، ويصبح وهمه الذكر. يبيت حذراً ويصبح فرحاً؛ حذاراً لما حُذِّر من الغفلة، وفرحاً بما أصاب من الفضل والرحمة. إنْ استصعبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما تحب. قرة عينه فيما لا يزول، وزهادته فيما لا يبقى. يمزج الحلم بالعلم، والقول بالعمل. تراه قريباً أمله، قليلاً زَلَلُه، خاشعاً قلبه، قانعة نفسه، منزوراً أكله، سهلاً أمره، حريزاً دينه، ميتةً شهوته، مكظوماً غيظه، الخير منه مأمول، والشر منه مأمون. إنْ كان في الغافلين كُتب في الذاكرين، وإنْ كان في الذاكرين لم يكتب من الغافلين. يعفو عمن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه، بعيداً فحشه، ليناً قوله، غائباً منكره، حاضراً معروفه، مقبلاً خيره، مدبراً شره، في الزلازل وقور، وفي المكاره صبور، وفي الرخاء شكور. لا يحيف على من يبغض،

ولا يأثم فيمن يحب. يعترف بالحق قبل أنْ يشهد عليه، لا يُضيع ما استُحفظ، ولا ينسى ما ذُكّر، ولا ينابز بالألقاب، ولا يضار بالجار، ولا يشمت بالمصائب، ولا يدخل في الباطل، ولا يخرج من الحق. إنْ صمت لم يغمه صمته، وإنْ ضحك لم يعلُ صوته، وإنْ بُغي عليه صبر حتى يكون الله هو الذي ينتقم له. نفسه منه في عناء، والناس منه في راحة. أتعب نفسه لآخرته، وأراح الناس من نفسه. بعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهة، ودنوّه ممن دنا منه لين ورحمةٌ، ليس تباعده بكبر وعظمة، ولا دنوّه بمكر وخديعة))[1].

---

(١) نهج البلاغة٢: ١٦٠، الخطبة١٩٣.

الباب السابع

نظام الشعائر والعبادات

تمهيد:

الشعائر والعبادات ودورها في الإسلام

القسم الأول:

نظام الشعائر

القسم الثاني:

نظام العبادات

تمهيد

يعتبر نظام الشعائر والعبادات من أهم الأنظمة في الإسلام عامة والجماعة الصالحة خاصة. ومن خلال مراجعة عامة للنظام الإسلامي نجد أنّ الشعائر والعبادات احتلت مساحة واسعة في هذا النظام سواء على مستوى الأعمال والسلوك، أم على مستوى الأقوال، أم على مستوى المراسيم والأيام.

ومن الملاحظ أنّ موضوع الشعائر والعبادات أصبح موضوعاً متداخلاً في الإسلام؛ حيث إنّ الشعائر - التي هي عبارة عن المراسيم والآداب والنشاطات التي تميز الأُمة الإسلامية عن غيرها من الأُمم، وتكون علامة فارقة لها عن الجماعات الأخرى - اختلطت بالعبادات الإسلامية في الشكل والمضمون حتى أصبحت العبادات شعائر للإسلام، مثل: الصلاة والصوم والحج والزكاة وغيرها، وأصبحت الشعائر في الإسلام عبادة كالأعياد والأيام، بل وحتى الرسوم الاجتماعية من الزواج وغيره أو السلام والبسملة وغيرهما، فإنها عبادات يتقرب بها إلى الله تعالى.

وقد ورد في القرآن الكريم التعبير بالشعائر عن أعمال عبادة الحج في عدة أماكن، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ**﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿**وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ**﴾[٢].

وقوله تعالى في سياق الحديث عن وجوب الحج وأعماله: ﴿**ذَلِكَ وَمَنْ**

---

(١) البقرة:١٥٨.

(٢) الحج:٣٦.

يُعَظِّمْ شَعَائِرَ الله فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾(١).

كما عبر القرآن الكريم عن موقف مزدلفة المقدس - الذي أمر بذكر الله تعالى فيه - بالمشعر الحرام: **﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا الله عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾**(٢).

كما ورد في الحديث عن أهل البيت عليهم السلام تسمية النداء الذي يتفق عليه القائلون في الحرب بالشعار؛ وذلك من أجل أنْ يتميزوا ويعرف بعضهم الآخر، ولا يختلطوا بأعدائهم.

فقد ورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: ((**شعارنا يا محمد يا محمد، وشعارنا يوم بدر يا نصر الله اقترب اقترب، وشعار المسلمين يوم أُحد يا نصر الله اقترب، ويوم بني النضير يا روح القدس أرح، ويوم بني قينقاع يا ربنا لا يغلبنّك، ويوم الطائف يا رضوان، وشعار يوم حنين يا بني عبد الله يا بني عبد الله، ويوم الأحزاب هم لا يبصرون، ويوم بني قريظة يا سلام أسلمهم، ويوم المريسيع وهو يوم بني المصطلق ألا إلى الله الأمر، ويوم الحديبية ألا لعنة الله على الظالمين، ويوم خيبر يوم القموص يا عليّ آتهم من عل، ويوم الفتح نحن عباد الله حقاً حقاً، ويوم تبوك يا أحد يا صمد، ويوم بني الملوح أمت أمت، ويوم صفين يا نصر الله، وشعار الحسين عليه السلام يا محمد، وشعارنا يا محمد**))(٣).

وقد ذكر في لسان العرب عن الزجاج في تفسير قوله تعالى: «**﴿يَا أَيُّهَا**

(١) الحج:٣٢.

(٢) البقرة:١٩٨.

(٣) وسائل الشيعة١١: ١٠٥، ح١.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾[١]، إنَّ شعائر الله يعني بها جميع متعبَّدات الله التي أشعرها الله، أي جعلها أعلاماً لنا، وهي كل ما كان من موقف أو مسعىً أو ذبح...»[٢].

وانطلاقاً من هذا الفهم يمكن أنْ نعرف أنَّ المقصود من الشعائر الإسلامية هي: تلك العبادات التي تقتضي اجتماعاً خاصاً ومتميزاً يُعرف به المسلمون، مثل الحج وصلاة الجمعة والجماعة، أو أوقاتاً معينة يختص المسلمون بإحيائها والالتزام بها وتميزهم عن غيرهم من الناس، مثل الأعياد ولاسيما عيدي الفطر والأضحى، أو أماكن خاصة للذكر والعبادة يقدسها المسلمون ويلتزمون باحترامها، مثل المساجد، ولاسيما المسجد الحرام، ومسجد النبي، والمسجد الأقصى، والمواقف مثل عرفات، ومزدلفة، والصفا والمروة. أو علامات ورسوم وآداب في القول والعمل تتفق عليها جماعة المسلمين للتعارف والتمايز كالسلام والهتاف.

وأما العبادات فهي عبارة عن الصيغ والممارسات الخاصة التي شرعها الله تعالى لعباده من أجل أنْ يعبّروا فيها عن صلتهم به، وتكون طريقاً يصل العبد من خلاله إلى ربه ويقربه إليه، مثل الصلاة والدعاء والصوم والإنفاق والزكاة والخمس والذكر، كالحمد والتسبيح والتكبير التي ترد في ضمن صيغ معينة وأوقات مشخصة. علماً أن الله سبحانه وتعالى بفضله ومنّه فتح الباب أمام الإنسان أنْ يأتي بكل أعماله وتصرفاته على وجه قربي وعبادي، عندما يقصد به الاستجابة للطلب الإلهي والإرشاد الرباني. ولكن العبادات يراد منها هنا تلك الصيغ التوقيفية المشخصة التي ورد نص خاص بها وشكل محدد لأدائها.

---

(١) المائدة:٢.

(٢) لسان العرب٤: ٤١٤.

ويحق بنا في البداية أنْ نشير إشارة مختصرة إلى أهمية الشعائر والعبادات، ودورها في النظرية الإسلامية وفلسفة تشريعها[١].

١. الشعائر وأهميتها

تعتبر الشعائر أحد الخطوط الثابتة في الشريعة الإسلامية؛ لأنها تعبر عن حاجات إنسانية ثابتة في الحياة الاجتماعية للإنسان؛ ولذلك فهي لا تتغير بتغير أساليب الحياة الاجتماعية أو ظروف التطور المدني في حياة الإنسان.

وهذا الثبات في الشعائر ينطلق من الدور الذي تقوم به الشعائر الذي يعبر عن هذه الحاجات الثابتة في الحياة الإنسانية، والذي يمكن أنْ نتبينه في الأبعاد الأربعة التالية:

الأول: أنّ الشعائر تعتبر إطاراً يحفظ للجماعة وجودها من الضياع، وتماسكها ووحدتها من التفكيك والتفرق، وهذا يعبر عن حاجة اجتماعية ثابتة في الحياة الإنسانية.

الثاني: أنّ الشعائر لها دور مهم في تشخيص هوية الجماعة، وترسيخ انتمائها إلى الإسلام، وتميزها عن الجماعات الأخرى، بحيث تحقق الشعائر أصالة الأُمة واستقلال شخصيتها، وينمّي فيها الشعور بالاعتزاز والكرامة والانتماء إلى الإسلام، والهوية والاستقلال والعزة والكرامة من الحاجات الإنسانية الثابتة.

الثالث: أنّ الشعائر لها دور في تحقيق الهدف الأساسي من الرسالة،

---

(١) تناولنا دور الشعائر بشيء من التفصيل في بحث البسملة من تفسير سورة الحمد، وكذلك في تفسير سورة الجمعة. وقد تناول سيدنا الأُستاذ الشهيد الصدر موضوع العبادات في بحث مستقل ألحقه برسالته العملية (الفتاوى الواضحة) تحت عنوان نظرة عامة في العبادات؛ وللاستزادة من هذا الموضوع يمكن مراجعة هذه الأبحاث في موضعها.

وهو إيجاد عملية التنوير الإلهي والتغيير الاجتماعي الصالح، حيث تكون الشعائر ممارسة فعلية أو قولية تؤثر على المحتوى الداخلي (النفسي) للإنسان: الشعوري والعاطفي والعقلي من خلال الممارسة المستمرة، وتطابق الظاهر مع الباطن والشكل مع المضمون، هذا من ناحية الفرد الممارس، ومضافاً إلى ذلك يكون لها دور في الحالة الاجتماعية العامة وشؤون الأفراد الآخرين من خلال ما توجده من عرف عام يكون له تأثير أكبر من القوانين والتشريعات أحياناً. فهي تساهم بشكل فعال في إيجاد حالة الثبات والاستقرار والانسجام العام في الفرد والمجتمع.

الرابع: أنّ الشعائر لها آثار ومداليل تعبر عن حاجات ثابتة متعددة: (تربوية) كإيجاد العرف العام الذي يساهم في ضبط السلوك الاجتماعي للأفراد، و(سياسية) من خلال الأداء الجمعي للشعائر، كما في صلاة الجماعة والجمعة والحج الذي يظهر قوة الجماعة وتماسكها وعزتها وكرامتها، ويؤدي إلى كسر حالة الخوف والتردد عند بعض الأفراد من خلال الانسجام في الحركة مع الآخرين، و(اجتماعية) من خلال تأكيدها للعلاقات الاجتماعية بين الجماعة وإيجاد روح التكافل والتعاون والتفاهم والمودة بين أفرادها، وتبادل المنافع والمصالح بينها ﴿**لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ**﴾[1]، كما هو في الحج، و(إعلامية) من خلال ما تقدمه الشعائر للناس من مضامين عقائدية ومفاهيم فكرية وأخلاقية، وكذلك ما يمكن أنْ تكون بعض الشعائر أفضل وسيلة للتعبير عن المتبنيات السياسية والاجتماعية.

---

(١) الحج:٢٨.

٢. العبادات ودورها[١]

تعتبر العبادات في الشريعة الإسلامية أحد الخطوط الثابتة فيها، التي لا تتغير بطريقة الحياة العامة وظروف التطور المدني؛ ومن هنا فهي تعالج حاجة ثابتة في حياة الإنسان.

وهذا الثبات والحاجة باعتبار أنّ العبادة تعبر عن علاقة بين الإنسان وربه، وهي علاقة ثابتة ومستمرة وفطرية. وتتبين هذه الحاجة في:

أولاً: أنّ الإنسان بحاجة للإنتماء إلى الله تعالى المطلق في الكمال ليستمر في مسيرته التصاعدية؛ ولئلا يتعرض للضياع في حالة عدم الانتماء، أو يتعرض إلى الجمود والركود والسقوط في مستنقع الوثنية والغلو، عندما يحوّل الولاءات النسبية الضيقة في حياته إلى مطلقات ينتمي إليها فيتوقف عندها في حركته.

والعبادة هي تعبير عملي موجه من هذا الانتماء إلى المطلق، ينمي في الإنسان إيمانه بالله تعالى من خلال ممارسة العبادة التي تؤكد مضمون هذا الانتماء، وفي الوقت نفسه يؤكد رفض المطلقات والآلهة الأُخرى.

ثانياً: أنّ الإنسان في مسيرته العملية (الاجتماعية) بحاجة إلى أنْ يقوم بأعمال من أجل الجماعة والمصلحة العامة، كما يقوم أحياناً بأعمال من أجل مصلحته الخاصة، ولاشك أنّ الدافع الذاتي للقيام بالعمل من النوع الثاني متحقق من خلال الفائدة التي يحصل عليها الإنسان، بخلاف النوع الأول، حيث قد لا يتناسب الجهد الذي يبذله الإنسان في تحقيق هذا النوع مع ما يصله من منفعة محدودة ضمن الجماعة، بل قد يكون العمل من أجل

---

(١) يمكن الاستفادة في شرح هذا الموضوع - كما ذكرنا - مما كتبه سيدنا الأُستاذ الشهيد الصدر في رسالته العملية (الفتاوى الواضحة) الفصل الأخير (نظرة عامة في العبادات).

المصلحة العامة على حساب مصلحته الخاصة.

وهنا يأتي دور العبادة التي تربي الإنسان على أنْ يقوم بالأعمال من أجل الله تعالى وفي سبيله، فيكون لها دور مهم في تربية الإنسان على أنْ يقوم بالأعمال من أجل المصالح العامة، ويتجاوز ذاته ومنافعه الخاصة فيها؛ وذلك من خلال هذا الارتباط بالله تعالى.

ثالثاً: أنّ المجتمع الإنساني بحاجة دائماً إلى وجود ضمانات يلتزم الأفراد في ظلها بتطبيق النظام الذي يحكم المجتمع؛ حيث نلاحظ أنّ النظام الاجتماعي - مهما كان شكله - حاجة ثابتة في المجتمعات الإنسانية.

وهذا الضمان تارة يكون هو العقوبات المادية والمعنوية التي يضعها المجتمع للمخالفين، وأُخرى يكون هو الشعور الداخلي بالمسؤولية أمام النظام والقانون. ولاشك أنّ نظام العقوبات محدود الفاعلية؛ لأنه لا يمكن أنْ يلاحق الفرد في جميع حركاته وسكناته، بخلاف الإحساس الداخلي بالمسؤولية.

وهنا يأتي دور العبادة في تنمية الشعور بالمسؤولية؛ لأنها تنمي الارتباط بالله تعالى والشعور برقابته التي لا يعزب عنها مثقال ذرة في السماوات والأرض.

الملامح المميزة للعبادة في الإسلام

ومضافاً إلى الأدوار التي تؤديها العبادة في حياة الإنسان، نجد مجموعة من الملامح تتميز بها العبادة في الإسلام، وهي:

أ) الشمولية: أنّ العبادة جاءت في الإسلام شاملة لجميع مناحي الحياة الإنسانية الشخصية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، بل دعا الإسلام أنْ يكون جميع سلوك الإنسان عبادياً حتى في المأكل والمشرب واللذات والشهوات التي يحبها ويهواها الإنسان، وفتح الباب أمام قصد القربة إلى

الله وتأكيد الارتباط به في جميع أفعال الإنسان ونشاطاته.

ب) الغيبية: أنْ الأعمال والنشاطات العبادية عامة، وإنْ كان لها تفسير منظور ومشهود نفسي وروحي أو مادي خارجي أو اجتماعي عام.

ويشهد بذلك في بعض الأحيان التقدم العلمي، بل نلاحظ أيضاً أنَ العلم كلما تقدم فتح الآفاق الجديدة حول فهم هذا الجانب من العبادة.

ولكن بالرغم من ذلك كله نلاحظ في العبادات (الشعائرية) - مثل الصلاة والصوم والحج وغيرها - جانباً من الغيبية في السلوك العبادي الذي لا يمكن تفسيره إلاّ على أساس أنّ الهدف منه هو تأكيد الارتباط بالغيب، وتصعيد الإيمان به لدى الإنسان، فعدد الركعات - مثلاً - في الصلوات، وهكذا بعض أعمال الحج من الطواف والسعي وغيرهما، نجد فيها هذه الجوانب؛ إذ لا يمكن تفسيرها إلاّ على أساس التعبّد بالأوامر الإلهية.

ج) الحسية: ومضافاً إلى الغيبية نلاحظ الحسية في العبادات الإسلامية؛ باعتبار أنَ الإنسان مركب من روح ومادة، وفيه جانب غيبي وجانب حسي، ومن أجل انسجام العبادة في ممارساتها مع هذين الجانبين نجد أنَ الإسلام كما أكد النية والخلوص من ناحية والإقبال على الله تعالى في العبادة، والتعبّد بأوامره والطاعة له من ناحية أُخرى، حيث يعبران عن الجانب الروحي في الإنسان، كذلك أكد على الجوانب الحسية في الممارسة، كما نلاحظ ذلك في الصلاة والحج من خلال الاستقبال والقيام والركوع والسجود والطواف حول الكعبة، والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار، وفي غير الصلاة والحج من الواجبات والمستحبات.

وبذلك كان الإسلام ديناً وسطاً على خلاف الاتجاهين الآخرين المتطرفين، اللذين يُلغي أحدهما جميع التجسيدات الحسية للعبادة ويفترضها حالة روحية ونفسية محضة، ويحوّل الاتجاه الآخر العبادة إلى مجرد

ممارسة حسية خارجية بعيدة عن المضمون والمدلول الروحي والقصدي فتتحول إلى حالة وثنية.

د) **الاجتماعية:** ومضافاً إلى ذلك كله نجد في كثير من العبادات الجانب الاجتماعي الذي يراد منه ترسيخ وتوثيق الروابط بين أبناء المجتمع الإنساني نفسه؛ فالهدف الأساس للعبادة، وإنْ كان هو توثيق العلاقة بالله تعالى - كما ذكرنا - إلاّ أنّ البعد الاجتماعي يعتبر هدفاً ثانوياً - ولكنه مهماً - في بعض العبادات أيضاً، كما نلاحظ في الحج وصلاة الجماعة وصلاة الجمعة والعيدين والجهاد في سبيل الله فضلاً عن الزكاة وغيرها.

كما أنّ الشعارات في نفسها تستهدف هذا الجانب الاجتماعي من خلال توحيد الأُمة وتشخيص هويتها كما ذكرنا. وكما هو في القبلة والعيدين وصلاة الجمعة.

وقد كان لهذه الأدوار والملامح أثرها في تأكيد الإسلام لدور العبادة والشعائر في النظام الإسلامي عامة.

ويمكن من خلال دراسة تفصيلية لكل عبادة أنْ نجد الكثير من الأهداف والنتائج والآثار.

وتبعاً للنظرية الإسلامية في التأكيد لدور الشعائر والعبادات نجد أنّ أهل البيت عليهم السلام يحثون شيعتهم في هذا الجانب، ويؤكدونه بشكل تفصيلي ورائع من خلال شرح وتقديم أمثلة ونماذج وتفاصيل عن الشعائر والعبادات، بحيث تستوعب الحياة اليومية والأُسبوعية والسنوية للإنسان المسلم، وتمكنوا من خلال ذلك أنْ يرسخوا دعائم البناء الروحي والاجتماعي للجماعة، ويعمقوا صلة الإنسان الشيعي بالله تعالى ويُحكموا بنيان الكتلة الصالحة عليها.

ونحن هنا لا نتناول بطبيعة الحال النماذج الإسلامية المعروفة في

العبادات، مثل الصلاة والصوم والحج والزكاة والجهاد، أو الشعائر مثل العيدين (الفطر والأضحى) أو السلام وغيرها، فإنّ ذلك أمر معروف وواضح.

وإنما نتناول العبادات والشعائر التي اختص بها أهل البيت عليهم السلام أو اهتموا بها بشكل خاص في تربية الجماعة الصالحة عليها.

أهل البيت والشعائر العامة

ولكن لا يفوتنا - أيضاً - التأكيد أنّ أهل البيت عليهم السلام اهتموا بالشعائر الإسلامية العامة في حديثهم وتربيتهم، حيث ورد عنهم عليهم السلام: ((**بُني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم ينادَ بشيء كما نودي بالولاية**))[1].

وفي الصحيح - كما تقدّم - عن علي بن إبراهيم، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ((**بُني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية. قال زرارة: قلت: وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال: الولاية أفضل؛ لأنها مفتاحهن والوالي هو الدليل عليهنّ، قلت: ثم الذي يلي ذلك في الفضل؟ فقال: الصلاة، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: الصلاة عمود دينكم. قال: قلت: ثم الذي يليها في الفضل؟ قال: الزكاة لأنه قرنها بها وبدأ بالصلاة قبلها وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الزكاة تذهب الذنوب. قلت: والذي يليها في الفضل؟ قال: الحج، قال الله عزّ وجل: ﴿وَلله عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾**[2]. **وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لحجة مقبولة خير من عشرين صلاة نافلة، ومن طاف**

---

(١) الكافي٢: ١٨، ح١.

(٢) آل عمران:٩٧.

بهذا البيت طوافاً أحصى فيه أسبوعه وأحسن ركعتيه غفر الله له، وقال في يوم عرفة ويوم المزدلفة ما قال، قلت: فماذا يتبعه؟ قال: الصوم، قلت: وما بال الصوم صار آخر ذلك أجمع؟ قال: قال رسول الله ﷺ: الصوم جنّة من النار. قال: ثم قال: إنّ أفضل الأشياء ما إذا فاتك لم تكن منه توبة دون أنْ ترجع إليه فتؤديه بعينه؛ إنّ الصلاة والزكاة والحج والولاية ليس يقع شيء مكانها دون أدائها، وإنّ الصوم إذا فاتك أو قصرت أو سافرت فيه أديت مكانه أياماً غيرها، وجزيت ذلك الذنب بصدقة ولا قضاء عليك، وليس من تلك الأربعة شيء يجزيك مكانه غيره. قال: ثم قال: ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمن الطاعة للإمام بعد معرفته؛ إنّ الله عزّ وجل يقول: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ الله وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾[1]، أما لو أنّ رجلاً قام ليله وصام نهاره وتصدّق بجميع ماله وحج جميع دهره ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه، ويكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله عزّ وجل حقّ في ثوابه، ولا كان من أهل الإيمان، ثم قال: أولئك المحسن منهم يدخله الله الجنّة بفضل رحمته))[2].

وعن سليمان بن خالد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ((ألا أخبرك بالإسلام أصله وفرعه وذروة سنامه؟ قلت: بلى جعلت فداك، قال: أمّا أصله فالصلاة، وفرعه الزكاة، وذروة سنامه الجهاد، ثم قال: إنْ شئت أخبرتك بأبواب الخير؟ قلت: نعم جعلت فداك؟ قال: الصوم جنّة من النار، والصدقة تذهب بالخطيئة، وقيام الرجل في جوف الليل بذكر الله، ثم

---

(١) النساء: ٨٠.

(٢) الكافي ٢: ١٨، ح٥.

قرأ عليه السلام: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾))[1].

ولابدّ أنْ نلتفت هنا إلى أنْ عبادة الجهاد هي فرع من فروع ركن (الولاية) الذي ورد في الحديث أنه مما بني عليه الإسلام، كما هو الحال في فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل يمكن إرجاع الخمس إليها إذ لم نلحقه بالزكاة؛ لأنّ القرار في الجهاد وكذلك في نظام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المرجع والمالكية في الخمس هو (الولاية).

وبهذا يمكن أنْ نفهم ما ورد في الحديث من أنّ الجهاد كان هو الذروة والسنام كما كانت الولاية وطاعة الإمام الذروة والسنام؛ لأن الجهاد هو مصداق من مصاديق الطاعة للإمام.

ثم إننا نجد مثل هذا التأكيد ببيانات متعددة في كل واحدة من العبادات الإسلامية العامة الأُخرى.

السنّة النبوية والشعائر المذهبية

ولكن قد يثار هذا السؤال: هل أنّ الشعائر والعبادات الشعائر والعبادات التي اهتم بها أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة بدعة، باعتبار أنها غير معروفة لدى عامة المسلمين؟ حيث يحاول البعض إثارة مثل هذه الشبهات ولاسيما الوهابيين منهم.

إن تفصيل الجواب عن السؤال نحيله ونتركه إلى البحث العقائدي[2]، ولكن نشير هنا إلى جوابين إجماليين:

الأول: أنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام هم الثقل الآخر - كما نص على ذلك

---

(١) الكافي٢: ٢٣، ح١٥.

(٢) هناك كتباً كثيرة تناولت هذا الموضوع، ولاسيما الكتب التي ناقشت أفكار المذهب الوهابي في ما كتبه علماء الشيعة والسنة.

حديث الثقلين الذي رواه جميع المسلمين - المفسّر للقرآن الكريم والمبين للسنة النبوية الشريفة والشريعة الإسلامية السمحة، وهم (المرجع) الإسلامي الأصيل الذي بيّن لهم رسول الله صلى الله عليه وآله جميع تفاصيل الشريعة وتفسير القرآن الكريم وأرجع إليهم المسلمين، كما ذكرنا ذلك في بحث مرجعية أهل البيت عليهم السلام من التفسير[١]، وهم أعرف الناس بالرسالة الإسلامية وأصدقهم قولاً وأكثرهم علماً ودراية بها وأتقنهم في فهمها ومعرفتها.

وقد روى الكليني بطريق معتبر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: ((**نزل جبرائيل على محمد صلى الله عليه وآله برمّانتين من الجنّة، فلقيه علي عليه السلام فقال: ما هاتان الرمّانتان اللتان في يدك؟ فقال: أمّا هذه فالنبوّة، ليس لك فيها نصيب، وأمّا هذه فالعلم، ثم فلقها رسول الله صلى الله عليه وآله بنصفين فأعطاه نصفها وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله نصفها، ثم قال: أنت شريكي فيه وأنا شريكك فيه. قال: فلم يعلم والله رسول الله صلى الله عليه وآله حرفاً مما علّمه الله عزّ وجل إلاّ وقد علّمه علياً، ثم انتهى العلم إلينا، ثم وضع يده على صدره**))[٢].

ومن هنا فإن هذه الشعائر المذهبية - لما كانت مما ورد فيه الحديث والتأكيد عن أهل البيت عليهم السلام - أصبحت في أعلى درجات المشروعية والاعتبار، وكانت سنّة إسلامية أصيلة، لأن أهل البيت عليهم السلام أدرى بالذي فيه، وهم أعرف بأصول الإسلام وفروعه وسننه وآدابه.

---

(١) راجع كتابنا (علوم القرآن) بحث (التفسير والمفسرون) قسم التفسير في عهد الرسول (مرجعية أهل البيت).

(٢) الكافي١: ٢٦٣، ح٣، كما أن هناك العشرات من الروايات التي تدل على هذا المضمون من علم الائمة عليهم السلام.

الثاني: أنّ الشعائر والعبادات المذهبية للجماعة الصالحة ليس فيها ما يخالف الشعائر الإسلامية في الشكل أو المضمون، أو يحرفها ويخرجها عن أهدافها ودورها أو ملامحها التي أشرنا إليها، بل جاءت تأكيداً للشعائر الإسلامية وعلى منهجها ونسقها وتعميقاً لها.

وسوف نلاحظ عند استعراضنا لهذه الشعائر والعبادات المذهبية أنها إمّا أنْ تكون تجسيداً لخط عام أقره الإسلام، كما هو الحال في ألوان الصلاة والدعاء والزيارة، أو تخليداً وتكريماً لذكرى أو مناسبة ذات صلة وطيدة بالإسلام وأحداثه بحيث تكون الشعائر إحياءً لذكر الإسلام وذكر أهل البيت عليهم السلام، مثل المولد النبوي، والمبعث الشريف وعيد الغدير وغيرها، وإمّا أنْ تكون تكريساً وتصعيداً لمضمون أو دعوة إسلامية، كما هو الحال في إحياء شهر رمضان ورجب وشعبان أو ليالي القدر أو أعمال اليوم والليلة وغيرها من الموارد.

وقد كان اهتمام أهل البيت عليهم السلام بهذه الشعائر الخاصة انسجاماً - أيضاً - مع الدور العام للشعائر حيث إنهم لم يكتفوا بالشعائر العامة، بل أرادوا للجماعة الصالحة وشيعتهم أنْ يتميزوا في الخصوصية والهوية، ولو على مستوى الإحساس الداخلي للجماعة أو الروحي والنفسي لها، لاسيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار أنّ ممارسة الجماعة الصالحة للشعائر (العامة) وحدها تجعلهم يتجهون للانصهار في الأوضاع العامة السائدة للناس، فيتأثرون بسوء أوضاع الناس ولا يؤثرون فيهم، وقد أراد أهل البيت عليهم السلام لأتباعهم أنْ يتعايشوا مع الناس لا أنْ يذوبوا في أوضاعهم، بل لابدّ لهم أنْ يتميزوا عنهم قدوةً وأسوة لهم.

كما أنهم في الوقت نفسه لم يكونوا قادرين على ممارسة العبادات والشعائر العامة بحرية وتفاعل؛ وذلك بسبب النظرة السلبية التي يُنظر بها

الناس إلى أتباع أهل البيت عليهم السلام لعوامل سياسية أشرنا إليها في موضوع نظام أمن الجماعة.

وسوف نتناول نظام الشعائر والعبادات في قسمين رئيسين:

الأول: نظام الشعائر.

الثاني: نظام العبادات.

الباب السابع
نظام الشعائر والعبادات

القسم الأول

نظام الشعائر

تمهيد

الفصل الأول:

شعائر أهل البيت عليهم السلام

الفصل الثاني:

الشعائر الإسلامية العامة

الفصل الثالث:

المساجد والأماكن المقدسة

تمهيد

من خلال مراجعة عامة لكتب الحديث والأدعية والزيارات، وللممارسة الواقعية الخارجية لأتباع أهل البيت يمكن أنْ نلاحظ مجموعة من الخطوط الرئيسية للشعائر التي اهتم بها أهل البيت عليهم السلام، وحثوا شيعتهم وأتباعهم عليها وأقاموا بناء الجماعة الصالحة في إطارها، ولكن يلاحظ أنَّ هذه الخطوط تكاد تتمحور بشكل عام حول محورين رئيسين:

أحدهما: تأكيد الشعائر الإسلامية العامة.

الآخر: أهل البيت عليهم السلام أنفسهم.

ولاشك أنَّ تأكيد الشعائر الإسلامية العامة - كما سوف نلاحظ - هو أمر في غاية الوضوح؛ لأن أهل البيت عليهم السلام هم حماة الإسلام وامتداد الرسالة الإسلامية، والإسلام وشعائره يمثل الأساس المهم في بناء الجماعة الصالحة؛ ومن هنا نجد أنّ أهل البيت عليهم السلام يؤكدون - كما ذكرنا - بشكل خاص وواسع الشعائر الإسلامية العامة، وإقامتها حتى في الظروف الصعبة، كالصلاة والحج والزكاة والصوم وغيرها.

وأما جعل (أهل البيت عليهم السلام) محوراً آخر للشعائر فهذا ينطلق من رؤيتهم عليهم السلام للنظرية الإسلامية التي أشرنا إليها آنفاً، وهي أنها تقوم على أركان خمسة: الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية.

والولاية - بحسب نظرهم عليهم السلام - هي الركن الأهم من هذه الأركان الخمسة؛ حيث إنه لم ينادَ بشيء كما نودي بالولاية، وإنَّ الولاية هي الحافظ لهن والوالي هو العارف بهن، وإنَّ الصلاة والزكاة والصوم والحج لا تقبل إلاّ بالولاية كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

ومحور الولاية هم أهل البيت عليهم السلام، بل مضمونها الحقيقي كما نصت على ذلك الآيات الشريفة، مثل آيات المودة، والتطهير، والخمس،

والولاية[١] وغيرها، وكذلك الروايات الشريفة المتواترة عن النبيﷺ مثل أحاديث الغدير والثقلين والسفينة[٢] وغيرها.

ومن هنا يصبح التعبير عن هذا الحب والمودة والولاء لأهل البيتعليهم السلام كما هو ركن عبادي كذلك يكون من الشعائر الإسلامية، عندما يكون التعبير ضمن الصيغ والأساليب العقلائية المشروعة، التي يستخدمها العقلاء في التعبير عن هذه المواثيق والمشاعر النبيلة؛ لأن هذا التعبير عن الحب والولاء إنما هو تعبير عن ركن من الأركان التي بُني عليها الإسلام ضمن الصيغ المشروعة والمحددة من قبل أهل البيتعليهم السلام.

ولذا نجد أنّ أهل البيتعليهم السلام لم يتركوا (الجماعة الصالحة) وبقية المسلمين في هذا المجال دون أنّ يحددوا ويوضحوا مجموعة من الصيغ والمناهج العامة، لتصبح (شعائر) للتعبير عن هذا الحب والمودة اللذين يجمعهما الولاء.

---

(١) الشورى:٢٣، الأحزاب:٣٣، الأنفال:٤١، المائدة:٥٥.

(٢) قال رسول اللّهﷺ: **((أيها الناس من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللّهم والِ من والاه وعادِ من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله، وأحب من أحبه وابغض من أبغضه))**.

عن الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل١: ١٩١، وقال: **((إني أوشك أن أُدعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين كتاب اللّه عزّ وجل وعترتي، كتاب اللّه حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا بم تخلفوني فيهما))**.

عن الطبراني في المعجم الصغير٢: ٢٢، قال رسول اللّهﷺ: **((إنما أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق))**، راجع فضائل الخمسة من الصحاح الستة.

وبـصدد الحـديث عـن الـشعائر ذات العلاقـة بهـذين المحـورين نجد أمامنـا مجموعـة مـن العنـاوين، مثـل: (شـعائر أهـل البيـت) و(الأيـام والليـالي) و(الرسوم والآداب) و(المساجد والأماكن المقدسة) فهنا عدة فصول:



شعائر أهل البيت عليهم السلام

شعائر أهل البيت

لعل أغلب الشعائر الخاصة التي تمارسها الجماعة الصالحة لها ارتباط مباشر أو غير مباشر بأهل البيت عليهم السلام، كما سوف نبين ذلك، ولكن نريد هنا أنْ نتحدث عن الشعائر التي يكون المحور فيها هو أهل البيت عليهم السلام باعتبارهم أشخاصاً لهم مقام سامٍ عند الله تعالى، ولهم منصب الإمامة والولاية؛ ولذا يندرج تحت هذا العنوان الأُمور التالية:

أ) الشعائر الحسينية.

ب) إحياء ذكريات المعصومين.

ج) الزيارات لقبورهم ومقاماتهم.

أ) الشعائر الحسينية

تمثل الشعائر الحسينية وكذلك إحياء ذكريات المعصومين في مضمونها ومحتواها - مضافاً إلى تعبيرها عن الولاء لأهل البيت عليهم السلام عامة وللإمام الحسين خاصة - اجتماعاً للتداول في الأُمور العقائدية والشؤون الأخلاقية والاجتماعية والتاريخية، والقضايا ذات العلاقة بالأُمور الحيوية اليومية التي تهم المسلمين؛ فهي اجتماع يشبه في جانب من مضمونه صلاة الجمعة من حيث مضمونها الاجتماعي، التي يجتمع فيها المسلمون للاستماع إلى خطيب الجمعة الذي يحدثهم ويعظمهم ويذكرهم بالله، ويتناول في حديثه مختلف الأبعاد[1]، وفي جانب آخر من مضمونه يكون التذاكر للعلم والمعرفة والأخلاق.

---

(١) لا تمثل هذه الاجتماعات بطبيعة الحال بديلاً عن صلاة الجمعة؛ لأن صلاة الجمعة فيها حديث وصلاة، ولكنها تمثل امتداداً للمضمون الشعائري في صلاة الجمعة، ونجد في صلاة الجمعة الجذر والخط الإسلامي لهذه الشعائر. منه قدس سره.

وقد تحدثنا في الجانب الثقافي من الباب الثاني عن الشعائر الحسينية وفلسفتها وآثارها ونتائجها الروحية والثقافية والسياسية، وما جاء النص فيه أو اخترعه الناس منها، فلا نحتاج إلى الإعادة بهذا الصدد.

وبالرغم من أنّ الشعائر الحسينية هي إحياء لذكرى واحد من أئمة أهل البيت عليهم السلام وهو الإمام الحسين عليه السلام، إلاّ أننا أفردناها بالحديث؛ لأن لها أهمية وخصوصية من بين هذه الذكريات جميعاً، حيث ذكرنا أنّ أهل البيت أعطوها الكثير من الأهمية والعناية، بحيث تحولت إلى مدرسة ثقافية وروحية وسلوكية في بناء الجماعة الصالحة كما أشرنا.

ونتناول هنا مجمل المراسيم والأوقات التي يلتزم بها أتباع أهل البيت في إحياء الشعائر الحسينية، ويمكن تقسيمها إلى خمسة أصناف رئيسية:

الصنف الأول: العشرة الأُولى من محرم

هو الشعائر في العشرة الأُولى من محرم (وهي من اليوم الأول إلى العاشر منه)؛ حيث نجد أنّ أبناء الجماعة الصالحة عامة وفي جميع مناطق وجودهم يحتفلون بهذه الشعائر، ويجلسون للعزاء والبكاء ومدارسة الحديث في القضايا الثقافية والعقائدية المختلفة، وتكاد أنْ تكون المشاركة لديهم بهذه الشعائر من الواجبات المذهبية؛ بحيث إنّ بعض أبناء الجماعة قد لا يشارك في اجتماع مذهبي طيلة السنة إلاّ في هذه الأيام، ويهتمون فيها بإطعام الطعام والاجتماع وإظهار مظاهر الحزن.

وتتفاوت اهتمامات أبناء الجماعة في هذا المجال حسب اختلاف مستوياتهم الثقافية والفكرية والاجتماعية وظروفهم السياسية.

فبعضهم يهتم بالمجالس الحسينية ويبذل الأموال الطائلة في تحشيد أكبر عدد من الناس فيها، واختيار أفضل الخطباء والمتحدثين والقارئين، وكذلك في الوقت نفسه نجد الكثير من أبناء الجماعة الواعين ثقافياً يهتمون بحضور

هذه المجالس والمشاركة فيها، والاستفادة منها ثقافياً وروحياً وعاطفياً.

وإلى جانب ذلك نجد - أيضاً - من هذا الوسط الاهتمام بالزيارة للإمام الحسين عليه السلام من قرب - أي قصد حرمه الشريف والحضور فيه - أو من بُعد[1] وهي ذكره بالسلام والتحية والتظلم له والبيعة له، والبراءة من أعدائه ولعنهم وذمهم واستنكار عملهم الوحشي.

كما أنّ موضوع البكاء والظهور بمظاهر الحزن والعزاء والألم من القضايا المتميزة في هذه الأيام لدى الأوساط العامة والخاصة من أبناء الجماعة الصالحة.

مضافاً إلى ذلك كله نجد موضوع بذل الطعام والشراب بشكل عام في هذا الموسم الشريف وفي هذه الأيام بشكل خاص.

ومن هنا نعرف أنّ الخطوط التي جاء النص فيها - كما ذكرنا في بحث الشعائر الحسينية - تحظى باهتمام خاص في الأيام العشر الأوائل من شهر محرم الحرام.

ولكن إلى جانب ذلك نجد ألواناً أُخرى من الاهتمامات خصوصاً في الأوساط العامة من أتباع أهل البيت تعبيراً عن الخط الثالث، وهو الخروج في مواكب ومسيرات تجوب الشوارع للتعبير عن الولاء والحزن، أو القيام بمراسم (التمثيل) و(التشبيه) لبعض جوانب المأساة والمصيبة، مثل السير إلى كربلاء أو حرق الخيام أو مسيرة الأسرى أو غير ذلك، أو تمثيل جميع الأحداث التي جرت في يوم العاشر من محرم الحرام. وغير ذلك من النشاطات العامة التي لم يرد فيها نص وإنما اخترعها الناس للتعبير عن

---

(١) سوف نشير في (شعار الزيارة) بشكل مستقل إلى أنّ هناك زيارات في أوقات مخصوصة للإمام الحسين عليه السلام ولغيره من أئمة أهل البيت تزار من قرب وبعد.

عواطفهم وأحاسيسهم[١].

---

(١) ومن المؤسف أن بعض هذه الفعاليات أو غيرها (كالتطبير) تجري أحياناً مقترنة بأعمال منافية للذوق العام، أو غير مشروعة أو تكون بنفسها أو بعض ممارساتها بعيدة عن الأهداف التي استهدفها أئمة أهل البيت عليهم السلام من وراء هذه الشعائر؛ وغالباً ما يقوم بهذا النوع من النشاط (السَوَقة) و(العامة) من الناس الذين لا يشاركون في هذه الشعائر إلاّ في مثل هذه الأيام، ومن ثم فهم يرون أنّ هذه الأساليب أقرب إلى فهمهم وطريقتهم في التعبير عن العواطف والمشاعر؛ ولذا نجد أنّ العلماء والمتفقهين والواعين من أبناء الجماعة الصالحة لا يشاركون في هذه النشاطات المنافية، بل يستنكرونها أحياناً بالبيانات، أو الكلام، أو ينكرونها بقلوبهم عندما لا يجدون من يسمع لهم، أو يخافون الفتنة والاختلاف والنزاع الذي يكون ضرره أحياناً أكبر من وجود هذه المخالفات.

كما أنّ بعض الظروف السياسية التي مرت بهذه الشعائر وتصدي الحكام الطغاة والظلمة للقضاء عليها، بهدف القضاء على أصل الشعائر كلها، جعل بعض العامة يتعصبون لها كما يتعصبون للإمام الحسين عليه السلام، وبعض العلماء يسكتون أو يأذنون بممارستها حرصاً منهم على استمرار أصل الشعائر؛ لأن العامة يمثلون القوة الشعبية التي يمكن أنْ تقف أمام الحكام الطغاة، أو لأن بعض العلماء يرون أن ممارسة هذا العمل في نفسه لا يوجد دليل على حرمته، فهو مباح بالأصل، وفي ممارسته (شعارا) مصلحة أو دفع مفسدة في مثل هذه الظروف، أو يرونه أفضل طريق لجمع العامة وجذبهم للاحتفال بذكرى الحسين عليه السلام.

ولكن الموقف الصحيح الذي تبناه المرجع الأعلى في عصره الإمام الحكيم رحمه الله في أيامه الأخيرة، وكذلك قائد الثورة الإسلامية في إيران الإمام الخميني رحمه الله، وكذلك القرار الذي أصدره من بعده خليفته آية اللّه السيد علي الخامنئي دام ظله وموقف جماعة من كبار العلماء، هو أنّ مثل هذه الشعائر أصبح ضررها على الجماعة الصالحة أكبر من نفعها؛ إذ تشوه صورتها وتقف حائلاً بين أنوار الأئمة وأصالة فهمهم للإسلام وبين جمهور الناس من المسلمين، مضافاً إلى وجود شبهة (البدعة)

←

ويختص اليوم العاشر من هذه الأيام ببلوغ المراسيم أوجها؛ حيث تعطل الأسواق ويشترك جميع أبناء الجماعة - تقريباً - بمراسيم العزاء ويتم إعداد الطعام بما يكفي جميع المشاركين.

الصنف الثاني: محرم وصفر

وهو بقية الأيام من شهر محرم وشهر صفر، حيث تأتي في أهميتها بالدرجة الثانية بعد العشرة الأُولى من محرم؛ فيتحول هذان الشهران إلى موسم للشعائر الحسينية تقام فيه المجالس العامة من قبل الأصناف والجماعات في الأماكن العامة والخاصة، ويتخذون كل (عشرة) من هذين الشهرين فصلاً جديداً تشبهاً بالعشرة الأُولى، ويذكرون فيها ما يناسبها من الخصوصيات، حتى تنتهي بالأربعين الحسيني، وتكون العشرة الأخيرة ذات علاقة برجوع السبايا إلى المدينة، وكذلك بوفاة النبي صلى الله عليه وآله على ما سوف نشير إليه في ضمن الإشارة إلى هذه المناسبة.

والطابع العام في هذا الصنف من الشعائر هو (المجالس)، باستثناء الأربعين الذي تشكل فيه المواكب والمسيرات وتقصد العتبات المقدسة مثل كربلاء في العراق، ومشهد الإمام الرضا عليه السلام ومشهد فاطمة بنت موسى عليه السلام وغيرهما في إيران، أو الأماكن العامة المقدسة كالمساجد الكبيرة أو الحسينيات أو المؤسسات؛ كل ذلك تجديداً للعهد مع الإمام الحسين عليه السلام وتخليداً لرجوع السبايا إلى كربلاء كما في بعض الروايات.

المحرمة فيها؛ لأنها يؤتى بها أحياناً على أنها عمل عبادي يتقرب به إلى اللّه، ولم يرد نص شرعي يثبت التعبد بها منه تعالى لا بخصوصها ولا بعنوان عام ينطبق عليها واللّه سبحانه وتعالى أعلم. منه قدس سره.

الصنف الثالث: المجالس الأُسبوعية

المجالس الأُسبوعية أو الشهرية التي اعتاد شيعة أهل البيت والجماعة الصالحة أنْ يقيموها دورياً في كل أُسبوع أو شهر، سواء في الأماكن العامة لهم أم في بيوتهم، وذلك استجابة لنداء الأئمة في عقد هذه الاجتماعات، كما أشرنا إلى الأحاديث التي وردت منهم في ذلك في بحث نظام العلاقات الاجتماعية.

وبذلك أصبحت قضية الإمام الحسين والولاء لأهل البيت وذكرهم محوراً لهذه الاجتماعات كما حث أهل البيت عليهم السلام على ذلك ؛ وإنْ كان الحديث فيها يتناول أيضاً مختلف القضايا العقائدية والأخلاقية والسلوكية والتاريخية والأدبية وغيرها.

ولذا نجد أنّ الجماعات أو الأشخاص يختارون يوماً أو ليلة من الأُسبوع أو الشهر ويلتزمون بعقد الاجتماع فيه حسب ظروفهم، فتكون هذه الاجتماعات مدرسة مستمرة وقائمة على طول السنة، ويحاولون أنْ ينسقوا الأيام والأوقات بينهم ليستفيد الجميع من هذه الاجتماعات؛ وإنْ كان الأكثر يختار ليلة الجمعة ويومها باعتبار خصوصية هذين الوقتين. ومن خلال هذه الاجتماعات تتأكد العلاقات الاجتماعية وتتحقق المنافع الدينية والدنيوية الصالحة، فتتحول مثلاً اجتماعات أهل العلم إلى أبحاث علمية، وأهل الأدب إلى اجتماعات أدبية، والتجار إلى أحاديث تجارية، وهكذا، فكل ذلك يحدث بعد ذكر أهل البيت وما يتناوله الخطيب من موضوعات دينية.

الصنف الرابع: المجالس في شهر رمضان

هو المجالس في شهر رمضان المبارك، حيث يتحول هذا الموسم العبادي

الشريف - كما سوف نشير إليه - إلى موسم ثقافي أيضاً من خلال عقد المجالس العامة التي يكون طابعها ذكر الإمام الحسين عليه السلام؛ ولكن الحديث فيها يتناول عادة الموضوعات الإسلامية بشكل أعم وأشمل، وتتركز هذه الموضوعات عادة في القضايا الأخلاقية والروحية والسلوكية والأحكام الشرعية وقراءة القرآن، وإنْ كانت تشمل - أيضاً - الموضوعات الفكرية والعقائدية والتاريخية.

وبهذا نجد موازنة بين موسم شهر رمضان وبين موسم محرم وصفر من الناحية الثقافية، حيث يتم التركيز في الموسم الأول على القضايا السياسية، والنهضة ضد الظلم والطغيان والفساد وأهدافها وعواملها وأسبابها التأريخية، وكذلك الجانب العاطفي والمشاعري، مضافاً إلى العقائد المذهبية.

وأمّا في موسم شهر رمضان فيكون التركيز على القضايا الأخلاقية والروحية والأحكام الشرعية ذات العلاقة بالسلوك الإنساني، وخصوصاً مسائل الصلاة والصوم والزكاة وغيرها، مضافاً إلى تلاوة القرآن والجانب العقائدي المرتبط بأُصول الدين كالتوحيد والنبوة والوحي والمعاد.

كل ذلك مع وجود مشتركات بين هذين الموسمين ترتبط بالأوضاع العامة لأبناء الجماعة الصالحة، وكذلك بموضوع الإمام الحسين عليه السلام.

الصنف الخامس: المناسبات الخاصة

هو المجالس الحسينية في المناسبات الخاصة، حيث اهتم أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة بموضوع عقد الاجتماعات بين أتباعهم في مختلف المناسبات، وكانت الشعائر الحسينية هي محور هذه الاجتماعات، ففي مناسبات وفيات الأشخاص تعقد مجالس تعزية المصابين، ويكون المحور فيها قراءة القرآن الكريم وذكر مصيبة الإمام الحسين عليه السلام، أو أصحابه قربة إلى

الله تعالى وتخفيفاً لألم المصاب على الناس.

وكذلك في مناسبات أُخرى مثل المجيء من الحج أو الأسفار الطويلة، أو الانتقال إلى مسكن أو بيت جديد، أو افتتاح مؤسسة عامة أو خاصة، أو الشفاء من المرض الشديد وغير ذلك من المناسبات ذات الطبيعة العامة التي يقتضي الوضع الاجتماعي عقد الاجتماعات فيها، وحتى بعض القضايا الخاصة التي يبتلى بها بعض الناس حيث يتقربون إلى الله تعالى أو يتبركون بذكر الحسين عليه السلام، وعقد المجالس لذكره، بحيث أصبحت هذه الاجتماعات شعاراً لهذه الجماعة الصالحة.

ب) إحياء ذكرات المعصومين عليهم السلام

إنّ إحياء ذكريات المعصومين عليهم السلام يمكن أنْ نقسمه إلى صنفين:

الأول: إحياء شهاداتهم ووفياتهم.

الثاني: إحياء مواليدهم وأفراحهم.

١. إحياء الوفيات والشهادات

أمّا الصنف الأول فإنّ الجماعة الصالحة - انطلاقاً من تأكيد أهل البيت عليهم السلام لإحياء أمرهم كما أشرنا إلى ذلك في بحث العلاقات الاجتماعية - اهتموا بإحياء شهادات ووفيات المعصومين الثلاثة عشر من أهل البيت عليهم السلام (النبي الأكرم وابنته فاطمة الزهراء والأئمة الأحد عشر)، وكذلك بعض أولادهم وشيعتهم، مثل: مسلم بن عقيل وزينب الكبرى، وزيد بن علي وأبي طالب وأُم البنين وغيرهم.

والاتجاه العام في ثقافة الجماعة الصالحة أنّ الأئمة عليهم السلام منهم تعرض للقتل والاستشهاد بالسيف، وهما الإمامان أمير المؤمنين والحسين بن علي عليهما السلام، ومنهم من استشهد بالسم وهم باقي الأئمة باستثناء الإمام

الحجة عجل الله فرجه الذي لا يزال حياً.

وهذا المعنى وإنْ لم يثبت تاريخياً إلاّ بالنسبة لعدد معين من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وهم الحسن والكاظم والرضا عليهم السلام، إلاّ أن المتحدثين والقراء يستندون فيه إلى رواية معتبرة عن الإمام الرضا عليه السلام يقول فيها: ((**ما منا إلاّ مقتول أو مسموم**))[1].

والروايات في تشخيص أيام وفيات الأئمة وشهادتهم وإنْ كانت مختلفة، حيث يبدو أنّه لم يتم ضبط تاريخي دقيق لهذا الأمر لأسباب لا مجال لذكرها، لكن الجماعة الصالحة قد التزمت بصفة عامة ببعض هذه الروايات تبعاً لاجتهاد كبار علمائهم بهذا الصدد، وأصبحت الأيام المعينة بها هي التي يحتفل بها أتباع أهل البيت عليهم السلام بوجه عام، مع اختلاف جزئي بين بعض المناطق سوف نشير إليه إجمالاً.

وتكاد تكون هذه الوفيات والشهادات موزعة على مختلف شهور السنة، باستثناء شهر شعبان[2]، بحيث تؤلّف هذه الاحتفالات دورة سنوية، مما يؤكد فكرة أنّ هذا العمل كان مخططاً تخطيطاً دقيقاً في أوساط الجماعة الصالحة؛ ليكون أحد شعارات الجماعة الصالحة ذات المضامين المتعددة الثقافية والروحية والاجتماعية ومنسجماً مع ظروفها الاجتماعية.

وفي هذه الاجتماعات يتم بحث حياة المعصوم وإبراز مظلوميته، مضافاً إلى تناول الأحداث التأريخية ذات العلاقة به بالتحليل، وكذلك تناول بعض الموضوعات العقائدية الإسلامية أو المذهبية، أو تناول بعض الوصايا والمواعظ الأخلاقية ذات الصلة بالإمام صاحب الذكرى، ويتم ختم المجلس والاجتماع عادة بذكر مصيبة الإمام الخاص وكذلك مصيبة الإمام

---

(١) بحار الأنوار ١٠٢: ٣٢، ح٢.

(٢) شهر شعبان شهر المواليد والأفراح كما سوف يتبين من العنوان الثالث.

الحسين عليه السلام.

وتكاد تكون هذه المجالس صورة أُخرى من المجالس الحسينية التي تحدثنا عنها آنفاً، ولكن مع عناية خاصة بحياة الإمام صاحب الذكرى.

وهناك اهتمام خاص في أوساط الجماعة عامة بذكرى النبي صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام والزهراء البتول عليها السلام من بين المعصومين، مضافاً إلى ذكرى الإمام الحسين عليه السلام كما سبق، ولكن في بعض الأوساط يوجد اهتمام خاص ببعض الأئمة الآخرين، ولاسيما الأوساط القريبة من المشهد الذي دفن فيه الإمام صاحب الذكرى. فمثلاً في الكاظمية يوجد اهتمام خاص بشهادة الإمام الكاظم، بحيث تصبح المراسيم والشعائر ذات صفة عامة وشاملة وتعطل فيها الأسواق وتخرج المواكب، وكذلك الأمر في شهادة الإمام الرضا عليه السلام في خراسان، بل في عموم إيران، وكذلك وفاة الإمام الهادي عليه السلام في سامراء[1].

ونذكر هنا قائمة تحتوي الأيام المعروفة التي أُرّخت فيها وفيات وشهادات هؤلاء المعصومين عليهم السلام كما هو معروف في أوساط الجماعة الصالحة:

١. وفاة النبي الأعظم: ٢٨ صفر.

٢. شهادة الإمام علي عليه السلام: ١٩ - ٢١ رمضان، حيث جرح في التاسع عشر من رمضان واستشهد في الواحد والعشرين منه.

٣. شهادة الصديقة فاطمة الزهراء: ٨ ربيع الثاني و ١٥ جمادى الأولى و٣ جمادى الثانية، حيث إنّ هناك روايات عديدة مختلفة في يوم وفاتها، وتقام المجالس عادة في التاريخين الأخيرين، وتمتد المجالس أحياناً بينهما لفترة

---

(١) كانت تقام المواكب وتقصده الناس في العراق من مناطق مختلفة، وقد قام المجرمون حكام البعث العفلقي بالتضييق على مجمل هذه النشاطات ومنعها؛ انطلاقاً من موقف العداء لأهل البيت عليهم السلام وأتباعهم. منه قدس سره.

عشرين يوماً. وفي العراق تقام بعض المجالس في التأريخ الأول.

٤. وفاة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: ٧ صفر في العراق، و ٢٨ صفر في إيران حيث تكون مع مناسبة وفاة النبي.

٥. شهادة الإمام الحسين عليه السلام: ١٠ محرم، وقد سبق الحديث عنها.

٦. شهادة الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: ٢٥ محرم الحرام، وقد تقام في الثاني عشر من محرم.

٧. شهادة الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام: ٧ ذي الحجة الحرام.

٨. شهادة الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: ٢٥ شوال.

٩. شهادة الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام: ٢٥ رجب.

١٠. شهادة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: ١٧ صفر في العراق، وآخر صفر في إيران.

١١. شهادة الإمام محمد بن علي الجواد التقي عليه السلام: آخر ذي القعدة.

١٢. شهادة الإمام علي بن محمد الهادي النقي عليه السلام: ٣ رجب.

١٣. شهادة الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام: ٨ ربيع الأول.

٢. إحياء مواليدهم وأفراحهم

وأمّا الصنف الثاني فهو الاحتفاء بمواليد المعصومين إلى جانب إحياء ذكرى وفياتهم وشهاداتهم، وبذلك توجد بعض الموازنة بين الاهتمام البالغ بالأحزان والآلام والاهتمام بالأفراح ومناسبات السرور.

ويتم الاحتفاء وإحياء ذكرى المواليد بطريقة مختلفة بعض الشيء عن إحياء الوفيات والشهادات:

فأولاً: تحتل مظاهر الزينة محل مظاهر الحزن والعزاء.

وثانياً: يكون الأداء والحديث هو ذكر فضائل أهل البيت عليهم السلام ومقاماتهم عن طريق إلقاء الخطب، وكذلك الشعر والمدائح والأناشيد، ومشاركة

الحاضرين بإظهار البهجة والسرور.

وثالثاً: يكون الطابع العام لذكريات المواليد هو الطابع الأدبي والمشاعري، حيث تعقد الاحتفالات والمهرجانات التي يشارك فيها الشعراء والأدباء والخطباء المتعددون، وإنْ كان يقترن في بعض الأحيان بالأحاديث الثقافية والعقائدية خصوصاً في ميلاد بقية الله في الأرض الإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف، حيث إن فرصة الحديث خاصة تكون بمناسبة ميلاده الشريف، ومن ثم فهي تجمع بين نوعي الحديث المطلوب.

وفي مجال مواليد المعصومين عليهم السلام نجد أنّ الاحتفال العام يكون عادة مختصاً ببعض المعصومين، بخلاف الوفيات والشهادات فإنها تشمل جميع المعصومين المستشهدين كما ذكرنا، ولعل السبب في ذلك هو وجود الاتجاه العام لدى الجماعة الصالحة بإبراز الظلامة والآلام والمحن التي تعرض لها أهل البيت عليهم السلام؛ لأنها هي الظاهرة الواقعية البارزة في تاريخهم من ناحية، وتاريخ أتباعهم من ناحية أُخرى.

مضافاً إلى أنّ هذا الاهتمام يمد أبناء الجماعة الصالحة بمقومات الصبر والصمود، وبالوضوح في رؤية الأحداث وفهمها، وكذلك رؤية سنن التأريخ وحركته، وللتأسي بأهل البيت عليهم السلام.

ولعل هذا الاتجاه يعتمد على مثل ما روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام من قوله: ((**ونحن أعيادنا مآتمنا**))[1]، ومن قوله عليه السلام: ((**القتل لنا عادة وكرامتنا الشهادة**))[2].

وإنّ الفهم الصحيح للأعياد والأيام هو استغلالها في العبادة ومعرفة الله وخدمة الناس، وانتظار الجائزة من الله تعالى على ما سوف نشير إليه في

---

(١) مناقب آل ابي طالب٣: ٢٩٥.

(٢) بحار الأنوار٤٥: ١١٨.

(الأيام).

ويلاحظ من خلال تقسيم هذه المواليد أنها تختلط من حيث الزمان إلى حد ما بذكريات الشهادات والوفيات، باستثناء شهري محرم وصفر المختصين بالعزاء، وشهر شعبان الخاص بالمواليد. هذا على مستوى الإحياء، وأمّا على مستوى تاريخ مواليد الأئمة فهو أوسع من ذلك.

وبذلك تتحقق الموازنة بصورة أفضل وأوسع مع ترجيح لجانب الأحزان.

وإليك قائمة بالمواليد التي يتم الاهتمام بها في أوساط الجماعة الصالحة:

١. ميلاد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: ١٧ ربيع الأول، وهو في الوقت نفسه يوم ميلاد الإمام الصادق عليه السلام.

وبالرغم من وجود روايات تذكر أنّ ميلاد النبي صلى الله عليه وآله كان في الثاني عشر من ربيع الأول كما هو معروف لدى جمهور المسلمين، اعتاد أهل البيت أنْ يتخذوا السابع عشر من ربيع الأول يوم ذكرى ميلاد النبي[1].

٢. مولد الإمام علي عليه السلام: ١٣ رجب المرجب.

٣. مولد الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام: ٢٠ جمادى الآخرة.

٤. مولد الإمام السبط المجتبى الحسن بن علي عليه السلام: ١٥ رمضان.

٥. مولد الإمام السبط الشهيد الحسين بن علي عليه السلام: ٣ شعبان.

٦. مولد الإمام علي بن الحسين عليه السلام: ٥ شعبان.

٧. مولد الإمام الرضا عليه السلام: ١١ ذي القعدة.

---

(١) لقد اهتمت الجمهورية الإسلامية بهذين التاريخين، وجمعت بينهما ضمن أُسبوع واحد سمته أُسبوع الوحدة بين المسلمين؛ تعبيراً عن رمزية رسول الله صلى الله عليه وآله لهذه الوحدة المباركة. وسوف يأتي في بحث الأيام مزيد من التفصيل حول هذا اليوم. منه قدس سره.

٨. مولد الإمام الحجة بن الحسن عجل الله فرجه الشريف: ١٥ شعبان.

وقد يثار هذا السؤال: لماذا اختص هؤلاء المعصومون دون غيرهم بهذا الاهتمام في جانب المواليد؟

وهنا لابدَّ أنْ نؤكد أنَّه على مستوى الذكرى قد تقام بشكل محدود بعض المراسيم لبقية مواليد الأئمة عليهم السلام، ولكن على مستوى الجمهور اختصت هذه المواليد بالاهتمام؛ باعتبار وجود خصوصيات تاريخية ومعنوية ترتبط بهؤلاء الأئمة تحظى باهتمام الجماعة الصالحة، فالنبي الأعظم رسول الإنسانية، وحفيده الإمام الصادق عليه السلام يمثل العنوان المذهبي الفقهي للجماعة الصالحة، والإمام علي عليه السلام يمثل العنوان المذهبي العقائدي؛ لأنه أول الأئمة والوصي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، والإمام الحسن هو السبط الأول لرسول الله صلى الله عليه وآله، الذي يمثل بداية امتداد ذريته، والإمام الحسين هو السبط الشهيد الذي اقترنت ولادته بالبكاء والحزن، والإمام علي بن الحسين عليه السلام يمثل في الاحتفال الامتداد للاحتفال بالإمام الحسين، حيث يحتفل أتباع أهل البيت مدة ثلاثة أيام، هي: الثالث والرابع والخامس من شعبان، فاليوم الأول يوم ولادة الإمام الحسين عليه السلام، والثاني يوم ولادة العباس بن علي عليه السلام، والثالث يوم ولادة الإمام زين العابدين، وتجمعهم جميعاً مأساة كربلاء.

وأمّا الإمام الرضا فيحتفل بميلاده احتفالاً واسعاً في إيران؛ باعتبار خصوصية مرحلته التأريخية ووجوده في إيران رمزاً لولاء الشعب الإيراني المسلم لأهل البيت عليهم السلام.

وأمّا الإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف فهو يمثل البقية الباقية للولاية الخاتمة في هذه الأمة.

ج) الزيارة لقبورهم ومقاماتهم

تعتبر زيارة قبور النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل البيت، وكذلك قبور الأنبياء والصالحين وذراري الأئمة عليهم السلام من أبرز الشعائر التي أكدها أهل

البيت عليهم السلام، والتزمت بها الجماعة الصالحة، وتعدّ الزيارة ظاهرة واسعة وكبيرة ومهمة في حياة الجماعة الصالحة.

ويعتبر هذا الشعار من الشعائر الإسلامية العامة باعتباره يمثل بمضمونه وشكله نوعاً من أنواع الحج، حيث جاء في الروايات - كما سوف نعرف - أنّ الزيارة من إتمام الحج.

ومع ذلك يوجد من يذهب إلى كراهة أو حرمة قصد هذه القبور بالسفر والزيارة أو بناء الأبنية والقباب عليها، كما ذهب إلى ذلك محمد بن عبد الوهاب وأتباعه المعروفون بالوهابيين، إلاّ أنّ الروايات الكثيرة المتواترة عن أهل البيت عليهم السلام، وكذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه الكرام تؤكد استحباب هذا العمل.

مشروعية الزيارة

ونشير هنا إلى بعض الروايات التي وردت عن أهل البيت عليهم السلام التي تؤكد أنّ هذا العمل من الأعمال المستحبة، والشعارات المهمة التي اهتم بها أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة.

فقد روى الكليني والصدوق في عيون أخبار الرضا وعلل الأحكام، وكذلك ابن قولويه في كتابه كامل الزيارات بطريق معتبر عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: ((**إنّ لكل إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته، وإنّ من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاءهم يوم القيامة**))[1].

وفي رواية أُخرى معتبرة عن زيد الشحام قال: ((**قلت لأبي عبد الله عليه السلام:**

---

(١) علل الشرائع٢: ٤٥٩، ح٣.

ما لمن زار واحداً منكم؟ قال: كمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله))[١].

وفي رواية ثالثة معتبرة عن الصادق عليه السلام يقول: ((**ما خلق الله خلقاً أكثر من الملائكة، وإنّه لينزل من السماء كل مساء سبعون ألف ملك يطوفون بالبيت ليلتهم، حتى إذا طلع الفجر انصرفوا إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله فسلّموا عليه، ثم يأتون قبر أمير المؤمنين عليه السلام فيسلّمون عليه، ثم يأتون قبر الحسن بن علي عليه السلام فيسلّمون عليه، ثم يأتون قبر الحسين عليه السلام فيسلّمون عليه، ثم يعرجون إلى السماء قبل أنْ تطلع الشمس، ثم تنزل ملائكة النهار سبعون ألف ملك فيطوفون بالبيت الحرام نهارهم، حتى إذا دنت الشمس للغروب انصرفوا إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فيسلّمون عليه، ثم يأتون قبر أمير المؤمنين عليه السلام فيسلّمون عليه، ثم يأتون قبر الحسن عليه السلام فيسلّمون عليه، ثم يأتون قبر الحسين عليه السلام فيسلّمون عليه ثم يعرجون إلى السماء قبل أنْ تغيب الشمس**))[٢].

وفي حديث آخر بأسانيد متعددة عن أبي عامر التباني واعظ أهل الحجاز قال: ((**أتيت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام وقلت له: يا بن رسول الله، ما لمن زار قبره - يعني أمير المؤمنين عليه السلام - وعمّر تربته؟ قال: يا أبا عامر، حدّثني أبي عن أبيه، عن جدّه الحسين بن علي عليهما السلام، عن علي عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال له: والله لتقتلنّ بأرض العراق وتدفن بها. قلت: يا رسول الله ما لمن زار قبورنا وعمّرها وتعاهدها؟ فقال لي: يا أبا الحسن، إنّ الله تعالى جعل قبرك وقبر ولدك بقاعاً من بقاع الجنة، وعرصة من عرصاتها، وإنّ الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوة من عباده تحنّ إليكم**

---

(١) بحار الأنوار٩٧: ١١٧، ح٥.

(٢) بحار الأنوار٩٧: ١١٧، ح٨.

وتحمل المذلة والأذى، فيعمّرون قبوركم ويكثرون زيارتها تقرّباً منهم إلى الله ومودّة منهم لرسوله، أولئك يا علي المخصوصون بشفاعتي، الواردون حوضي، وهم زوّاري غداً في الجنّة.

يا علي، من عمّر قبوركم وتعاهدها فكأنما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس، ومن زار قبوركم عدل ذلك ثواب سبعين حجة بعد حجة الإسلام، وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمه، فأبشر وبشّر أولياءك ومحبّيك من النعيم وقرّة العين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ولكن حثالة من الناس يعيّرون زوار قبوركم كما تعيّر الزّانية بزنائها، أولئك شرار أمتي لا أنالهم الله شفاعتي ولا يردون حوضي))[١].

وقد جاء التأكيد بشكل خاص في الروايات على زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وزيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام كما تقدم ذلك[٢]، وكذلك قبر الإمام علي عليه السلام بنسبة أقل؛ باعتبار وجود الخصوصية في هذه الزيارات؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله وهذين الإمامين الهمامين يمثلون الرموز والشعار بالنسبة للجماعة الصالحة، مضافاً إلى الآثار الخاصة في التربية الثقافية والروحية والسياسية لهذه الزيارات.

كما سنلاحظ في الزيارات أنّ التأكيد على الزيارة بشكل عام جاء في زيارة النبي صلى الله عليه وآله، وأُلحقت بزيارته الشريفة زيارة بقية الأئمة الطاهرين. وأمّا الزيارات الخاصة فقد وردت بشكل مؤكد للإمامين علي بن أبي طالب

---

(١) بحار الأنوار٩٧: ١٢٠، ح٢٢، ويؤكد سنده مثله ح٢٣، ح٢٤، ح٢٥.

(٢) في بحث المؤسسات الثقافية عندما تحدثنا عن الشعائر الحسينية، وزيارة الإمام الحسين.

والحسين بن علي عليهما السلام.

المضمون الثقافي للزيارة

قد تناولنا في بحث المؤسسات الثقافية الآثار الروحية والسياسية والاجتماعية للزيارة من خلال بحث زيارة الإمام الحسين عليه السلام، ونضيف هنا أنّ الزيارة تمثل تجسيداً عملياً وروحياً للرابطة بين أبناء الجماعة الصالحة والأئمة المعصومين عليهم السلام، حيث يعتقد الزائر أنّه يرد على بيت الإمام الذي هو من بيوت الله، التي أذن الله أنْ ترفع ويذكر فيها اسمه، وأنّه يتحدث في هذه الزيارة مع الإمام الذي يسمع كلامه ويفهمه ويرد جوابه.

ولعل النص الذي يقوله الزائر في مقام الاستئذان في كل المشاهد والعتبات المقدسة للمعصومين يعبر عن هذه الحقيقة: ((**اللهم إني وقفت على باب من أبواب بيوت نبيك صلواتك عليه وآله، وقد منعت الناس أنْ يدخلوا إلاّ بإذنه، فقلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إلا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾. اللهم إني أعتقد حرمة صاحب هذا المشهد الشريف في غيبته، كما أعتقدها في حضرته، وأعلم أنّ رسولك وخلفاءك عليهم السلام أحياء عندك يرزقون، يرون مقامي ويسمعون كلامي ويردّون سلامي، وأنّك حجبت عن سمعي كلامهم وفتحت باب فهمي بلذيذ مناجاتهم، وإنّي أستأذنك يا ربّ أولاً، وأستأذن رسولك صلى الله عليه وآله ثانياً، وأستأذن خليفتك الإمام المفروض عليّ طاعته (يذكر اسم الإمام) والملائكة الموكلين بهذه البقعة المباركة ثالثاً. أأدخل يا رسول الله؟ أأدخل يا حجة الله؟ أأدخل يا ملائكة الله المقربين المقيمين في هذا المشهد الشريف؟ فأذن لي يا مولاي في الدخول أفضل ما أذنت لأحد من أوليائك، فإنْ لم أكن أهلاً لذلك فأنت أهل**

لذلك))[١].

كما أنّ المضامين المشتركة التي تتضمنها مجمل مراسيم زيارات المعصومين عليهم السلام لها أبعاد عقائدية توحيدية إسلامية وروحية، مثل التكبير مائة مرة، والشهادتين، والسلام على الأئمة الأطهار عليهم السلام وعدَهم واحداً بعد آخر، وغير ذلك من مراسيم الشكر لله تعالى على التوفيق والحمد والتقديس. الأمر الذي يمثل دروساً عقائدية وأخلاقية وروحية مباشرة.

وقد تناولت الموسوعات الحديثية هذا الموضوع بشكل واسع، بحيث تميّزت بها موسوعات الحديث لدى أتباع أهل البيت والجماعة الصالحة، كما أُلّفت الكتب الخاصة بالزيارة والدعاء منذ القرون الأُولى، مثل كتاب كامل الزيارات لابن قولويه، ومصباح المتهجد للشيخ الطوسي، والإقبال للسيد ابن طاووس، والمزار الكبير للشيخ محمد المشهدي، وكذلك المزار للشهيد، والمصباح للكفعمي[٢] وغيرها، الأمر الذي يدل على وجود اهتمام بالغ وخاص بهذا الموضوع الشعائري العبادي.

الأقسام العامة للزيارات

وهنا نشير بشكل إجمالي إلى الأقسام العامة للزيارات، وكذلك إلى

---

(١) مفاتيح الجنان: ٣١١ – ٣١٢، عن الكفعمي.

(٢) ولعل أفضل وأشهر كتاب جامع مختار ومختصر نسبياً هو الكتاب المشهور (مفاتيح الجنان)، الذي ألّفه المرحوم المحقق المحدث الشيخ عباس القمي بالفارسية في هذا العصر، والذي أخذ فيه من المصادر المختلفة، وقد طُبع منه حتى الآن ملايين النسخ، وانتشر في جميع الأوساط والبلدان، وترجم إلى العربية والأوردية وغيرهما من اللغات الأُخرى. ويمكن من خلال مراجعته التعرف على تفاصيل الزيارات وآدابها وأوقاتها والأدعية الواردة فيها. منه قدس سره.

بعض أوقاتها المهمة التي يهتم بها أبناء الجماعة الصالحة، ونترك التفاصيل إلى كتب الزيارات الموسعة، ونعتمد بشكل أساس في هذا الموضوع على الكتاب المشهور (مفاتيح الجنان).

وتوجد للزيارة آداب ومراسيم عامة يحسن بالإنسان المؤمن الالتزام بها، وهي تمثل جانباً من هذا الشعار المبارك، وأهمها: الطهارة المعنوية بالغسل والوضوء، والنظافة المادية للبدن والثياب من النجاسات والأوساخ، والذكر لله تعالى من التسبيح والحمد والشكر له على هذا التوفيق، وغيرها من الآداب.

كما أنَّ السفر بشكل عام نجد له آداباً ومراسيم خاصة به، وأدعية وأوقاتاً معينة؛ باعتبار أنه يكون مقدمة للزيارة عادة، ويذكر أصحاب كتب الحديث والزيارات هذه الآداب في مقدمات كتب الحج والزيارة[١].

الأول: زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله والأئمة في البقيع

لقد جاء في روايات كثيرة متظافرة تأكيد ثواب زيارة النبي صلى الله عليه وآله، بل إنَّ بعض هذه الروايات توجب زيارته في الحج لمن يقدر عليها، وتنصّ على أنَّ الإعراض عن زيارته يكون جفاءً لرسول الله صلى الله عليه وآله وهو محرم، كما أنَّ الكثير منها يؤكد أنها سبب لدخول الجنّة، ومن هذه الروايات ما عن الصادق عليه السلام: ((**إذا حجَّ أحدكم فليختم حجه بزيارتنا؛ لأنَّ ذلك من تمام الحج**)).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: ((**أتموا برسول الله صلى الله عليه وآله حجكم إذا خرجتم إلى بيت الله؛ فانّ تركه جفاء وبذلك أُمرتم، وأتموا بالقبور التي ألزمكم الله عزّ**

---

(١) راجع في آداب السفر مفاتيح الجنان: ٣٠٢ – ٣٠٦، وآداب الزيارة: ٣٠٦ – ٣١١، فإنه ذكرها ملخصاً.

وجل زيارتها وحقها، واطلبوا الرزق عندها)).

وعن الباقر عليه السلام: ((**إنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: من زارني حيّاً أو ميّتاً كنت له شفيعاً يوم القيامة**))[١].

وقال الحسن بن علي عليهما السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: ((**يا أبتاه، ما جزاء من زارك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا بُنيّ من زارني حياً أو ميتاً أو زار أباك أو أخاك أو زارك، كان حقاً عليّ أنْ أزوره يوم القيامة فأخلّصه من ذنوبه**))[٢].

وفي نص آخر بطريق معتبر عن الحسين بن علي عليهما السلام: ((**يا بني، من أتاني زائراً بعد موتي فله الجنة، ومن أتى أباك زائراً بعد موته فله الجنة، ومن أتى أخاك زائراً بعد موته فله الجنة، ومن أتاك زائراً بعد موتك فله الجنة**))[٣].

وفي نص آخر عن الإمام الرضا عليه السلام: ((**قال النبي صلى الله عليه وآله: من زارني في حياتي أو بعد موتي فقد زار الله تعالى**))[٤].

وعن زيد قال: ((**قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: ما لمن زار قبر رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: كمن زار الله في عرشه**))[٥].

وقد سئل الإمام الصادق عليه السلام: ((**هل يزار والدك؟ فقال: نعم. قال: فما لمن زاره؟ قال: الجنّة إنْ كان يأتمّ به. قال: فما لمن تركه رغبة عنه؟ قال: الحسرة يوم الحسرة**))[٦].

---

(١) بحار الأنوار٩٧: ١٣٩، ح١، ٣، ٢.

(٢) بحار الأنوار٩٧: ١٤٠، ح٧.

(٣) كامل الزيارات: ٣٩، ح١.

(٤) بحار الأنوار٩٧: ١٣٩، ح٤.

(٥) كامل الزيارات: ٤٨، ح٢١.

(٦) كامل الزيارات: ٣٥٧، ح٧.

وروي عن الصادقعليه السلام أنه قال: ((**من زارني غُفرت له ذنوبه ولم يمت فقيراً**))[١].

وقد كان هذا التأكيد لزيارة النبيصلى الله عليه وآله لأنها هي الأفضل، وهي المقياس والمثال لبقية الزيارات.

ولاشك أنّ زيارة النبيصلى الله عليه وآله والأئمة من ذريتهعليهم السلام، هي من أفضل الأعمال والشعائر التي يلتزم بها أبناء الجماعة الصالحة، وتهتم بها اهتماماً خاصاً في مواسم الحج والعمرة، وتتحمل من أجلها مختلف ألوان المعاناة والأذى، ولاسيما في هذه الأيام التي يضيق فيها القائمون على هذه المشاهد الشريفة والمتولون لأمرها بالزوار، ويتهمونهم بالتهم الباطلة.

الثاني: زيارات الإمام الحسينعليه السلام

تستحب استحباباً مؤكداً زيارة الإمام الحسينعليه السلام في كل الأوقات، سواء من قرب[٢] بالحضور في حرمه الشريف، أم من بُعد في أي مكان يوجد فيه الإنسان بعيداً عن حرمه، وإنْ كانت زيارته في مرقده الشريف، أو في مرقد الإمام أمير المؤمنينعليه السلام، أو مراقد بقية الأئمة الأطهار، أو في الأماكن المقدسة الأُخرى يكون ثوابها أكثر بلا ريب، كما نصت على ذلك

---

(١) بحار الأنوار٩٧: ١٤٥، ح٣٤.

(٢) جاء في بعض الروايات أنّ زيارته من قرب واجبة للمستطيع، كما سبق في بحث (الشعائر الحسينية)، وهذا الأمر وإنْ لم نعرف من يفتي به من الفقهاء، ولكن لا يبعد أنْ يكون هذا الوجوب إما ولائياً بحسب ضرورات تلك المرحلة التي صدر فيها النص، أو يكون المراد منه وجوباً في الحب والولاء والارتباط بأهل البيتعليهم السلام، وعلى أي حال فهذه النصوص تدل – على الأقل – على شدة استحباب هذا العمل ومطلوبيته، كما في صلاة الجماعة مثلاً التي ورد تأكيد استحبابها، وهدد النبيصلى الله عليه وآله من لا يحضرها بهدم داره. منهقدس سره.

بعض الروايات، ولاسيما بعض هذه الأماكن المقدسة.

كما ورد في بعض الروايات السابقة أنّ فضل زيارة أي واحد من الأئمة هو فضل زيارة النبي صلى الله عليه وآله، وورد **((من زار واحداً منا كان كمن زار الحسين عليه السلام))**[1] وأنّ زيارة قبورهم تشترك في الفضل كما سبق.

ولعل أشهر نص يزار به جميع أئمة أهل البيت الأحد عشر المستشهدين، هو الزيارة المعروفة بزيارة أمين الله (السلام عليك يا أمين الله في أرضه وحجته على عباده)، وقد قال عنها العلاّمة المجلسي رحمه الله إنها أحسن الزيارات متناً وسنداً، وينبغي المواظبة عليها في جميع الروضات المقدسة.

وقد روي بإسناد معتبر عن جابر، عن الإمام الباقر عليه السلام أنه زار بها الإمام زين العابدين عليه السلام أمير المؤمنين عليه السلام[2].

ومع كل ذلك نجد أنّ الإمام الحسين عليه السلام من الناحية العملية يختص بعدد أكبر من الروايات في مقام التأكيد لزيارته، والثواب العظيم المترتب عليها، بحيث بلغت حد التواتر، وقد جاء في بعضها أنها أفضل من زيارة بقية الأئمة المتأخرين عنه، وكذلك بأوقات مخصوصة ونصوص مروية بأسانيد متعددة لهذه الزيارات المخصوصة، وكذلك للزيارات المطلقة العامة التي يمكن أنْ يزار بها في كل وقت.

وقد جاء في المجاميع الخاصة بالزيارات الأوقات المخصوصة لزيارة الإمام

---

(١) بحار الأنوار ٩٧: ١١٨، ح١٠.

(٢) مفاتيح الجنان: ٣٥٠، حيث ذكرها في الزيارات المطلقة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ثم ذيلها بكلام الإمام الباقر: **((ما قال هذا الكلام ولا دعا به أحد من شيعتنا عند قبر أمير المؤمنين أو عند قبر أحد من الأئمة، إلاّ رفع اللّه دعاءه في دُرج من نور، وطبع عليه بخاتم محمد صلى الله عليه وآله، وكان محفوظاً حتى يسلّم إلى قائم آل محمد عليهم السلام، فيلقى صاحبه بالبشرى والتحية والكرامة إنْ شاء اللّه))**.

الحسين عليه السلام، حسب التسلسل الزمني لها في السنة القمرية الهجرية:

١. زيارة عاشوراء في اليوم العاشر من محرم الحرام، ولها نص أو نصوص خاصة بها[1].

٢. زيارة الأربعين في اليوم العشرين من شهر صفر، ولها نص أو نصوص خاصة بها.

٣. زيارة الأول من رجب، ولها نص خاص بها تشترك فيه مع زيارة النصف من شعبان.

٤. زيارة النصف من رجب في ليلته ويومه، ولها نص خاص يشترك مع زيارة الأول من رجب.

٥. زيارته والصلاة عليه في يوم مولده الشريف الثالث من شعبان، ولها نص خاص.

٦. زيارة ليلة النصف من شعبان ويومه، ونصها هو زيارة الأول من رجب.

٧. زيارة ليالي القدر (١٩ و ٢١ و ٢٣) من رمضان، ولها نص خاص بها.

٨. زيارة ليلتي العيدين الفطر والأضحى، ولها نص خاص بها.

٩. زيارة يومي العيدين الفطر والأضحى، ولها نص خاص بها.

١٠. زيارة يوم عرفة وهو التاسع من ذي الحجة، ولها نص خاص بها.

وتختص من بين هذه الزيارات زيارتا ليلة النصف من شعبان ويوم عرفة

---

(١) يمكن مراجعة النصوص الخاصة بهذه الزيارات في كتاب مفاتيح الجنان: ٤٣٨ – ٤٦٩، وقد ذكرها متسلسلة ولكن بدأ بزيارة الأول من رجب، كما أنّ العلاّمة المجلسي قد وضع فصلاً واسعاً من كتابه بحار الأنوار يتضمن مجموع ما ورد في زيارته عليه السلام يضمها الجزء ٩٨ من طبعة دار إحياء التراث العربي.

بأهمية خاصة من حيث الثواب والأجر الذي وردت فيه النصوص المتعددة، وكذلك من حيث الاهتمام من قبل أبناء الجماعة الصالحة، وقد وردت النصوص فيهما أنهما أفضل من الحج والعمرة المستحبة، وأنَّ الله سبحانه وتعالى ينظر بالرحمة والمغفرة إلى زوار الإمام الحسين عليه السلام قبل أنْ ينظر إلى الواقفين في عرفات.

وكذلك زيارتا عاشوراء والأربعين من حيث الاهتمام بمراسم العزاء فيهما من قبل أبناء الجماعة الصالحة، حيث تقام مجالس العزاء الكبيرة وتخرج المواكب المنظمة الكثيرة. ويضاف إلى هذه الزيارات المخصوصة نصوص للزيارات المطلقة التي يزار بها الإمام الحسين عليه السلام في الأوقات المختلفة عن قرب أو بُعد، وقد ذكر العلاَّمة القمي في مفاتيح الجنان سبعة نصوص لها، أشهرها زيارة وارث المعروفة[1].

وتوجد آداب عامة ومفصلة لزيارة الإمام الحسين عليه السلام، وأعمال يؤديها الزائر في حرمه الشريف، أهمها أنْ يكون الإنسان على طهارة معنوية وهي الوضوء، وطهارة بدنه وثيابه من النجاسات، وكذلك الدعاء والاجتهاد في الإقبال على الله فيه والذكر والحمد والشكر له تعالى، والالتزام بجميع الآداب التي لابدّ للإنسان أنْ يلتزم بها في حضور الإمام وحياته، وهي آداب عامة لزيارة النبي صلى الله عليه وآله وبقية الأئمة عليهم السلام[2].

---

(١) مفاتيح الجنان: ٤٢٢ - ٤٣٠.

(٢) مفاتيح الجنان: ٤١١ - ٤٢٢، وبحار الأنوار ٩٧: ١٣٤ - ١٣٨.

الثالث: زيارات الإمام علي عليه السلام[١]

قد عرفنا في الروايات السابقة التي أوردناها في زيارة النبي صلى الله عليه وآله الثواب العظيم، والآثار المهمة التي تترتب على زيارة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وهناك روايات أخرى تحدثت عن فضل زيارته، منها ما رواه الكليني، عن أبي وهب القصري قال: ((**دخلت المدينة فأتيت أبا عبد الله عليه السلام، فقلت: جعلت فداك، أتيتك ولم أزر قبر أمير المؤمنين عليه السلام. قال: بئس ما صنعت، لولا أنك من شيعتنا ما نظرت إليك! ألا تزور من يزوره الله مع الملائكة، ويزوره الأنبياء ويزوره المؤمنون؟ قلت: جعلت فداك، ما علمت ذلك. قال: فاعلم أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أفضل عند الله من الأئمة كلهم، وله ثواب أعمالهم، وعلى قدر أعمالهم فضّلوا**))[٢].

وفي حديث معتبر عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ((**ما خلق الله خلقاً أكثر من الملائكة، وإنه لينزل كل يوم سبعون ألف ملك فيأتون البيت المعمور فيطوفون به، فإذا هم طافوا به نزلوا فطافوا بالكعبة، فإذا طافوا بها أتوا قبر النبي صلى الله عليه وآله فسلّموا عليه، ثم أتوا قبر أمير المؤمنين عليه السلام فسلّموا عليه، ثم أتوا قبر الحسين عليه السلام فسلّموا عليه، ثم عرجوا، وينزل مثلهم أبداً إلى يوم القيامة.**

---

(١) إنما ذكرنا زيارة الإمام علي عليه السلام بعد زيارة الإمام الحسين – بالرغم من أنّ زيارات الأئمة عليهم السلام في نفسها متساوية في الفضل، أو يتبع فضلها فضل المعصوم الذي يزار – لأن زيارة الإمام الحسين عليه السلام جاء الاهتمام بها في الروايات أكثر من جميع الزيارات؛ بسبب طبيعة المصاب والظروف السياسية والروحية التي أحاطت بهذه الزيارة كما ذكرنا ذلك من قبل، وكذلك نجد الاهتمام الخاص من أبناء الجماعة الصالحة بزيارة الإمام الحسين عليه السلام بسبب هذا التوجيه الخاص من الأئمة إليها، مع كثرة عدد الزيارات المخصوصة لها نسبياً.

(٢) الكافي٤: ٥٨٠، ح٣.

وقال عليه السلام: **من زار أمير المؤمنين عارفاً بحقه غير متجبّر ولا متكبّر كتب الله له أجر مائة ألف شهيد، وغفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، وبُعث من الآمنين، وهوّن عليه الحساب، واستقبله الملائكة، فإذا انصرف شيّعته إلى منزله، فإنْ مرض عادوه، وإنْ مات تبعوه بالاستغفار إلى قبره.**

قال: **ومن زار الحسين عليه السلام عارفاً بحقه كتب الله له ثواب ألف حجة مقبولة، وألف عمرة مقبولة، وغفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر))**[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: **((إنّ الله عرض ولايتنا على أهل الأمصار، فلم يقبلها إلاّ أهل الكوفة، وإنّ إلى جانبها قبراً لا يأتيه مكروب فيصلي عنده أربع ركعات إلاّ رجعه الله مسروراً بقضاء حاجته))**[2].

وعن الصادق عليه السلام وقد ذكر أمير المؤمنين عليه السلام قال: **((يا بن مارد، من زار جدّي عارفاً بحقه كتب الله له بكل خطوة حجّة مقبولة وعمرة مبرورة. يا بنْ مارد، والله ما يطعم الله النار قدماً تغبّرت في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام ماشياً كان أو راكباً. يا بن مارد، اكتب هذا الحديث بماء الذهب))**[3].

وتنقسم زياراته صلوات الله عليه إلى قسمين:

الأول: الزيارات المطلقة، وقد عدّ الشيخ القمي سبع زيارات منها للإمام أمير المؤمنين عليه السلام في مفاتيح الجنان، أوسعها الزيارة الأُولى التي نسبها إلى الشيخ المفيد والشيخ الشهيد والسيد ابن طاووس وغيرهم، وأهمها هي الزيارة الثانية المعروفة بأمين الله التي سبقت الإشارة إليها.

وفي الزيارة الأُولى تفاصيل يبدأ بها الزائر منذ خروجه من منزله إلى وصوله الكوفة، ثم يمضي إلى قبره في النجف الأشرف إلى وداعه عليه السلام، وفيها

---

(١) أمالي الطوسي: ٢١٤، ح٢٢.

(٢) كامل الزيارات: ٣١٣، ح٤.

(٣) بحار الأنوار٩٧: ٢٦٠، ح١٠.

زيارة لآدم ونوح عليهما السلام، ولرسول الله صلى الله عليه وآله، وللإمام الحسين عليه السلام[١].

وقد ذكر في البحار عدداً أكبر من الزيارات المطلقة[٢].

الثاني: الزيارات المخصوصة بأيام معينة، وهي أربع زيارات معروفة:

الأولى: زيارة يوم الغدير، وهي أوسع الزيارات وتشتمل على مجمل المفاهيم والفضائل ذات العلاقة بأمير المؤمنين، وقد تم في هذا اليوم الشريف تنصيب الإمام علي أمير المؤمنين للإمامة والخلافة والولاية في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، حيث جمع النبي صلى الله عليه وآله الحِجاج في مفترق الطريق عند (غدير خم) وأعلن لهم ذلك الحديث المعروف بحديث الغدير.

وقد رويت هذه الزيارة بأسانيد معتبرة، كما يقول الشيخ القمي[٣]، عن الإمام علي بن محمد الهادي النقي عليه السلام، حيث زار بها جده الإمام علياً عليه السلام في مثل هذا اليوم، عندما أشخصه المعتصم العباسي إلى بغداد، كما رواها الشيخ المفيد مرسلة عن الإمام أبي محمد العسكري، عن أبيه عليهما السلام[٤].

وقد روي في فضل زيارة الغدير عن الرضا عليه السلام أنه قال لابن أبي نصر (أحمد): ((**يا بن أبي نصر، أينما كنت فاحضر يوم الغدير عند أمير المؤمنين عليه السلام؛ فإنّ الله تعالى يغفر لكل مؤمن ومؤمنة ومسلم ومسلمة ذنوب ستين سنة، ويعتق من النار ضعف ما أعتق في شهر رمضان وفي ليلة القدر وليلة الفطر**))[٥].

وقد أورد العلاّمة المجلسي في البحار، والعلاّمة القمي في المفاتيح نصوصاً

---

(١) مفاتيح الجنان: ٣٣٩ – ٣٦١.

(٢) بحار الأنوار٩٧: ٢٦٣ – ٣٥٤.

(٣) مفاتيح الجنان: ٣٦٣.

(٤) بحار الأنوار٩٧: ٣٥٩، ح٦.

(٥) بحار الأنوار٩٧: ٣٥٨، ح٢.

أخرى لزيارة يوم الغدير، ومنها نص زيارة (أمين الله).

الثانية: زيارة يوم ميلاد النبي صلى الله عليه وآله، وهو اليوم السابع عشر من ربيع الأول، وقد روى الشيخ المفيد والشهيد في مزاره والسيد ابن طاووس في الإقبال أنّ الإمام الصادق عليه السلام زار أمير المؤمنين في هذا اليوم بنص خاص للزيارة، وعلمها الثقة الجليل محمد بن مسلم الثقفي، وقد أورد النص كل من العلاّمة المجلسي في البحار والعلاّمة القمي في المفاتيح[1]، وهي تشتمل على مخاطبة الإمام علي عليه السلام بصفات الفضيلة والعلم والجهاد، والولاء له والبراءة من أعدائه والشهادة له بحقه.

الثالثة: زيارة ليلة المبعث الشريف ويومه لرسول الله صلى الله عليه وآله، وهو اليوم السابع والعشرون من شهر رجب على ما هو مشهور لدى أبناء الجماعة الصالحة، بل المتفق عليه لديهم[2]، وقد ذكر نصها الشيخ المفيد والشهيد

---

(١) بحار الأنوار ٩٧: ٣٧٣، ومفاتيح الجنان: ٣٧٤.

(٢) من المعروف تاريخياً أنّ المبعث الشريف اقترن بنزول القرآن، ولاشك أنّ نزول القرآن كان في شهر رمضان بدلالة قوله تعالى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**﴾، وكان في ليلة القدر أيضاً بدلالة قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**﴾، ولذا يثار التساؤل حول تاريخ المبعث الشريف، ولكن يمكن أنْ يقال: إنّ بدء نزول القرآن نجوماً كان في اليوم السابع والعشرين من رجب، ونزول القرآن جملة كان في شهر رمضان، إذ إن للقرآن نزولين بلا شك:

أحدهما: النزول التدريجي التفصيلي على شكل نجوم، وكان هذا في ضمن ثلاث وعشرين سنة طيلة فترة الرسالة منذ البعثة حتى وفاة الرسول صلى الله عليه وآله.

والآخر: نزوله جملة واحدة وهي مرحلة الإحكام، وكان ذلك في شهر رمضان في ليلة القدر: ﴿**كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾. والله سبحانه العالم. منه قدس سره.

والسيد ابن طاووس، ورواها عنهم العلاّمة المجلسي، ولكنه علق على الزيارة بعد ذكرها بأنه لم يطلع على سندها ولا على اختصاص هذا اليوم بزيارة مخصوصة، وإنْ كان ذلك من المشهورات لدى الشيعة(١)، كما أنَّ العلاّمة القمي ذكر ثلاثة نصوص لهذه الزيارة.

الرابعة: زيارته يوم شهادته، وهو اليوم الحادي والعشرون من شهر رمضان المبارك، وقد روى الكليني في الكافي والصدوق في الأمالي أنه ((**لما كان اليوم الذي قبض فيه أمير المؤمنين عليه السلام ارتجّ الموضع بالبكاء، ودهش الناس كيوم قبض النبي صلى الله عليه وآله، وجاء رجل باكياً وهو مسرع مسترجع وهو يقول: اليوم انقطعت خلافة النبوة، حتى وقف على باب البيت الذي فيه أمير المؤمنين عليه السلام فقال: رحمك الله يا أبا الحسن، كنت أول القوم إسلاماً... وسكت القوم حتى انقضى كلامه وبكى، وبكى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم طلبوه فلم يصادفوه**)).

ويعتقد أنّ هذا الرجل كان هو الخضر عليه السلام(٢).

الرابع: زيارات أئمة أهل البيت عليهم السلام

يضاف إلى الاهتمام الخاص لأهل البيت عليهم السلام بتأكيد زيارات

---

(١) بحار الأنوار٩٧: ٣٨٣، وقد أثار العلاّمة القمي سؤالاً حول هاتين الزيارتين (الميلاد والمبعث)، وحاصله: أنه لماذا كانت الزيارة خاصة بأمير المؤمنين دون رسول اللّه صلى الله عليه وآله؟ وأجاب: بأن علياً عليه السلام هو نفس رسول اللّه صلى الله عليه وآله، وزيارته عليه السلام زيارته صلى الله عليه وآله، وأنه أُريد من هذا الاختصاص التأكيد على فضل علي لمظلوميته. وقد ذكر حديثين يؤكدان هذه المفاهيم. راجع مفاتيح الجنان: ٣٧٨ – ٣٧٩.

(٢) بحار الأنوار٩٧: ٣٥٥ – ٣٥٦. وقد لاحظ العلاّمة القمي أنّ نص هذه الزيارة يشبه كثيراً بعض ما ورد في نص زيارة المبعث الشريف.

النبي صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام، تأكيدهم عليهم السلام أيضاً لزيارات قبور الأئمة عليهم السلام عامة، كما لاحظنا ذلك في الروايات السابقة التي ذكرناها في أول هذا الفصل تحت عنوان (الزيارات لقبورهم)، مع روايات كثيرة متظافرة تؤكد هذا المعنى، ونشير هنا أيضاً إلى بعضها.

روي عن زيد الشحّام قال: ((**قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما لمن زار الحسين عليه السلام؟ قال: كمن زار الله في عرشه. قال: قلت: فما لمن زار أحداً منكم؟ قال: كمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله**))[1].

وعن عيسى بن راشد قال: ((**سألت أبا عبد الله عليه السلام فقلت: جعلت فداك، ما لمن زار قبر الحسين عليه السلام وصلّى عنده ركعتين؟ قال: كتبت له حجّة وعمرة. قال: قلت له: جعلت فداك، وكذلك كلُّ من أتى قبر إمام مفترض طاعته؟ قال: وكذلك كلُّ من أتى قبر إمام مفترض طاعته**))[2].

وعن عبد الرحمن بن مسلم قال: ((**دخلت على الكاظم عليه السلام فقلت له: أيّما أفضل، زيارة الحسين بن علي أو أمير المؤمنين عليه السلام أو لفلان أو فلان، وسمّيت الأئمة واحداً واحداً؟ فقال لي: يا عبد الرحمن، من زار أوّلنا فقد زار آخرنا، ومن زار آخرنا فقد زار أوّلنا، ومن تولّى أوّلنا فقد تولّى آخرنا، ومن تولّى آخرنا فقد تولّى أوّلنا، ومن قضى حاجة لأحد من أوليائنا فكأنما قضاها لأجمعنا.**

يا عبد الرحمن، أحببنا وأحبب من يحبنا وأحبب فينا وأحبب لنا وتولنا وتولّ من يتولانا، وأبغض من يبغضنا. ألا وإنّ الراد علينا كالراد على رسول الله صلى الله عليه وآله جدّنا، ومن ردّ على رسول الله صلى الله عليه وآله فقد ردّ على الله. ألا يا

---

(١) كامل الزيارات: ٢٨٣، ح٤.

(٢) كامل الزيارات: ٣٠١، ح١٤.

عبد الرحمن ومن أبغضنا فقد أبغض محمداً، ومن أبغض محمداً فقد أبغض الله، ومن أبغض الله عز وجل كان حقاً على الله أنْ يصليه النار وما له من نصير))[١].

يضاف إلى ذلك ورود نصوص كثيرة في فضل زيارة كل واحد من الأئمة الأطهار، وقد ذكرنا في زيارة رسول الله بعض النصوص ذات العلاقة بأئمة البقيع عليهم السلام، ونشير هنا إلى بعض النصوص الأُخرى.

روى محمد بن أحمد بن داود، عن ابن سنان قال: (**(قلت للرضا عليه السلام: ما لمن زار أباك؟ قال: الجنّة، فزره)**)[٢].

وفي رواية أُخرى عن زكريا بن آدم القمي، عن الرضا عليه السلام قال: (**(إنّ الله نجا بغداد لمكان قبور الحسينيين فيها)**)[٣].

كما ورد في عدة روايات أنّ زيارة قبر الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام مثل زيارة قبر الحسين عليه السلام.

وفي رواية أُخرى أنّ زيارته مثل زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله وزيارة قبر أمير المؤمنين عليه السلام، إلاّ إنّ لرسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين فضلهما[٤].

كما وردت روايات متظافرة كثيرة بعضها معتبر في فضل زيارة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، نذكر منها الأمثلة التالية:

عن جعفر بن محمد بن عمارة، عن أبيه، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: (**(قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ستدفن بضعة منّي بأرض خراسان، لا يزورها**

---

(١) كامل الزيارات: ٥٥٢، ح١٤.

(٢) المزار: ١٩١، ح٢.

(٣) تهذيب الأحكام٦: ٨٢، ح٥

(٤) تهذيب الأحكام٦: ٨١، ح١، ٢.

مؤمن إلاّ أوجب الله عزّ وجل له الجنّة، وحرّم جسده على النار))[١].

وفي رواية أُخرى عن الرضا عليه السلام يقول: ((**والله ما منّا إلاّ مقتول شهيد. فقيل له: فمن يقتلك يا بن رسول الله؟ قال: شرّ خلق الله في زماني، يقتلني بالسمّ، ثم يدفنني في دار مضيعة وبلاد غربة، ألا فمن زارني في غربتي كتب الله عزّ وجل له أجر مائة ألف شهيد، ومائة ألف صدّيق، ومائة ألف حاج ومعتمر، ومائة ألف مجاهد، وحُشر في زمرتنا، وجعل في الدرجات العلى من الجنّة رفيقنا))**[٢].

وفي رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ((**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ستدفن بضعة مني بخراسان، ما زارها مكروب إلاّ نفّس الله كربته، ولا مذنب إلاّ غفر الله ذنوبه))**[٣].

وأمّا بقية الأئمة عليهم السلام فإنّه وإنْ لم ترد نصوص خاصة في فضل زيارتهم غير النصوص العامة التي أشرنا إليها، أو بعض النصوص النادرة مثل ما ورد في زيارة الإمام الحسن بن علي العسكري من قوله عليه السلام: ((**قبري بسر من رأى أمان لأهل الجانبين**))، أو النص الذي يذكر فيه الإمام الهادي عليه السلام دعاءً يعلّمه لأحد أصحابه ويقول فيه: ((**وقد سألت الله عزّ وجل ألاّ يخيب من دعا به في مشهدي**))، أو التوقيع الذي خرج إلى محمد الحميري عن الإمام الحجة عجّل الله فرجه الشريف الذي يذكر فيه كيفية زيارته والسلام عليه، وأمثال هذه الأخبار والنوادر، إلاّ أنّه يبدو أنّ الاعتماد في ذلك كان على وضوح هذا الموضوع من خلال هذا القدر الكبير من النصوص، والتأكيدات العامة والخاصة، ولعل هذا هو الذي يفسر لنا ما نجده من تصدي كتب المزار منذ

---

(١) أمالي الصدوق: ١١٩، ح٦.

(٢) أمالي الصدوق: ١٢٠، ح٨.

(٣) أمالي الصدوق: ١٨١، ح٢.

العصور القريبة من عهد الأئمة عليهم السلام - كما هو في كامل الزيارات لابن قولويه، ومزار الفقيه للصدوق، ومزار الشيخ المفيد قدس الله أرواحهم الشريفة - إلى ذكر زيارات مفصّلة ومتعددة أحياناً لقبور كل واحد من هؤلاء الأئمة عليهم السلام، مضافاً إلى نصوص مختصرة مروية عن الأئمة عليهم السلام أنفسهم، الأمر الذي يدل دلالة واضحة على أنّ هذا المنهج كان قد ثبته أئمة الهدى عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة، وعلّموها إياه وسارت عليه منذ الأيام الأُولى[1].

ملاحظتان مهمتان

ويحسن بنا أنْ نختم هذا الحديث عن زيارة قبور الأئمة عليهم السلام بملاحظتين مهمتين وردتا في الأخبار، نشير إليهما مختصراً على أنْ يكون تفصيل البحث فيهما في (الكتاب العقائدي) من هذه السلسلة.

الملاحظة الأُولى: لابدّ أنْ يتجنب الزائر في زيارته لقبور الأئمة عليهم السلام القيام بأي عمل يكون فيه ما يوهم بالشرك بالله تعالى، أو العبادة لصاحب القبر.

لذا نجد أنّ أئمة الهدى عليهم السلام - كما ورد في الخبر المروي بسند معتبر عن الإمام الباقر عليه السلام - ينهون عن مثل هذه الممارسات، فعن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: ((**قلت له: الصلاة بين القبور؟ قال: صلّ في خلالها، ولا تتخذ شيئاً منها قبلة ولا مسجداً، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن ذلك وقال: ولا تتخذوا قبري قبلة ولا مسجداً؛ فإنّ الله تعالى لعن الذين اتخذوا قبور**

---

(١) يمكن مراجعة هذه النصوص في كتاب مفاتيح الجنان، وكذلك في كتاب المزار من بحار الأنوار في الأجزاء ١٠٠ و١٠١ و١٠٢ من الطبعة الجديدة.

أنبيائهم مساجد))[١].

كما ورد في رواية أُخرى معتبرة النهي الإرشادي عن الطواف بالقبر، فعن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**لا تشرب وأنت قائم، ولا تطف بقبر، ولا تبل في ماء نقيع، فإنّه من فعل ذلك فأصابه شيء فلا يلومن إلاّ نفسه...**))[٢].

ولاشك أنّ المراد من النهي عن اتخاذ القبور قبلة ومساجد أو الطواف بها، هو النهي عن جعلها بنفسها قبلة ومسجداً، فلا يصح السجود عليها أو استقبالها في الصلاة، لا مجرد أنْ تكون في موضع تجاه قبلة المصلي أو إقامة المساجد والأبنية عند القبور. وإنما أن هذا النهي - كما يفهم من مناسبة الحكم والموضوع - اجتناباً وتنزيهاً للعبادة.

ويؤكد هذه الملاحظة ما ورد في الزيارات من تأكيد توحيد الله تعالى فيها بالتكبير والحمد لله على التوفيق والشكر على النعمة، والعلاقة بالنبي والأئمة؛ لأنهم أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وجاهدوا في الله حق جهاده وبلّغوا رسالات الله إلى غير ذلك من المضامين التوحيدية الحقة.

الملاحظة الثانية: الالتفات إلى أنّ زيارة النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام في هذه الأماكن، إنما هي باعتبار تشرف هذه الأماكن والمواضع بدفنهم فيها، ولأنهم ﴿**أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾، فهم يسمعون الكلام ويردون السلام

---

(١) علل الشرائع١: ٣٥٨، ح١.

(٢) علل الشرائع١: ٢٨٣، ح١. وقد احتمل فيه العلاّمة المجلسي أنْ يكون المراد من الطواف التغوط على القبر، وذكر له شاهداً من اللغة والحديث وهو قريب؛ لأنّ هذا المعنى يناسب البول في النقيع والشرب عن قيام وتوقع الإصابة المادية. واللّه أعلم. منه قدس سره.

والجواب، فيحسن بالإنسان الزائر أنْ يستوحي بزيارتهم جميع المعاني التي يمكن أنْ تتحقق له عند زيارتهم أحياء، من الولاء لهم والتعبير عن مودتهم والإحساس بالقرب منهم والتكريم والاحترام والطاعة لهم والاقتداء بهم، لا أنْ تتحول هذه الزيارة إلى مجرد ممارسة مادية جامدة تعبر عن تقديس الأموات والعظام، وغير ذلك من المضامين ذات الطابع المادي الوثني المجرد عن الإيمان بالله تعالى، أو الحياة الأُخرى الأبدية الحقيقية الخالدة لهذه الذوات المقدسة، بل الزيارة في الحقيقة إنما هي لذلك الوجود الباقي المستمر الحي بما له من مضمون إلهي، وعلاقة بالله تعالى واستجابة للأمر الإلهي بولائهم ومتابعتهم ومناصرتهم واحترامهم.

وقد ورد في بعض الروايات المروية بسند معتبر عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: ((**ما من نبي ولا وصي نبي يبقى في الأرض بأكثر من ثلاثة أيام، ثم ترفع روحه وعظمه ولحمه إلى السماء، وإنما يؤتى مواضع آثارهم ويبلغونهم من بعيد السلام ويسمعونهم في مواضع آثارهم من قريب**))[1].

الخامس: زيارات أولاد الأئمة والصالحين

ومن خلال الاستعراض السابق للنصوص وعلل الزيارة وآثارها، وما ورد في عموم زيارة الأئمة عليهم السلام من نصوص عامة، وجِدَ اتجاه عام عند أبناء الجماعة الصالحة يرتبط بزيارة القبور وإعمارها بالبناء والزيارة والتردد، حتى إنْ الكثير من المدن في أوساط أتباع أهل البيت كان البدء بتأسيسها هو وجود مشهد أو قبر فيها، سواء كان لأحد الأئمة أو أولادهم، كما هو في

---

(١) كامل الزيارات: ٥٤٤، ح٣. ومع قطع النظر عن معنى هذا الرفع، الذي عالجه العلامة المجلسي في البحار، فإنّ المهم في الحديث هو المقطع الأخير الذي أُريد تأكيده من قبل الأئمة عليهم السلام.

مدينة النجف الأشرف وكربلاء والقاسم والحمزة وعلي الشرقي وعلي الغربي وغيرها كثير في العراق وإيران. حتى إننا نلاحظ مئات المراقد المشيدة في العراق لأولاد الأئمة الصلبيين أو المنتسبين لهم، وكذلك للكثير من العلماء والصالحين.

وهناك الآلاف من هذه المراقد في إيران والعشرات في مختلف البلاد الإسلامية الأُخرى، ولعل أشهرها - بعد مراقد الأئمة عليهم السلام - هو مرقد العباس ابن أمير المؤمنين، ومسلم بن عقيل، والقاسم بن موسى بن جعفر، وفي إيران مرقد السيدة المعصومة فاطمة بنت موسى بن جعفر في قم المقدسة[١]، والسيد أحمد بن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في شيراز، والسيد عبد العظيم الحسني في مدينة ري[٢]، وفي دمشق قبر السيدة زينب على رواية، وكذلك قبرها على رواية أُخرى وموضع رأس الإمام الحسين عليه السلام في القاهرة[٣].

---

(١) وردت بعض الروايات عن الإمام الرضا عليه السلام في استحباب زيارتها خاصة، ومنه قوله: ((**من زارها فله الجنة**))، كما روي ذلك في كامل الزيارات وثواب الأعمال وعيون أخبار الرضا. بحار الأنوار ٩٩: ٢٦٥، ح١.

(٢) وردت بعض الروايات المرسلة عن الإمام العسكري أنّ زيارته كزيارة الحسين. بحار الأنوار ٩٩: ٢٦٨، ح١.

(٣) يوجد كلام بين المؤرخين في موضع قبر السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث ذهب بعضهم إلى أنّ قبرها في غوطة دمشق، وبعضهم ذهب إلى أنّ قبرها في القاهرة، وبعضهم ذهب مذهباً آخر، ولكن هذين المشهدين معروفان بين أتباع أهل البيت عليهم السلام ومحبيهم والمسلمين جميعاً، وكذلك يوجد حديث آخر في قبر رأس الحسين عليه السلام حيث قيل: إنه دفن في دمشق، ورأي آخر إنه في القاهرة، والمعروف عند أتباع أهل البيت أنه دفن في كربلاء مع جسده الطاهر عند رجوع السبايا إليها. منه قدس سره.

وتزار هذه القبور وغيرها عادةً من قبل أبناء الجماعة الصالحة الذين تكون سكناهم في المناطق القريبة منها، ويجتمعون - عادة - فيها في ليالٍ أو أيام مخصوصة، كما أنّ بعضها يقصد من قبل الزائرين من أماكن بعيدة أو بلاد أُخرى.

وبذلك يمكن أنْ نقول: إنّ ممارسة الزيارة لأتباع أهل البيت عليهم السلام عامة تكاد تكون في كثير من الأحيان ممارسة أُسبوعية، إنْ لم تكن يومية بالنسبة إلى بعض الأوساط القريبة.

الأوقات العامة للزيارة

وزيارة قبور النبي صلى الله عليه وآله والمعصومين من ذريته وكذلك أولادهم، وإنْ كانت من حيث الزمان ليست محدودة بزمان خاص، ولكن مع ذلك توجد أوقات تحظى باهتمام خاص واجتماع كبير، وذلك إمّا بسبب خصوصية مباركة في تلك الأوقات، أو باعتبار وجود الفرصة المناسبة لدى الناس فيها.

فالأيام ذات العلاقة بالأئمة وذريتهم كولادتهم أو وفاتهم وشهادتهم، تحظى باهتمام خاص في زيارة ذلك الإمام أو ذريته الصالحة.

وكذلك ليلة الجمعة ويومها يحظيان باهتمام خاص؛ لفضيلتها من ناحية أو وجود العطلة العامة فيها من ناحية أُخرى، وخصوصاً زيارة الإمام الحسين عليه السلام في ليلة الجمعة لما ورد فيها من الفضل والثواب.

وكذلك الأيام المباركة كالأعياد، فإنّ وجود هاتين الخصوصيتين فيها يدعو إلى الاهتمام بالزيارة والحضور.

مضافاً إلى ذلك نجد أنّ العطلة الصيفية للمدارس تكون عاملاً مشجعاً على الزيارة؛ بسبب وجود فرصة أفضل لحركة العوائل وتنقلهم وسفرهم، ولاسيما بالنسبة إلى الأماكن البعيدة. ولذلك نجد بعض المراقد تشهد في هذه

المناسبات حضوراً كبيراً يبلغ أكثر من مليون زائر، كما هو في مشاهد الإمام الرضا والإمام الحسين والإمام أمير المؤمنين[١] والسيدة زينب في دمشق.

الزيارات الجامعة

عرفنا فيما سلف أنّ هناك زيارة خاصة في أوقات معينة وعامة يزار بها في كل وقت الإمام المخصوص، ويوجد مضافاً إلى هذه الزيارات التي تخص كل إمام زيارات عامة يعبر عنها (بالجامعة)، يزار بها جميع الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وفي كل مشاهدهم ومشاهد ذريتهم دون استثناء.

وتتضمن هذه الزيارات الجامعة نصوصاً رائعة من ناحية البناء اللغوي، ومضامين عالية وكلية من حيث محتواها المعنوي.

ولعل أشهر هذه الزيارات الجامعة، هي الزيارات التالية:

الأولى: الزيارة المعروفة بـ (أمين الله) وهي من أكثر هذه الزيارات اختصاراً، وهي في غاية الاعتبار - كما يقول عنها العلاّمة القمي - وأدقها مضموناً، وهي تجمع - على اختصارها - بين الزيارة والدعاء للنفس

---

(١) يقل عدد الزوار نسبياً في بعض هذه المشاهد بسبب الظروف السياسية للبلاد، ولذا نجد نقصاً ملحوظاً في عدد الزائرين في العراق بسبب عدوان نظام حكم البعث المجرم فيه على الزائرين، ومنعهم أو التضييق عليهم أو على الناس عامة، وهكذا ما حصل في إيران بسبب ظروف الحرب العدوانية والحصار الذي فرض على الجمهورية الإسلامية، من قبل بعض الدول التي يوجد فيها أتباع أهل البيت عليهم السلام، ولكن مع ذلك نلاحظ أنّ العدد أخذ بالازدياد بشكل منقطع النظير، كما تذكر الأخبار هذه الأيام أنه اجتمع في زيارة الأربعين للسنة الماضية حوالي خمسة ملايين شخص، وزيارة الغدير حوالي ثلاثة ملايين، فضلاً عن زيارة الإمام الرضا في بعض المناسبات التي بلغت عدة ملايين أيضاً. منه قدس سره.

والمناجاة لله تعالى. وقد سبقت الإشارة إليها.

الثانية: زيارة الجامعة الكبيرة المروية عن مولانا وسيدنا الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام، وهي أوسع الزيارات الجامعة وأشهرها، وقد قال عنها العلاّمة المجلسي إنها أصح الزيارات سنداً، وأعمها مورداً، وأفصحها لفظاً، وأبلغها معنىً، وأعلاها شأناً[1].

وقد تصدى الكثير من العلماء الأعلام لشرحها وتفسيرها وتأويل ما ورد فيها مما يوجب الإيهام، وفكّوا معانيها المغلقة دفعاً للاعتراض ورداً للانتقاد، ومنهم العلاّمة المجلسي الأب والد صاحب البحار، وكذلك السيد محمد بن عبد الكريم الطباطبائي البروجردي المعروف، والسيد عبد الله شبر، وغيرهم من الأعلام.

الثالثة: الزيارة الجامعة لأئمة المؤمنين التي رواها السيد ابن طاووس في مصباح الزائر عن الأئمة الطاهرين عليهم السلام، وذُكر لها آداب عند السفر، وهي ذات مضامين عقائدية واجتماعية وسياسية عالية تأتي بالدرجة الثانية بعد الزيارة الجامعة الكبيرة، وقد ذكرها العلاّمة المجلسي بعنوان الزيارة الخامسة[2].

الرابعة: ما رواه ابن قولويه في كامل الزيارات، والكليني في الكافي،

---

(١) بحار الأنوار٩٩: ١٤٤. وقد جاء ذكر هذه الزيارة فيه مع بعض الشرح لها من ص١٢٧ – ١٤٤، وكذلك مفاتيح الجنان: ٥٤٤.

ومن الملاحظ أنّ هذه الزيارة مع زيارة الغدير الواسعة أيضاً وردت عن الإمام الهادي عليه السلام وهما وغيرهما من النصوص مؤشر واضح على طبيعة العمل الذي قام به الإمام الهادي في المرحلة الثالثة من مراحل تاريخ أهل البيت عليهم السلام، وهذا ما سوف نتناوله إنْ شاء اللّه في الكتاب الخامس من هذه الموسوعة عند التوفيق لذلك.

(٢) بحار الأنوار٩٩: ١٦٢، وكذلك مفاتيح الجنان (الملحق): ٥٧٧.

والصدوق في عيون أخبار الرضا، وفي من لا يحضره الفقيه عن الرضا عليه السلام حين سئل عن إتيان مشهد أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام وزيارته فقال: ((**صلوا في المساجد حوله، ويجزي في المواضع كلها** (أي يجزي في زيارة كل من الأئمة عليهم السلام) **أنْ تقول: السلام على أولياء الله وأصفيائه** الخ... **ثم قال: هذا يجزي في الزيارات كلها، وتكثر من الصلاة على محمد وآله، وتسمّي واحداً واحداً بأسمائهم، وتبرأ من أعدائهم، وتخير ما شئت من الدعاء لنفسك والمؤمنين والمؤمنات وهي زيارة مختصرة وجامعة**))[1].

وقد ذكر العلاّمة المجلسي مجموعة أُخرى من الزيارات الجامعة (بلغت أربع عشرة) لم يُنسب أكثرها إلى الأئمة، ولذا احتمل فيها التأليف. كما ذكر العلاّمة القمي زيارة أُخرى جامعة نسبها السيد ابن طاووس إلى الإمام الصادق عليه السلام في خلال أدعية عرفة، أعرضنا عن ذكرها للاختصار ولعدم الاعتبار[2].

مضافاً إلى هذه الزيارات الجامعة يذكر أصحاب كتب المزار زيارات للأئمة عليهم السلام في أيام الأُسبوع، حيث تقسم هذه الأيام على النبي والأئمة المعصومين عليهم السلام، فالسبت لرسول الله صلى الله عليه وآله، والأحد لعلي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام، والاثنين للحسن والحسين عليهما السلام، والثلاثاء لعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد عليهم السلام، والأربعاء لموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد عليهم السلام، والخميس للحسن بن علي العسكري عليه السلام، والجمعة للإمام الحجة عجل الله فرجه. وزاد في مصباح الزائر إضافة فاطمة الزهراء مع النبي في إهداء الصلاة لها.

وقد ذكر في البحار حديثاً بهذا المعنى من التقسيم، ونصوصاً للزيارة كل

---

(١) بحار الأنوار ٩٩: ١٢٦، ومفاتيح الجنان: ٥٤٣.

(٢) بحار الأنوار ٩٩: ١٢٦ - ٢٠٩، وكذلك مفاتيح الجنان: ٥٥٢.

يوم، وكذلك صلوات على المعصومين الأربعة عشر[1].

---

(١) بحار الأنوار١٠٢: ٢١٠ - ٢٣٠، ح١.



الشعائر الإسلاميّة العامّة

الأيام والليالي:

١. ليلة القدر

٢. عيدا الفطر والأضحى

٣. يوم الجمعة وليلته

٤. الليالي الأربع

٥. الأيام الأربعة

٦. يوم عاشوراء

٧. يوم عاشوراء والأمويون

٨. أيام أُخرى

الأيام والليالي

العنوان الثاني من الشعائر هو الأيام والليالي، حيث نلاحظ أنّ الإسلام الحنيف عيّن بعض الأيام الخاصة لإقامة الشعائر الإسلامية، وجعل لها رسوماً وأحكاماً ووظائف معينة.

وقد عُرف على مستوى الأُمة الإسلامية من الأيام: اليوم الأول من شوال (عيد الفطر)، واليوم العاشر من ذي الحجة (عيد الأضحى)، وكذلك (يوم الجمعة) من كل أُسبوع من الشعائر الإسلامية.

حيث يجب في عيدي الفطر والأضحى الإفطار من الصوم، وكذلك تؤدى فيهما صلاة شبيهة بصلاة الجمعة مع تأخير الخطبتين في العيدين وتقديمهما في الجمعة، ووقتها في الجمعة الظهر وفي العيدين في أول النهار.

كما يجب الإنفاق فيهما، حيث تجب زكاة الفطرة في عيد الفطر، والنحر والذبح في عيد الأضحى للحاج بحج التمتع. ويستحب فيهما الإنفاق استحباباً مؤكداً وخصوصاً الأُضحية في عيد الأضحى لغير الحاج. إلى غير ذلك من الأعمال والمراسيم، كالدعاء وتبادل الزيارة بين الإخوان والأرحام، كما جرى عليه المسلمون في جميع العصور.

وأمّا يوم الجمعة فتجب فيه الصلاة المعروفة التي تحدث عنها القرآن الكريم في سورة الجمعة[1] - تعييناً أو تخييراً - بالشروط التي يذكرها الفقهاء في رسائلهم العملية.

كما أنّه يوم اتخذه المسلمون للعبادة والأعمال الصالحة وتعطيل الأعمال

---

(١) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

اليومية العادية.

وأمّا من الليالي فقد عرفت ليلة القدر التي ذكرها الله سبحانه بالتكريم والتعظيم، وفضلها على ألف شهر، وأنزل فيها القرآن الكريم، وخصّصت من قبله تعالى لتقدير أُمور الإنسان والحياة، حيث يفرق فيها كل أمرٌ حكيم، قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۞ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۞ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۞ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ**﴾.

وقال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۞ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۞ أَمْراً مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ**﴾[1].

وقد أجمع المسلمون على تعظيم هذه الليلة المباركة، التي هي من ليالي شهر رمضان كما يفهم ذلك من القرآن الكريم، وإنْ اختلفوا في تعيين وتشخيص هذه الليلة كما سوف نشير إلى ذلك.

منهاج أهل البيت في الأيام والليالي

ولكن مضافاً إلى ذلك كله نجد أنّ أهل البيت عليهم السلام قد كشفوا عن منهاج إسلامي واسع في هذا المجال لإحكام بناء الجماعة الصالحة، سواء فيما يتعلق بالأيام والليالي المعروفة لدى عامة المسلمين، أم الأيام والليالي الأخرى غير المعروفة في الوسط العام.

وهنا نحاول أنْ نشير إجمالياً إلى هذا المنهاج الإسلامي الذي رعاه أهل البيت عليهم السلام، وقدموه للأُمة من خلال علمهم بالشريعة الإسلامية، الذي تميزوا به عن جميع المسلمين.

---

(١) الدخان:٣ – ٥.

١. ليلة القدر

تعتبر ليلة القدر أهم ليلة في السنة من حيث الشرف والأهمية والقدر، وقد تحدّث عنها القرآن الكريم في سورة كاملة هي سورة القدر، كما ورد الحديث عنها في القرآن أنّها الليلة التي يفرق فيها كلّ أمر حكيم كما ذكرنا.

كما وردت روايات كثيرة في فضلها وشرفها وأهميتها والآثار المترتبة عليها[١] مثل قوله عليه السلام: ((**ولا يحلّ لكوكب أنْ يرمى به فيها حتى يصبح**))[٢].

وقوله عليه السلام: ((**العمل فيها خير من العمل في ألف شهر**))[٣].

ويبدو من القرآن الكريم والروايات في ليلة القدر، أنها:

١. فرصة ونعمة منحها الله تعالى لهذه الأمة، من أجل أنْ تعبّر عن وجودها وتجسّد أهدافها وأمانيها من خلال العمل الصالح، والتوبة والإنابة إلى الله تعالى؛ وبذلك يتحقق للإنسان عند اختياره للعمل في الوقت المناسب كلّ ما يصبو إليه، ويمنح العمل بهذا الاختيار أبعاداً واسعة وقيمة كبيرة أوسع وأعظم من الوقت المحدد لحياة الإنسان، وهذه الحقيقة يجدها الإنسان في بعض الأعمال التي يأتي بها في ظروف خاصة، كما ورد في قول النبي صلى الله عليه وآله عندما قَتل عليُ بن أبي طالب عليه السلام عمرو بن ودّ العامري يوم الخندق: ((**لمبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن ود يوم الخندق أفضل من عمل أمتي إلى يوم القيامة**))[٤]؛ لأن هذه الضربة لا يحدّها الجهد المبذول

---

(١) راجع تفسيري الدر المنثور، ونور الثقلين في تفسير سورة القدر.

(٢) الاستذكار٣: ٤١٧.

(٣) الكافي٤: ٦٦، ح٢.

(٤) شواهد التنزيل٢: ١٧، تأريخ بغداد١٢: ١٩، تأريخ مدينة دمشق٥٠: ٣٣٣، والحديث من الأحاديث المستفيضة، وذكر بألسنة مختلفة.

وحده، بل قيمتها من وقتها الخاص وظروفها الخاصة.

٢. الليلة التي يتمّ فيها التقدير والفصل والقضاء في شؤون الخلق، حيث إنّ القرارات الإلهية تارة تكون من خلال الدورة الكونية المادية والنظام الإلهي الذي يحكم سلسلة الأسباب والمسببات، وأُخرى من خلال الأوامر الإلهية التي تتجاوز هذا النظام الكوني، والذي يعبر عنه القرآن الكريم بقوله: ﴿**وَمَا أَمْرُنَا إلا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ**﴾[1]، و ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[2].

ويبدو - والله العالم - أنّ موسم شهر رمضان إنّما جاء لتأهيل الإنسان المؤمن كي يصعد في درجات الكمال من خلال العبادة فيه، ويكون مورداً وموضعاً لهذه القرارات الإلهية المنسجمة مع الرحمة الإلهية.

وقت ليلة القدر

اختلفت الروايات الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام في تعيين ليلة القدر بعد اتّفاقها أنها في شهر رمضان، ويبدو من بعض هذه الروايات أنّ هذا الإخفاء والتستّر عليها كان مقصوداً ومستهدفاً؛ ليستزيد العبد الصالح من الأعمال الصالحة والدعاء والمناجاة والتضرع إلى الله تعالى والإنفاق والصلاة وغيرها؛ حيث سُئل الإمام المعصوم عليه السلام في بعض الروايات عن ليلة القدر أنها أيّ ليلة (إحدى وعشرين أو ثلاثة وعشرين)، فلم يعين، بل قال: ((**ما أيسر ليلتين فيما تطلب**))[3]، وقال: ((**ما عليك أنْ تفعل خيراً في**

---

(١) القمر: ٥٠.

(٢) يس: ٨٢.

(٣) الكافي ٤: ١٥٦، ح٢.

ليلتي))[١].

والمعروف من الليالي التي تحتمل فيها ليلة القدر هي الليلة التاسعة عشرة من رمضان، والحادية والعشرون، والثالثة والعشرون، والأخيرة أشهر هذه الليالي لما ورد فيها من الروايات الكثيرة، وهي معروفة بليلة الجهني؛ وهو أحد المسلمين الذين كانوا يسكنون خارج المدينة، وقد سأل رسول الله ﷺ أنْ يعيّن له ليلة يتفرّغ فيها للعبادة فعيّن له ليلة الثالث والعشرين.

ولعل ما يشير إلى هذه الحقيقة ما ورد من تفاصيل أكثر في أعمال الليلة الثالثة والعشرين[٢].

أعمال ليلة القدر

وتكاد أنْ تكون الأعمال الواردة في هذه الليلة مشتركة بحسب طبيعتها، وإنْ كانت في التفاصيل تنقسم إلى نوعين: أعمال مشتركة، وأعمال مختصّة بكل واحدة منها.

فقد ورد في الأعمال المشتركة على مستوى التفاصيل:

١. الغسل.

٢. صلاة ركعتين مع الاستغفار.

٣. دعاء سؤال العتق من النار وقضاء الحاجات بشفاعة القرآن.

٤. دعاء طلب الحاجات بالقرآن والمؤمنين، ثم القسم بالله وبالمعصومين الأربعة عشر.

٥. زيارة الإمام الحسين عليه السلام.

---

(١) أمالي الصدوق: ٦٩٠، ح٢.

(٢) يحتمل وجود ارتباط بين هذه الليالي الثلاثة بأنْ تكون إحداها مقدمة وتهيئة للأُخرى، بحيث يتكامل الحال في الليلة الثالثة والعشرين. منه قدس سره.

٦. الإحياء لهذه الليالي.

٧. صلاة مائة ركعة، والإكثار من الاستغفار والدعاء بمطالب الدنيا والآخرة للنفس والوالدين والأقارب والإخوان والمؤمنين الأموات والأحياء.

٨. الإكثار من الصلاة على محمد وآله.

٩. الإكثار من ذكر الله تعالى والتحميد والتمجيد والتسبيح والتكبير والتهليل له سبحانه وتعالى.

وقد ذكر لذلك بعض النصوص مثل دعاء: ((**اللهم إني أمسيت لك عبداً داخراً**)) الذي كان الإمام زين العابدين يكثر الدعاء به في هذه الليالي على ما رواه الكفعمي، وكذلك دعاء الجوشن الكبير ودعاء الجوشن الصغير؛ فإنّ هذه الأدعية تتضمن الفقرات الثلاث الأخيرة خاصة. مضافاً إلى ما فيها من الإحياء بالعبادة لهذه الليالي.

١٠. طلب العلم والمعرفة بالشريعة وأحكامها وأخلاقها ومفاهيمها، فإنّ أفضل أعمال الإحياء لهذه الليالي القيام بهذا العمل الجليل كما ذكره الشيخ الصدوق[١].

وأمّا الأعمال المختصة بكل من تلك الليالي الثلاث.

فقد اختصت الليلة التاسعة عشرة بالاستغفار مائة مرة، ولعن قتلة أمير المؤمنين مائة مرة؛ إذ إنّ هذه الليلة هي الليلة التي أصيب بها الإمام علي عليه السلام بضربة سيف، على يد عبد الرحمن بن ملجم الخارجي (لعنه الله).

كما أنّه يتأكد فيها دعاءان خاصان يُدعى بهما في ليالي شهر رمضان،

---

(١) مفاتيح الجنان: ٢٢٥ – ٢٢٦.

وهما دعاء: ((**اللهم اجعل فيما تقضي وتقدر**))[1]، ودعاء ((**يا ذا الذي كان**))[2].

وأمّا الليلة الحادية والعشرون فهي إحدى الليلتين المعروفتين بليلة القدر، وهي أشهر وأكثر احتمالاً من سابقتها.

ويبدأ فيها بأعمال وأدعية العشر الأواخر من شهر رمضان التي تختص بالمزيد من العبادة والإحياء، حيث كان رسول الله ﷺ يطوي فراشه ويشد مئزره للعبادة في العشر الأواخر من الشهر، وكان يلازم المسجد ويعتكف فيه، وقد ضربت له فيه قبة من شعر.

وقد ورد تأكيد إحيائها بالصلاة والدعاء والصلاة على محمد وآله واللعن لظالمي محمد وآله، حيث كانت فيها شهادة الإمام علي عليه السلام ويحسن زيارته في يومها[3].

وأمّا الليلة الثالثة والعشرون فهي أفضل الليالي كما ذكرنا، وقد ورد فيها أعمال خاصة، منها قراءة القرآن ولاسيما بعض سوره الخاصة، مثل: العنكبوت والروم والدخان، وسورة القدر ألف مرة، والتأكيد على زيارة الإمام الحسين عليه السلام خاصة.

وكذلك الدعاء للإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف: ((**اللهم كن لوليك الحجة ابن الحسن صلواتك عليه وعلى آبائه في هذه الساعة وفي كل ساعة ولياً وحافظاً وقائداً وناصراً ودليلاً وعيناً حتى تسكنه أرضك طوعاً وتمتّعه فيها طويلاً**))، حيث يحسن تكرار هذا الدعاء في مختلف الأوقات أيضاً.

كما يستحب الإتيان ببعض نصوص الأدعية الصغيرة التي وردت في

---

(١) مفاتيح الجنان: ٢٢٦.

(٢) مفاتيح الجنان: ٢١٥.

(٣) مفاتيح الجنان: ٢٢٧ – ٢٣٤.

كتب الأدعية[١].

وينبغي الالتفات في نهاية الحديث عن ليالي القدر إلى أنّ يوم القدر له قيمة وأهمية خاصة تشبه قيمة ليلة القدر، كما ورد ذلك في بعض الروايات المعتبرة[٢]، وهذا يشبه ما لليلة الجمعة من أهمية تكتسبها من يوم الجمعة نفسه.

٢. عيدا الفطر والأضحى

يشترك العيدان - كما عرفنا - في جملة من الأحكام، مثل حرمة صومهما ووجوب الصلاة أو استحبابها فيهما على تفصيل ذكره الفقهاء في رسائلهم العملية، وكذلك وجوب الإنفاق فيهما أو استحبابه والدعاء والزيارة للإخوان.

وقد جاء التأكيد من أهل البيت عليهم السلام لعدة أُمور أُخرى، فيهما:

الأول: أعمال وتكبيرات وأدعية خاصة بهما ولاسيما في عيد الفطر. وقد ورد في الصحيفة السجادية دعاء خاص بهما.

الثاني: الغسل في يومي العيدين.

الثالث: الزينة والطيب وتحسين الثياب والهيئة والنظافة.

الرابع: زيارة الإمام الحسين عليه السلام.

الخامس: مضاعفة الأجر للأعمال المستحبة التي يحسن للإنسان الإتيان بها في سائر الأيام، وذلك لأن هذه الأيام لها فضل خاص ينعكس إيجابياً على الأعمال التي تؤدى فيها.

---

(١) مفاتيح الجنان: ٢٣٥.

(٢) مفاتيح الجنان: ٢٣٦.

٣. يوم الجمعة وليلته

يمتاز يوم الجمعة وليلته على سائر الأيام والليالي الأُخرى سمواً وشرفاً، فقد جاء في أحاديث أهل البيت عليهم السلام وصفه بأنه يوم أزهر يعتق الله في كل ساعة من ساعاته ستمائة ألف عتيق من النار، وفيه يضاعف الله الحسنات ويمحو السيئات ويرفع الدرجات، ويقضي الحاجات ويكشف فيه الكربات ويستجيب الدعاء، ويغفر الذنوب ويقبل التوبة وينزل الأرزاق، وينتقم الله للمظلوم من الظالم.

ونشير بهذا الصدد إلى ثلاث روايات معتبرة.

١. عن الرضا عليه السلام قال: ((**قال رسول الله** صلى الله عليه وآله: **إنّ يوم الجمعة سيد الأيام، يضاعف الله فيه الحسنات ويمحو فيه السيئات ويرفع فيه الدرجات، ويستجيب فيه الدعوات ويكشف فيه الكربات ويقضي فيه الحوائج العظام، وهو يوم المزيد، لله فيه عتقاء وطلقاء من النار. ما دعا فيه أحد من الناس وقد عرف حقّه وحرمته إلاّ كان حقّاً على الله عزّ وجل أنْ يجعله من عتقائه وطلقائه من النار. فانْ مات في يومه وليلته مات شهيداً وبُعث آمناً، وما استخفّ أحد بحرمته وضيّع حقّه إلاّ كان حقّاً على الله عزّ وجل أنْ يصليه نار جهنم إلاّ أنْ يتوب**))[1].

٢. وعن الباقر عليه السلام: ((**ما طلعت الشمس بيوم أفضل من يوم الجمعة، وإنّ كلام الطير إذا لقي بعضها بعضاً سلام سلام يوم صالح**))[2].

٣. وعن الصادق عليه السلام قال: ((**من وافق منكم يوم الجمعة فلا يشتغلن بشيء غير العبادة، فإنّ فيه يُغفر للعباد وتنزل عليهم الرحمة**))[3].

---

(١) الكافي٣: ٤١٤، ح٥.

(٢) الكافي٣: ٤١٦، ح١١.

(٣) جمال الإسبوع: ١٤٧.

وتجب الصلاة في يوم الجمعة على تفصيل يذكره الفقهاء، ومضافاً إلى ذلك نجد مجموعة من الأعمال والمستحبات في هذا اليوم وليلته يمكن الاطلاع على تفاصيلها في كتب الأدعية والأعمال، ويأتي في مقدمتها هذه العناوين:

١. الغسل في يوم الجمعة، حيث يتأكد فيه استحبابه، بل قال بعض العلماء بوجوبه.

٢. قراءة القرآن الكريم، ولاسيما سورة الرحمن والأحقاف والمؤمنون والواقعة.

٣. الإنفاق والصدقة والإحسان، ولاسيما بالنسبة إلى الأهل والعائلة.

٤. التأنّق في اللباس وتحسين الهيئة وتطييب الرائحة في يوم الجمعة.

٥. الصلوات الخاصة مثل صلاة النبي، وعلي، وفاطمة، وجعفر الطيار صلوات الله عليهم أجمعين، وغيرها من صلوات الأئمة الطاهرين، وكذلك الإكثار من الصلاة على محمد وآله.

٦. الأدعية والأذكار الخاصة المأثورة، مثل دعاء كميل ودعاء ((**من تهيأ وتعبأ**))، ودعاء ((**يا شاهد كل نجوى**))، ودعاء الإمام علي بن الحسين يوم الجمعة، ودعاء السمات وغيرها من الأدعية، وكذلك التسبيحات الأربع وغيرها من الأذكار.

٧. زيارة الإمام الحسين عليه السلام ليلة الجمعة، وزيارة النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، وزيارة القبور في صبيحة يوم الجمعة وزيارة الإخوان.

٨. الاهتمام بتعلّم الأمور الدينية والأحكام الشرعية.

٤. الليالي الأربع

الليالي الأربع هي: ليلة الفطر، والأضحى، والأول من رجب، والنصف من شعبان، وهي ليالٍ تشترك في أهميتها وفضلها وإحيائها

بالعبادة.

وقد ورد عن الصادق عليه السلام، عن آبائه «أنّ الإمام علياً عليه السلام كان يعجبه أنْ يفرغ نفسه أربع ليالٍ في السنة، وهي أول ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان وليلة الفطر وليلة النحر»[1].

وتشترك هذه الليالي ببعض الأعمال:

١. زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وهي عمل يحسن الإتيان به في جميع الليالي الشريفة، كما يظهر من متابعة مفرداتها.

٢. الغسل باستثناء ليلة الأضحى الذي لم يرد فيها ذكر له.

٣. كما تشترك ليلتا العيدين بدعاء ((**يا دائم الفضل على البرية**))، الذي يستحب الإتيان به في ليلة الجمعة أيضاً.

ولكن هذه الليالي يختص بعضها - أيضاً - ببعض التفاصيل التي تعبر عن نهج خاص لإحيائها، وهو أمر مشترك بينها كما عرفنا.

فقد وردت في فضل العبادة في ليلة الفطر وإحيائها أحاديث متعددة، وروي أنها لا تقل عن ليلة القدر أهمية. ولها عدة أعمال:

١. الغسل.

٢. إحياؤها بالعبادة، كالصلاة والدعاء والاستغفار والبيتوتة في المسجد.

٣. التكبيرات الأربع في أعقاب صلاة المغرب والعشاء والصبح وصلاة العيد.

٤. الصلوات بصيغ متعددة وأوقات مختلفة لملء وقت الإحياء.

٥. زيارة الإمام الحسين عليه السلام.

٦. دعاء ((**يا دائم الفضل على البرية**)).

---

(١) مصباح المتهجد: ٦٤٨.

وأما ليلة الأضحى فهي ليلة مباركة تفتح فيها أبواب السماء، وقد وردت فيها أدعية خاصة بالمبيت بالمشعر الحرام في الحج، ولكن مع ذلك ورد بعض الأعمال مضافاً إلى الإحياء بالعبادة والصلاة والدعاء:

١. زيارة الإمام الحسين عليه السلام.

٢. دعاء ((**يا دائم الفضل على البرية**))[١].

٣. صلاة ست ركعات بقراءة خاصة[٢].

ولا يبعد أنْ يكون الغسل أحد أعمال هذه الليلة، وإنْ لم يرد نص بذلك انسجاماً مع هذه الظاهرة، التي تكاد أنْ تكون ملازمة لأعمال كل يوم شريف أو ليلة شريفة. والله العالم.

ومن اللافت للنظر أنه لم يأتِ من النصوص شيء مهم في أعمال ليلة عيد الأضحى، كما لم تتعرض كتب الأعمال والدعاء لتفاصيل أُخرى. ولعل السبب في ذلك هو أنّ الاهتمام بهذه الليلة جاء في سياق أعمال الحج. والله العالم.

وأما ليلة أول رجب، فقد وردت فيها مجموعة من الأعمال في كتب الأعمال والأدعية:

١. الغسل، حيث ذكر بعض العلماء عن النبي صلى الله عليه وآله أنه من اغتسل في أول رجب ووسطه وآخره خرج من ذنوبه كيوم ولدته أُمه.

٢. زيارة الإمام الحسين عليه السلام.

٣. الصلاة بصيغ متعددة.

---

(١) المصباح للكفعمي: ٦٤٧.

(٢) وسائل الشيعة٥: ٢٢٢، ح٤. وهذه الرواية وإنْ كانت واردة في سياق ليلة الفطر، لكنها جاءت مطلقة من حيث التعبير بليلة العيد.

٤. الدعاء بصيغ متعددة أيضاً[١].

وأما ليلة النصف من شعبان فهي ليلة بالغة الشرف، حيث وردت الأحاديث عن أهل البيت عليهم السلام في إجلالها وإعظامها، فقد روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: ((**سئل الباقر عليه السلام عن فضل ليلة النصف من شعبان فقال: هي أفضل ليلة بعد ليلة القدر، فيها يمنح الله العباد فضله ويغفر لهم بمنه، فاجتهدوا في القربة إلى الله فيها؛ فإنها ليلة آلى الله على نفسه ألاّ يرد سائلاً سأله فيها ما لم يسأله معصية. وإنها الليلة التي جعلها الله لنا أهل البيت بإزاء ما جعل ليلة القدر لنبينا صلى الله عليه وآله، فاجتهدوا في الدعاء والثناء على الله**))[٢].

وقد ورد في حديث معتبر عن زرارة قال: ((**قلت لأبي جعفر الباقر عليه السلام: ما تقول في ليلة النصف من شعبان؟ قال: يغفر الله عزّ وجل فيها من خلقه لأكثر من عدد شعر مغرى كلب، وينزل الله عزّ وجل فيها ملائكة إلى السماء الدنيا وإلى الأرض بمكة**))[٣].

ومن عظيم بركاتها أنها كانت مولد الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف عند السحر من عام مائتين وخمس وخمسين.

وقد ورد فيها أعمال عديدة بالإضافة إلى إحيائها:

١. الغسل فإنّه يوجب تخفيف الذنوب.

٢. زيارة الإمام الحسين عليه السلام، حيث وردت روايات عديدة مؤكدة أهمية هذه الزيارة، كما ذكرنا ذلك في بحث الزيارات.

٣. الدعاء بصيغ خاصة بها، ومنها دعاء كميل والدعاء بعد صلاة

---

(١) مفاتيح الجنان: ١٤٠ – ١٤١.

(٢) وسائل الشيعة٥: ٢٣٨، ح٣.

(٣) وسائل الشيعة٥: ٢٣٨، ح١.

الشفع في الأسحار، وكذلك الأدعية المأثورة في السحر.

٤. الصلاة على رسول الله وآله الأطهار.

٥. الصلاة بصيغ خاصة بهذه الليلة، ومنها صلاة جعفر الطيار.

٦. السجدات المأثورة عن رسول الله ﷺ في هذه الليلة[١].

٥. الأيام الأربعة

الأيام الأربعة هي: يوم المبعث النبوي الشريف، وهو يوم السابع والعشرون من رجب، ويوم المولد النبوي الشريف، وهو يوم السابع عشر من ربيع الأول، ويوم الغدير، وهو يوم الثامن عشر من ذي الحجة، ويوم دحو الأرض، وهو يوم الخامس والعشرون من ذي القعدة الحرام.

ولهذه الأيام فضل كبير، ويحسن التعريف بها كما جاء في النصوص الشريفة عن أهل البيت عليهم السلام، مع بيان جملة الأعمال التي تحدثت عنها كتب الأعمال والدعاء.

كما أنّه ورد الحديث الخاص عن أهل البيت عليهم السلام في استحباب صيام هذه الأيام، وأنّ صيامها يعدل ستين شهراً.

فيوم المبعث النبوي هو اليوم الذي بعث فيه رسول الله وأنزلت فيه النبوة عليه ﷺ، وقد أشرنا إلى ذلك في موضوع الزيارات، والأعمال فيه، هي:

١. الغسل.

٢. الصيام - كما ذكرنا -.

٣. الإكثار من الصلاة على محمد وآله الأطهار.

٤. زيارة النبي ﷺ والإمام علي عليه السلام. وقد سبق الحديث عنها في بحث الزيارات.

---

(١) مفاتيح الجنان: ١٦٥ - ١٧٠.

٥. صلاة خاصة من اثنتي عشرة ركعة، لكل ركعتين تسليمة بكيفية خاصة يعقبها قراءة للقرآن وذكر خاص.

٦. دعاء خاص للإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام حين انطلق به هارون الرشيد إلى بغداد في السفر الذي قتل فيه، حيث كان اعتقاله في مثل هذا اليوم. وليلة هذا اليوم هي ليلة شريفة أيضاً وفيها أعمال[١].

وأما اليوم الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو اليوم السابع عشر من ربيع الأول على أشهر الروايات فيه عند الإمامية الاثني عشرية كما ذكرنا. فالأعمال فيه هي كالتالي:

١. الغسل.

٢. الصوم - كما ذكرنا -.

٣. زيارة للنبي صلى الله عليه وآله عن قرب أو بعد، وكذلك زيارة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، وقد سبق الحديث عنها في بحث الزيارات.

٤. صلاة خاصة يتلوها دعاء خاص[٢].

وأما يوم الغدير فهو يعتبر من أهم وأعظم الأيام والأعياد حسب النصوص الواردة عن أهل البيت عليهم السلام؛ حيث كان فيه نصب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للولاية والإمامة بعد النبي صلى الله عليه وآله، وأخذ البيعة له من المسلمين بعد الانتهاء من حجة الوداع عندما دعا النبي صلى الله عليه وآله المسلمين للاجتماع في مفترق الطرق، حيث نزل عليه الوحي الإلهي بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ**

(١) مفاتيح الجنان: ١٤٨ و ١٥٢.

(٢) مفاتيح الجنان: ٢٩٦.

مِنَ النَّاسِ﴾[١]، فصعد رسول الله المنبر الذي صنع له من أحداج الإبل وقال: ((**من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه**))[٢]. وكان ذلك بعد أنْ أشهدهم على إبلاغه للرسالة وحسن أدائه فيها، وأنّه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، في قضية يرويها المحدثون والمؤرخون من المسلمين على اختلاف مذاهبهم، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً.

ونزل فيها القرآن أيضاً، وهو قوله تعالى: **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾**[٣].

ويبدو من بعض الروايات الواردة عن أهل البيت أنْ اتخاذ يوم الغدير عيداً كان لوصية رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام بذلك.

فقد روى الكليني عن عبد الرحمن بن سالم، عن أبيه قال: ((**سألت أبا عبد الله عليه السلام: هل للمسلمين عيد غير يوم الجمعة والأضحى والفطر؟ قال: نعم، أعظمها حرمة. قلت: وأي عيد هو جعلت فداك؟ قال: اليوم الذي نصب فيه رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه... فقلت: وما ينبغي لنا أنْ نفعل في ذلك اليوم؟ قال: تذكرون الله عزّ ذكره فيه بالصيام والعبادة والذكر لمحمد وآل محمد؛ فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى أمير المؤمنين أنْ يتخذ ذلك اليوم عيداً، وكذلك كانت الأنبياء عليهم السلام تفعل، كانوا يوصون أوصياءهم بذلك فيتخذونه عيداً**))[٤].

وفي رواية أخرى: ((**فإنّ الأنبياء كانت تأمر الأوصياء باليوم الذي كان**

---

(١) المائدة:٦٧.

(٢) الكافي١: ٢٩٢، ح٣. وقريب منه في مسند أحمد١: ٨٤، وسنن الترمذي٥: ٢٩٧.

(٣) المائدة:٣.

(٤) الكافي٤: ١٤٩، ح٣.

يقام فيه الوصي أنْ يتخذ عيداً))[١].

كما أنّ بعض الروايات تشير إلى جذر تاريخي لهذا اليوم فتقول: ((**إنه اليوم الذي تاب الله فيه على آدم عليه السلام فصام شكراً لله تعالى ذلك اليوم، وإنّه اليوم الذي نجى تعالى الله تعالى فيه إبراهيم عليه السلام من النار فصام شكراً لله تعالى على ذلك، وإنّه اليوم الذي أقام موسى هارون عليه السلام علماً فصام شكراً لله ذلك اليوم، وإنّه اليوم الذي أظهر عيسى وصيه شمعون الصفا، فصام شكراً لله عزّ وجل ذلك اليوم، وإنّه اليوم الذي أقام فيه رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام للناس علماً وأبان فيه فضله ووصيّه.. وإنّه ليوم صيام وقيام وإطعام وصلة الإخوان وفيه مرضاة الرحمن، ومرغمة الشيطان))**[٢].

وقد ورد في كتب الأدعية والأعمال مجموعة من الأعمال في هذا اليوم الشريف:

١. الغسل.

٢. الصوم.

٣. زيارة أمير المؤمنين عليه السلام، كما تقدم في بحث الزيارات.

٤. الصلاة، وقد ذكرت عدة صلوات فيه.

٥. الدعاء وشكر الله تعالى على النعمة العظيمة، وهي نعمة الولاية، حيث ذكر السيد في الإقبال مجموعة من الأدعية الطويلة في هذا اليوم.

٦. الزينة، مثل: الطيب وتحسين الثياب وإظهار السرور والابتهاج.

٧. الإنفاق وقضاء الحوائج، وصلة الأرحام والتوسعة على العيال

---

(١) مصباح المتهجد: ٧٣٧.

(٢) وسائل الشيعة٧: ٣٢٧، ح١٢. ومع قطع النظر عن صحة هذه الروايات أو بعض تفاصيلها فإنّ من المؤكد أنّ هذا اليوم من الأيام التي أهتم بها أهل البيت عليهم السلام اهتماماً خاصاً، واعتبروه عيداً من أعياد الأمة والجماعة الصالحة. منه قدس سره.

وإطعام المؤمنين وتفطير الصائمين.

٨. زيارة الإخوان ومصافحتهم ومؤاخاتهم وإرسال الهدايا لهم.

٩. الإكثار من الصلاة على محمد وآله.

١٠. الاهتمام بالعبادة والطاعة[1].

وأما يوم دحو الأرض، الذي هو يوم الخامس والعشرون من ذي القعدة، حيث ورد في حديث معتبر عن الرضا عليه السلام: ((**ليلة خمس وعشرين من ذي العقدة ولد فيها إبراهيم عليه السلام وولد فيها عيسى بن مريم عليه السلام وفيها دحيت الأرض من تحت الكعبة**))[2].

ومضافاً إلى ذلك ورد في هذا اليوم إنزال الكعبة والرحمة من السماء على آدم[3].

ومن هنا نعرف أهمية هذا اليوم، فهو يمثل ولادة الأرض وولادة البيت المعمور والرحمة الإلهية. مضافاً إلى ولادة إبراهيم وعيسى عليهما وعلى نبينا أفضل السلام والتحية.

وقد ورد في كتب الأدعية والأعمال مجموعة من الأعمال في هذا اليوم الشريف:

١. الصيام.

٢. الغسل.

٣. الصلاة، وقد وردت لها صيغة معينة من ركعتين تصلّى عند الضحى بالحمد مرة والشمس خمس مرات مع دعاء خاص بها.

٤. دعاء خاص بهذا اليوم رواه الشيخ في المصباح.

---

(١) مفاتيح الجنان: ٢٧٦ – ٢٨١.

(٢) وسائل الشيعة٧: ٣٣١، ح١.

(٣) وسائل الشيعة٧: ٣٣٢، ح٤.

٥. زيارة الإمام الرضا عليه السلام كما ذكر السيد الداماد ذلك في رسالته.

٦. الإكثار من العبادة وذكر الله فيه كما ورد ذلك في ليلته أيضاً[١].

٦. يوم عاشوراء

وهو اليوم العاشر من محرم الحرام الذي قتل فيه الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام سبط رسول الله من ابنته الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام.

وكان استشهاده في حادثة مروعة لا نظير لها في التأريخ الإنساني؛ حيث قتل هو وأهل بيته الثمانية عشر وأصحابه الذين يزيدون على السبعين، وفيهم الشيوخ والعلماء وكبار الصحابة والتابعين، كما كان فيهم الأطفال والنساء والغلمان والفتيان والشباب.

وكان قتلهم بعد محاصرتهم ومنع الماء عنهم حتى قضوا عطشاً بدون ذنب إلاّ أنهم رفضوا بيعة يزيد بن معاوية الطاغية المعروف.

وقد قاتل الحسين عليه السلام مع أهل بيته وأصحابه قتال الأبطال الشجعان، وأبدوا الدرجة العالية من الصبر والصمود، وقوة التحمل والثبات على المبادئ والأخلاق العالية في التعامل مع الأحداث، وإيضاح الحقائق والأهداف التي ضحوا من أجلها، الأمر الذي كان له أثر عظيم في التأريخ الإسلامي والإنساني.

وقد تحدثنا سابقاً عن آثار هذه القضية والشعائر المرتبطة بها وتفسيرها.

ويعتبر هذا اليوم من أهم الأيام عند أتباع أهل البيت والجماعة الصالحة؛ حيث يتخذونه يوماً للعزاء والحزن تأسياً بأئمة أهل البيت عليهم السلام، ويشاركون فيه جميعاً، ويعقدون فيه الاجتماعات الواسعة بحيث لا نكاد نجد يوماً يجتمع فيه أبناء الجماعة الصالحة كهذا اليوم.

---

(١) مفاتيح الجنان: ٢٤٨ - ٢٥٠.

ولهذا اليوم آداب ومراسيم أهمها:

١. الزيارة التي سبق الإشارة إليها.

٢. الجلوس للعزاء والبكاء وقراءة مقتل الحسين عليه السلام وغير ذلك من مراسيم العزاء التي سبق الحديث عنها.

٣. ترك السعي في حوائج الدنيا، فقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: **((من ترك السعي في حوائجه يوم عاشوراء قضى الله له حوائج الدنيا والآخرة، ومن كان يوم عاشوراء يوم مصيبته وحزنه وبكائه يجعل الله عز وجل يوم القيامة يوم فرحه وسروره وقرّت بنا في الجنان عينه، ومن سمّى يوم عاشورا يوم بركة وادّخر لمنزله فيه شيئاً لم يبارك له فيما ادّخر، وحشر يوم القيامة مع يزيد وعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد لعنهم الله))**[1].

٤. عزاء المؤمنين بعضهم بعضاً، فيقول أحدهم للآخر: عظم الله أجورنا بمصابنا بالحسين عليه السلام، وجعلنا وإياكم من الطالبين بثأره مع وليه الإمام المهدي من آل محمد عليهم السلام.

٥. بذل الطعام وسقي الماء للمؤمنين ولأهل العزاء.

٦. التبرؤ من قتلة الحسين ولعنهم، وكذلك من أشياعهم وأتباعهم ومن رضي بفعلهم وسار بسيرتهم إلى يوم القيامة.

٧. قراءة سورة التوحيد والإكثار منها.

يوم عاشوراء والأمويون

وقد كان بنو أمية يتبركون بهذا اليوم ويعدونه يوم عيد وسرور، ووضعوا روايات في عهدهم على لسان رسول الله كذباً وزوراً تحث على صيامه والتبرك به، تنكيلاً بأهل البيت عليهم السلام وتضليلاً للمسلمين وإبعادهم عن حقيقة

---

(١) وسائل الشيعة ١٠: ٣٩٤، ح٧.

حوادث هذا اليوم وأهداف ثورة الإمام الحسين عليه السلام فيه.

ومن الروايات التي ورد فيها تأكيد استحباب صوم يوم عاشوراء والتبرك به، ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس: ((**ما رأيت رسول الله يتحرى صيام يوم فضّله على غيره إلاّ هذا اليوم يوم عاشوراء، وهذا الشهر شهر رمضان**))[١].

كما رويا عن أبي موسى الأشعري قال: ((**كان أهل خيبر يصومون يوم عاشوراء يتخذونه عيداً، ويُلبسون نساءهم فيه حليهم وشارتهم**[٢]**، فقال رسول الله: فصوموه أنتم**))[٣].

ويبدو من مجموع الروايات الواردة في هذا الموضوع في كتب العامة وأتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام، أنّ هذا اليوم كان معروفاً عند المشركين الجاهليين واليهود أيضاً، وأنّ اليهود كانوا يتخذونه عيداً وأنّ النبي كان يصومه، ثم لما نزل صوم شهر رمضان ترك الاهتمام بصيامه بشكل خاص.

ولكن بني أُمية بعد مقتل الحسين أعادوا هذه السُنَّة مرة أُخرى وجعلوه يوم عيد وبركة وسرور، وأخذوا يغرون بعض الصحابة بالأموال ليؤكدوا هذا المضمون المتروك والمنسوخ لهذا اليوم تشفياً بأهل البيت عليهم السلام ومحاولة لإخفاء، وستر معالم الجريمة الكبيرة التي ارتكبوها.

فقد روى البخاري ومسلم والترمذي وابن داود عن عائشة قالت: ((**كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يصومه، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما فرض رمضان ترك يوم**

---

(١) صحيح البخاري٢: ٢٥١، وقريب منه في صحيح مسلم٣: ١٥٠.

(٢) الشارة: اللباس الحسن.

(٣) صحيح مسلم٣: ١٥٠، وقريب منه صحيح البخاري٢: ٢٥١.

عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه))[١].

كما روى الكافي بسند معتبر عن نجيّة بن الحارث العطار قال: ((**سألت أبا جعفر عن صوم يوم عاشوراء فقال: صوم متروك بنزول شهر رمضان، والمتروك بدعة. قال نجيّة: فسألت أبا عبد الله عليه السلام من بعد أبيه عليه السلام عن ذلك فأجابني بمثل جواب أبيه، ثم قال: أما إنّه صوم يوم ما نزل به كتاب ولا جرت به سنّة إلاّ سنّة آل زياد بمقتل الحسين بن علي عليه السلام**))[٢].

وفي رواية أُخرى حسنة عن الصادق عليه السلام قال: ((**من صامه كان حظه من صيام ذلك اليوم حظ ابن مرجانة وآل زياد. قال: قلت: وما كان حظهم من ذلك اليوم؟ قال: النار أعاذنا الله من النار ومن عمل يقرب إلى النار**))[٣].

وقد روى الصدوق في العلل عن عبد الله بن الفضل الهاشمي، عن الصادق: ((**قلت له: يا بن رسول الله، فكيف سمّت العامة يوم عاشوراء يوم بركة؟ فبكى عليه السلام ثم قال: لما قتل الحسين عليه السلام تقرب الناس بالشام إلى يزيد فوضعوا له الأخبار وأخذوا عليه الجوائز من الأموال، فكان مما وضعوا له أمر هذا اليوم وأنه يوم بركة؛ ليعدل الناس فيه من الجزع والبكاء والمصيبة والحزن إلى الفرح والسرور والتبرك والاستعداد فيه. حكم الله بيننا وبينهم**))[٤].

لذا فلابدّ للإنسان المسلم الصالح أنْ ينتبه إلى هذا العمل الإعلامي المنحرف، الذي استهدف تضليل المسلمين وإبعادهم عن الحقائق التأريخية والمقاصد النبيلة لهذا اليوم العظيم.

---

(١) صحيح البخاري٢: ١٥٠، صحيح مسلم٣: ١٤٦، سنن الترمذي٢: ١٢٧.

(٢) الكافي٤: ١٤٦، ح٤.

(٣) الكافي٤: ١٤٧، ح٦.

(٤) علل الشرائع١: ٢٢٦، ح١.

وقد أوجزنا الحديث في يوم عاشوراء لأننا تناولنا موضوع نهضة الإمام الحسين عليه السلام في عدة مواضع كان آخرها موضوع الشعائر الحسينية والزيارات.

٧. أيام أخرى

ومضافاً إلى هذه الأيام المعروفة توجد أيام أُخرى مباركة يهتم بها أبناء الجماعة الصالحة؛ لما ورد عن أئمة أهل البيت من الاهتمام بها أو لوقوع حوادث مهمة فيها، منها يوم المباهلة(١) وهو اليوم الرابع والعشرون من ذي الحجة الحرام، حيث باهل فيه النبي صلى الله عليه وآله نصارى نجران وفيهم (السيد) و(العاقب)، وأدخل معه في الكساء علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وقال: ((**اللهم إنه كان لكل نبي من الأنبياء أهل بيت هم أخص الخلق إليه، اللهم وهؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً**)) فهبط جبرائيل عليه السلام بآية التطهير ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾(٢).

ثم خرج النبي صلى الله عليه وآله بهم عليهم السلام للمباهلة، فلما بصر بهم النصارى ورأوا الصدق وشاهدوا أمارات العذاب لم يجرأوا على المباهلة، فطلبوا المصالحة وقبلوا الجزية فنزل القرآن الكريم بذلك: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا**

---

(١) المباهلة: هي الملاعنة بأن يتحدى أحد الطرفين الطرف الآخر بصدقه، فيتفقا على أنْ يجعل اللّه لعنته على الكاذب منهما، وهكذا كان الأمر حيث كان النبي يقول للنصارى إنّ عيسى بشر خلقه اللّه من تراب شأنه في ذلك شأن آدم عليه السلام، فلما أنكروا قوله باهلهم كما تحدث القرآن عن ذلك.

(٢) الأحزاب:٣٣.

وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَعْنَتَ الله عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[١].

وفي هـذا اليـوم آداب وأعمـال، منهـا: الغـسل، والـصيام، والـصلاة، والدعاء[٢]، وللصلاة كيفية خاصة رواها الشيخ الطوسي في المصباح[٣].

وفي هذا اليوم تصدق أمير المؤمنين عليه السلام بخاتمه وهو راكـع، فنـزل فيه قولـه تعالى: **﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ الله وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾**[٤].

ومن هذه الأيام اليوم الخامس والعشرون من ذي الحجة حيث نزلـت فيـه سورة (هل أتى) بشأن أهل البيت عليهم السلام، الـذين كـانوا قـد صـاموا ثلاثـة أيـام يتصدقون فيها بإفطارهم في الأيام الثلاثة بشكل متوالٍ على المسكين واليتيم والأسير؛ حيـث إنّ مـن آداب هـذا اليـوم وليلتـه التأسـي بأهـل البيـت عليهم السلام بالصدقات.

ومن هذه الأيام - أيضاً - يوم عرفة الـذي هـو مـن الأيـام المهمـة، والـذي سنتناوله في بحث العبادات إنْ شاء الله عندما نتناول موضوع الحج.

النظرية

بعـد هـذا الاسـتعراض للأيـام والليـالي يحسن بنـا أنْ نـشير إلى الرؤيـة النظرية العامة الـتي يمكـن أنْ نستخلـصها مـن هـذا الاسـتعراض، وهنـا تبـدو أمامنا عدة قضايا مهمة:

الأولى: أنّ الليـالي الـشريفة تتميـز بالإحيـاء بالعبـادة لمـا في الليـل مـن

---

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) راجع مفاتيح الجنان: ٢٨٢.

(٣) وسائل الشيعة٥: ٢٢٥، ح١.

(٤) المائدة: ٥٥.

خصوصية الخلوة بالله تعالى للمناجات بالدعاء في العبادة له تعالى، كما أنّ الاتجاه فيها هو الاهتمام بالطهارة المعنوية المتمثلة بالغسل.

الثانية: أنّ الأيام الشريفة - كالأعياد - تتميز بموضوع النظافة والزينة؛ لذا جاء التأكيد أيضاً للغسل والطيب وحسن الثياب، وكذلك تتميز بالأعمال الاجتماعية العامة، بحيث إنّ الصلوات فيها تتسم بهذا الطابع أيضاً، كما في صلوات الجمعة والعيدين، وكذلك التأكيد على أهمية زيارة الإخوان والإنفاق والإحسان وغيرها من المفردات الاجتماعية.

الثالثة: التعبير عن الولاء والحب لأهل البيت والارتباط بهم والتأسي بهم، وكذلك التمجيد لأعمالهم والبراءة من أعدائهم.

وعمل هذه الأعمال يمثل ظاهرة عامة في جميع الليالي والأيام الفاضلة، ويبدو ذلك واضحاً من خلال التأكيد لزيارة الإمام الحسين والإمام علي عليهما السلام فيها، وكذلك الإكثار من الصلوات على النبي وآله، بل ارتباط هذه الأيام بمناسباتهم.

الرابعة: أنّ عبادة الصوم لها خصوصية في الأيام الشريفة، ففي يومي العيدين تحرم هذه العبادة؛ لأن المطلوب فيهما هو التحلل من هذه الالتزامات، ولكنها في الأيام الأُخرى مستحبة بدرجة عالية كما في الأيام الأربعة، وأمّا في يوم الجمعة فلم يرد تأكيد استحباب صومه إلاّ في حالات خاصة، مثل طلب الحاجة أو تكميل الصوم للأربعاء والخميس.

الخامسة: تقسيم الأيام والليالي على المواسم العبادية في أكثر أشهر السنة، وهي رجب، وشعبان، ورمضان، وشوال، وذو القعدة، وذو الحجة، وربيع الأول، فإذا أضفنا إليها المناسبات الخاصة بأهل البيت عليهم السلام تصبح هذه الأيام على مدار السنة كلها.

السادسة: أنّ الكثير من التفاصيل في هذه الأيام والليالي والاختلاف فيها

إنما كان من أجل ملء محتوى هذه الخطوط العامة التي تمثل اتجاهاً في النظرية، حيث كان ذلك ضمن المخطط العام الذي وضعه أئمة أهل البيت للتربية الروحية والأخلاقية، وبناء الإرادة والتكامل النفسي ومعالجة الأمراض النفسية والروحية.

السابعة: أنّ الملاحظ في الأيام والليالي أنها تمثل بمجمل برامجها وأعمالها امتداداً لأيام الجمعة والعيدين وليلة الجمعة والقدر، بحيث تمثل الأعمال والعبادات في هذه الأيام والليالي الأصل الذي تفرعت عنه بقية الأعمال والعبادات في الأيام والليالي الأُخرى؛ وبذلك نعرف أنّ ما جاء عن أهل البيت عليهم السلام بشأن هذه الأيام والليالي إمّا أنْ يكون من علمهم الواسع بتفاصيل الشريعة، أو يعبر عن رؤية نظرية أصيلة وواقعية للشريعة وتشريعاتها؛ بحيث يمكن أنْ ينفتح منها كل هذه التفاصيل على أساس ما روي عن الإمام علي عليه السلام من قوله: ((**علّمني رسول الله ألف باب من العلم، ينفتح لي من كل باب ألف باب**))[1].

---

(١) روي الحديث بنصوص مختلفة وبمعنى واحد. انظر الكافي١: ٢٩٦، ح٥، ورواه ابن كثير في البداية والنهاية٧: ٣٩٦.



المساجد والأماكن المقدسة

نظرية أهل البيت عليهم السلام في الأماكن المقدسة

أحكام المساجد

١. البيت الحرام والمسجد الحرام ومكة

٢. مسجد النبي صلى الله عليه وآله

٣. المساجد في المدينة المنورة

٤. الكوفة ومساجدها

٥. حرم الإمام الحسين عليه السلام (الحائر الحسيني)

٦. مساجد وأماكن أُخرى

المساجد والأماكن المقدسة

ومن مفردات الشعائر الإسلامية لدى الجماعة الصالحة مفردة المساجد والأماكن المقدسة؛ حيث تحظى هذه المفردة بأهمية خاصة في نظرية أهل البيت عليهم السلام، تتميز بسعتها وشمولها وعمقها، وذلك إلى جانب مفردة (الأيام المباركة) التي تناولناها بالحديث السابق.

ومفردة الأماكن المقدسة من المفردات التي يجمع عليها المسلمون، بل أقرتها جميع الأديان السماوية، والعنوان العام للمكان المقدس عند المسلمين هو (المسجد) الذي هو مكان العبادة لديهم، وقد أُشير إليه في القرآن الكريم في عدة مواضع منها: قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ الله مَنْ آمَنَ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إلا الله فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ**﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿**وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ**﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لله فَلا تَدْعُو مَعَ الله أَحَداً**﴾[3]. وكذلك في آيات أخرى.

المسجد ودوره

ومصطلح المسجد خاص بالمسلمين في مقابل مصطلحات أُخرى لأهل الأديان السابقة، تدعى بها الأماكن المقدسة مثل (الصومعة) للنصارى،

---

(١) التوبة:١٨.

(٢) الأعراف:٢٩.

(٣) الجن: ١٨، والآية الأُولى نص في المسجد بالمعنى الاصطلاحي المعهود، وأما الآيتان الأخريان فيحتمل أنْ يكون المراد منها مواضع السجود أو فعله.

و(البيعة) لليهود و(المصلى) لليهود أو للصابئة - كما قيل - حيث وردت هذه المصطلحات في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْلا دَفْعُ الله النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ الله كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ الله مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ الله لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾[(١)].

وقد كان للمسجد دور خاص في الإسلام والشريعة الإسلامية لا يقتصر على العبادة وحدها، بل كان له - إلى جانب ذلك - دور في الثقافة والتعليم والتعبئة السياسية والروحية العامة، كما كان يستفاد منه - أحياناً ولاسيما في الصدر الأول للإسلام - في إدارة شؤون البلاد والقضاء وفصل الخصومات، وبذلك أصبح المسجد مؤسسة عبادية، ثقافية، سياسية، اجتماعية، تمارس دورها الفعال في المجتمعات الإسلامية، وتحظى بقدسية واحترام وتكريم.

ولذلك - أيضاً - نجد هذا القدر الكبير من النصوص التي وردت عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام عليهم السلام تتناول أحكام المساجد وآدابها وشؤونها، وكيفية التعامل معها في تعظيمها وتقديسها وإعمارها بالبناء والعبادة، وثواب التردد عليها والصلاة فيها أو الاعتكاف والمكث فيها[(٢)].

نظرية أهل البيت في الأماكن المقدسة

وفي أحاديث ونظرية أهل البيت نجد أنّ هذه القدسية - في بعض أبعادها - تمتد إلى أماكن أُخرى، مثل بيوت النبي وأهل بيته ومشاهدهم الشريفة وبعض الأماكن التي ارتبطت تاريخياً بالأنبياء والصالحين من عباد الله،

---

(١) الحج: ٤٠.

(٢) لقد تناولت كتب الفقه والحديث هذه الأبعاد في مواضع متعددة، اهمها البحث في مكان المصلي من كتاب الصلاة.

بحيث صلى فيها هؤلاء الصالحون أو كان لها علاقة بهم أو بأحداثهم.

هذه النظرية تنطلق من رؤية الإسلام إلى قضية الاهتمام بالمواقع التي ارتبطت تاريخياً بالأنبياء والصالحين، والأحداث التي مرت بها رسالتهم؛ حيث يستفاد من بعض الآيات القرآنية والنصوص الأُخرى التوجه في النظرية القرآنية إلى الاهتمام والعناية بالمعالم والذكريات التأريخية، التي تجسد حركتهم ومواقفهم وأعمالهم وشكرهم لله تعالى، ولزوم تكريسها وتوظيفها تاريخياً.

ويمكن أنْ نجد الأساس لهذا الفهم في بعض الحوادث التي أثبتها القرآن الكريم، وكذلك في بعض الشعائر التي أقرها أو وظفها القرآن الكريم، أو المفاهيم التي ثبتها لجزء من معالم الرسالة الإسلامية، وكذلك في السيرة النبوية المباركة.

ونشير هنا إلى بعض هذه المعالم:

الأول: قضية أهل الكهف التي أشار القرآن الكريم فيها إلى أنَّ المؤمنين، الذين غُلبوا على أمرهم في ذلك العصر، اتخذوا عليهم مسجداً تمجيداً لموقف هؤلاء الصالحين الذين رفضوا الوثنية والطغيان: ﴿**إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَاناً رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً**﴾[1].

الثاني: تمجيد مقام إبراهيم عليه السلام، وهو الصخرة التي كان يقف عليها لبناء الكعبة الشريفة، حيث ورد في القرآن الكريم استحباب أو وجوب الصلاة عند المقام بعد الطواف كما في قوله تعالى: ﴿**وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ**

---

(١) الكهف: ٢١.

مُصَلّىً﴾[1]، وهذا مما يجمع عليه المسلمون.

الثالث: ما ورد في إدخال حجر إسماعيل في الطواف، مع أنه ليس من الكعبة الشريفة وكذلك استحباب الصلاة فيه؛ وذلك لأنه مدفن أمه ومجموعة من الأنبياء، وهذا مما يجمع عليه المسلمون.

الرابع: ما ورد في القرآن الكريم من التأكيد للسعي بين الصفا والمروة، وأنه من شعائر الله كما في قوله تعالى: **﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾**[2].

ويذكر تاريخياً وجود ارتباط بين هذا السعي وسعي هاجر أم إسماعيل عليه السلام لإنقاذ ولدها من العطش، الذي انتهى بعد ذلك إلى حصولها على ماء زمزم.

فقد روى الكليني بسند معتبر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: ((**إنّ إبراهيم عليه السلام لما خلف إسماعيل بمكة عطش الصبيّ، فكان فيما بين الصفا والمروة شجر فخرجت أمه حتى قامت على الصفا، فقالت: هل بالبوادي من أنيس؟ فلم يجبها أحد، فمضت حتى انتهت إلى المروة، فقالت: هل بالبوادي من أنيس؟ فلم تجب، ثم رجعت إلى الصفا وقالت ذلك حتى صنعت ذلك سبعاً، فأجرى الله ذلك سنّة...**))[3].

الخامس: ما ورد في تمجيد وتعظيم المسجد الأقصى؛ لأنه القبلة الأُولى ومحل عبادة الأنبياء السابقين، ومسرى ومعراج رسول الله صلى الله عليه وآله، كما أشار

---

(١) البقرة: ١٢٥.

(٢) البقرة: ١٥٨.

(٣) الكافي ٤: ٢٠٢، ح٢.

إليه القرآن الكريم.

السادس: ما أجمع عليه المسلمون من احترام مسجد قبا؛ حيث كان المسجد الذي بُني على التقوى من أول يوم كما أشار القرآن الكريم، ولأنه كان الموضع الذي صلى فيه رسول الله ﷺ عند قدومه للمدينة وأقام فيه بعض الوقت قبل أنْ يدخلها، فبنى عليه المسلمون مسجداً وسوف يأتي الحديث عنه.

السابع: ما ثبته القرآن الكريم من مفهوم البيوت التي أذن الله تعالى أنْ ترفع ويذكر فيها اسمه، وهي تلك البيوت التي يسكنها الصالحون من الناس، كما في قوله تعالى: **﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۞ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾**[1].

وانطلاقاً من هذا الفهم نجد أنّ أهل البيت عليهم السلام - بسبب علمهم الواسع بتاريخ الرسالات الإلهية وفهمهم الدقيق المستوعب للرسالة الإسلامية - قاموا بعمل تميزوا به، وهو إحياء معالم هذا التأريخ الإلهي - سواء في الرسالات السابقة أم الرسالة الإسلامية - والدعوة إلى تقديس هذه الأماكن وإحياء تاريخها.

ويحظى المسجد الحرام ومسجد النبي ﷺ في المدينة المنورة، وكذلك المسجد الأقصى في القدس الشريف بتقديس واحترام خاصين لدى جميع المسلمين.

وقد روى جمهور المسلمين بشأن فضل هذه المساجد الثلاثة أنه لا تشد

---

(١) النور: ٣٦ – ٣٧.

الرحال إلاّ لها[1]، وأنها تختص بهذا الاحترام والعمل الشرعي دون غيرها من المساجد الأُخرى، كما أنّ هذه المساجد ورد الحديث عنها في القرآن الكريم ولاسيما المسجد الحرام.

ولكن أهل البيت عليهم السلام أعطوا هذه المفردة تصوراً واسعاً شاملاً من حيث الكم والكيف.

أمّا من حيث الكيف فنجد أنّ الاحترام والتقديس من ناحية، والجذر التاريخي لهذه المساجد من ناحية أُخرى والأعمال المرتبطة بهذه الأماكن من ناحية ثالثة جاءت شاملة وواسعة.

وأمّا من حيث الكم فنجد أنّ هناك أماكن أُخرى حظيت بهذا التقديس والاحترام إجمالاً على اختلاف بينها في مستويات ودرجات التقديس؛ ومن هذه الأماكن مسجد الكوفة، ومسجد قبا، ومسجد الخيف، ومسجد السهلة أو سهيل، والحائر الحسيني، ووادي السلام في النجف، وحرم أمير المؤمنين علي عليه السلام، ومسجد براثا، وحرم الإمام الرضا في طوس من خراسان، ومشاهد أئمة أهل البيت عليهم السلام عامة.

أحكام المساجد

وقبل الحديث عن تفاصيل أهم هذه المفردات يحسن بنا أنْ نتحدث قليلاً عن الأحكام العامة للمساجد في عدة نقاط[2].

---

(١) التاج الجامع للأُصول ١: ٢٢٤، عن الخمسة وهم: البخاري ومسلم وابن داود والترمذي والنسائي، وسوف نعرف في أحاديث أهل البيت أنّ هذا النوع من الاحترام لا يختص بهذه المساجد.

(٢) وردت هذه النقاط في العروة الوثقى للسيد الطباطبائي في بحث مكان المصلي (الأماكن المستحبة) و(أحكام المسجد) ١: ٥٩٨ - ٦٠٠ طبعة محمود الكتابچي وأولاده سنة ١٣٩٩ هـ، وقد ذكرناها مع الاختصار والتصرف غير المخل.

١. يستحب الصلاة في المساجد وأفضلها المسجد الحرام، فالصلاة فيه تعدل ألف ألف صلاة، ثم مسجد النبيﷺ والصلاة فيه تعدل عشرة آلاف، ومسجد الكوفة وفيه تعدل ألف صلاة، والمسجد الأقصى وفيه تعدل ألف صلاة أيضاً، ثم المسجد الجامع وفيه تعدل مائة، ومسجد القبيلة (المحلة) وفيه تعدل خمساً وعشرين، ومسجد السوق وفيه تعدل اثنتي عشرة.

ويستحب أنْ يجعل في بيته مسجداً، أي مكاناً معداً للصلاة فيه، وإنْ كان لا يجري عليه أحكام المسجد. والأفضل للنساء الصلاة في بيوتهن وأفضل البيت المخدع.

٢. يستحب الصلاة في مشاهد الأئمةعليهم السلام، وهي البيوت التي أمر الله تعالى أنْ ترفع ويذكر فيها اسمه، بل هي أفضل من بعض المساجد.

٣. يستحب تفريق الصلاة في أماكن متعددة لتشهد له يوم القيامة، ففي الخبر سأل الراوي أبا عبد اللهعليه السلام عن الرجل يصلي نوافله في موضع أو يفرقها، قالعليه السلام: ((**لا، بل يفرقها هنا وههنا؛ فإنها تشهد له يوم القيامة**))[١].

٤. يكره لجار المسجد أنْ يصلي في غيره لغير علة كالمطر. قال النبيﷺ: ((**لا صلاة لجار المسجد إلاّ في مسجده**))[٢]، ويستحب ترك مؤاكلة من لا يحضر المسجد وترك مشاربته ومشاورته ومناكحته ومجاورته.

٥. يكره تعطيل المسجد، فعن أبي عبد الله الصادقعليه السلام: ((**ثلاثة يشكون إلى الله عزّ وجل: مسجد خراب لا يصلي فيه أهله، وعالم بين جهال،**

---

(١) الكافي٣: ٤٥٥، ح١٨.

(٢) وسائل الشيعة٣: ٤٧٨، ح١.

ومصحف معلق قد وقع عليه غبار لا يقرأ فيه))[١].

٦. يستحب كثرة التردد إلى المساجد، فعن النبي صلى الله عليه وآله: **((من مشى إلى مسجد من مساجد الله، فله بكل خطوة خطاها حتى يرجع إلى منزله عشر حسنات، ومحى عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات))**[٢].

٧. يستحب بناء المسجد وفيه أجر عظيم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **((من بنى مسجداً في الدنيا أعطاه الله بكل شبر منه (أو بكل ذراع منه) مسيرة أربعين ألف عام مدينة من ذهب وفضة ولؤلؤ وزبرجد))**[٣]، وعن الصادق عليه السلام: **((من بنى مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة))**[٤].

٨. يحرم زخرفة المسجد أي تزيينه بالذهب، والأحوط ترك نقشه بالصور.

٩. لا يجوز بيع المسجد ولا بيع الأثر وإنْ صار المسجد خراباً، ولا إدخاله في الملك.

١٠. يحرم تنجيس المسجد، وإذا تعرض للنجاسة وجب إزالتها على المكلفين فوراً، ويحرم إدخال ما يوجب هتكه من الأشياء.

١١. يستحب للإنسان المؤمن أنْ يسبق الناس في الدخول إلى المسجد، والتأخر عنهم في الخروج منه.

١٢. يستحب خدمة المسجد كالإسراج فيه، وتنظيفه بالكنس والمسح، والابتداء في الدخول فيه بالرجل اليمنى وفي الخروج بالرجل اليسرى، وأنْ يلتفت إلى نعله وحذائه لئلا يكون فيه الأوساخ والنجاسات، وأنْ يستقبل

---

(١) الكافي٣: ٦١٣، ح٣.

(٢) بحار الأنوار٨٣: ٣٦٧، ح٢٥.

(٣) وسائل الشيعة٣: ٤٧٨، ح١.

(٤) الكافي٣: ٣٦٨، ح١.

القبلة فيه ويدعو الله ويحمده ويصلي على النبيﷺ، وأنْ يكون على طهارة ووضوء.

١٣. يستحب صلاة التحية في المسجد بعد الدخول فيه، وهي ركعتان، ويجزي عنها الصلاة الواجبة أو النافلة أو الصلوات المستحبة الأُخرى.

١٤. يستحب التطيب للمسجد، وأنْ يلبس الثياب الفاخرة والنظيفة عند التوجه إليه.

١٥. يكره للإنسان الاستطراق في المساجد بأنْ يجعلها طريقاً له، إلاَ أنْ يصلي فيها ركعتين، وكذا يكره له إلقاء النخامة والنخاعة أو النوم فيه إلاَ لضرورة، أو رفع الصوت فيه إلاّ في الأذان ونحوه، كالوعظ والإرشاد أو الدروس والمحاضرات، ويكره حذف الحصى ورميها، وقراءة الأشعار غير المواعظ ونحوها من مدائح ومراثي أهل البيتعليهم السلام، ويكره البيع والشراء والتكلم في أُمور الدنيا الشخصية؛ لأنه محلّ العبادة والفائدة العامة، ويكره إظهار السلاح وجعله إلى القبلة، ودخول من أكل البصل والثوم ونحوهما مما له رائحة تؤذي الناس والمصلين، ويكره أيضاً تمكين الأطفال أو المجانين من الدخول فيها، أو اتخاذها محلاً لعمل الصنائع، والتعري فيها وكشْف العورة حتى مع الأمن من الناظر، أو كشف السرة والفخذ والركبة، وإخراج الريح وغير ذلك من الأعمال التي تعتبر خلافاً للآداب العامة.

١. البيت الحرام والمسجد الحرام ومكة

البيت الحرام هو الكعبة الشريفة، وهو أول بيت وضع للناس: ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ ۞ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلله عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ**

إِلَيْهِ سَبِيلاً...﴾[(١)].

والمسجد الحرام هو المسجد الذي يحيط بالكعبة، وفيه مقام إبراهيم الذي ورد النص في القرآن الكريم بالصلاة فيه: **﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾**؛ ولذا فالمسجد الحرام هو أول مسجد عرفته البشرية في تأريخها.

وقد تحدث عنه القرآن الكريم في مواضع عديدة باسمه الصريح وهو المسجد الحرام، كما أشار إليه عندما تحدث عن الكعبة الشريفة والبيت الحرام وبنائها، وجعلها من قبل الله تعالى مثابة للناس وأمناً وتطهيرها للطائفين والعاكفين والركع السجود، وكذلك عن الحج وقيام الناس والصلاة عنده[(٢)]، فإنّ كل ذلك إنما يمارس في المسجد الحرام.

وسوف يأتي في الحج أنّ البيت الحرام كان يحج إليه قبل آدم بألفي عام، كما ورد في الروايات أنّ أول ما خلق الله تعالى من الأرض كان موضع البيت، وأنّه قد دحا الأرض من تحته[(٣)].

كما يبدو من مجموعة أُخرى من الروايات أنّ تصميم البيت والطواف حوله قد بدأ منذ القرار الإلهي بخلق آدم، الذي يتحدث عنه القرآن الكريم: **﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾**[(٤)].

وأنّ الله تعالى جعله في منطقة وعرة (بوادي غير ذي زرع) كما يعبر القرآن الكريم، من أجل أنّ يختبر طاعة عباده وانقيادهم له في تعظيمه وزيارته[(٥)].

---

(١) آل عمران:٩٦ – ٩٧.

(٢) البقرة:١٢٥ و١٢٧، المائدة:٩٧، الحج:٢٦.

(٣) الكافي٤: ١٨٩، ح٣، ٧.

(٤) جامع أحاديث الشيعة١٠: ٥، باب٢ البيت وعلة بنائه وطوافه.

(٥) جامع أحاديث الشيعة١٠: ١٩، باب٣.

ويبدو من بعض الروايات المعتبرة أنّ حد المسجد الحرام الذي وضعه إبراهيم عليه السلام كان واسعاً، بحيث كان يشمل ما بين الحزورة[١] إلى المسعى، وفي بعضها جاء التعبير أنّ حده ما بين الصفا والمروة فيكون أوسع من المسجد الفعلي[٢].

كما أنّ الكعبة الشريفة كانت في زمن إبراهيم تسعة أذرع، ثم زيدت في زمن قريش إلى ثمانية عشر ذراعاً، ثم في زمن الحجاج إلى سبعة وعشرين ذراعاً[٣].

وحجر إسماعيل ليس من الكعبة وإنما هو مدفن أمه هاجر وجماعة من الأنبياء، وكان إدخاله في الطواف من أجل كراهة وطء هذه القبور[٤].

وتدل بعض النصوص المعتبرة على أنّ الحجر الأسود كان من الجنة، وأنّ الله تعالى وضعه في هذا المكان من الكعبة بعد أنّ التقم ميثاق الخلق كلهم، وهو شاهد في يوم القيامة على من أدى الأمانة والميثاق والموافاة، ومنه جاء الدعاء عند استلام الحجر: ((**أمانتي أديتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة يوم القيامة**))[٥].

وللكعبة فضل عظيم عند الله تعالى وقد أعظم حرمتها مع البيت الحرام، سواء على مستوى الآثار التكوينية أم الشرعية أم الأجر والثواب المترتب على تقديسها، أم الطواف حولها أم الصلاة في المسجد الحرام.

فقد ورد في القرآن الكريم قصة أصحاب الفيل الذين رماهم الله تعالى

---

(١) الحزورة منطقة مجاورة للمسجد الحرام.

(٢) جامع أحاديث الشيعة١٠: ٢٣ – ٢٥، ح١ و٣ و٤ و٥.

(٣) انظر الكافي٤: ٢٠٧، ح٧، ٨.

(٤) جامع أحاديث الشيعة١٠: ٢٥، ح١٢.

(٥) انظر علل الشرائع٢: ٤٢٤، ح١، ٢، ٣.

بحجارة من سجّيل، بواسطة الطير الأبابيل؛ لأنهم قصدوا هدم الكعبة، وكان قبل ذلك ما أشارت إليه النصوص مما أصاب (تبع) عند نيته لهدمها ثم عدوله عن ذلك وتعظيمه لها[1].

وهكذا شاء الله تعالى أنْ ينزل عقوبته بكل جبار قصدها بشر، وقد ورد في الحديث عن أمير المؤمنين أنه قال: ((**مكة حرم الله والمدينة حرم رسول الله** صلى الله عليه وآله **، والكوفة حرمي لا يريدها جبار بحادثةٍ إلاّ قصمه الله**))[2].

وباعتبار هذه الحرمة الخاصة للبيت الحرام كانت مصالحه مقدمة على جميع المصالح الأُخرى في مكة، كما يشير إلى ذلك بعض النصوص[3].

وقد حرّم الله تعالى على المشركين دخول المسجد الحَرام، كما نص على ذلك القرآن الكريم[4].

كما ورد في النصوص المعتبرة أنّ من أحدث في الكعبة متعمداً استحق القتل[5]. وقد ورد بطريق معتبر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: ((**لا ينبغي لأحد أنْ يرفع بناءً فوق بناء الكعبة**))[6].

وقد ورد في فضل الكعبة روايات كثيرة، منها ما روي بطريق معتبر عن زرارة عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: ((**قال: كنت عنده قاعداً خلف المقام وهو محتب مستقبل القبلة فقال: النظر إليها عبادة وما خلق الله بقعة من الأرض**

---

(١) جامع أحاديث الشيعة١٠: ٤١.

(٢) الكافي٤: ٥٦٣، ح١.

(٣) انظر وسائل الشيعة٩: ٣٣١، ح١٥.

(٤) التوبة:٢٧.

(٥) جامع أحاديث الشيعة١٠: ٥٩، باب١١.

(٦) الكافي٢: ٢٦، ح١.

أحب إليه منها ـ ثم أهوى بيده إلى الكعبة ـ ولا أكرم عليه منها))[١].

كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: ((**إنّ النظر إلى الكعبة حباً لها، يهدم الخطايا هدماً**))[٢].

وبطريق معتبر عن الصادق عليه السلام: ((**إنّ لله تبارك وتعالى حول الكعبة عشرين ومائة رحمة، منها ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين**))[٣].

كما ورد في حديث آخر معتبر عن الصادق عليه السلام قال: ((**من نظر إلى الكعبة بمعرفة فعرف من حقنا وحرمتنا مثل الذي عرف من حقها وحرمتها، غفر الله له ذنوبه وكفاه هم الدنيا والآخرة**))[٤].

والصلاة في المسجد الحرام هي أفضل الصلوات، وقد ورد أنها أفضل من الصلاة بمسجد رسول الله؛ حيث تعدل الصلاة في المسجد الحرام ألف صلاة في مسجد رسول الله، والصلاة في مسجد رسول الله تعدل ألف صلاة في غيره من المساجد غير المسجد الحرام، أو مائة ألف صلاة في غيره[٥] من المساجد.

كما ورد في رواية أُخرى عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: ((**من صلّى في المسجد الحرام صلاة مكتوبة، قبل الله منه كل صلاة صلاها منذ يوم وجبت عليه الصلاة، وكل صلاة يصلّيها إلى أنْ يموت**))[٦].

---

(١) تفسير العياشي٢: ٨٨.

(٢) المحاسن١: ٦٩، ح١٣٥.

(٣) الكافي٤: ٢٤٠، ح٢.

(٤) الكافي٤: ٢٤٠، ح٦، وهو معتبر برواية ابن أبي عمر، عن علي بن عبد العزيز.

(٥) الكافي٤: ٥٢٥، ح٥، ٦.

(٦) وسائل الشيعة٣: ٥٣٦، ح١، ٢.

وقد فضل الله تعالى مكة المكرمة لفضل المسجد الحرام والكعبة؛ حيث ورد أنّ أفضل البقاع هي مكة وأفضل بقاعها البيت الحرام، وأفضل بقاع المسجد هو ما بين الركن الأسود والمقام وباب الكعبة وهو حطيم إسماعيلعليه السلام[١].

وقد وردت في فضلها وفضل العبادة فيها والعمل الصالح ومجاورتها، والعذاب الأليم لمن ارتكب الإثم فيها، نصوص متعددة، منها: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٢].

كما أنّ الله تعالى جعل حرم مكة حرماً آمناً لمن دخله إلى قيام الساعة، ولا يجوز فيه صيد البر ولا قلع الأشجار إلاّ ما استثني، ولا ينبغي فيه حمل السلاح ظاهراً وإخافة الناس وغير ذلك من الأحكام.

ولكل من الحرم ومكة والمسجد الحرام والكعبة المشرفة آداب ورسوم وأعمال أشرنا إلى بعضها في الحج، ويحسن الاطلاع عليها من خلال كتب الحج وأحكامه وآدابه ومستحباته.

٢. مسجد النبيصلى الله عليه وآله

ويأتي في الفضل بعد المسجد الحرام مسجد الرسولصلى الله عليه وآله في المدينة، وقد سبق أنّ فضل الصلاة في مسجد رسول الله تعدل ألف صلاة، وقد ورد في عدة روايات أُخرى أنّ الصلاة فيه تعدل عشرة آلاف صلاة[٣].

وتوجد في مسجد النبي روضة من رياض الجنة، وهي المكان الذي يقع بين بيت رسول الله، الذي هو محل قبره الشريف الآن، ومنبره صلوات الله

---

(١) انظر المحاسن١: ٩١، ح٤٣، ٤٤.

(٢) الحج:٢٥.

(٣) انظر وسائل الشيعة٣: ٥٤٣، ح٢، ٣، ٤.

عليه وعلى آله الطاهرين.

فقد روى الكليني في الكافي بسند معتبر عن معاوية بن وهب قال: ((**قلت لأبي عبد الله عليه السلام: هل قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة؟ فقال: نعم، وقال: وبيت علي وفاطمة عليهما السلام ما بين البيت الذي فيه النبي صلى الله عليه وآله إلى الباب الذي يحاذي الزقاق إلى البقيع، قال: فلو دخلت من ذلك الباب والحائط مكانه أصاب منكبك الأيسر، ثم سمّى سائر البيوت، وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الصلاة في مسجدي تعدل ألف صلاة في غيره إلاّ المسجد الحرام فهو أفضل**))[1].

كما ورد في حديث آخر أنّ قبره الشريف على ترعة من ترع الجنة[2].

وقد ورد في عدة روايات وبعضها بسند معتبر عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ الصلاة في بيت فاطمة أفضل من الصلاة في الروضة.

فقد روى الكليني في الكافي عن يونس بن يعقوب قال: ((**قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الصلاة في بيت فاطمة أفضل أو في الروضة؟ قال: في بيت فاطمة عليها السلام**))[3].

وفي رواية أُخرى أنّ الصلاة في بيوت النبي - وبيت علي منهُا - مثل الصلاة في مسجد النبي، بل هو أفضل منها[4]، وبيت علي وفاطمة - كما سبق - هو ما بين البيت الذي فيه النبي صلى الله عليه وآله إلى الباب الذي يحاذي الزقاق

---

(١) الكافي٤: ٥٥٥، ح٨.

(٢) انظر الكافي٤: ٥٥٣، ح١.

(٣) الكافي٤: ٥٥٦، ح١٣.

(٤) انظر وسائل الشيعة٣: ٥٤٣، ح٤.

إلى البقيع[١].

وحدود مسجد الرسول على ما جاء في رواية اعتبرها جماعة من كبار العلماء هو ثلاثة آلاف وستمائة ذراع مكسرة[٢].

وقد جاء حد المسجد وحد الروضة في روايتين صحيحتين، فعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**حد الروضة في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله إلى طرف الظلال، وحد المسجد إلى الاسطوانتين عن يمين المنبر إلى الطريق مما يلي سوق الليل**))[٣].

وعن محمد بن مسلم قال: ((**سألته عن حد مسجد الرسول صلى الله عليه وآله** قال: **الاسطوانة التي عند رأس القبر إلى الاسطوانتين من وراء المنبر عن يمين القبلة، وكان من وراء المنبر طريق تمر فيه الشاة ويمر الرجل منحرفاً، وكان ساحة المسجد من البلاط إلى الصحن**))[٤].

مواقع أُخرى مباركة في المسجد

مضافاً إلى فضل المسجد والروضة وبيوت النبي وعلي وفاطمة توجد في مسجد النبي صلى الله عليه وآله مواقع أُخرى لها فضل وفيها بركة، مثل: (منبر النبي صلى الله عليه وآله)

---

(١) انظر وسائل الشيعة٣: ٥٤٢، ح١، وقد أُزيلت جميع هذه المعالم مع الأسف الشديد؛ لأن المذهب الوهابي لا يهتم بمعالم التأريخ الإسلامي وآثاره، بل يسعى لمحوها. والظاهر أنّ المقصود من الباب المذكور هو الباب الذي يؤدي الآن إلى الجانب الخلفي (الركن الشمالي الشرقي) من الضريح الموجود فعلاً على قبر الرسول صلى الله عليه وآله. منه قدس سره.

(٢) راجع من لا يحضره الفقيه١: ٢٢٩، ح٦٨٣.

(٣) الكافي٤: ٥٥٥، ح٦.

(٤) الكافي٤: ٥٥٤، ح٤.

و(محرابه) الذي كان يصلي فيه.

فقد روى الكليني في الكافي بسند معتبر عن معاوية بن عمار قال: ((**قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا فرغت من الدعاء عند قبر النبي صلى الله عليه وآله فأتِ المنبر فامسحه بيدك وخذ برمانتيه، وهما السفلاوان، وامسح عينيك ووجهك به فإنه يقال: إنّه شفاء للعين، وقم عنده واحمد الله وأثن عليه وسل حاجتك؛ فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ما بين قبري منبري وبيتي روضة من رياض الجنة، ومنبري على ترعة من ترع الجنة، والترعة هي الباب الصغير، ثم تأتي مقام النبي صلى الله عليه وآله فتصلي فيه ما بدا لك**))[(١)].

ومن هذه المواقع (مقام جبرئيل عليه السلام) الذي كان يقف فيه مستأذناً النبي صلى الله عليه وآله عند الدخول عليه.

فقد روى الكليني في الكافي بسند معتبر عن معاوية بن عمار قال: ((**قال أبو عبد الله عليه السلام: ائت مقام جبرائيل عليه السلام وهو تحت الميزاب، فإنه كان مقامه إذا استأذن على رسول الله صلى الله عليه وآله فقل: أي جواد أي كريم أي قريب أي بعيد، أسألك أنْ تصلّي على محمد وأهل بيته، وأسألك أنْ تردّ عليّ نعمتك**))[(٢)].

ومن هذه المواقع (الأُسطوانات الثلاث)، وهي أُسطوانة أبي لبابة[(٣)]

---

(١) الكافي٤: ٥٥٣، ح١.

(٢) الكافي٤: ٥٥٧، ح١.

(٣) أبو لبابة هو بشير بن عبد المنذر الأنصاري أحد الصحابة، كان ممن استخلفه رسول اللّه على المدينة في بدر وضرب له بسهم، ولأُسطوانته قصة هي أنّ يهود بني قريظة عندما حاصرهم رسول اللّه صلى الله عليه وآله طلبوا الصلح، فأبى رسول اللّه عليهم ذلك وطلب منهم أنْ ينزلوا على حكم سعد بن معاذ، فطلبوا أنْ يستشيروا في ذلك أبا لبابة؛ إذ كان مناصحاً لهم، فأشار عليهم بعدم قبول ذلك؛ لأن وراءه الذبح، ثم ←

المعروفة بأُسطوانة التوبة، والأُسطوانتان اللتان تليانها باتجاه مصلى النبي ومقامه ومحرابه، حيث يستحب لزائر قبر النبي ومسجده أنْ يقوم بعمل مخصوص عندها.

فقد روى الكليني في الكافي والشيخ الطوسي في التهذيب عدة روايات بأسانيد معتبرة تذكر هذه المواقع والأعمال التي تؤدى فيها.

عن محمد بن الحسن، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **((إنّ كان لك مقام بالمدينة ثلاثة أيام صمت أول يوم أربعاء، وتصلي ليلة الأربعاء عند أُسطوانة أبي لبابة، وهي أُسطوانة التوبة التي كان ربط نفسه إليها حتى نزل عذره من السماء، وتقعد عندها يوم الأربعاء ثم تأتي ليلة الخميس الاسطوانة التي تليها مما يلي مقام النبي صلى الله عليه وآله ليلتك ويومك، وتصوم يوم الخميس، ثم تأتي الأُسطوانة التي تلي مقام النبي صلى الله عليه وآله ومصلاه ليلة الجمعة فتصلي عندها ليلتك ويومك وتصوم يوم الجمعة، فإنْ استطعت ألاّ تتكلم بشيء في هذه الأيام فافعل إلاّ ما لابدّ لك منه، ولا تخرج من المسجد إلاّ لحاجة، ولا تنام في ليل ولا نهار فافعل لأن ذلك مما يعد فيه الفضل، ثم احمد الله في يوم الجمعة وأثنِ عليه وصلّ على النبي صلى الله عليه وآله وسل حاجتك، وليكن فيما تقول: اللهم ما كانت لي إليك من حاجة شرعت أنا في طلبها والتماسها أو لم أشرع، سألتكها أو لم أسألكها فإني أتوجه إليك بنبيك محمد صلى الله عليه وآله نبي الرحمة في قضاء حوائجي صغيرها وكبيرها. فإنك**

ندم على هذا الموقف وأحسَّ بأنه خيانة لرسول الله صلى الله عليه وآله، فتاب وربط نفسه إلى هذه الأُسطوانة وامتنع عن تناول الطعام سبعة أيام حتى غُشي عليه، فنزل الوحي بتوبة اللّه عليه، فلما أُخبر بذلك طلب من رسول اللّه أنْ يفك رباطه. راجع ترجمته في تنقيح المقال ١: ١٧٥.

حري أنْ تقضى إليك حاجتك إنْ شاء الله تعالى))[١].

٣. المساجد في المدينة المنورة

وتوجد في المدينة المنورة مجموعة من المساجد الشريفة، التي تشرفت بصلاة رسول الله صلى الله عليه وآله في مواضعها، وبنيت عليها المساجد أو تصدى رسول الله صلى الله عليه وآله لبنائها.

وأهم هذه المساجد وأفضلها هو مسجد (قبا)، الذي وردت الإشارة إليه في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ**﴾[٢].

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: ((**من أتى مسجدي مسجد قبا فصلّى فيه ركعتين رجع بعمرة**))[٣].

وكذا يوجد (مسجد الفضيح)، وهو الموقع الذي ردت فيه الشمس لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد صلى فيه النبي صلى الله عليه وآله.

و(مسجد الأحزاب) و(الفتح)، وهو المكان الذي دعا فيه النبي بالفتح لعلي عليه السلام عندما برز لقتال عمرو بن عبد ود العامري في معركة الأحزاب.

و (مشربة أُم إبراهيم) حيث كانت مسكن رسول الله ومصلاه في قبا عند وروده إلى المدينة.

و(مسجد أُحد) و(قبور الشهداء) فيه، ومنها قبر حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله وسيد الشهداء.

فقد روى الكليني في الكافي عن معاوية بن عمار قال: ((**قال**

---

(١) تهذيب الأحكام٦: ١٦، ح١٥.

(٢) التوبة: ١٠٨.

(٣) كامل الزيارات: ٦٦، ح٣.

أبو عبد الله عليه السلام: لا تدع إتيان المشاهد كلها: مسجد قبا فإنه المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم، ومشربة أم إبراهيم، ومسجد الفضيح، وقبور الشهداء، ومسجد الأحزاب، وهو مسجد الفتح. قال: **وبلغنا أنّ النبي صلى الله عليه وآله كان إذا أتى قبور الشهداء قال: السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار. وليكن فيما تقول عند مسجد الفتح: يا صريخ المكروبين، ويا مجيب دعوة المضطرين اكشف همّي وغمّي وكربي، كما كشفت عن نبيك همّه وغمّه وكربه وكفيته هول عدوّه في هذا المكان))**[1].

وعن عقبة بن خالد قال: **((سألت أبا عبد الله عليه السلام: إنّا نأتي المساجد التي حول المدينة فبأيّها أبدأ؟ فقال: ابدأ بقبا فصل فيه وأكثر؛ فإنه أول مسجد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله في هذه العرصة، ثم ائت مشربة أم إبراهيم فصل فيها؛ فإنها مسكن رسول الله صلى الله عليه وآله ومصلاه، ثم تأتي مسجد الفضيح فتصلي فيه؛ فقد صلى فيه نبيك، فإذا قضيت هذا الجانب أتيت جانب أُحد فبدأت بالمسجد الذي دون الحيرة فصلّيت فيه، ثم مررت بقبر حمزة بن عبد المطلب فسلّمت عليه، ثم مررت بقبور الشهداء فقمت عندهم فقلت: السلام عليكم يا أهل الدّيار أنتم لنا فرط وإنّا بكم لاحقون، ثم تأتي المسجد الذي في المكان الواسع إلى جنب الجبل عن يمينك، حتى تأتي أحداً فتصلي فيه فعنده خرج النبي صلى الله عليه وآله إلى أُحد حين لقي المشركين، فلم يبرحوا حتى حضرت الصلاة فصلّى فيه، ثم مرّ أيضاً حتى ترجع فتصلّي عند قبور الشهداء ما كتب الله لك، ثم امض على وجهك حتى تأتي مسجد الأحزاب فتصلّي فيه وتدعو الله؛ فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله دعا فيه يوم الأحزاب وقال: يا صريخ المكروبين، ويا مجيب دعوة المضطرين، ويا مغيث المهمومين**

---

(١) الكافي ٤: ٥٦٠، ح١.

اكشف همّي وكربي وغمّي فقد ترى حالي وحال أصحابي))[١].

وعن عمار بن موسى في حديث، عن أبي عبد الله عليه السلام في مسجد الفضيح، أنّ قصة رد الشمس لأمير المؤمنين عليه السلام كانت في هذا المسجد[٢].

وهناك مساجد أُخرى معروفة في المدينة، (كمسجد القبلتين) الذي يروى أنّ آية تغيير القبلة نزلت فيه: ﴿**قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**﴾[٣].

وكذلك (مسجد الغمامة)، وهو الموضع الذي أظلت فيه الغمامة رسول الله صلى الله عليه وآله من حرّ الشمس، والمساجد الخمسة المنسوبة إلى أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وفاطمة، ومسجد المباهلة وهو المكان الذي باهل فيه النبي نصارى نجران، وأشار إليها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿**فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾[٤]، ومسجد سلمان الفارسي[٥].

ومن هذه الأماكن الشريفة في المدينة (معرّس رسول الله صلى الله عليه وآله)، وهو المكان الذي أقام فيه رسول الله عند رجوعه من مكة إلى المدينة وكان يصلي فيه، فقد روى الكليني في الكافي مجموعة من الروايات منها هذه الرواية المعتبرة عن معاوية بن عمار قال: ((**قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا انصرفت من مكة إلى المدينة وانتهيت إلى ذي الحليفة وأنت راجع إلى المدينة من مكة،**

---

(١) وسائل الشيعة١٠: ٢٧٦، ح٢.

(٢) انظر وسائل الشيعة١٠: ٢٧٧، ح٤.

(٣) البقرة:١٤٤.

(٤) آل عمران:٦١.

(٥) مفاتيح الجنان: ٣٣٤ – ٣٣٥، وكتب الحج والزيارة.

فأتِ معرّس النبيّ ﷺ، فإنْ كنت في وقت صلاة مكتوبة أو نافلة فصلِّ فيه، وإنْ كان في غير وقت صلاة مكتوبة فانزل فيه قليلاً؛ فإنّ رسول الله ﷺ قد كان يعرّس فيه ويصلّي))[1].

وفي الطريق بين مكة والمدينة يوجد (مسجد الغدير)، وهو الموضع الذي أقام فيه رسول الله في غدير خم، ونصب فيه علياً عليه السلام للإمامة والولاية.

فقد روى الكليني بسند معتبر عن عبد الرحمن بن الحجاج، قال: ((**سألت أبا إبراهيم عليه السلام عن الصلاة في مسجد غدير خم بالنهار وأنا مسافر، فقال: صلِّ فيه فإنّ فيه فضلاً، وقد كان أبي يأمر بذلك))**[2].

وهذا العرض للأماكن المقدسة والمساجد في المدينة، وما يأتي بعده من استعراض للأماكن المقدسة الأُخرى، يؤكد ما ذكرناه في بداية البحث من أنّ رؤية أهل البيت إلى الأماكن المقدسة تنطلق من فكرة ضرورة المحافظة على الآثار الإسلامية ذات العلاقة بتاريخ الرسالة ومواقفها المقدسة، وأنّ هذه المواقف تكسب أماكنها ومواقعها قدسية خاصة يتعبد فيها لله تعالى شكراً له وتقديساً لأمره ونهيه.

٤. الكوفة ومساجدها

للكوفة في نظر أهل البيت عليهم السلام منزلة خاصة، سواء في البعد التاريخي، وارتباطها بالرسالات الإلهية والأنبياء السابقين، أم في البعد السياسي وموقفها الموالي لأهل البيت عليهم السلام، أم في البعد الثقافي ودورها في حمل رسالة وثقافة أهل البيت عليهم السلام، أم في بعدها المستقبلي والأدوار التي يمكن أنْ تقوم بها حتى ظهور مهدي آل البيت عليهم السلام.

---

(١) الكافي ٤: ٥٦٥، ح١.

(٢) الكافي ٤: ٥٦٦، ح١.

وقد وردت روايات كثيرة تبلغ حد الاستفاضة - إنْ لم نقل التواتر - عن أهل البيت تؤكد هذه المنزلة الخاصة لها إجمالاً، وبقطع النظر عن بعض التفاصيل التي لا يمكن إثباتها بالطرق العلمية.

ويؤكد هذه الحقائق التي رواها الرواة عن أهل البيت عليهم السلام نتائج بعض الدراسات العلمية (الآثارية)، وكذلك بعض النصوص القديمة الأصلية للكتب الدينية كالتوراة والزبور[1].

فعن أبي بكر الحضرمي، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: ((**قلت له: أي البقاع أفضل بعد حرم الله وحرم رسوله؟ قال: الكوفة يا أبا بكر، هي الزكية الطاهرة، فيها قبور النبيين والمرسلين وغير المرسلين والأوصياء الصادقين، وفيها مسجد سهيل الذي لم يبعث الله نبياً إلاّ وقد صلّى فيه، وفيها يظهر عدل الله، وفيها يكون قائمه والقوام من بعده، وهي منازل النبيين والأوصياء والصالحين**))[2].

وعن سليم مولى طربال وغيره قال: ((**قال أبو عبد الله عليه السلام: نفقة درهم بالكوفة تحسب بمائة درهم فيما سواها، وركعتان فيها تحسب بمائة ركعة**))[3].

وعن عاصم بن عبد الواحد المديني قال: ((**سمعت أبا عبد الله عليه السلام** يقول: **مكة حرم الله، والمدينة حرم محمد صلى الله عليه وآله، والكوفة حرم علي بن أبي طالب عليه السلام. إنّ علياً حرّم من الكوفة ما حرّم إبراهيم من مكة وما حرّم**

---

(١) هناك بعض الدراسات قام بها بعض الأُخوة في هذا المجال قد يوفق لنشرها في المستقبل.

(٢) وسائل الشيعة ١٠: ٢٨٢، ح٣.

(٣) كامل الزيارات: ٧٠، ح٢.

محمد ﷺ من المدينة))[1].

وعن إسحاق بن يزداد قال: ((**أتى رجل أبا عبد الله عليه السلام فقال: إني قد ضربت على كل شيء لي ذهباً وفضة وبعت ضياعي فقلت: أنزل مكة؟ فقال: لا تفعل فإنّ أهل مكة يكفرون بالله جهرة، فقلت: ففي حرم رسول الله؟ قال: هم شرّ منهم، قلت: فأين أنزل؟ قال: عليك بالعراق الكوفة؛ فإنّ البركة منها على اثني عشر ميلاً هكذا وهكذا، وإلى جانبها قبر ما أتاه مكروب قطّ ولا ملهوف إلاّ فرّج الله عنه**))[2].

وعن أبي أسامة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**سمعته يقول: الكوفة روضة من رياض الجنة، فيها قبر نوح وإبراهيم عليهما السلام، وقبر ثلاثمائة نبي وسبعين نبياً وستمائة وصيّ، وقبر سيد الأوصياء أمير المؤمنين عليه السلام**))[3].

إلى جانب هذه الأبعاد نجد مجموعة من الأماكن المقدسة في الكوفة تزيدها أهمية وفضلاً وقدسية.

أ) المسجد الأعظم في الكوفة

ويأتي المسجد الأعظم في الكوفة في مقدمة هذه الأماكن المقدسة؛ إذ وردت في قدسيته وفضل الصلاة والعبادة فيه روايات كثيرة عن أهل البيت عليهم السلام نذكر بعضها.

فقد روى الكليني في الكافي، والصدوق في الأمالي، والبرقي في المحاسن،

---

(١) أمالي الطوسي: ٦٧٢، ح٢٣.

(٢) كامل الزيارات: ٣١٥، ح٩، وقد يكون المنظور في هذه الأوامر والنواهي الإرشادية الزمان الذي صدرت فيه هذه الرواية، ولكن الرواية تدل في الوقت نفسه على خصوصية للكوفة ثابتة كما هو واضح. منه قدس سره.

(٣) بحار الأنوار٩٧: ٤٠٤، ح٦١.

والشيخ الطوسي في التهذيب بسند عن هارون بن خارجة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**قال لي: يا هارون بن خارجة، كم بينك وبين مسجد الكوفة، يكون ميلاً؟ قلت: لا، قال: فتصلّي فيه الصلوات كلها؟ قلت: لا، قال: أما لو كنت بحضرته لرجوت ألاّ تفوتني فيه صلاة، وتدري ما فضل ذلك الموضع؟ ما من عبد صالح ولا نبيّ إلاّ وقد صلّى في مسجد كوفان، حتى إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لما أسرى الله به قال له جبرئيل: تدري أين أنت يا رسول الله الساعة ؟ أنت مقابل مسجد كوفان. قال: فاستأذن لي ربي حتى آتيه فأُصلّي فيه ركعتين، فاستأذن الله عزّ وجل فأذن له، وإنّ ميمنته لروضة من رياض الجنة، وإنّ وسطه لروضة من رياض الجنة، وإنّ مؤخّره لروضة من رياض الجنة، وإنّ الصلاة المكتوبة فيه لتعدل ألف صلاة، وإنّ النافلة فيه لتعدل خمسمائة صلاة، وإنّ الجلوس فيه بغير تلاوة ولا ذكر لعبادة، ولو علم الناس ما فيه لأتوه ولو حبواً**))[١].

كما روى الشيخ الطوسي في التهذيب والصدوق في من لا يحضره الفقيه عن علي بن مهزيار بإسناد له قال: ((**قال أبو عبد الله عليه السلام: حد مسجد الكوفة آخر السراجين خطه آدم، وأنا أكره أنْ أدخله راكباً، قال: قلت: فمن غيّره عن خطّته؟ قال: أمّا أوّل ذلك فالطوفان في زمان نوح عليه السلام، ثم غيّره أصحاب كسرى والنعمان، ثم غيّره زياد بن أبي سفيان لعنة الله عليه**))[٢].

وعن نجم بن حطيم، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: ((**لو يعلم الناس ما في مسجد الكوفة لأعدّوا له الزاد والرواحل من مكان بعيد؛ إنّ صلاة**

---

(١) الكافي٣: ٤٩٠، ح١.

(٢) تهذيب الأحكام٣: ٢٥٥، ح٢٤.

فريضة فيه تعدل حجة، وصلاة نافلة تعدل عمرة))[١].

كما روى الصدوق في الفقيه بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: **((لا تشدّ الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، ومسجد الكوفة))**[٢].

وعن الأصبغ بن نباتة أن أمير المؤمنين عليه السلام قال: **((يا أهل الكوفة، لقد حباكم الله عزّ وجل بما لم يحب به أحداً، من فضل مصلاّكم بيت آدم وبيت نوح وبيت إدريس، ومصلّى إبراهيم الخليل، ومصلّى أخي الخضر ومصلاّي، وإنّ مسجدكم هذا لأحد المساجد الأربعة التي اختارها الله عزّ وجل لأهلها، وكأني به قد أُتي به يوم القيامة في ثوبين أبيضين يتشبّه بالمحرم ويشفع لأهله ولمن يصلّي فيه فلا ترد شفاعته، ولا تذهب الأيام والليالي حتى ينصب الحجر الأسود فيه، وليأتين عليه زمان يكون مصلّى المهدي من ولدي، ومصلّى كل مؤمن، ولا يبقى على الأرض مؤمن إلاّ كان به أو حنّ قلبه إليه، فلا تهجروه وتقرّبوا إلى الله عزّ وجل بالصلاة فيه، وارغبوا إليه في قضاء حوائجكم، فلو يعلم الناس ما فيه من البركة لأتوه من أقطار الأرض ولو حبواً على الثلج))**[٣].

وقد جاء في بعض الروايات ترجيحه على المسجد الأقصى في الفضل والثواب.

فعن محمد بن يعقوب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **((جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو في مسجد الكوفة فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فردّ عليه، فقال: جعلت فداك إني أردت المسجد**

---

(١) المزار: ٧، ح١.

(٢) من لا يحضره الفقيه١: ٢٣١، ح٦٩٤.

(٣) من لا يحضره الفقيه١: ٢٣١، ح٦٩٦.

الأقصى فأردت أن أسلّم عليك وأودّعك، فقال له: وأيّ شيء أردت بذلك؟ قال: الفضل جعلت فداك، قال: فبع راحلتك وكل زادك وصلّ في هذا المسجد؛ فإنّ الصلاة المكتوبة فيه حجة مبرورة، والنافلة عمرة مبرورة والبركة فيه على اثني عشر ميلاً يمينه يمن ويساره مكر، وفي وسطه عين من دهن وعين من لبن وعين من ماء شراب للمؤمنين، وعين من ماء طهر للمؤمنين، منه سارت سفينة نوح، وكان فيه (نسر) و(يغوث) و(يعوق)[1]، وصلّى فيه سبعون نبياً وسبعون وصياً أنا أحدهم - وقال بيده في صدره - ما دعا فيه مكروب بمسألة في حاجة من الحوائج إلاّ أجابه الله وفرج عنه كربته))[2].

وفي مسجد الكوفة مقامات الأنبياء وأئمة أهل البيت كما أشير إلى ذلك في الروايات، ففيها أنّ من معالم المسجد مقام أمير المؤمنين عليه السلام عند الأُسطوانة السابعة، ومقام الحسن عليه السلام عند الأُسطوانة الخامسة، ومقام إبراهيم عند الأُسطوانة الثالثة، ومقام جبرائيل عند الخامسة مما يلي باب كِنْدة[3].

وتوجد لمسجد الكوفة أعمال وصلوات وأدعية ومناجاة وردت في كتب الدعاء والزيارة، منها صلاة الحاجة بركعتين يقرأ في كل منها بالحمد والمعوذتين والإخلاص والكافرون والنصر والقدر، ثم يسبح تسبيح الزهراء بعد التسليم ويسأل الله تعالى حاجته فإنها تقضى إنْ شاء الله ويستجاب

---

(١) أصنام أشار إليها القرآن الكريم في سورة نوح آية ٢٣ ﴿**وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً**﴾.

(٢) الكافي٣: ٤٩١، ح٢.

(٣) أنظر وسائل الشيعة٣: ٥٣٠، باب استحباب الصلاة عند الأُسطوانة السابعة والخامسة.

دعاؤه فيها[١].

ب) قبر الإمام علي عليه السلام ووادي السلام

وفي الكوفة قبر الإمام علي عليه السلام الذي يوجد في (ظهر الكوفة) عند الربوات البيض، وتسمى هذه المنطقة (بالغري) والنجف، وقد كانت خالية من الزرع ويدفن فيها أموات الكوفة بعد ظهور قبر الإمام علي عليه السلام، وقد تأسست مدينة النجف الأشرف حول قبره حتى أصبحت هي مركز المحافظة والمدينة الأُم، وأصبحت مدينة الكوفة (قضاء) تابعاً لها.

وقد تحدثنا سابقاً[٢] عن زيارته وفضلها وأشرنا في ضمن هذا الحديث إلى فضل هذا المكان المقدس.

فعن نصير الدين الطوسي، عن محمد بن محمد بن الفضل ابن بنت داود الرقي قال: ((**قال الصادق عليه السلام: أربع بقاع ضجّت إلى الله أيام الطوفان: البيت المعمور فرفعه الله، والغري وكربلا وطوس**))[٣].

وعن محمد بن علي بن الحسن العلوي في كتاب فضل الكوفة بإسناد رفعه إلى عقبة بن علقمة أبي الجنوب قال: ((**اشترى أمير المؤمنين عليه السلام ما بين الخورنق إلى الحيرة في الكوفة، وفي حديث ما بين النجف إلى الحيرة إلى الكوفة من الدّهاقين بأربعين ألف درهم، وأشهد على شرائه. قال: فقيل له يا أمير المؤمنين تشتري هذا بهذا المال وليس ينبت حظاً؟ فقال: سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: كوفان كوفان يردّ أوّلها على آخرها، يحشر من**

---

(١) أنظر وسائل الشيعة٣: ٥٣٢، ومفاتيح الجنان: ٣٨٦ - ٤٠١ حيث يذكر تفاصيل أعمال مسجد الكوفة.

(٢) في بحث الشعائر: قسم الزيارات.

(٣) فرحة الغري: ٩٩، ح٤٨.

ظهرها سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، فاشتهيت أنْ يحشروا من ملكي))[١].

وعن بدر بن خليل الأسدي، عن رجل من أهل الشام قال: ((**قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: أوّل بقعة عُبِدَ الله عليها ظهر الكوفة، لما أمر الله الملائكة أنْ يسجدوا لآدم سجدوا على ظهر الكوفة))**[٢].

وعن حبّة العرني قال: ((**خرجت مع أمير المؤمنين عليه السلام إلى الظهر فوقف (بوادي السلام) كأنه مخاطب لأقوام، فقمت بقيامه حتى أعييت، ثم جلست حتى مللت، ثم قمت حتى نالني مثل ما نالني أوّلاً، ثم جلست حتى مللت، ثم قمت وجمعت ردائي، فقلت: يا أمير المؤمنين، إني قد أشفقت عليك من طول القيام فراحة ساعة، ثم طرحت الرداء ليجلس عليه فقال لي: يا حبّة، إنْ هو إلاّ محادثة مؤمن أو مؤانسته. قال: قلت: يا أمير المؤمنين، وإنهم لكذلك؟ قال: نعم ولو كشف لك لرأيتهم حلقاً محتبين يتحادثون، فقلت: أجسام أم أرواح؟ فقال: أرواح، وما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض إلاّ قيل لروحة: الحقي بوادي السلام، وإنها لبقعة من جنّة عدن))**[٣].

وعن صفوان الجمال أنه قال: ((**خرجت مع الصادق عليه السلام من المدينة أريد الكوفة، فلما جزنا بالحيرة قال: يا صفوان، قلت: لبيك يا بن رسول الله، قال: تخرج المطايا إلى القائم وحدّ الطريق إلى الغريّ، قال صفوان: فلما صرنا إلى قائم الغري أخرج رشاء معه دقيقاً قد عمل من الكِنبار، ثم أبعد من القائم مغرّباً خُطاً كثيرة، ثم مدّ ذلك الرّشاء حتى إذا انتهى إلى**

---

(١) بحار الأنوار٩٧: ٢٣١، ح٢١.

(٢) تفسير العياشي١: ٣٤، ح١٨.

(٣) الكافي٣: ٢٤٣، ح١.

آخره وقف، ثم ضرب بيده إلى الأرض فأخرج منها كفاً من تراب فشمه مليّاً، ثم أقبل يمشي حتى وقف على موضع القبر الآن، ثم ضرب بيده المباركة إلى التربة فقبض منها قبضة ثم شمّها، ثم شهق شهقة حتى ظننت أنه فارق الدنيا، فلما أفاق قال: ههنا والله مشهد أمير المؤمنين عليه السلام، ثم خط تخطيطاً فقلت: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله ما منع الأبرار من أهل البيت من إظهار مشهده؟ قال: حذراً من بني مروان والخوارج أنْ تحتال في أذاه، قال صفوان: فسألت الصادق أبا عبد الله عليه السلام: كيف تزور أمير المؤمنين عليه السلام؟ فقال: يا صفوان، إذا أردت ذلك فاغتسل والبس ثوبين طاهرين غسيلين أو جديدين ونل شيئاً من الطيب، فإنْ لم تنلْ أجزأك، فإذا خرجت من منزلك فقل: اللهم إني خرجت من منزلي، وتمم الزيارة وتركتها لطولها))[1].

ج) مسجد السهلة

ومن جملة الأماكن المقدسة في الكوفة مسجد السهلة؛ إذ ورد في فضله عن الإمام الصادق عليه السلام أنه ((**ما من مكروب يأتي مسجد السهلة فيصلي فيه ركعتين بين العشاءين، ويدعو الله تعالى إلاّ وفرج الله كربته**))[2].

كما أنّ الروايات تشير إلى أنه من المساجد التي صلى فيها الأنبياء والصالحون منذ إبراهيم عليه السلام، بل قبله.

فقد روى الكليني عن عبد الله بن أبان قال: ((**دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام فسألنا: أفيكم أحد عنده علم عمّي زيد بن عليّ؟ فقال رجل من القوم: أنا عندي علم من علم عمّك، كنّا عنده ذات ليلة في دار معاوية بن إسحاق الأنصاري إذ قال: انطلقوا بنا نصلي في مسجد السهلة، فقال أبو**

---

(١) بحار الأنوار٩٧: ٢٣٥، ح١.

(٢) تهذيب الأحكام٦: ٣٨، ح٢١.

عبد الله عليه السلام: وفعل؟ فقال: لا، جاءه أمر فشغله عن الذهاب، فقال: أما والله لو أعاذ الله به حولاً لأعاذه، أما علمت أنّه موضع بيت إدريس النبي عليه السلام والذي كان يخيط فيه، ومنه سار إبراهيم عليه السلام إلى اليمن بالعمالقة، ومنه سار داود إلى جالوت، وإنّ فيه لصخرة خضراء فيها مثال كلّ نبيّ، ومن تحت تلك الصخرة أُخذت طينة كل نبيّ، وإنّه لمناخ الراكب. قيل: ومن الراكب؟ قال: الخضر عليه السلام))[1].

وكذلك عن صالح بن أبي الأسود قال: ((**قال أبو عبد الله عليه السلام: وذكر مسجد السهلة فقال: أما إنّه منزل صاحبنا إذا قام بأهله**))[2].

وعن عبد الرحمان بن سعيد الخزّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**بالكوفة مسجد يقال له مسجد السهلة، لو أنّ عمّي زيداً أتاه فصلى فيه واستجار الله لأجاره عشرين سنة. فيه مناخ الراكب، وبيت إدريس النبي، وما أتاه مكروب قط فصلّى فيه بين العشاءين ودعا الله إلاّ فرج الله كربته**))[3].

٥. حرم الإمام الحسين

لقد تحدثنا في مبحث الزيارات عن الثواب العظيم والأجر الجزيل، والفضل الكبير لزيارة سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام التي تحظى بأهمية خاصة ومتميزة من بين الزيارات؛ باعتبار خصوصية واقعة كربلاء ومداليلها الروحية والثقافية والسياسية، الفردية والجماعية.

يضاف إلى ذلك أنّ الحرم الحسيني (الحائر الحسيني) يختص بفضل كبير أيضا يكاد ألاّ يضاهيه فضل آخر باعتبار الخصوصيات المشار إليها آنفاً.

---

(١) الكافي٣: ٤٩٤، ح١.

(٢) الكافي٣: ٤٩٥، ح٢.

(٣) الكافي٣: ٤٩٥، ح٣.

وقد جاء في تحديد الحائر الحسيني وفضله روايات، منها ما رواه الكليني والشيخ ابن قولويه والشيخ الطوسي بأسانيد معتبرة عن الصادق عليه السلام: **((إنّ لموضع قبر الحسين عليه السلام حرمة معروفة من عرفها واستجار بها أُجير، قلت: فصف لي موضعها جعلت فداك، قال: امسح من موضع قبره اليوم خمسة وعشرين ذراعاً من قدامه، وخمسة وعشرين ذراعاً من رأسه، وخمسة وعشرين ذراعاً من ناحية رجليه، وخمسة وعشرين ذراعاً من خلفه، وموضع قبره من يوم دفن روضة من رياض الجنة، ومنه معراج تعرج فيه بأعمال زوّاره إلى السماء، فليس ملك في السماء ولا في الأرض إلاّ وهم يسألون الله في زيارة قبر الحسين عليه السلام، ففوج ينزل وفوج يعرج))**[1].

وعن عمر بن ثابت، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: **((خلق الله كربلاء قبل أنْ يخلق الكعبة بأربعة وعشرين ألف عام، وقدّسها وبارك عليها، فما زالت قبل أنْ يخلق الله الخلق مقدّسة مباركة ولا تزال كذلك، ويجعلها الله أفضل أرض في الجنّة))**[2].

وعن محمد بن سنان، عمن حدّثه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **((خرج أمير المؤمنين عليه السلام يسير بالناس، حتى إذا كان من كربلاء على مسيرة ميل أو ميلين فتقدّم بين أيديهم، حتى إذا صار بمصارع الشهداء قال: قبض فيها مائتا نبيّ، ومائتا وصيّ، ومائتا سبط شهداء بأتباعهم، فطاف بها على بغلته خارجاً رجليه من الركاب وأنشأ يقول: مناخ ركاب ومصارع شهداء لا يسبقهم من كان قبلهم، ولا يلحقهم من كان بعدهم))**[3].

---

(١) تهذيب الأحكام٦: ٧١، ح٢.

(٢) كامل الزيارات: ٤٥٤، ح١٤.

(٣) تهذيب الأحكام٦: ٧٣، ح٧.

التربة الحسينية

وقد جعل الله سبحانه وتعالى لهذا الحرم الشريف والبقعة المباركة آثاراً خارجية وضعية مضافةً إلى قدسيتها والثواب المترتب عليها، ومنها تحقق الشفاء بتناول تربته الشريفة؛ ولذا أفتى الفقهاء بجواز تناول القدر القليل من هذه التربة للاستشفاء بالرغم من فتواهم بحرمة أكل الطين[١].

وقد وردت روايات عديدة في استحباب الاستشفاء بتربته نذكر بعضها.

روى الكليني، عن يونس بن الربيع، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **((إن عند رأس الحسين عليه السلام لتربة حمراء فيها شفاء من كل داء إلاّ السام))**[٢].

وعن ابن أبي يعفور قال: **((قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يأخذ الإنسان من طين قبر الحسين عليه السلام فينتفع به ويأخذ غيره ولا ينتفع به، فقال: لا والله الذي لا إله إلاّ هو لا يأخذه أحد وهو يرى أنّ الله ينفعه به إلاّ نفعه به))**[٣].

وعن الطوسي، عن زيد الشحام، عن الصادق عليه السلام قال: **((إنّ الله جعل تربة جدي الحسين شفاءً من كل داء، وأماناً من كل خوف، فإذا تناولها أحدكم فليقبّلها وليضعها على عينه، وليمرّها على سائر جسده، وليقل: اللهم بحق هذه التربة، وبحق من حلّ بها وثوى فيها وبحق أبيه وأُمّه وأخيه والأئمة من ولده، وبحق الملائكة الحافين به إلاّ جعلتها شفاء من كل داء، وبرءاً من كل مرض، ونجاة من كل آفة، وحرزا مما أخاف وأحذر، ثم يستعملها. قال أبو أسامة: فإني استعملتها من دهري الأطول كما قال**

---

(١) وقد ورد في الحديث عن الإمام الكاظم عليه السلام: **((ولا تأخذوا من تربتي شيئاً لتبرّكوا به؛ فإنّ كل تربة لنا محرمة إلاّ تربة جدي الحسين بن علي عليه السلام، فإنّ اللّه عزّ وجل جعلها شفاءً لشيعتنا وأوليائنا))** وسائل الشيعة ١٠: ٤١٤.

(٢) الكافي ٤: ٥٨٨، ح٤.

(٣) الكافي ٤: ٥٨٨، ح٣.

ووصف أبو عبد الله عليه السلام، فما رأيت بحمد الله مكروهاً))[١].

كما يستحب اتخاذ المسبحة من تربته الشريفة حيث يكون من آثارها أنْ يكتب له التسبيح حتى لو غفل عنه.

فعن محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري قال: ((**كتبت إلى الفقيه أسأله: هل يجوز أنْ يسبح الرجل بطين القبر؟ وهل فيه فضل؟ فأجاب وقرأت التوقيع ومنه نسخت: تسبّح به، فما في شيء من السبح أفضل منه، ومن فضله أنّ المسبّح ينسى التسبيح ويدير السبحة فيكتب له ذلك التسبيح**))[٢].

استجابة الدعاء تحت قبته

ومن هذه الآثار استجابة الدعاء تحت قبته الشريفة.

فعن أحمد بن فهد قال: ((**روي أنّ الله عوّض الحسين عليه السلام من قتله أربع خصال: جعل الشفاء في تربته، وإجابة الدعاء تحت قبته، والأئمة من ذريّته، وألاّ تعدّ أيّام زائريه من أعمارهم**))[٣].

وعن شعيب العقرقوفي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**قلت له: من أتى قبر الحسين عليه السلام ما له من الأجر والثواب؟ قال: يا شعيب، ما صلّى عنده أحد ودعا دعوة إلاّ استجيب عاجلة وآجلة، قلت: زدني، قال: أيسر ما يقال لزائر الحسين عليه السلام: قد غفر لك فاستأنف اليوم عملاً جديداً**))[٤].

وقد ورد - أيضاً - في ثواب الصلاة والعبادة عند قبر الحسين عليه السلام روايات عديدة نذكر بعضها.

---

(١) أمالي الطوسي: ٣١٨، ح٩٣.

(٢) وسائل الشيعة١٠: ٤٢٠، ح١.

(٣) وسائل الشيعة١٠: ٤٢١، ح١.

(٤) وسائل الشيعة١٠: ٤٢٢، ح٤.

فعن جعفر بن محمد بن إبراهيم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ((**قال لرجل: يا فلان، ما يمنعك إذا عرضت لك حاجة أنْ تأتي قبر الحسين عليه السلام فتصلّي عنده أربع ركعات، ثم تسأل حاجتك، فإنّ الصلاة المفروضة عنده تعدل حجّة، والصلاة النافلة عنده تعدل عمرة**))[١].

وعن أبي النمير قال: ((**قال أبو جعفر عليه السلام: إنّ ولايتنا عرضت على أهل الأمصار فلم يقبلها قبول أهل الكوفة شيء، وذلك أنّ قبر أمير المؤمنين عليه السلام فيه، وإنّ إلى لزقته لقبر آخر،** يعني قبر الحسين عليه السلام **وما من آتٍ أتاه يصلّي عنده ركعتين أو أربعاً ثم سأل الله حاجته إلاّ قضاها له، وإنه ليحفه كل يوم ألف ملك**))[٢].

التخيير بين القصر والتمام

وقد ورد في بعض الروايات أنّ الحائر الحسيني هو أحد الأماكن الأربعة التي يخيَّر فيها المسافر بين القصر والتمام وهي (مكة أو المسجد الحرام)، و(المدينة أو المسجد النبوي) و(مسجد الكوفة) و(الحائر الحسيني)، وأفتى بذلك الكثير من العلماء والمجتهدين[٣].

فقد روى حمّاد بن عيسى، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: ((**من مخزون علم الله الإتمام في أربعة مواطن حرم الله، وحرم رسوله صلى الله عليه وآله، وحرم أمير المؤمنين عليه السلام، وحرم الحسين عليه السلام**))[٤].

---

(١) كامل الزيارات: ٤٣٣، ح١.

(٢) وسائل الشيعة١٠: ٤٠٦، ح٤.

(٣) منهاج الصالحين للإمام الحكيم١: ٣٦١ المسألة ٧١، ط. دار التعارف ١٣٩٦، ومنهاج الصالحين للإمام الخوئي١: ٢٥٥ المسألة ٩٥٢، الطبعة الثامنة والعشرون.

(٤) الاستبصار٢: ٣٣٤، ح١.

وكذلك روى زياد القنديّ قال: ((**قال لي أبو الحسن عليه السلام: أحب لك ما أحب لنفسي وأكره لك ما أكره لنفسي، أتم الصلاة في الحرمين وبالكوفة وعند قبر الحسين**))[١].

٦. مساجد وأماكن أخرى

أ) بيت المقدس والمسجد الأقصى

المسجد الأقصى هو المكان الذي أُسرى إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وأشار إليه القرآن الكريم في قوله: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ...**﴾[٢].

كما يذكر في بعض الروايات أنّ معراج رسول الله إلى السماء كان من المسجد الأقصى[٣]، وفيه صخرة معروفة بأنها هي موضع المعراج.

وقد وردت في فضله روايات معروفة يكاد يجمع عليها جميع المسلمين، وهي رواية لا تشد الرحال إلاّ إلى مساجد ثلاث: المسجد الحرام ومسجد النبي صلى الله عليه وآله والمسجد الأقصى.

وقد جاءت الروايات عن أهل البيت عليهم السلام تؤكد هذا الفضل، فقد روى أبو حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: ((**المساجد الأربعة المسجد الحرام، ومسجد الرسول صلى الله عليه وآله، ومسجد بيت المقدس، ومسجد الكوفة. يا أبا حمزة، الفريضة فيها تعدل حجّة، والنافلة فيها تعدل عمرة**))[٤].

---

(١) المزار: ١٣٧، ح٢.

(٢) الإسراء:١.

(٣) نور الثقلين٣: ١٠٣، ح١٩، عن تفسير علي بن إبراهيم.

(٤) من لا يحضره الفقيه١: ٢٢٩، ح٦٨٤.

وكذلك روى السكوني عن جعفر، عن أبيه، عن علي عليه السلام، قال: **((صلاة في بيت المقدس تعدل ألف صلاة، وصلاة في المسجد الأعظم مائة صلاة، وصلاة في مسجد القبيلة خمس وعشرون صلاة، وصلاة في مسجد السّوق اثنتا عشرة صلاة، وصلاة الرجل في بيته وحده صلاة واحدة))**(١).

ب) مسجد الخيف

ومن الأماكن المقدسة المعروفة بين المسلمين مسجد الخيف بمنى، وهو المسجد الأعظم فيها؛ وقد وردت في فضله أحاديث عن أهل البيت كما وردت أحاديث أُخرى في فضل العبادة فيه وفي كيفيتها أيضاً.

فقد روى الكليني بسند معتبر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: **((صلِّ في مسجد الخيف وهو مسجد منى، وكان مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله على عهده عند المنارة التي في وسط المسجد، وفوقها إلى القبلة نحواً من ثلاثين ذراعاً وعن يمينها وعن يسارها وخلفها نحواً من ذلك، فقال: فتحرَّ ذلك فإنْ استطعت أنْ يكون مصلاّك فيه فافعل؛ فإنّه قد صلّى فيه ألف نبي، وإنما سمّي الخيف لأنه مرتفع عن الوادي، وما ارتفع عنه يسمى خيفاً))**(٢).

كما ورد في الصلاة والعبادة فيه ما رواه الصدوق بسند معتبر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: **((من صلّى في مسجد الخيف بمنى مائة ركعة قبل أنْ يخرج منه عدلت عبادة سبعين عاماً، ومن سبّح الله فيه مائة تسبيحة كتب له كأجر عتق رقبة، ومن هلّل الله فيه مائة تهليلة عدلت أجر إحياء نسمة، ومن حمد الله فيه مائة تحميدة عدلت أجر خراج العراقين يتصدق به**

---

(١) وسائل الشيعة٣: ٥٥١، ح٢.

(٢) وسائل الشيعة٣: ٥٣٤، ح١.

في سبيل الله عزّ وجل))[١].

كما روى الكليني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **((صل ستّ ركعات في مسجد منى في أصل الصومعة))**[٢].

ج) مسجد براثا

مسجد براثا من المساجد المعروفة في بغداد، ويقع في الطريق بينها وبين الكاظمية، وقد تحدث عنه الحموي في معجم البلدان، ووردت عن أهل البيت عليهم السلام روايات في فضله، وقد تناول الحديث عنه وعن فضله بشيء من التفصيل الشيخ القمي في كتابه مفاتيح الجنان[٣]، ونورد هنا رواية رواها الصدوق في من لا يحضره الفقيه والشيخ في التهذيب عن الصحابي المعروف جابر بن عبد الله الأنصاري قال: **((صلّى بنا علي عليه السلام ببراثا بعد رجوعه من قتال الشراة ونحن زهاء عن مائة ألف رجل، فنزل نصراني من صومعته فقال: من عميد هذا الجيش؟ فقلنا: هذا، فأقبل إليه فسلّم عليه فقال: يا سيّدي أنت نبيّ؟ فقال: لا، النبيّ سيدي قد مات، قال: فأنت وصيّ نبيّ؟ قال: نعم، ثم قال له: اجلس كيف سألت عن هذا؟ قال: أنا بنيت هذه الصومعة من أجل هذا الموضع وهو براثا، وقرأت في الكتب المنزلة أنه لا يصلّي في هذا الموضع بهذا الجمع إلاّ نبيّ أو وصيّ نبي، وقد جئت أسلم فأسلم وخرج معنا إلى الكوفة، فقال له عليّ عليه السلام: فمن صلّى ههنا؟ قال: صلّى عيسى بن مريم وأمّه، فقال له عليّ عليه السلام: أفأخبرك من صلّى ههنا؟**

---

(١) الكافي ٤: ٥١٩، ح٤.

(٢) الكافي ٤: ٥١٩، ح٦.

(٣) مفاتيح الجنان: ٤٨٨ – ٤٩٠.

قال: نعم، قال: الخليل عليه السلام))[١].

د) مشهد الإمام الرضا عليه السلام

لقد وردت روايات مستفيضة في فضل وثواب وأهمية زيارة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في أرض خراسان، أشرنا إليها في بحث الزيارات.

يضاف إلى ذلك أنه وردت روايات ونصوص تؤكد قدسية هذا المشهد الشريف مضافاً إلى ثواب زيارة مرقده.

ومن هذه الروايات - ما سبق - عن الصادق عليه السلام قال: ((**أربع بقاع ضجّت إلى الله من الغرق أيام الطوفان: البيت المعمور فرفعه الله إليه والغري، وكربلاء، وطوس**))[٢].

كما روى الشيخ الصدوق في الفقيه والمجالس وعيون أخبار الرضا بسند معتبر عن الحسن بن علي بن فضال، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: ((**إنّ بخراسان لبقعة يأتي عليها زمان تصير مختلف الملائكة، ولا يزال فوج ينزل من السماء وفوج يصعد إلى أنْ ينفخ في الصور، فقيل له يا ابن رسول الله: وأيّ بقعة هذه؟ قال: هي بأرض طوس وهي والله روضة من رياض الجنة، من زارني في تلك البقعة كان كمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله، وكتب الله تعالى له ثواب ألف حجّة مبرورة، وألف عمرة مقبولة، وكنت أنا وآبائي شفعاءه يوم القيامة**))[٣].

وعن الصقر بن دلف قال: ((**سمعت سيدي علي بن محمد بن علي الرضا عليه السلام يقول: من كانت له إلى الله حاجة فليزر قبر جدّي الرضا عليه السلام**

---

(١) من لا يحضره الفقيه١: ٢٣٢، ح٦٩٨.

(٢) وسائل الشيعة١٠: ٤٤١، ح٢.

(٣) عيون أخبار الرضا١: ٢٨٦، ح٥.

بطوس وهو على غسل، وليصلِّ عند رأسه ركعتين، وليسأل الله تعالى حاجته في قنوته، فإنه يستجيب له ما لم يسأل في مأثم أو قطيعة رحم. وإنَّ موضع قبره لبقعة من بقاع الجنة لا يزورها مؤمن إلاّ أعتقه الله تعالى من النار، وأحله دار القرار))[١].

هـ) قم وقبر فاطمة بنت موسى عليها السلام

لبقعة قم في نظر أهل البيت عليهم السلام أهمية خاصة ودور مهم في تاريخ وحياة الجماعة الصالحة، ويبدو أنها في بُعدها الثقافي تأتي في المرتبة الثانية بعد الكوفة، وقد قُرن اسمها في كثير من الروايات باسم الكوفة[٢].

وتعتبر من الناحية العلمية امتداداً لمدرسة الكوفة والموقع الثاني بعدها، حيث هاجر إليها الأشعريون من الكوفة، وتوافد عليها علماء الجماعة الصالحة في مختلف أدوار تاريخهم، وقد تنبأت بعض النصوص أنها سوف

---

(١) عيون أخبار الرضا١: ٢٩٣، ح٣٢.

(٢) عن محمد بن سهل بن اليسع، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **((إذا فقد الأمن من العباد وركب الناس على الخيول واعتزلوا النساء والطيب فالهرب الهرب عن جوارهم. فقلت: جعلت فداك، إلى أين؟ قال: إلى الكوفة ونواحيها، أو إلى قم وحواليها؛ فإنّ البلاء مدفوع عنهما))** بحار الأنوار٥٧: ٢١٤، ح٢٩.

وعن الصادق عليه السلام قال: **((أهل خراسان أعلامنا، وأهل قم أنصارنا، وأهل الكوفة أوتادنا، وأهل هذا السواد منا ونحن منهم))** بحار الأنوار٥٧: ٢١٤، ح٣٠.

وعن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: **((قم عش آل محمد ومأوى شيعتهم، ولكن سيهلك جماعة من شبابهم بمعصية آبائهم والاستخفاف والسخرية بكبرائهم ومشايخهم، ومع ذلك يدفع الله عنهم شر الأعادي وكل سوء))** بحار الأنوار٥٧: ٢١٤، ح٣١.

يكون لها الدور الأول في حياة الجماعة الصالحة في المستقبل[١].

وقد تحققت هذه النبوءة بعد الظروف القاسية التي مرت بها مدرسة (النجف) في هذا العصر، وبعد هذا الفضل الكبير الذي أنعم الله به على إيران بقيام دولة الإسلام فيها، وانطلاق العمل البنّاء والإنجاز العظيم من مدينة قم وبقيادة عالم رباني هو الإمام الخميني قدس سره، ومشاركة الحوزة العلمية في قم بهذا الدور والعمل بشكل فعّال.

وقد أدّى ذلك إلى حدوث تطور كبير ومهم في حوزة قم ودورها ومكانتها.

وقد كان لقبر السيدة فاطمة بنت الإمام موسى الكاظم عليه السلام دور كبير في تطور ونمو الحالة العلمية والدينية، كما ورد في زيارتها من روايات عن الإمام الرضا عليه السلام، مضافاً إلى أنها كانت مأوى طبقة مهمة وعالية من الرواة في بعض الأدوار. وقد أشرنا في الزيارات إلى استحباب زيارة هذا القبر الشريف، وأنه من أهم المراقد المعروفة لأولاد الأئمة عليهم السلام[٢].

---

(١) جاء في تاريخ قم عن أبي عبد اللّه الصادق عليه السلام أنه ذكر كوفة وقال: **((ستخلو كوفة من المؤمنين ويأزر عنها العلم كما تأزر الحية في جحرها، ثم يظهر العلم ببلدة يقال لها قم، وتصير معدناً للعلم والفضل حتى لا يبقى في الأرض مستضعف في الدين حتى المخدّرات في الحجال، وذلك عند قرب ظهور قائمنا، فيجعل اللّه قم وأهله قائمين مقام الحجة، ولولا ذلك لساخت الأرض بأهلها ولم يبق في الأرض حجّة، فيفيض العلم منه إلى سائر البلاد في المشرق والمغرب، فيتمّ حجّة اللّه على الخلق حتى لا يبقى أحد على الأرض لم يبلغ إليه الدين والعلم، ثم يظهر القائم عجل الله فرجه ويصير سبباً لنقمة اللّه وسخطه على العباد؛ لأن اللّه لا ينتقم من العباد إلاّ بعد إنكارهم حجته))** بحار الأنوار٥٧: ٢١٣، ح٢٣.

(٢) فقد روى الشيخ الصدوق في ثواب الأعمال: ٩٩ عن سعد بن سعد، عن الرضا عليه السلام أنه قال: **((من زارها فله الجنّة))**، وبسند معتبر آخر عن الإمام ←

الجواد عليه السلام قال: **((من زار قبر عمتي بقم فله الجنّة))**، ونقل عن المجلسي أنّ الرضا عليه السلام قال لسعد الأشعري القمي: **((يا سعد، عندكم لنا قبر، قلت: جعلت فداك، قبر فاطمة بنت موسى بن جعفر عليه السلام؟ قال: بلى، من زارها عارفاً بحقها فله الجنّة...))**.

الباب السابع
نظام الشعائر والعبادات

القسم الثاني

نظام العبادات

الفصل الأول:

العبادات المؤقتة

الفصل الثاني:

العبادات غير المؤقتة

مقدمة

في البداية يحسن أنْ نسجل عدة ملاحظات مهمة ذات علاقة ببحث نظام العبادة، وإنْ كان بعضها له علاقة بالأبحاث الأُخرى أيضاً.

الأولى: من الملاحظ أنّ دائرة الأعمال المستحبة - وخصوصاً في العبادات - واسعة جداً، وأنّ بعض هذه المستحبات والسنن لم يثبت بطريق معتبر؛ ولذا فلا يمكن إثبات استحبابها ومشروعيتها من قبل الشارع المقدس، فلابدّ من الإتيان بها حينئذٍ برجاء أنْ تكون مطلوبة من الشارع والذي يعبر عنه الفقهاء بـ (رجاء المطلوبية).

وقد وردت عدة روايات صحيحة السند تقول: إنّ المؤمن إذا بلغه عن رسول الله ثواب على عمل فجاء به رجاء نيل هذا الثواب، كتب الله تعالى له هذا الثواب وإنْ كان الأمر في الواقع ليس كما بلغه، ويسمى مفاد هذه الروايات بـ(قاعدة التسامح في أدلة السنن).

وبالرغم من ذلك فإني قد أُشير - حسب فرصة البحث - إلى السنن والمستحبات التي وردت فيها رواية معتبرة تؤكّد استحبابها ومشروعيتها.

كما أنني أُحاول أنْ أنتخب المصاديق من هذه السنن والمستحبات التي تنسجم بشكل عام مع الخط الثابت من السند الوارد عن طريق أهل البيت عليهم السلام، فتكون مستحبة باعتبارها مصداقاً للخط العام وإنْ لم يرد دليل على استحبابها بعنوانها الخاص.

الثانية: يلاحظ في المواسم العبادية التنوع والجمع بين أنواع العبادات، مثل الطهارة (الوضوء والغسل) والصلاة والدعاء والذكر والصدقة والصيام ونحوها، وهذا يكشف عن منهج وهدف خاصين بهذه المواسم، وهو أنّ التكامل الإنساني إنما يمكن أنْ يتحقق من خلال هذا المزيج من العبادات، وأنّ الحاجات الروحية والنفسية في الإنسان متنوعة ومتعددة؛

ولذا فلابدّ من الاهتمام بهذا التنوع في كل موسم ليتحقق هذا النوع من التكامل، وعدم الاقتصار على لون أو نوع خاص من العبادة.

الثالثة: إنّ المنهاج المكثف للعبادات في المواسم أو في غيرها حتى اليومية قد يوحي بتصور خاطئ، وهو أنّ الإسلام قد دعا الإنسان إلى أنْ ينصرف عن أداء مهماته الاجتماعية العامة أو الخاصة إلى ممارسة العبادة، من الصلاة والصيام والدعاء وغيرها من العبادات، ويترتب على ذلك بشكل طبيعي (الرهبنة) في الحياة الإنسانية.

ولذا لابدّ من الالتفات إلى الأبعاد الاجتماعية التي أكدها الإسلام - والتي أشرنا إليها في أبحاثنا في هذا الكتاب - والتي فضلها وقدمها على ألوان العبادة المستحبة، مثل ما ذكرناه في النظام الاقتصادي من أنّ السعي في كسب المعيشة هو من أفضل العبادات، وأنّ طلب العلم ساعة يفضل عبادة سبعين سنة، وأنّ إصلاح ذات البين - الإصلاح في النزاعات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات - أفضل من عامة الصلاة والصيام، وهكذا يقال في الاجتماع بالمؤمنين والوفاء بحقوقهم الاجتماعية إلى غير ذلك مما يؤكد هذا البعد.

وتصبح النظرية الإسلامية في هذا المنهاج المكثف هي فسح المجال أمام الإنسان ليحوّل كل أوقاته إلى عبادة لله تعالى، مع إعطائه منهجاً في الأولويات من ناحية والتنوع في ممارسة الطاعات للحصول على التكامل من ناحية ثانية، دون الإخلال بالمعادلة الاجتماعية والحيوية.

المنهاج العام

عرفنا سابقاً أنّ نظام العبادات يتسم بالشمولية والتنوع باعتبار أهمية العبادة ودورها في حياة الإنسان، حيث إنها تمثل في عموم أبعادها الهدف الأساس من وجود الإنسان وخلقه: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلا**

لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

ومن هذا المنطلق جاء منهاج نظام العبادات - الذي وضعه الإسلام وأوضحه وشرحه أهل البيت عليهم السلام - واسعاً وشاملاً سواء من حيث استيعابه للزمان، أم من حيث تعدد أنواع العبادات وأصنافها.

فأمّا من حيث الزمان فقد جاء هذا المنهاج ضمن خطين رئيسين:

الأوّل: العبادات المؤقتة بساعات أو أيام أو أي زمان معيّن، كالعبادات اليومية والأُسبوعية والشهرية والسنوية.

الثاني: العبادات غير المؤقتة بزمان معين.

وسوف نتناول كل واحد منهما في فصل من الحديث.



العبادات المؤقتة

مقدمة

١. العبادات اليومية

٢. العبادات الأُسبوعية

٣. العبادات الشهرية

٤. العبادات السنوية

مقدمة

يمكن تقسيم العبادات المؤقتة إلى أربعة أقسام:

الأول: العبادات اليومية التي يمارسها الإنسان كل يوم.

الثاني: العبادات الأُسبوعية التي يؤديها الإنسان كل أُسبوع.

الثالث: العبادات الشهرية التي يقوم بها الإنسان كل شهر.

الرابع: العبادات الموسمية أو السنوية التي يؤديها الإنسان في المواسم العبادية المخصصة أو في السنة مرة واحدة.

ونلاحظ أنّ هذا المنهاج الذي بينه أهل البيت عليهم السلام في استيعاب العبادة لكل الأوقات له أصل وجذر في العبادات الواجبة والمستحبة، التي شرعها الإسلام في أصل الشريعة وتفرعت عنها المفردات الأُخرى.

فالصلاة اليومية ونوافلها، وصلاة الجمعة الأُسبوعية، والصوم والحج السنوي، وكذلك الصوم المستحب الشهري للأيام الثلاثة تدل على هذا النوع من الاستيعاب.

وسوف نلاحظ عند استعراض أنواع العبادة من خلال عناوينها الرئيسية وجود هذا التقسيم والاستيعاب للأزمنة، بحيث يصبح واضحاً أنّ الإسلام قد وضع منهاجاً شاملاً وواسعاً للعبادة يمكنه أنْ يستوعب جميع الأوقات التي يعيشها الإنسان.

وهذا الاستيعاب في درجة ومستوىً منه يكون إلزامياً أو شبه إلزامي، وفي درجة ومستوىً آخر يكون مفتوحاً أمام الإنسان ليترك له الفرصة في عبادة ربه، والتكامل من خلالها ضمن خطة حكيمة في التربية والتزكية والتطهير.

وسوف نلاحظ أيضاً عمق ودقة وتكامل هذا المنهاج من خلال رؤية أهل البيت عليهم السلام ، واهتمامهم ببناء الجماعة الصالحة ضمن نظام العبادات من

خلال هذا المنهاج.

وأمّا من حيث أنواع العبادات فقد اشتمل هذا المنهاج - أيضاً - على مختلف أنواع العبادات، من الصلوات والصيام، والحج بمعناه الشامل (الحج والعمرة والزيارة) والجهاد، والدعاء والذكر، وقراءة القرآن، والإنفاق والصلة والإحسان، وطلب العلم، إلى غير ذلك من أنواع العبادات الواجبة والمستحبة.

ونحاول في هذا العرض أنْ نقصر الحديث على العناوين والمفردات المهمة البارزة في هذا المنهاج، سواء من حيث الزمان أم أنواع العبادات، ونترك التفصيل للمفردات الأُخرى حيث يمكن مراجعتها في الكتب المختصة؛ علماً بأنّ بعض مفردات العبادة في هذا المنهاج سبق الحديث عنها في الأبحاث والأنظمة السابقة، مثل الزيارة، أو الإنفاق، أو طلب العلم، أو العلاقات الاجتماعية (الصلة والإحسان) أو الشعائر والأيام والأماكن المقدسة.

كما أننا سوف نتناول بعض مفردات أنواع العبادات ضمن استعراض الأقسام الأربعة من الخط الأول، ونستعرض أنواع العبادات الرئيسية في الخط الثاني منه.

الأول: العبادات اليومية

١. الصلاة اليومية ورواتبها وشؤونها

تجب الصلاة في الشريعة الإسلامية كل يوم خمس مرات في سبع عشرة ركعة، للصبح ركعتان، ولكل من الظهر والعصر والعشاء أربع ركعات، وللمغرب ثلاث ركعات، وهذا مما أجمع عليه المسلمون من أهل القبلة. وتقصر الصلوات الرباعية الثلاث في السفر على تفصيل وشروط يختلف فيها فقهاء المذاهب الإسلامية.

وتمثل هذه الصلاة بخصوصياتها أحد الأركان المهمة التي بُني عليها

الإسلام، وتعبر عن وحدة الأُمة الإسلامية لاتفاقهم عليها.

كما أنَ هذه الصلاة هي أفضل العبادات بعد معرفة الله تعالى على الإطلاق - كما دلت على ذلك الروايات - لأنها تعبر عن الصلة والعلاقة بالله تعالى التي لا يجوز أنْ تنقطع في كل حال، ولعلها لأجل ذلك لا تسقط الصلاة - أيضاً - بأي حال من الأحوال، بل يجب الإتيان بها في الصحة والمرض والأمن والخوف، وبالقدر المستطاع من الكمال حتى لو كان ذلك بالإيماء والإشارة(١).

ومن السنن المستحبة الإتيان بقدر من الركعات قبلها أو بعدها، وتسمى هذه الصلوات والركعات بالرواتب أو النوافل اليومية.

وقد ورد في روايات أهل البيتعليهم السلام أنّ عدد ركعات هذه الرواتب هو ضعف الصلوات اليومية من حيث عدد الركعات، أي أربع وثلاثون ركعة، ركعتان للفجر قبلها، وثمان ركعات للظهر قبلها، وثمان ركعات للعصر قبلها، وأربع ركعات للمغرب بعدها، وركعتان من جلوس للعشاء بعدها تعدان بركعة واحدة، وثمان ركعات صلاة الليل تؤدى بعد منتصف الليل إلى الفجر، وبعدها الشفع ركعتان والوتر ركعة واحدة(٢).

---

(١) وقد ورد عن رسول اللهصلى الله عليه وآله بطرق معتبرة أنه قال عند موته: **((ليس مني من استخف بصلاته ولا يرد عليَّ الحوض...))**.

كما ورد بطريق معتبر عن الإمام الصادقعليه السلام أنه قال عند موته: **((لا تنال شفاعتنا من استخف بالصلاة))** عن وسائل الشيعة٣: ١٦، ح٧، ٣.

(٢) هذا المنهج بهذا العدد مما يمتاز به أهل البيتعليهم السلام عن بقية المذاهب الإسلامية، وهذا ما حفظه أهل البيتعليهم السلام عن رسول اللهصلى الله عليه وآله وأتقنوه. ونافلة الصبح (الغداة) ونافلة الليل هما أفضل هذه النوافل، وقد ورد في تأكيدهما وبيان فضلهما وآثارهما روايات كثيرة. منهقدس سره

فقد روى الكليني بسند صحيح عن حنان قال: ((**سأل عمرو بن حريث أبا عبد الله عليه السلام وأنا جالس فقال له: جعلت فداك، أخبرني عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: كان النبي صلى الله عليه وآله يصلّي ثمان ركعات الزوال وأربعاً الأُولى، وثماني بعدها، وأربعاً العصر، وثلاثاً المغرب، وأربعاً بعد المغرب، والعشاء الآخرة أربعاً، وثماني صلاة الليل، وثلاثاً الوتر، وركعتي الفجر وصلاة الغداة ركعتين**))[1].

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: ((**شيعتنا أهل الورع والاجتهاد، وأهل الوفاء والأمانة، وأهل الزهد والعبادة، وأصحاب الإحدى وخمسين ركعة في اليوم والليلة، القائمون بالليل، الصائمون بالنهار، يزكّون أموالهم، ويحجّون البيت، ويجتنبون كل محرّم**))[2].

وفي كتاب المصباح للشيخ الطوسي عن أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليهما السلام قال: ((**علامات المؤمن خمس: صلاة الإحدى والخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم في اليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم**))[3].

امتيازات أُخرى

وبهذا الصدد نلاحظ أنّ مدرسة أهل البيت عليهم السلام امتازت في موضوع الصلاة وشؤونها على المدارس الأُخرى بعدة امتيازات، يحسن الإشارة إليها:

الأول: الالتزام بالقراءة في الصلاة في الركعتين الأُوليين بسورة الفاتحة

---

(١) الكافي٣: ٤٤٣، ح٥.

(٢) وسائل الشيعة٣: ٤١، ح٢٦.

(٣) مصباح المتهجد: ٧٨٨.

وسورة أُخرى تامة من سور القرآن[١].

وكذلك الالتزام بقراءة البسملة في الفاتحة وفي كل سورة؛ لأنها جزء قرآني من الفاتحة ومن كل سورة في نظرهم، وهو ما دل عليه كثير من النصوص والشواهد التي يأتي في مقدمتها الرسم القرآني الذي تداوله المسلمون بأمانة منذ عهد رسول الله حتى يومنا الحاضر[٢].

الثاني: الجهر بالبسملة حتى في الصلوات الإخفاتية كالظهر والعصر، وهذا ما أشار إليه الحديث السابق. ويبدو أنّ هذا الموضوع تحول إلى قضية سياسية في عهد معاوية تميز بها المسلمون الصالحون عن جماعة الأمويين، حيث أسقط معاوية الجهر فيها، كما يشير إلى ذلك بعض النصوص التأريخية.

الثالث: الالتزام بالسجود على الأرض وما أنبتت غير المأكول منه والملبوس، استناداً إلى ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام من قول الصادق عليه السلام: ((**لا يجوز السجود إلاّ على الأرض، أو ما أنبتته الأرض إلاّ ما أُكل أو لُبس**))[٣]، كما ورد عن طريقهم النهي عن السجود على القطن والكتان، روى زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: ((**قلت له: أسجد على الزفت - يعني القير - ؟ قال: لا، ولا على الثوب الكرسف، ولا على الصوف، ولا على شيء من ثمار الأرض، ولا على شيء من الحيوان ولا على شيء من**

---

(١) هذا هو المشهور المعروف عند فقهاء مذهب أهل البيت، وإنْ وجد من بينهم من يقول بعدم وجوب السورة التامة.

(٢) لقد عالجنا هذا الموضوع كاملاً في تفسيرنا لسورة الفاتحة، وهناك من المذاهب من يقول بذلك أيضاً. منه قدس سره.

(٣) النهاية للشيخ الطوسي: ١٠١.

الرياش))[١].

ويؤكده ما رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة والدارمي وأحمد بن حنبل من قولهﷺ: ((**جُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً**))[٢]، وكذلك قوله: ((**الأرض لك مسجد**)) الذي رواه البخاري ومسلم والنسائي.

وكذلك ما ورد من طريق الجمهور عن رسول اللهﷺ أنه قال: ((**لا تتم صلاة أحدكم حتى يتوضأ كما أمر الله تعالى.... ثم يسجد ممكناً جبهته من الأرض**))[٣].

وكذلك ما ورد عن خباب من قوله: ((**شكونا إلى رسول الله**ﷺ **حرّ الرمضاء في جباهنا وأنفنا فلم يشكنا**))[٤].

وقد خالف في ذلك - بالرغم من وجود هذه النصوص - جميع فقهاء الجمهور فأجازوا السجود على كل شيء.

ومن هنا نجد أتباع أهل البيتعليهم السلام يتقيدون بهذا الحكم، ويستصحبون معهم - أحياناً - قطعة من الطين اليابس أو الحجارة النظيفة لاستخدامها في السجود عليها عندما لا يجدون أرضاً يسجدون عليها.

وقد حاول أعداؤهم التشويش عليهم وإثارة الشبهات والاتهامات

---

(١) الخلاف١: ٣٥٧

(٢) ذكر الحديث بالفاظ عدة، انظر صحيح البخاري١: ٨٦، صحيح مسلم٢: ٦٤، سنن الترمذي١: ١٩٩، سنن النسائي١: ٢١٠، مسند أحمد٣: ٣٠٤.

(٣) كتاب الخلاف٢: ٤٣٤، عن سنن أبي داود١: ٢٢٧، ح٨٥٨.

(٤) الخلاف٢: ٤٣٤، وقد ذكر في هامشه أن مسلماً أخرجه في صحيحه١: ٤٣٣، ح٦١٩، وسنن ابن ماجة ١: ٢٢٢، ح٦٧٥، وسنن النسائي١: ٢٤٧، ومسند أحمد ٥: ١٠٨ – ١١٠، وسنن البيهقي ٢: ١٠٥.

ضدهم، بادعاء أنهم يعبدون هذه الحجارة، مع أنهم يسجدون (عليها) وليس (لها) نعوذ بالله[١].

الرابع: الالتزام في كل من الأذان والإقامة بقول ((حي على خير العمل)) مرتين بعد ((حي على الفلاح))؛ وذلك لما ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام من تأكيد أنّ ذلك هو جزء من الأذان والإقامة.

وتلتزم (الزيدية)[٢] من المذاهب الإسلامية بذلك أيضاً، بحيث أصبح ذلك من مميزات شيعة أهل البيت عليهم السلام على خلاف بقية المذاهب الإسلامية.

وأمّا الشهادة الثالثة في الأذان المتضمنة للشهادة لعلي عليه السلام بالولاية فلاشك بين فقهاء الجماعة الصالحة أنها ليست جزءاً من الأذان أو الإقامة، ولا يصح الإتيان بها بنية (الجزئية) فإنّ ذلك يكون (بدعة) محرمة.

ولكن أتباع أهل البيت عليهم السلام اعتادوا على الإتيان بها ضمن الإتيان بالأذان والإقامة، حتى أصبحت شعاراً لهم يعرفون به بين المسلمين،

---

(١) من الملاحظ اهتمام أبناء (الجماعة الصالحة) باستصحاب قطعة من الطين مأخوذ من تراب كربلاء للسجود عليها، وقد تناول هذا الموضوع بالشرح والتفسير العلامة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في كراس أسماه (التربة الحسينية). ويحسن بأبناء الجماعة الصالحة أنْ يسجدوا على الصخور التي تفرش بها المساجد خصوصاً المسجد الحرام، أو على الحصير أو غيره مما يحقق هذا الشرط دون اتخاذ قطع الحجارة في هذه الأماكن، ابتعاداً عن إثارة الشبهات ومراعاة لاجتناب آثار هذه الحرب الإعلامية الظالمة التي يشنها أعداء الإسلام أو الجهلة ضدّهم. والله ولي التوفيق والسداد والنصر. منه قدس سره.

(٢) الزيدية: هم الذين يقولون بإمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بعد أبيه علي بن الحسين، ومن معتقداتهم أنّه يشترط في الإمام أنْ يقوم بالسيف ضد الطغاة، ولهم مدرسة فقهية متأثرة إلى حدٍّ كبير بالمدرسة العامة لفقه الجمهور، وهم ينتشرون الآن في اليمن الشمالي، وإنْ كان لهم تاريخ في بعض مناطق إيران.

والسبب في ذلك يرجع إلى عاملين رئيسين:

أحدهما: التعبير عن ولائهم للإمام علي عليه السلام والتأكيد لذلك، لأنّ الإمام علي عليه السلام قد تعرض إلى مختلف ألوان الظلم والأذى، ومن أشد أنواعه ظلم الأمويين والنواصب الذين استنوا سبّ الإمام علي عليه السلام على منابر المسلمين وفي خطب صلاة الجمعة، فكان شيعة أهل البيت عليهم السلام يحاولون بذلك أنْ يواجهوا هذا اللون من الظلم بتأكيد هذا الولاء، عندما تهيأت لهم الفرصة المناسبة لذلك.

ثانيهما: أنّ شيعة أهل البيت عليهم السلام تعرضوا في مختلف الأدوار إلى الاضطهاد والمطاردة بسبب الاتهامات الظالمة لهم، ومنها الاتهام لهم بالغلو في عليّ وأولاده، فكان أنْ التزموا بهذا الشعار من أجل تأكيد أنَ عقيدتهم في الإمام علي عليه السلام لا تتعدى الولاء له والاعتقاد بإمامته وولايته ومرجعيته الدينية، وأنّه الحجة من الله على خلقه، وذلك التزاماً بسنة رسول الله الذي قال في علي عليه السلام يوم الغدير: ((**من كنت مولاه فهذا علي مولاه. اللهم وال من والاه وعاد من عاداه**)).

وإنّ علياً هو عبد الله وولي من أولياء الله، ولا يتعدى الأمر ذلك.

الخامس: الجمع بين الصلاتين في الظهر والعصر، وفي المغرب والعشاء، من دون وجود عذر أو حاجة في هذا الجمع؛ وذلك استناداً لما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، فقد ورد في كتب الجمهور - التي يعتقدون صحتها - عن ابن عباس: أنّ النبي صلى الله عليه وآله صلّى بالمدينة سبعاً وثماني، الظهر والعصر والمغرب والعشاء. روى ذلك الخمسة، ولفظ مسلم: ((**جمع رسول الله صلى الله عليه وآله بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالمدينة في غير خوف ولا مطر**)).

وقد قيل لابن عباس: ((**ما أراد إلى ذلك؟ قال: أراد ألاّ يحرج أمته**))[١].

وقد روى الصدوق في علل الأحكام بسند معتبر عن أبي عبد الله الصادقعليه السلام قال: ((**إنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله صلى الظهر والعصر في مكان واحد من غير علة ولا سبب، فقال له عمر - وكان أجرأ القوم عليه -: أحدث في الصلاة شيء؟ قال: لا، ولكن أردت أنْ أوسع على أمتي**))[٢].

ولكن الملاحظ أنّ أبناء الجماعة الصالحة يكادون يلتزمون بالجمع بين الصلاتين، حيث أخذوا بهذه الرخصة مع أنّ النبيصلى الله عليه وآله وأئمة أهل البيتعليهم السلام كانوا يفرّقون بين الصلوات بشكل عام، كما تشير إلى ذلك النصوص[٣]، وإنما كان الجمع رخصة.

---

(١) صحيح مسلم٢: ١٥٦، وسنن الترمذي١: ١٢١، والخمسة هم البخاري، ومسلم، والترمذي، وابن داود، والنسائي.

(٢) علل الشرائع٢: ٣٢١، ح١.

(٣) هذا الموضوع يحتاج إلى دراسة، فإنّ الرخصة لاشك فيها، وعمل النبي والأئمةصلوات الله عليهم العام هو التفريق، فلماذا هذا الالتزام بالجمع؟ ولاشك أنّ الجمع أيسر ولاسيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار الظروف الاجتماعية المعاصرة وطبيعة الأعمال وتركيبة المدن والمجتمعات، فهل كان الالتزام بهذا اليسر يعبر عن منهج أراد منه أهل البيت أنْ يضعوه لمستقبل الحياة الإنسانية، أم أنّ هذا الالتزام يعبر عن ظروف اجتماعية وسياسية عاشها أتباع أهل البيت في التأريخ الإسلامي جعلتهم يخففون من أدائهم للصلاة؟.

على أنّ هناك رواية معتبرة السند قد يفهم منها أنّ المقصود من الجمع هو الإتيان بالصلاتين في وقت الفضيلة لأحدهما، ولكن بدون نافلة وتطوع بينهما، أمّا إذا تطوع بينهما فلا جمع: ((**الجمع بين الصلاتين إذا لم يكن بينهما تطوع، فإذا كان بينهما تطوع فلا جمع**)). وسائل الشيعة٣: ١٦٣، ح٣.

وعند ذلك تكون الممارسة العامة للمتفقهين من أبناء الجماعة الصالحة هي التفريق؛

←

السادس: الالتزام بمسح الرأس والرجلين معاً في الوضوء للصلاة، على خلاف الالتزام الفقهي العام لجمهور المسلمين الذين يتقيدون بغسل الرجلين عادة، إلاّ في حالات خاصة وهي المسح على الخفين في رأي بعض المذاهب الإسلامية.

ويستند أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم إلى قوله تعالى في الآية الكريمة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ**﴾[1]، التي تدل بظاهرها على الأمر بمسح الرجلين عطفاً على مسح الرأس. وقد تأول جمهور الناس الآية الكريمة فعطفوا الرجلين على الوجه واليدين في الآية على خلاف ظاهرها، استناداً إلى بعض الروايات[2].

٢. التعقيب

ومن العبادات اليومية التعقيب بعد الصلاة، وهو عبارة عن الذكر والدعاء في أعقاب الصلوات. وقد ورد تأكيده في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، وهو سنة مؤكدة يلتزم بها جميع المسلمين.

ولكن ما يميز أهل البيت عليهم السلام والجماعة الصالحة هو سعة وشمول التعقيب، وكثرة ما ورد له من أذكار وأدعية في روايات أهل البيت عليهم السلام،

لأنهم يتطوعون – عادة – بين الصلاتين خصوصاً في المغرب والعشاء.

وعلى أي حال فالمفروض أنْ يتوجه أبناء الجماعة الصالحة إلى هذه السنة النبوية المستحبة والأدب الرسالي المطلوب. منه قدس سره.

(١) المائدة: ٦.

(٢) لقد تناول بعض هذه المسائل ومنها مسألة (المسح) و(الجمع) و(البسملة) وغيرها العلامة شرف الدين في كتابه مسائل خلافية، وأثبت بما لا شبهة فيه أنّ الحق مع أهل البيت عليهم السلام.

واختصاص كل صلاة من الصلوات اليومية الواجبة، بل المستحبة بتعقيبات خاصة بها، مضافاً إلى التعقيبات العامة للصلوات جميعاً.

ومن أفضل مفردات التعقيب هو التكبير ثلاثاً، والصلاة على النبي وآله ثلاثاً، ودعاء ((**لا إله إلاّ الله إلهاً واحداً ونحن له مسلمون، لا إله إلاّ الله ولا نعبد إلاّ إياه مخلصين له الدين ولو كره المشركون، لا إله إلاّ الله ربنا ورب آبائنا الأولين، لا إله إلاّ الله وحده وحده وحده أنجز وعده ونصر عبده وأعزّ جنده وهزم الأحزاب وحده، فله الملك وله الحمد يحيي ويميت ويميت ويحيي، وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير**)).

وقراءة التسبيح المعروف عند الجماعة الصالحة بتسبيح الزهراء عليها السلام، وهو أربع وثلاثون تكبيرة، وثلاث وثلاثون تحميدة، وثلاث وثلاثون تسبيحة[١].

وكذلك قراءة آية الكرسي والمعوذتين وقل هو الله أحد، والإتيان بسجدة الشكر وغيرها مما يذكر في كتب الدعاء[٢].

٣. قراءة القرآن

ومن العبادات اليومية قراءة القرآن الكريم، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام بسند معتبر: ((**القرآن عهد الله إلى خلقه، فقد ينبغي للمرء المسلم أنْ ينظر إلى عهده، وأنْ يقرأ منه في كل يوم خمسين آية**)).

وفي رواية أُخرى معتبرة عن الإمام الرضا عليه السلام قال: ((**ينبغي للرجل إذا أصبح أنْ يقرأ بعد التعقيب خمسين آية**)).

---

(١) ورد في روايات الجمهور ذكر هذا التسبيح ولكن بترتيب آخر، وهو ثلاث وثلاثون لكل من التسبيح، والتحميد، والتكبير، ويبدأ بالتسبيح ويختم بالتكبير، باستثناء رواية واحدة تذكر التكبير أربعاً وثلاثين.

(٢) راجع مفاتيح الجنان: ١٢ – ٢٢. فقد ذكر التعقيبات العامة وتعقيبات كل واحدة من الفرائض الخمسة.

وفي رواية أُخرى عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنه قال: **((من قرأ كل يوم مائة آية في المصحف بترتيل وخشوع وسكون كتب الله له من الثواب بمقدار ما يعمله جميع أهل الأرض، ومن قرأ مائتي آية كتب الله له من الثواب ما يعمله أهل السماء وأهل الأرض))**[١].

ويبدو من خلال الروايات الكثيرة أنّه يحسن قراءة القرآن بتدبر وتأمل، ووقوف عند ذكر الجنّة والنار وموارد الاعتبار، وأنْ تكون قراءته بالحزن والخشوع والتباكي، وعدم الإسراع في قراءته المعبَّر عنها بالروايات (بالهذر)، وألاّ يقرأ في اليوم أكثر من جزء، أي ألاّ يختم القرآن بأقل من شهر[٢].

٤. أوقات الفضيلة في اليوم

ويبدو من الروايات والنصوص أنّ أفضل أوقات العبادة في اليوم والليلة هما: وقت السحر، وهو الثلث الأخير من الليل - الذي يبدأ من غروب الشمس إلى طلوع الفجر - وكذلك وقت ما بين الطلوعين (طلوع الفجر وطلوع الشمس)، فإنّ هذين الوقتين يختصان بالصلاة والدعاء والذكر والمناجاة.

وقد تم التأكيد - كما أشرنا - لقيام وقت السحر وإحيائه بالعبادة، وكذلك جاء النهي عن نوم ما بين الطلوعين، وإحيائه بالدعاء والذكر وقراءة القرآن والسعي في طلب الرزق.

ومن جملة هذه الأوقات التي ورد تأكيدها في القرآن الكريم وقت شروق الشمس وغروبها، حيث يستحب ذكر الله فيها ﴿**وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ**

---

(١) جامع أحاديث الشيعة١٥: ٤٨، ح١، ٢، ٣.

(٢) جامع أحاديث الشيعة١٥: ٥١، باب١٣ من أبواب فضائل القرآن.

﴿بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[١]، ولذلك وردت أدعية وأذكار متعددة للصباح والمساء أشار إلى بعضها العلامة القمي في مفاتيح الجنان[٢]، ومن أهمها دعاء العشرات، ودعاء الإمام زين العابدين عند الصباح والمساء.

التطوع بالصلاة

لقد ورد في الروايات وأحاديث أهل البيت عليهم السلام الحث على التطوع بالصلاة[٣]، مضافاً إلى النوافل والرواتب اليومية التي سبق الحديث عنها. وقد جاء تأكيد هذا التطوع في الليل خاصة.

ومن موارد هذا التطوع المفردات الآتية:

١. التطوع بصلاة عشر ركعات بعد صلاة المغرب.

٢. التطوع بصلاة اثنتي عشرة ركعة كل يوم.

٣. التطوع بأربع ركعات بعد صلاة العشاء.

٤. التطوع بأربع ركعات مخصوصة قبل الزوال أو عنده.

٥. التطوع بركعتين بين المغرب والعشاء تسمى في بعض الروايات بصلاة الوصية، وفي بعضها بصلاة ساعة الغفلة، وهي صلاة (الغفيلة) المعروفة في أوساط أبناء الجماعة الصالحة، ولها أداء مخصوص حيث يقرأ في الركعة الأُولى بعد الفاتحة آية ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ۞

---

(١) الإنسان:٢٥.

(٢) مفاتيح الجنان: ٢٢ – ٢٣، كذلك راجع جامع أحاديث الشيعة١٥: ٤٤٤ – ٤٥٧.

(٣) قد يبدو من بعض النصوص أنّ بعض هذه الصلوات يتداخل مع الرواتب اليومية والله أعلم. منه قدس سره.

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾[١]، وفي الركعة الثانية بعد الفاتحة آية **﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إلا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إلا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾**[٢]، ثم يقنت ويدعو: ((**اللهم إني أسألك بمفاتح الغيب التي لا يعلمها إلاّ أنت أنْ تصلي على محمد وآل محمد**)) ويذكر حاجته (حوائج الدنيا والآخرة) ثم يقول: ((**اللهم أنت ولي نعمتي والقادر على طلبتي تعلم حاجتي فأسألك بحق محمد وآل محمد لما قضيتها لي**)) ويسأل حاجته فقد ورد في الحديث أنّ الله يقضيها له[٣].

٦. التطوع في اليوم والليلة بصلاة ألف ركعة، وقد كان هذا التطوع مما يعمل به أئمة أهل البيت عليهم السلام[٤].

الثاني: العبادات الأُسبوعية

١. يوم الجمعة وليلته

مضى الحديث في الأيام عن مجموعة من العبادات الأُسبوعية في يوم الجمعة وليلته، ولا نحتاج هنا أنْ نعيد، ولكن يحسن بنا أنْ نذكر ملاحظة هي أنّ هذا اليوم وليلته يمثلان قمة العمل العبادي في الأُسبوع، فإنه مضافاً إلى الممارسة العبادية اليومية يكون يوم الجمعة زماناً لتصعيد الحالة العبادية.

وهذا من منهاج الإسلام في عملية التدرج والتصعيد في الممارسة

---

(١) الأنبياء:٨٧ – ٨٨.

(٢) الأنعام:٥٩.

(٣) هذه الصلوات ذكرها في وسائل الشيعة في الجزء الخامس، وهي حسب التسلسل في الصفحات التالية: ٢٤٧، ٢٤٦، ٢٥٠، ٢٨٦، ٢٤٧ و٢٤٩.

(٤) وسائل الشيعة٣: ٧١، باب استحباب صلاة الف ركعة في كل يوم وليلة.

العبادية، حيث نلاحظ في اليوم أنَّ عملية التصعيد والتكثيف للعمل العبادي تتم في الليل، وفي فترة السحر إلى أداء صلاة الصبح عند طلوع الفجر.

وفي الأُسبوع تكون عملية التصعيد والتكثيف للعبادة في ليلة الجمعة ويومها.

وفي الشهر تكون عملية التكثيف - على ما سوف نعرف - في منتصف الشهر وفي ليالي التشريق عادة.

وفي السنة تكون عملية التصعيد والتكثيف - كما سوف نعرف - في شهر رمضان، بعد أنْ يبدأ الاستعداد والتهيؤ منذ بداية رجب.

وفي شهر رمضان تتصاعد العملية العبادية - كما سوف نعرف - في العشر الأواخر منه، ولاسيما في ليالي القدر، وتختم بليلة عيد الفطر. ولا نحتاج هنا أنْ نعيد الحديث مرة أُخرى عن ذلك.

٢. أدعية الأيام

لقد اختص كل يوم من أيام الأُسبوع بدعاء خاص، وقد عرف مجموع ذلك بأدعية أيام الأُسبوع، وهي مروية عن الإمام زين العابدين عليه السلام، وتشتمل على مضامين عالية، ويذكر في كل واحد منها اسم اليوم المختصة به، وقد تضمنتها بعض نسخ الصحيفة السجادية ملحقاً لها، كما ذكرها العلامة القمي في مفاتيح الجنان في الصفحات ٢٣ - ٢٨.

٣. صلوات الأيام

روى الشيخ الطوسي في (مصباح المتهجد) مرسلاً عن النبي صلى الله عليه وآله أو عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وآله صلوات خاصة بأيام الأُسبوع ولياليه باستثناء ليلة الجمعة ويومها، كما روى السيد ابن طاووس في كتاب (جمال الأسبوع) بإسناده عن الإمام أبي الحسن العسكري عليه السلام صلوات مخصوصة لكل يوم من أيام الأُسبوع، كما روى الكفعمي في كتابه المصباح أكثر هذه الصلوات

وجملة من الصلوات السابقة[1].

ومضافاً لذلك روى الشيخ الطوسي في مصباح المتهجد عن أئمة الهدى مرسلاً صلوات تهدى إلى النبي وبقية المعصومين عليهم السلام، يختص فيها كل يوم بأحد المعصومين حسب تسلسل الأيام والمعصومين، ويقسمون على أسبوعين[2].

الثالث: العبادات الشهرية

يبدو من مراجعة المنهاج العبادي الشهري أنّ الأعمال العبادية التي تتكرر في كل شهر هي عبادات محدودة. ولعل السبب في ذلك هو الاعتماد على المنهاج اليومي والأُسبوعي من ناحية، والمنهاج السنوي أو منهاج الأيام والليالي والمناسبات الموجودة في مختلف الشهور من ناحية أُخرى، ومع كل ذلك وردت بعض العبادات الخاصة في دورة الشهر.

١. صلاة أول الشهر

كان يلتزم بصلاة أول الشهر التي لها أعمال مخصوصة ببعض الفقهاء[3] ويهتم بها خاصة، وهي - كما رواها الشيخ الطوسي في مصباح المتهجّد - بسند صححه بعض العلماء كالوحيد البهبهاني قدس سره عن الإمام الجواد عليه السلام قال: ((**وكان أبو جعفر محمد بن علي عليهما السلام إذا دخل شهر جديد يصلّي أول يوم منه ركعتين، يقرأ في أول ركعة الحمد مرة وقل هو الله أحد لكل يوم إلى آخره، وفي الركعة الأخرى الحمد وإنّا أنزلناه في ليلة القدر مثل ذلك،**

---

(١) وسائل الشيعة٥: ٢٨٩ – ٢٩٤.

(٢) وسائل الشيعة٥: ٢٨٤.

(٣) كان المرحوم الإمام الحكيم رحمه الله يواظب على هذه الصلاة.

ويتصدق بما يتسهل، يشتري به سلامة ذلك الشهر كله))[١].

كما روى ابن طاووس مرسلاً عن الصادقعليه السلام صلاة أُخرى من ركعتين يقرأ فيها سورة الأنعام بعد الفاتحة، ويؤديها في ليلة أول الشهر.

٢. صيام ثلاثة أيام من الشهر

إن صيام ثلاثة أيام من كل شهر من الأعمال المستحبة المؤكدة التي كان يواظب عليها النبيصلى الله عليه وآله إلى آخر حياته، كما دلت على ذلك النصوص العديدة.

فقد روى الصدوق في من لا يحضره الفقيه بسند معتبر عن أبي عبد الله الصادقعليه السلام قال: ((**صام رسول اللهصلى الله عليه وآله حتى قيل: ما يفطر، ثم أفطر حتى قيل: ما يصوم، ثم صام صوم داودعليه السلام: يوما، ويوما لا، ثم قبضصلى الله عليه وآله على صيام ثلاثة أيام في الشهر وقال: يعدلن صوم الدهر (الشهر)، ويذهبن بوحر الصدر، وقال حمّاد: الوحر: الوسوسة، فقال حمّاد: فقلت: وأي الأيام هي؟ قال: أول خميس في الشهر، وأول أربعاء بعد العشر منه، وآخر خميس))**[٢].

وفي رواية أُخرى معتبرة يعلق الإمام الصادقعليه السلام على هذا الموضوع بقوله: ((**وقد كان أبيعليه السلام يقول: ما من أحد أبغض إلى الله تعالى من رجل يقال له: كان رسول اللهصلى الله عليه وآله يفعل كذا وكذا فيقول: لا يعذبني الله على أنْ اجتهد في الصلاة والصوم، كأنه يرى أنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله ترك شيئاً من الفضل عجزاً عنه))**[٣].

---

(١) مصباح المتهجد: ٥٢٣.

(٢) من لا يحضره الفقيه٢: ٨٢، ح١٧٨٦.

(٣) وسائل الشيعة٧: ٣٠٥، ح٥.

وقد روى المفيد في (المقنعة) عن النبيﷺ أنّه قال: ((**عرضت عليّ أعمال أمتي فوجدت في أكثرها خللاً ونقصاً، فجعلت مع كل فريضة مثليها نافلة؛ ليكون من أتى بذلك قد حصلت له الفريضة؛ لأن الله تعالى يستحي أنْ يعمل له العبد عملاً فلا يقبل منه الثلث. ففرض الله الصلاة في كل يوم وليلة سبع عشرة ركعة، وسن رسول اللهﷺ أربعاً وثلاثين ركعة، وفرض الله صيام شهر رمضان في كل سنة، وسن رسول اللهﷺ صيام ستين يوماً في السنة، ليكمل فرض الصوم، فجعل في كل شهر ثلاثة أيام: خميساً في العشر الأُول منه وهو أول خميس في العشر، وأربعاء في العشر الأوسط منه، وهو أقرب إلى النصف من الشهر، وربما كان النصف بعينه، وآخر خميس في الشهر**))[1].

وقد وردت نصوص أُخرى تؤكد أنّ المهم هو صوم أيام ثلاثة من كل شهر إذا لم يتمكن من الالتزام بهذه الأيام خاصة، أو كان فيها تعب، وجاءت الرخصة بتأخيرها إلى الشتاء أو غير ذلك من التقديم والتأخير، كما جاءت النصوص بقضائها أيضاً، أو التعويض عنها بالصدقة بمد من طعام عن كل يوم.

كما ورد في بعض النصوص الحث على صيام الأيام البيض من الشهر، وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر.

هذه الروايات من النصوص التي يمكن أنْ يستنبط منها نظرية الموازنة والوسط في أداء العبادات، وعدم صحة التطرف والإجهاد في أدائها. منهقدس سره.

(١) المقنعة: ٣٦٩، كمال الستين بإضافة استحباب صوم شعبان كما أُشير إليه في بعض الروايات الأُخرى.

الرابع: العبادات السنوية

تحتل العبادات السنوية مساحة واسعة من نظام العبادات، وذلك ضمن ثلاثة مناهج أساسية:

المنهج الأول: منهج الأيام والليالي الذي سبق الحديث عنه، فإنَه يدخل في جانب منه في العبادات السنوية، حيث إننا وإنْ ذكرناه ضمن نظام الشعائر، فإنّ محتوى هذه الشعائر كان هو أنواع من العبادات - كما ذكرنا - جاءت في إطار هذه الشعائر لتصبح بمجموعها تعبيراً عن هذا الشعار.

المنهج الثاني: هو منهج الأشهر الثلاثة المباركة رجب وشعبان ورمضان، حيث يتوج هذا المنهج والموسم بشهر رمضان المبارك، وحيث تشكل عبادة الصوم القاعدة الأساسية في هذا المنهج، فإنّه يستحب فيه صوم شهر رجب ويتأكد فيه استحباب صوم شعبان بما كان يلتزم به رسول الله ﷺ من صومه بكامله، ويجب فيه صوم شهر رمضان بالشروط التي يذكرها الفقهاء في كتبهم الفقهية، وفي مقدمتها الحضور وعدم المرض أو الشيخوخة المانعة من الصوم.

المنهج الثالث: هو منهج عبادة الحج وموسم العشر الأوائل من شهر ذي الحجة.

هذه العبادة الفريدة والمتميزة التي تكاد أنْ تجمع في محتواها وأدائها مجمل العبادات الإسلامية (الصلاة، والزكاة، والصوم، والجهاد)، مضافاً إلى أبعادها الروحية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية العظيمة.

وسوف نحاول أنْ نتناول المنهجين الأخيرين - بعد أنْ تحدثنا عن الأول - بشيء من الشرح والاختصار.

منهج الأشهر الثلاثة

أ) شهر رجب

لقد وردت نصوص كثيرة عن أهل البيت تؤكد فضل شهر رجب، فقد روى الصدوق في المجالس وثواب الأعمال بإسناده عن أبي سعيد الخدري، عن النبيﷺ أنه قال: ((**قال رسول اللهﷺ: ألا إنّ رجباً شهر الله الأصم وهو شهر عظيم، وإنما سمي الأصم لأنه لا يقاربه شهر من الشهور حرمة وفضلاً عند الله، وكان أهل الجاهلية يعظمونه في جاهليتهم، فلما جاء الإسلام لم يزدد إلاّ تعظيماً وفضلاً. ألا إنّ رجب شهر الله، وشعبان شهري، ورمضان شهر أمتي. ألا فمن صام من رجب يوماً إيماناً واحتساباً استوجب رضوان الله الأكبر...**))، ثم ذكر لصيام أي عدد من الأيام ثواباً وأجراً وآثاراً وفوائد[1].

كما روى الصدوق عن الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر الكاظمعليه السلام أنه قال: ((**رجب نهر في الجنّة أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، من صام يوماً من رجب سقاه الله من ذلك النهر**))[2].

وروى عنه أيضاً: ((**رجب شهر عظيم يضاعف الله فيه الحسنات ويمحو فيه السيئات. من صام يوماً من رجب تباعدت عنه النار مسيرة سنة، ومن صام ثلاثة أيام وجبت له الجنّة**))[3].

---

(١) ثواب الأعمال: ٥٤.

وقد ورد في عدة نصوص أُخرى – كما سوف نعرف – أنّ شهر اللّه هو شهر رمضان، وهو المعروف بين المسلمين، ولذا فمن المحتمل أنْ يكون هناك اشتباه في ضبط النص في هذه الرواية فيما يتعلق بهذا الموضوع. منهقدس سره.

(٢) ثواب الأعمال: ٥٣.

(٣) وسائل الشيعة٧: ٣٥٠، ح٣، ٤.

وقد روي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام بأسانيد متعددة بعضها معتبر أنه قال: ((**إنّ نوحاً عليه السلام ركب السفينة أول يوم من رجب، فأمر عليه السلام من معه أنْ يصوموا ذلك اليوم وقال: من صام ذلك اليوم تباعدت عنه النار مسيرة سنة، ومن صام سبعة أيام أغلقت عنه أبواب النيران السبعة، ومن صام ثمانية أيام فتحت له أبواب الجنان الثمانية، ومن صام خمسة عشر يوماً أعطي مسألته، ومن زاد زاده الله عزّ وجل**))[1].

أعمال شهر رجب

وقد قسم العلامة القمي في مفاتيح الجنان أعمال شهر رجب إلى قسمين:

القسم الأول: الأعمال العامة التي تؤدى في جميع الشهر ولا تخص أياماً منه، وهي أمور:

الأول: الدعاء، وقد ذكر عدة مفردات ومصاديق من الأدعية المخصوصة ذات مضامين عالية عن الإمام زين العابدين عليه السلام والإمام الصادق عليه السلام والإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف[2].

الثاني: الزيارة المخصوصة التي يزار بها في جميع مشاهد الأئمة عليهم السلام، وهي المعروفة بالزيارة الرجبية[3].

الثالث: الذكر مثل الاستغفار لله تعالى بصيغ متعددة، ومنها ((**استغفر الله الذي لا إله إلاّ هو وحده لا شريك له وأتوب إليه**)) مائة مرة والتصدق

---

(١) وسائل الشيعة٧: ٣٤٨، ح١ و٢. وقد ذكر الشيخ الحر العاملي في وسائل الشيعة، والعلامة القمي في مفاتيح الجنان روايات أخرى في فضل شهر رجب وفضل الاستغفار والعبادة فيه، فراجعها.

(٢) مفاتيح الجنان: ١٣٢ – ١٣٧.

(٣) مفاتيح الجنان: ١٣٦.

بعدها[1].

أو التهليل ألف مرة، أو التسبيح مائة مرة ((**سبحان الإله الجليل، سبحان من لا ينبغي التسبيح إلاّ له، سبحان الأعز الأكرم، سبحان من لبس العز وهو له أهل**)) وقد ورد أنّ هذا التسبيح يعوض عن الصيام لمن لا يقدر عليه[2].

الرابع: قراءة القرآن، ومنه قراءة الإخلاص عشرة آلاف مرة[3]، وكذلك يُقرأ في كل يوم وليلة من رجب وشعبان ورمضان الحمد وآية الكرسي والكافرون والمعوذتين ثلاث مرات، ثم يقول: ((**سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم**))، ثلاث مرات، و((**اللهم صلِّ على محمد وآلِ محمد**)) ثلاث مرات، و((**اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات**)) ثلاث مرات، وأربعمائة مرة ((**استغفر الله وأتوب إليه**))، فقد ورد أنّ هذا العمل يوجب غفران الذنوب مهما كثرت.

وهذا العمل يجمع بين قراءة القرآن والذكر والدعاء.

الخامس: الصلاة بصيغ متعددة، كركعتين في ليلة من ليالي رجب يقرأ فيها بعد الفاتحة التوحيد مائة مرة، أو عشر ركعات يقرأ فيها بعد الفاتحة الكافرون مرة والتوحيد ثلاث مرات، أو صلاة ستين ركعة في كل ليلة ركعتان يقرأ فيها الحمد مرة والكافرون ثلاث مرات والتوحيد مرة واحدة، فإذا سلم رفع يديه إلى السماء وقال: ((**لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، وإليه المصير ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم. اللهم**

---

(١) وسائل الشيعة٧: ٣٥٩، ح٣.

(٢) وسائل الشيعة٧: ٣٥٨، ح١.

(٣) وسائل الشيعة٧: ٣٦١، ح٦.

صلِّ على محمد النبي الأمي وآله))، ويمرر يده على وجهه، فقد ورد لهذه الصلوات ثواب عظيم[١].

القسم الثاني: الأعمال الخاصة بليالٍ وأيام خاصة من رجب، وفي هذا القسم توجد أعمال عديدة نشير إلى أهمها:

الأول: أعمال الليلة الأُولى واليوم الأول من رجب، وهي عبارة عن صومه والدعاء عند رؤية الهلال في ليلته، وكذلك الغسل وزيارة الإمام الحسين عليه السلام في اليوم والليلة كما سبق في الزيارات، وصلاة عشرين ركعة بعد صلاة المغرب يقرأ فيها بالفاتحة والتوحيد.

والليلة الأُولى من رجب هي إحدى الليالي الأربعة التي تُحيا بالعبادة كما ذكرنا، وهناك صلاة أُخرى من ثلاثين ركعة بالفاتحة والكافرون مرة والتوحيد ثلاث مرات، وصلاة أُخرى بركعتين يقرأ فيها بالفاتحة والانشراح ثلاث مرات.

كما يوجد دعاء خاص بهذه الليلة روي عن الإمام الجواد عليه السلام، وأعمال أُخرى[٢].

وفي اليوم الأول - مضافاً إلى الصوم - يبدأ بصلاة سلمان الفارسي التي هي ثلاثون ركعة، يؤتى بعشر منها في اليوم الأول، وعشر في منتصف رجب، وعشر في آخره، وهي صلاة جليلة بعدها ذكر ودعاء وفيها تفصيل[٣].

الثاني: صلاة الرغائب، وهي صلاة في أول ليلة جمعة من رجب بعد صيام يوم الخميس منه، حيث يصلي بين العشاء والعتمة اثنتي عشرة ركعة،

---

(١) مفاتيح الجنان: ١٣٨.

(٢) مفاتيح الجنان: ١٤٠ – ١٤١.

(٣) مفاتيح الجنان: ١٤٢.

فإذا فرغ من صلاته صلى على النبي وآله سبعين مرة، ثم يسجد ويقول في سجوده سبعين مرة: ((**سبوح قدوس رب الملائكة والروح**))، ثم يرفع رأسه ويقول: ((**رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت العلي الأعظم**))، ثم يسجد سجدة أخرى ويقول فيها ما قال في الأُولى، ثم يسأل حاجته فإنها تقضى إنْ شاء الله.

وقد روي عن رسول الله ﷺ في هذه الصلاة أنه قال: ((**والذي نفسي بيده لا يصلي عبد أو أمة هذه الصلاة إلاّ غفر له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر، ويشفع يوم القيامة في سبعمائة من أهل بيته ممن استوجب النار**)) الحديث[1].

الثالث: صلاة الليالي البيض في رجب وشعبان ورمضان، وهي صلاة وردَ أنّ من جاء بها حاز فضيلة الأشهر الثلاثة وغفر الله له كل ذنب سوى الشرك بالله.

وهي ركعتان في الليلة الثالثة عشرة، وأربع في الرابعة عشرة، وست في الخامسة عشرة، يقرأ في كل ركعة الحمد مرة وسورة يس والملك والتوحيد كلاً منها مرة واحدة، ويسبّح بعد كل ركعتين.

وفيها عمل أُم داود المعروف الذي يؤتى به في اليوم الخامس عشر بعد الصيام لقضاء الحاجات وكشف الكروب ودفع الظالمين، ويشتمل على قراءة القرآن والدعاء بالإضافة إلى الصيام، وقد جاء تفصيله في المفاتيح[2].

وكذلك صيام أيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر منه.

الرابع: أعمال ليلة النصف من رجب، وفيها الغسل وزيارة الإمام

---

(١) وسائل الشيعة٥: ٢٣٣، ح١.

(٢) مفاتيح الجنان: ١٤٤ – ١٤٨.

الحسين عليه السلام، والإحياء بالعبادة من الصلاة التي ذكرت لها مصاديق خاصة إلى الذكر، وهناك صلاة مشتركة بينها وبين ليلة السابع والعشرين من رجب.

وكذلك أعمال يوم النصف من رجب الذي فيه الغسل والزيارة للإمام الحسين عليه السلام وبقية صلاة سلمان الفارسي، مضافاً إلى صلاة ودعاء خاصين.

الخامس: أعمال الليلة السابعة والعشرين من رجب ويومها الذي تقدم الحديث عنه في الأيام، وهو اليوم الذي كان فيه المبعث النبوي الشريف.

وقد ورد في ثواب العمل في هذه الليلة عن الإمام الجواد عليه السلام ((**وانّ للعامل فيها من شيعتنا أجر عمل ستين سنة.** قيل: وما العمل فيها؟ قال: **إذا صليت العشاء ثم أخذت مضجعك ثم استيقظت أي ساعة من ساعات الليل كانت قبل منتصفه، وصليت اثنتي عشرة ركعة كل ركعة بالحمد وسورة خفيفة من المفصل** (والمفصل من سورة محمد صلى الله عليه وآله إلى آخر القرآن) **وتسلم بعد كل ركعتين، فإذا فرغت من الصلاة جلست بعد السلام وقرأت الحمد سبعاً والمعوذتين سبعاً وقل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون سبعاً وإنّا أنزلناه وآية الكرسي كل منهما سبعاً، وتقول بعد ذلك كله: الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا. اللهم إني أسألك بمعاقد عزك على أركان عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك، وباسمك الأعظم الأعظم الأعظم وذكرك الأعلى الأعلى الأعلى، وبكلماتك التامات أنْ تصلي على محمد وآله وأنْ تفعل بي ما أنت أهله، ثم ادع بما شئت))**[1].

ويستحب في هذه الليلة الغسل وزيارة أمير المؤمنين علي عليه السلام، والصلاة

---

(١) مفاتيح الجنان: ١٤٨.

التي ورد ذكرها في ليلة النصف من رجب[١].

وفي اليوم الأخير منه بقية صلاة سلمان الفارسي، كما ورد فيه الغسل والصوم وأنه يوجب غفران الذنوب ما تقدم منها وما تأخر[٢].

ب) شهر شعبان

لقد وردت روايات متظافرة عديدة في فضل شهر شعبان والعبادة فيه، فهو شهر منسوب إلى رسول الله، وكان يلتزم بصيامه - كما أشرنا - ويحث الناس على هذه السنّة فيه، ووصل صيامه بصيام شهر رمضان. وقد ذكر العلامة القمي خلاصته لبعض هذه الروايات الشريفة: فقد روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: ((**كان السجاد علي بن الحسين عليه السلام إذا دخل شعبان جمع أصحابه وقال عليه السلام: يا أصحابي، أتدرون ما هذا الشهر؟ هذا شهر شعبان، وكان النبي صلى الله عليه وآله يقول: شعبان شهري فصوموا هذا الشهر حباً لنبيكم وتقرباً إلى ربكم. أقسم بمن نفسي بيده لقد سمعت أبي الحسين عليه السلام يقول: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: من صام شعبان حباً لرسول الله صلى الله عليه وآله وتقرباً إلى الله أحبه الله وقربه إلى كرامته يوم القيامة، وأوجب له الجنّة**))[٣].

وفي رواية أُخرى للشيخ الطوسي عن صفوان الجمال قال: ((**قال لي الصادق عليه السلام: حثَّ مَنْ في ناحيتك على صوم شعبان. فقلت: جعلت فداك، ترى فيه شيئاً؟ فقال: نعم، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا رأى هلال شعبان أمر منادياً ينادي في المدينة: يا أهل يثرب، إني رسول رسول الله صلى الله عليه وآله إليكم: ألا**

---

(١) مفاتيح الجنان: ١٤٩.

(٢) مفاتيح الجنان: ١٥٤.

(٣) مفاتيح الجنان: ١٥٤.

إنّ شعبان شهري فرحم الله من أعانني على شهري. ثم قال: **إنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: ما فاتني صوم شعبان منذ سمعت منادي رسول الله صلى الله عليه وآله ينادي في شعبان، ولن يفوتني أيام حياتي صوم شعبان إنْ شاء الله تعالى. ثم كان يقول عليه السلام: صوم شهرين متتابعين توبة من الله))**[١].

وروى إسماعيل بن عبد الخالق قال: ((**كنت عند الصادق عليه السلام فجرى ذكر صوم شعبان، فقال الصادق عليه السلام: إنّ في فضل شعبان كذا وكذا، حتى إنّ الرجل ليرتكب الدم الحرام فيغفر له))**[٢].

روى الكليني بسند معتبر عن سماعة قال: ((**سألت أبا عبد الله عليه السلام: هل صام أحد من آبائك شعبان؟ قال: خير آبائي رسول الله صلى الله عليه وآله صامه))**[٣].

وفي رواية أُخرى للكليني بسند معتبر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**كن نساء النبي صلى الله عليه وآله إذا كان عليهن صيام أخّرن ذلك إلى شعبان كراهة أنْ يمنعن رسول الله صلى الله عليه وآله، فإذا كان شعبان صمن، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: شعبان شهري))**[٤].

كما روى الصدوق في الفقيه بسند معتبر عن بعض العلماء وغيره بأسانيد متعددة عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: ((**من صام شعبان كان له طهوراً من كل زلة ووصمة وبادرة. قال أبو حمزة: فقلت لأبي جعفر عليه السلام: ما الوصمة؟ قال: اليمين في المعصية والنذر، ولا نذر في المعصية. قلت: فما البادرة؟ قال: اليمين عند الغضب والتوبة منها الندم عليها))**[٥].

---

(١) مصباح المتهجد: ٨٢٥.

(٢) مصباح المتهجد: ٨٢٦.

(٣) الكافي٤: ٩٠، ح٥.

(٤) الكافي٤: ٩٠، ح٤.

(٥) من لا يحضره الفقيه٢: ٩٢، ح١٨٢٣.

وقد روى الصدوق في ثواب الأعمال بسند معتبر عن إسماعيل بن زياد، عن أبي عبد الله قال: ((**قال رسول الله ﷺ: شعبان شهري، ورمضان شهر الله وهو ربيع الفقراء، وإنما جعل الأضحى ليشبع مساكينكم من اللحم فأطعموهم**))[1].

كما ورد في صومه أنه سبب لشفاعة رسول الله في يوم القيامة[2]، وأنّ إكثار الصوم فيه سبب لإصلاح المعيشة والوقاية من شر الأعداء ودخول الجنة[3].

أعمال شهر شعبان

وقد قسم العلامة القمي - كعادته - أعمال شهر شعبان إلى قسمين:

القسم الأول: الأعمال العامة التي تؤدى في مختلف أيام الشهر.

القسم الثاني: الأعمال الخاصة بأيام أو ليالٍ خاصة من الشهر.

أمّا أعمال القسم الأول فيمكن تلخيصها في أمور:

الأول: الصيام، وهو أهمها وآكدها، ويكاد أنْ يتميز به هذا الشهر، كما فهمناه من الروايات السابقة المتظافرة والصحيحة.

الثاني: الذكر لله تعالى ولاسيما الاستغفار، فقد ورد في عدة روايات الحث على الاستغفار سبعين مرة في كل يوم؛ لأن فيه ثواباً عظيماً إذ يحشر يوم القيامة في زمرة رسول الله ﷺ، وتجب له الكرامة من الله تعالى، وتكتب له البراءة من النار والجواز على الصراط للجنة وحلول دار القرار، ويغفر الله له ذنوبه ولو كانت بعدد النجوم، وورد أنّ الاستغفار فيه سبعون

---

(١) ثواب الأعمال: ٥٩.

(٢) وسائل الشيعة٧: ٣٧٣، ح١٦.

(٣) وسائل الشيعة٧: ٣٧٥، ح٢٤.

مرة، مثل الاستغفار في سائر الشهور سبعين ألف مرة، وصيغته ((**أستغفر الله وأسأله التوبة**))، أو ((**أستغفر الله الذي لا إله إلاّ هو الرحمن الرحيم الحي القيوم وأتوب إليه**))[1].

ومن الأذكار المروية مرسلة عن النبي صلى الله عليه وآله - كما في الإقبال -: ((**لا إله إلاّ الله ولا نعبد إلاّ إياه مخلصين له الدين ولو كره المشركون**))، يقولها ألف مرة في شعبان، فإنّ فيها ثواباً جزيلاً[2].

الثالث: الصدقة على الفقراء والمحتاجين كما أُشير إليه في الروايات السابقة من أنّ شعبان ربيع الفقراء. وقد جاء التأكيد لذلك في عدة روايات، وأنّ ((**من تصدق بصدقة في شعبان رباها الله جل وعزّ له كما يربي أحدكم فصيله، حتى يوافي يوم القيامة وقد صارت مثل أحد**))[3]، كما أنّ التصدق فيه ولو بشق تمرة يوجب تحريم جسد الإنسان على النار[4].

الرابع: الصلاة على رسول الله وآله والإكثار منها.

وقد روى أحمد بن عيسى في (نوادره) بسند معتبر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: ((**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رجب شهر الاستغفار لأمتي، أكثروا فيه الاستغفار، فإنه غفور رحيم،.. إلى أنْ قال: وأكثروا في شعبان الصلاة على نبيكم... ثم قال: وسمي شعبان شهر الشفاعة لأنّ رسولكم يشفع لكل من يصلّي عليه فيه**))[5] الحديث.

وقد ورد في بعض الروايات صيغة رائعة من الصلاة على رسول الله

---

(١) وسائل الشيعة٧: ٣٧٨ – ٣٨٠، ح١، ٢، ٤، ٥، ٦.

(٢) اقبال الأعمال٣: ٢٩٤.

(٣) وسائل الشيعة٧: ٣٨٠، ح٣، ٧.

(٤) وسائل الشيعة٧: ٣٧٨، ح١.

(٥) النوادر: ١٧، ح٢.

وأهل بيته، مع دعاء جميل لله تعالى يتوسل فيه الإنسان برسول الله في شعبان(١).

الخامس: الدعاء والمناجاة لله تعالى، ولم تذكر نصوص خاصة في هذا الموضوع، إلاّ أنّه عرفت في هذا المجال المناجاة التي رواها ابن خالويه، وذكر أنها مناجاة أمير المؤمنين والأئمة من ولده، وهي مناجاة رائعة وذات مضامين عرفانية عالية(٢).

القسم الثاني: وهو الأعمال الخاصة بالأوقات من الليالي والأيام، فيبدو من خلال كتب الزيارة والأعمال وكذلك ما يستفاد من بعض النصوص أنّ هناك أوقاتاً خمسة جاء الاهتمام بها خاصة.

الأول: هو اليوم الأول من شعبان وليلته، حيث جاء تأكيد صيامه، وذكر السيد ابن طاووس في الإقبال صلاة لليلته، بل لليالي الأولى الثلاث منه.

الثاني: يوم الخميس من الشهر الذي ذكر فيه الصلاة بركعتين يقرأ فيها فاتحة الكتاب مرة والتوحيد مائة مرة، ويعقب بعدهما بالصلاة على النبي وآله مائة مرة ليقضى له كل حاجة من أُمور دينه ودنياه.

الثالث: اليوم الثالث من شعبان الذي هو يوم مولد الإمام الحسين عليه السلام، فقد ورد فيه - كما ذكر الشيخ الطوسي في المصباح - عن الإمام العسكري عليه السلام أنه يستحب صيامه والدعاء فيه بدعاء لله تعالى خاص، فيه توسل بالله بحق الحسين والأئمة من ولده عليهم السلام، وهو دعاء يتضمن مضامين عالية ويعبر عن الولاء للحسين والأئمة من ولده عليهم السلام، والالتزام بنهجهم.

وكذلك ورد فيه عن الصادق عليه السلام الدعاء بما دعا به الإمام الحسين عليه السلام

(١) مفاتيح الجنان: ١٥٦.

(٢) مفاتيح الجنان: ١٥٦ – ١٥٩.

يوم عاشوراء عندما رأى كثرة أعدائه[١].

الرابع: ليلة النصف من شعبان، وقد تقدم الحديث عنها في الشعائر عندما تناولنا الأيام والليالي.

الخامس: الأيام الأخيرة من الشهر ومنها آخر ليلة فيه، حيث ورد عن الرضا عليه السلام أنه قال: ((**من صام ثلاثة أيام من آخر شعبان ووصلها بشهر رمضان كتب الله تعالى له صيام شهرين متتابعين**))[٢].

وعن أبي الصلت الهروي قال: ((**دخلت على الإمام الرضا عليه السلام في آخر جمعة من شعبان فقال لي: يا أبا الصلت، إنّ شعبان قد مضى أكثره، وهذا آخر جمعة فيه فتدارك فيما بقي منه تقصيرك فيما مضى منه، وعليك بالإقبال على ما يعنيك، وأكثر من الدعاء والاستغفار وتلاوة القرآن وتب إلى الله من ذنوبك؛ ليقبل شهر الله إليك وأنت مخلص لله عزّ وجل، ولا تدعنّ أمانة في عنقك إلاّ أديتها، ولا في قلبك حقداً على مؤمن إلاّ نزعته، ولا ذنباً أنت مرتكبه إلاّ قلعت عنه، واتقِ الله وتوكل عليه في سرّ أمرك وعلانيتك، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى الله فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ الله بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ الله لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾، وأكثر من أنّ تقول فيما بقي من هذا الشهر: اللهم إنْ لم تكن غفرت لنا فيما مضى من شعبان فاغفر لنا فيما بقي منه. فإنّ الله تبارك وتعالى يعتق في هذا الشهر رقاباً من النار لحرمة شهر رمضان**))[٣].

كما ورد عن الصادق عليه السلام دعاء يدعى به في آخر ليلة من شعبان وأول ليلة من رمضان[٤].

---

(١) مفاتيح الجنان: ١٦٤ – ١٦٥.

(٢) فضائل الأشهر الثلاث: ٥٣، ح٣١.

(٣) عيون أخبار الرضا١: ٥٦، ح١٩٨.

(٤) مفاتيح الجنان: ١٧١.

ج) شهر رمضان

يعتبر شهر رمضان أفضل شهور السنة على الإطلاق كما نصت على ذلك الروايات العديدة، كما سيأتي.

وقد عللت هذه الأفضلية - في القرآن الكريم - بنزول القرآن فيه: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ**﴾، ووجود ليلة القدر فيه التي هي خير من ألف شهر، كما أنها ليلة مباركة يفرق فيها كل أمر حكيم.

والظاهر أنه لأجل ذلك فرض الله تعالى هذا الواجب الإسلامي المهم - وهو الصوم - فيه لفضله وعلو شأنه وزيادة في الاهتمام به، فهو شهر الصيام والصبر والقيام لوجود النوافل الكثيرة فيه، وهو شهر الاعتكاف بالمسجد، وهو شهر القرآن الكريم وتعلّم الإسلام والشريعة، وشهر الدعاء والمناجاة وشهر الذكر، وشهر الصدقة والإنفاق، وشهر جهاد النفس وجهاد العدو، وشهر التوبة والمغفرة والرحمة، وشهر العتق من النار والفوز بالجنّة.

ولعل من أروع النصوص التي جاءت تتحدث عن شهر رمضان وفضله هو خطبة رسول الله التي خطبها في آخر جمعة من شعبان ليعرِّف فيها بشهر رمضان، فقد رواها الصدوق رحمه الله في كتابيه الأمالي والعيون بسند معتبر عن الإمام الرضا عليه السلام في السلسلة الذهبية، عن أبيه الإمام موسى بن جعفر، عن أبيه الإمام جعفر بن محمد، عن أبيه الإمام محمد بن علي، عن أبيه الإمام علي بن الحسين، عن أبيه الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء، عن أبيه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى جميع الأئمة الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً قال: ((**إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خطبنا ذات يوم فقال: أيها الناس، إنّه قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة، شهر هو عند الله أفضل الشهور، وأيامه أفضل الأيام، ولياليه**

أفضل الليالي، وساعاته أفضل الساعات، هو شهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله، وجعلتم فيه من أهل كرامة الله. أنفاسكم فيه تسبيح، ونومكم فيه عبادة، وعملكم فيه مقبول، ودعاؤكم فيه مستجاب، فاسألوا الله ربكم بنيات صادقة، وقلوب طاهرة أنْ يوفقكم لصيامه وتلاوة كتابه، فإنَّ الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم.

واذكروا بجوعكم وعطشكم فيه جوع يوم القيامة وعطشه، وتصدّقوا على فقرائكم ومساكينكم، ووقّروا كباركم، وارحموا صغاركم، وصلوا أرحامكم، واحفظوا ألسنتكم، وغضّوا عمّا لا يحل النظر إليه أبصاركم، وعما لا يحل الاستماع إليه أسماعكم، وتحننوا على أيتام الناس يُتحنَّن على أيتامكم، وتوبوا إلى الله من ذنوبكم، وارفعوا إليه أيديكم بالدّعاء في أوقات صلاتكم، فإنها أفضل الساعات، ينظر الله عزّ وجل فيها بالرحمة إلى عباده، يجيبهم إذا ناجوه، ويلبيهم إذا نادوه، ويعطيهم إذا سألوه، ويستجيب لهم إذا دعوه.

أيها الناس، إنّ أنفسكم مرهونة بأعمالكم ففكوها باستغفاركم، وظهوركم ثقيلة من أوزاركم فخفّفوا عنها بطول سجودكم، واعلموا أنّ الله أقسم بعزته ألاّ يعذّب المصلين والسّاجدين، وألاّ يروعهم بالنار يوم يقوم الناس لرب العالمين.

أيها الناس، من فطّر منكم صائماً مؤمناً في هذا الشهر كان له بذلك عند الله عتق نسمة ومغفرة لما مضى من ذنوبه. قيل: يا رسول الله، فليس كلنا نقدر على ذلك. فقال صلى الله عليه وآله: اتقوا النار ولو بشق تمرة، اتقوا النار ولو بشربة من ماء.

أيها الناس، من حسن منكم في هذا الشهر خلقه كان له جوازاً على الصراط يوم تزل فيه الأقدام، ومن خفّف في هذا الشهر عما ملكت يمينه

خفف الله عليه حسابه، ومن كفّ فيه شرّه كفّ الله عنه غضبه يوم يلقاه، ومن أكرم فيه يتيماً أكرمه الله يوم يلقاه، ومن وصل فيه رحمه وصله الله برحمته يوم يلقاه، ومن قطع فيه رحمه قطع الله عنه رحمته يوم يلقاه، ومن تطوّع فيه بصلاة كتب الله له براءة من النّار، ومن أدّى فيه فرضاً كان له ثواب من أدّى سبعين فريضة فيما سواه من الشهور، ومن أكثر فيه من الصلاة عليّ ثقّل الله ميزانه يوم تخفّ الموازين، ومن تلا فيه آية من القرآن كان له مثل أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور.

أيها الناس، إنّ أبواب الجنان في هذا الشهر مفتّحة، فاسألوا ربكم ألاّ يغلقها عنكم، وأبواب النيران مغلقة فاسألوا ربكم ألاّ يفتحها عليكم، والشياطين مغلولة فاسألوا ربكم ألاّ يسلطها عليكم.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: فقمت فقلت: يا رسول الله، ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟ فقال: يا أبا الحسن، أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله))[1] الحديث.

والحديث عن فضل شهر رمضان حديث واسع لما يحظى به من أهمية خاصة، وما ورد فيه من النصوص الكثيرة، ولكن الشيء المهم الذي أكده النبي صلى الله عليه وآله في خطبته والأئمة الأطهار عليهم الصلاة والسلام هو:

أوّلاً: الاستفادة من هذا الشهر الشريف والموسم العظيم الذي تتحول فيه الأوقات والأعمال إلى أوقات وأعمال ذات مداليل خاصة واسعة في الكم والكيف، وتتضاعف فيه السيئات والحسنات، وتتهيأ فيه الفرصة لأن يتحول كل عمل للإنسان إلى عمل صالح وإلى أعلى درجات الصلاح.

ثانياً: أنّ الصوم فيه لا يعني الإمساك عن الطعام والشرب فحسب، بل الورع المطلق عن كل المحارم والسيئات والابتعاد عن كل العيوب

---

(١) عيون أخبار الرضا٣: ٢٦٥، ح٥٤، أمالي الصدوق: ١٥٣، ح٤.

والنواقص.

ثالثاً: التنوع في العبادة والممارسة العملية التي تقرّب الإنسان من الله تعالى، بحيث يكون شاملاً لكل أنواع العبادة بدون استثناء، كما سوف نلاحظ ذلك في استعراض العبادات والأعمال في هذا الشهر.

رابعاً: وضع منهاج عملي مفصل وشامل لتكثيف وتصعيد الممارسة العبادية بحيث يشمل كل الأوقات والأزمنة في هذا الشهر.

خامساً: اتخاذ القرارات المصيرية بشأن الإنسان من قبل الله تعالى في هذا الشهر ولاسيما في ليلة القدر، الأمر الذي يراد منه نزول الرحمة الإلهية بشأن الإنسان.

سادساً: التعبئة الروحية والمعنوية والأخلاقية بحيث يكون الإنسان مؤهلاً لاستئناف العمل الجديد بعد عيد الفطر من موقع أعلى ودرجة أكمل.

ومن الملاحظ - أيضاً - أنّ الاهتمام بهذا الشهر الشريف مما يُجمع عليه جميع المسلمين، بحيث تحول في مجموعه إلى شعار يتميز به المسلمون عن غيرهم، سواء في الشكل أم المضمون الفريد الذي لا يشبههم فيه أحد من الأمم والجماعات.

ولكن المنهاج الذي وضعه أهل البيت عليهم السلام يبقى - مع كل ذلك - منهاجاً متميزاً عن سائر ما يعرفه المسلمون في خصائصه وتفاصيله، كما سوف نتبين ذلك إنْ شاء الله.

أعمال شهر رمضان

يمكن تقسيم أعمال شهر رمضان إلى صنفين رئيسين، وسوف نحاول الاقتصار على عناوينها مع الإشارة إلى مضمونها، ونترك التفاصيل لكثرتها إلى مراجعة كتب الدعاء والأعمال ومنها مفاتيح الجنان.

الصنف الأول: الأعمال المشتركة

توجد في الصنف الأول عدة أقسام:

القسم الأول: الأعمال المشتركة بين الليالي والأيام.

القسم الثاني: الأعمال المشتركة لأول الليالي.

القسم الثالث: الأعمال المشتركة لوقت السحر من الليالي.

القسم الرابع: الأعمال المشتركة بين الأيام والنهار.

١. الأعمال المشتركة بين الليالي والأيام

أمّا القسم الأول وهو الأعمال المشتركة فقد ذكر أصحاب كتب الأعمال والدعاء عدة أمور، منها:

الأول: الدعاء بعد الفريضة أو في كل وقت، فقد ذكر العلاّمة القمي في مفاتيح الجنان أربعة نصوص للأدعية بعد الفرائض، ثلاثة منها بعد الفريضة، والرابع في كل وقت وهو الدعاء المعروف بدعاء الحج[1]، وهي أدعية ذات مضامين عالية تشتمل على طلب التوفيق للحج وليلة القدر والعتق من النار ودخول الجنة وتوسعة الرزق. والاهتمام بحل مشاكل المسلمين وتحقيق مصالحهم[2].

وقد روى الكليني والصدوق بسند معتبر دعاءً آخر فيه تفصيل[3].

الثاني: قراءة القرآن وتلاوته والإكثار من ذلك والتدبر فيه، فقد ورد في بعض الروايات أنّ الإنسان يحسن به أنْ يختم القرآن في الشهر مرة في سائر الشهور والأيام، وأمّا في شهر رمضان فالأفضل أنْ يختمه مرة واحدة في كل

---

(١) مصباح الكفعمي: ٦١٧.

(٢) مفاتيح الجنان: ١٧٦ - ١٧٧.

(٣) الكافي ٤: ٧٢، ح٣.

ثلاثة أيام[١].

وقد ورد في الكافي بطريق معتبر عن أبي الحسن موسى عليه السلام استحباب ختمه في كل يوم وليلة مرة أو أكثر، وذكر الثواب الجزيل في إهداء الختمة إلى رسول الله والأئمة عليهم السلام من بعده، إذ يكون جزاؤه هو أنْ يحشر معهم في يوم القيامة[٢].

الثالث: الذكر كالاستغفار والتسبيح والتهليل والتكبير، فقد روي أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام كان إذا دخل شهر رمضان لا يتكلم إلاّ بالدعاء والتسبيح والاستغفار والتكبير[٣].

الرابع: الصلاة حيث أُعدّ في هذا الشهر منهاج للنوافل في الليالي والأيام يحسن بالإنسان أداؤه قدر الإمكان.

٢. الأعمال الخاصة بالليالي

وأمّا القسم الثاني وهو الأعمال المشتركة لأول الليالي فقد ذكر أصحاب كتب الأعمال والدعاء أموراً:

الأول: الإفطار، وهو تناول الطعام والشراب بعد انتهاء النهار، ويستحب تأخيره عن صلاة العشاء، وله مستحبات، مثل: الإفطار على التمر أو الرطب أو الحلواء، كما أنه يستحب الدعاء عنده مثل قوله: ((**اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت وعليك توكلت**)) أو غيره من

---

(١) أنظر الكافي٢: ٦١٧.

(٢) الكافي٢: ٦١٨، ح٤.

(٣) الكافي٤: ٨٩، ح٨. ولاشك أنّ المقصود من هذه النصوص هو الإشارة إلى الحالة العامة للإمام عليه السلام، ما لم يزاحم هذا العمل عملا آخر أفضل أو قضاء الحاجات الضرورية العادية للإنسان. منه قدس سره.

الأدعية.

وكذلك أنْ يقول عند أول لقمة: ((**بسم الله الرحمن الرحيم يا واسع المغفرة اغفر لي**))، فإنّ في مثل هذه الأعمال أجراً عظيماً كالمغفرة، أو أجر صيام من صام في ذلك اليوم.

وكذلك قراءة سورة القدر عند الإفطار(١).

الثاني: الصدقة عند الإفطار، ولاسيما بما يفطّر به الصائمين، ولو بعدد من التمر أو شربة من الماء حسب القدرة والاستطاعة واليسر. ولهذا العمل أجر عظيم حيث يكون له أجر ذلك الصائم دون نقصان أجره وأجر ما عمله من خير بقوة ذلك الطعام، أو أجر عتق ثلاثين رقبة وتكون دعوته مستجابة(٢).

الثالث: قراءة سورة معينة من القرآن مثل القدر ألف مرة أو الدخان مائة مرة كل ليلة إنْ تيسر ذلك(٣).

الرابع: الدعاء، وأهم صيغه المعروفة هو دعاء الافتتاح، الذي يحتوي على مضامين عالية وعلى صلاة على النبي وآله، وعلى دعاء خاص للإمام الحجة المهدي المنتظر، وعلى تعبئة روحية وجهادية عالية.

وقد ذكر العلاّمة القمي نصوصاً ثلاثة أُخرى من الدعاء لكل ليلة(٤).

الخامس: الصلاة، حيث يستحب له أنْ يصلي ألف ركعة في جميع ليالي شهر رمضان يقسمها على لياليه، وتسمى بنوافل شهر رمضان، وتوجد في

---

(١) مفاتيح الجنان: ١٧٨.

(٢) مفاتيح الجنان: ١٧٨.

(٣) مفاتيح الجنان: ١٧٩، ولعل قراءة القدر تعادل الأذكار في شهر رمضان، أو تعوض عن قراءة القرآن المطلوبة لمن لا يتيسر له ذلك. والله هو العالم. منه قدس سره.

(٤) مفاتيح الجنان: ١٧٩ – ١٨٣.

تقسيمها صيغ عديدة اختار العلاّمة القمي منها الصيغة التي اختارها قبله الشيخ المفيدﷺ، ونسبها أيضاً إلى المشهور، وهي أنْ يُصلى عشرون ركعة في كل ليلة من الليالي العشر الأُولى والثانية، يسلّم بعد كل ركعتين ويؤتى بثمانية ركعات منها بعد صلاة المغرب والباقي بعد صلاة العشاء، ويؤتى بثلاثين ركعة على النحو السابق في كل ليلة من الليالي العشر الأواخر فيكون المجموع سبعمائة ركعة، ويأتي في كل من الليلة التاسعة عشرة والحادية والعشرين والثالثة والعشرين بمائة ركعة مضافاً إلى ما سبق، فيكون المجموع ألفاً من الركعات.

كما يستحب أنْ يأتي في كل ليلة بصلاة ركعتين بالحمد مرة والتوحيد ثلاث مرات ثم يقول بعد السلام: «سبحان من هو حفيظ لا يغفل، سبحان من هو رحيم لا يعجل، سبحان من هو قائم لا يسهو، سبحان من هو دائم لا يلهو»، ثم يأتي بالتسبيحات الأربع سبع مرات، ثم يقول: «سبحانك سبحانك سبحانك يا عظيم اغفر لي الذنب العظيم»، ثم يصلي على النبي وآله عشر مرات.

فقد ذكر الكفعمي في هامش كتابه البلد الأمين أنه من أتى بهذه الصلاة غفر الله له سبعين ألف سيئة[1].

٣. الأعمال الخاصة بالأسحار

وأمّا القسم الثالث وهو الأعمال المشتركة لوقت الأسحار من الليالي، فقد ذكر الشيخ الطوسي وغيره من أصحاب كتب الدعاء والأعمال عدة أمور:

الأوّل: تناول السحور ولو شيئاً قليلاً من الطعام أو الشراب، وأفضله

---

(١) مفاتيح الجنان: ١٨٣ - ١٨٤.

السويق والتمر، وله آداب منها قراءة سورة القدر عنده.

الثاني: الدعاء والمناجاة لله تعالى، وهما أهم أعمال هذا الوقت، وقد ذكرت مجموعة من الأدعية المهمة يأتي في مقدمتها دعاء (البهاء) الذي يشتمل على الدعاء بتمجيد الله تعالى والتوسل به بصفاته، وهو دعاء مروي عن الإمام الرضا عليه السلام حيث ذكر أنّه دعاء جده الإمام الباقر عليه السلام. وقد ورد بشأنه أنّه يستجاب في قضاء الحاجات.

وكذلك الدعاء الرائع العظيم الفريد الذي رواه أبو حمزة الثمالي والمعروف باسمه، والذي قال فيه إنّ الإمام زين العابدين كان يصلي عامة الليل في شهر رمضان، فإذا كان السحر دعا بهذا الدعاء: ((**إلهي لا تؤدبني بعقوبتك ولا تمكر بي في حيلتك**)) إلى آخر الدعاء، وهو من الأدعية الطويلة المتينة القوية في بيانها وإنشائها، والعالية في مضامينها والمتنوعة في أساليبها والمتعددة في فصولها. وله دور عظيم في التربية والبناء الروحي، وفي تقوية العلاقة بالله تعالى وتعليم مناجاته والثناء عليه وتمجيده.

ويمثل هذا الدعاء وما يقاربه أو يشابهه امتيازاً لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، وتأكيداً لعلمهم وإمامتهم ودورهم في الحياة الإسلامية، وتوضيحاً لمنهجهم في بناء الجماعة الصالحة والأهداف السامية لهذا البناء، ومنها إيجاد هذه الجماعة المتكاملة في جانبها الروحي والمعنوي.

ومضافاً إلى هذين الدعاءين وردت أدعية أُخرى يمكن الاطلاع عليها من خلال مراجعة مفاتيح الجنان[1].

(١) مفاتيح الجنان: ١٨٤ – ٢٠٢، وفي الليل أو في السحر أو ما بعد السحور يجب على الصائم أنْ ينوي صوم غد من أيام شهر رمضان.

٤. الأعمال الخاصة بالأيام

وأمّا القسم الرابع وهو الأعمال المشتركة بين أيام شهر رمضان، فقد ذكر أصحاب كتب الدعاء والأعمال عدة أمور أيضاً:

الأول: الدعاء، حيث وردت مجموعة من نصوص وصيغ دُعائية في أيام شهر رمضان، أهمها ما ذكره الشيخ الطوسي في المصباح والسيد ابن طاووس الذي أوله: ((**اللهم هذا شهر رمضان الذي أنزلت فيه القرآن**))[1].

وكذلك ذكر دعاءً آخر تشبه مقدمته دعاء البهاء، ويتضمن بعد ذلك الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وعلى أهل بيته والأنبياء والملائكة، ثم الدعاء لرسول الله صلى الله عليه وآله والثناء عليه[2].

الثاني: الذكر لله تعالى وتمجيده وتعداد أسمائه، وقد ذكر نصاً يشتمل على عشر فقراتٍ من التسبيحات في كل فقرة عشر تسبيحات تتناول شرح سمع الله وبصره وخلقه وعلمه وملكه وغير ذلك[3].

الثالث: الصلاة والسلام على النبي وآله، وقد ذكر كل من الشيخ الطوسي والسيد ابن طاووس نصاً رائعاً في الصلاة والسلام والثناء والمدح لرسول الله وآله المعصومين عليهم السلام، يبدأ بقوله تعالى: ((**﴿إِنَّ الله وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ لبيك يا رب العالمين...**))[4].

---

(١) مفاتيح الجنان: ٢٠٢.

(٢) مفاتيح الجنان: ٢١٣ – ٢١٤.

(٣) مفاتيح الجنان: ٢٠٧.

(٤) مفاتيح الجنان: ٢١٠.

الصنف الثاني: الأعمال المختصة

وينقسم إلى عدة أقسام أيضاً:

القسم الأول: الأعمال الخاصة باستقبال شهر رمضان.

القسم الثاني: الأعمال الخاصة بالليالي البيض.

القسم الثالث: أعمال ليالي القدر.

القسم الرابع: أعمال العشر الأواخر من شهر رمضان والوداع.

القسم الخامس: أعمال الأيام المخصوصة.

١. أعمال الليلة الأولى ويومها

لقد أعار الإسلام وأهل البيت الكرام عليهم السلام الليلة الأُولى لشهر رمضان عناية خاصة، وكذلك الحال في اليوم الأول. ويتجسد ذلك في عدة أمور:

الأول: استهلال الشهر واستقباله، حيث نجد الروايات متظافرة على أنّ النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته كانوا يعيرون الاستهلال أهمية خاصة، حتى أصبح من المستحبات المؤكدة[1]، وله دعاء جاءت له صيغ متعددة مروية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن أهل بيته الأئمة المعصومين عليهم السلام[2]، ولعل من أروع هذه الصيغ الدعاء الثالث والأربعين من الصحيفة السجادية.

الثاني: الغسل والطهور لاسيما في النهر الجاري، وصب الماء على الرأس ثلاثين كفاً.

الثالث: زيارة الإمام الحسين عليه السلام.

الرابع: الصلاة حيث يبدأ بنوافل رمضان ويضيف إليها صلاة ركعتين

---

(١) وقد ذكر العلاّمة القمي أنّ بعض العلماء أوجبه.

(٢) مفاتيح الجنان: ٢١٥.

يقرأ فيها الحمد مرة والأنعام مرة، ويسأل الله أنْ يقيه المخاوف والأسقام.

الخامس: الدعاء، وقد ذكرت عدة صيغ للأدعية الشريفة في هذه الليلة المباركة، ومنها دعاء الإمام الجوادعليه السلام الذي يرويه عنه ابن طاووس: ((**اللهم يا من عليك التدبير وهو على كل شيء قدير...**))، وكذلك دعاء الليلة الأخيرة من شعبان.

وقد ذكر دعاء الجوشن الكبير ودعاء الحج من أدعية هذه الليلة أيضاً.

ويشترك اليوم الأول من حيث النوع في مجمل هذه الأعمال باستثناء الاستهلال وزيارة الإمام الحسينعليه السلام، وإنْ كانت صيغ الصلاة والدعاء مختلفة.

وقد روى الكليني والشيخ الطوسي وغيرهما - على ما نقل عنهما العلاّمة المجلسي - بسند صحيح عن الإمام موسى الكاظمعليه السلام دعاءً خاصاً باليوم الأول من هذا الشهر، يبدأ بقوله: ((**اللهم إني أسألك باسمك الذي دان له كل شيء...**))[1].

٢. الأعمال الخاصة بالليالي البيض

تشترك الليالي البيض ومنها الليلة الخامسة عشرة للأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان بصلاة خاصة ذكرناها في أعمال شهر رجب.

ولكن مضافاً إلى ذلك ذُكر الغسل وبعض الصلوات الأُخرى في الليالي البيض لشهر رمضان، واختصت الليلة الخامسة عشرة بعدة أعمال:

أ) زيارة الإمام الحسينعليه السلام.

---

(١) مفاتيح الجنان: ٢١٧ – ٢٢١، وقد ذكر في دعاء الإمام الكاظمعليه السلام قال: ((**ادع بهذا الدعاء في شهر رمضان في أول السنة**)) وقد فهم العلماء من ذلك اليوم الأول أو الليلة الأولى منه.

ب) الصلاة حيث ذكرت لها صيغتان: **إحداهما:** عشر ركعات عند قبر الإمام الحسين عليه السلام من بعد العشاء غير صلاة الليل، يقرأ في كل منهما الفاتحة مرة والتوحيد عشر مرات. **وثانيتهما:** صلاة مائة ركعة يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة التوحيد عشر مرات[1].

٣. أعمال ليالي القدر

لقد تقدم الحديث عن أعمال ليالي القدر الثلاث العامة والخاصة كل واحدة منها، وكذلك الحديث عن أهمية ليلة القدر، وذلك في بحث الليالي والأيام من نظام الشعائر.

٤. أعمال العشر الأواخر من شهر رمضان والوداع

اختصت العشر الأواخر من شهر رمضان بأهمية خاصة كما أشرنا سابقاً، حيث كان رسول الله صلى الله عليه وآله يطوي فراشه ويشد مئزره للعبادة فيها. ويمثل العمل فيها تصعيداً لحركة العبادة في شهر رمضان، لاسيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار وجود الاحتمال الأقوى في وقوع ليلة القدر فيها.

وقد ورد لهذه الليالي بعض الأعمال والأدعية الخاصة.

فعلى مستوى الأدعية وردت أدعية خاصة بكل ليلة من هذه الليالي، كما وردت بعض نصوص الأدعية لكل هذه الليالي العشرة، ومنها دعاء: «اللهم إنك قلت في كتابك المنزل شهر رمضان...».

كما ورد الغسل في الليلة السابعة والعشرين، والدعاء من أول الليل إلى آخره بما روي عن الإمام زين العابدين: ((**اللهم ارزقني التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل حلول الفوت**)).

---

(١) مفاتيح الجنان: ٢٢٢

وقد ورد في الليلة الأخيرة واليوم الأخير مجموعة خاصة من الأعمال تعبر عن وداع هذا الشهر الشريف، ومنها:

أ) الغسل في الليلة الأخيرة.

ب) زيارة الإمام الحسين عليه السلام.

ج) قراءة سورة الأنعام والكهف ويس.

د) الاستغفار مائة مرة.

هـ) نصوص من الأدعية، ولعل أحسنها الدعاء الخامس والأربعون من الصحيفة السجادية، وأنْ يقول ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام: ((**اللهم لا تجعله آخر العهد من صيامي لشهر رمضان، وأعوذ بك أنْ يطلع فجر هذه الليلة إلاّ وقد غفرت لي**)) حيث يغفر له.

٥. أعمال الأيام والليالي المخصوصة

فقد ذكر العلاّمة القمي عن المجلسي رحمه الله في زاد المعاد صلوات خاصة بكل ليلة من ليالي شهر رمضان، وكذلك أدعية خاصة بكل يوم من أيامه يمكن مراجعة تفاصيلها في المفاتيح[١].

ملاحظة: يبدو من خلال هذا الاستعراض واضحاً ما ذكرناه في البداية من أنّ هذا الشهر الشريف يمتاز عن بقية الشهور بهذا المنهج العبادي الواسع والمتنوع، والذي أريد فيه للإنسان الصالح أنْ يتكامل روحياً ومعنوياً، وللجماعة الصالحة أنْ تحقق الهدف من وجودها، وهو عبادة الله تعالى على الأرض، وتصبح مؤهلة ومعدة إعداداً كاملاً لاتخاذ القرارات المصيرية بشأنها في ليالي القدر، وليلة العيد التي هي ليلة الوفاء بالأجر، كما

---

(١) مفاتيح الجنان: ٢٣٨ – ٢٤٢، وتأمل في ملاحظة العلاّمة القمي على الأدعية في الصفحة ٢٤٢.

جاء ذلك في الرواية الشريفة عن أهل البيت عليهم السلام.

منهج عبادة الحج والعشر الأوائل من ذي الحجة

تعتبر عبادة الحج من أهم العبادات الإسلامية، وتذكر بعض النصوص أنها تأتي بالدرجة الثانية بعد الصلاة في الأهمية والأفضلية، وأنه أحد الجهادين.

فقد روى الكليني بطريق معتبر عن عبد الله بن يحيى الكاهلي قال: **((سمعت أبا عبد الله يقول ويذكر الحج فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: هو أحد الجهادين، هو جهاد الضعفاء ونحن الضعفاء. أما إنه ليس شيء أفضل من الحج إلاّ الصلاة، وفي الحج ها هنا صلاة وليس في الصلاة قبلكم حج))**[1].

كما أنّ الحج عماد الدين وقوام وجوده، فقد ورد في الحديث: **((لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة))**[2].

ولهذه العبادة جذر تاريخي يمتد إلى ما قبل وجود آدم على الأرض، وإنْ كانت الدعوة إلى الحج فرضاً واجباً على الناس جميعاً قد بدأت من إبراهيم عليه السلام.

فقد روى الكليني بسند معتبر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **((لما أفاض آدم من منى تلقّته الملائكة فقالت: يا آدم، بر حجك. أما إنّا قد حججنا هذا البيت قبل أنْ تحجه بألفي عام))**[3].

كما روى أيضاً بسند معتبر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **((لما أمر إبراهيم**

---

(١) الكافي٤: ٢٥٣، ح٧.

(٢) الكافي٤: ٣٧١، ح٤. والحديث معتبر السند.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٥، ح٦.

وإسماعيل عليهما السلام بناء البيت وتم بناؤه، قعد إبراهيم على ركن ثم نادى: هلمّ الحجّ، فلو نادى هلمّوا إلى الحج لم يحجّ إلاّ من كان يومئذ إنسيّا مخلوقاً، ولكنه نادى: هلم الحجّ، هلم الحج، فلبّى الناس في أصلاب الرجال: لبيك داعي الله لبيك داعي الله عز وجل، فمن لبّى عشراً يحجّ عشراً، ومن لبّى خمساً يحجّ خمساً، ومن لبّى أكثر من ذلك فبعدد ذلك، ومن لبّى واحداً حجّ واحداً، ومن لم يلبّ لم يحجّ))[1].

ويجب الحج في العمر مرة واحدة على الإنسان البالغ المستطيع، الذي يملك مصارف السفر ونفقاته، ويرجع إلى أهله مع وجود ما يكفيهم دون أنْ يؤدي ذلك إلى اضطراب في حياته المعيشية أو حرج في أوضاعه الشخصية. ولكن في الوقت نفسه يستحب للإنسان استحباباً مؤكداً تكراره، فهو أفضل من كثير من العبادات[2].

ولا يجوز تعطيل الكعبة والحج، ويجب على ولي أمر المسلمين إلزام المسلمين أنْ يقوموا بأداء هذا الواجب، والإنفاق عليه إذا لم يتحقق ذلك بشكل اعتيادي.

وهناك تفاصيل كثيرة ترتبط بهذا الموضوع تناولها الفقهاء في كتاب الحج والرسائل العملية الخاصة به المسماة (مناسك الحج).

أقسام الحج

ويكاد أنْ يتفق المسلمون على أنواع الحج الثلاثة وتفاصيل أعماله

---

(١) الكافي٤: ٢٠٦، ح٦.

(٢) فقد ورد أنّ الحج أفضل من العتق والصدقة والجهاد – كما سوف نشير – وأنه يستحب تقديمه على حوائج الدنيا، إلى غير ذلك من التفاصيل التي تعطي للحج بنظر أهل البيت قيمة عالية وخصوصية مميزة. راجع جامع أحاديث الشيعة١٠: ١٤٩ – ٢١٦، أبواب فضائل الحج.

الأساسية، وهذا من البركات الإلهية بالأمة الإسلامية ويعبر عن وحدتها.
فأقسام الحج ثلاثة:

١. **التمتع**، وهو أفضلها وأهمها، وهو واجب على الأفراد الذين يسكنون في مناطق تبعد عن مكة أكثر من تسعين كيلو متراً تقريباً، وهم من يعبّر عنهم القرآن الكريم: ﴿**ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**﴾، ويصطلح عليهم الفقهاء بأهل الآفاق.

٢. **الإفراد**، وهو أنْ يحرم بالحج أوّلاً من الميقات أو من منزله ثم يأتي بعمرة مفردة بعده، ويجب على الأشخاص الذين يكونون قريبين من مكة من حاضري المسجد الحرام، ويتميز عن حج التمتع بالإضافة إلى موضوع الإحرام بالحج أنه لا هدي ولا أضحية فيه.

٣. **القِران**، وهو كحج الإفراد، ولكن يقرن فيه الحاج إحرامه بوضع شعار على هديه الذي يسوقه معه منذ بداية الإحرام حتى يذبحه في منى يوم العيد.

أعمال حج التمتع

وخلاصة حج التمتع هي أنْ يحرم الحاج بعمرة التمتع من أحد المواقيت الخمسة التي وضعها رسول الله لأهل الآفاق، وهي ذو الحليفة لأهل المدينة ومن يمر عليها، والجحفة لأهل الشام ومن يمر عليها، ويلملم لأهل اليمن ومن يمر في طريقهم، وقرن المنازل لأهل نجد ومن يمر في طريقهم، ووادي العقيق لأهل العراق ومن يمر في طريقهم.

والإحرام هو أنْ يتجرد الإنسان من ملابسه العادية ويلبس ثوبي الإحرام اللذين يكونان على شكل رداء وإزار غير مخيطين، ويلبي بالعمرة فيقول: ((**لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إنّ الحمد والنعمة لك لا شريك لك**)). ويمتنع بعد ذلك عن مجموعة من المحللات والمحرمات،

ومنها النساء والطيب واللباس وتغطية الرأس والفسوق والجدال والصيد الخ.

ثم يأتي مكة فيطوف بالكعبة الشريفة سبعة أشواط مبتدئاً بالركن الذي يقع فيه الحجر الأسود، ويختم به ثم يصلي ركعتي الطواف عند مقام إبراهيم.

ثم يأتي إلى الصفا فيبدأ بالسعي منها إلى المروة، وهما جبلان صغيران يمشي بينهما سبع مرات، أربع مرات من الصفا إلى المروة وثلاث مرات من المروة إلى الصفا حيث يختم السعي بالمروة.

ثم يقصّر بأنْ يأخذ شيئاً من شعره أو أظافره.

وبعد التقصير يحل من إحرامه ويرجع إلى حاله الطبيعي، ويبقى ينتظر وقت الحج حيث يجب عليه أنْ يحرم مرة أُخرى بالحج من مكة المكرمة يوم الثامن من ذي الحجة، ويخرج إلى عرفات ليمكث فيها من زوال الشمس إلى غروبها يوم التاسع من ذي الحجة، وهو المسمى بالوقوف في عرفات.

وبعد غروب الشمس ينفر ويتحرك إلى المشعر الحرام ليبقى فيه إلى طلوع الشمس.

وفي اليوم العاشر يأتي إلى منى ليرمي جمرة العقبة بسبع حصيات صغار يلتقطها من الحرم ومنه المشعر، ثم يذبح هديه من الغنم أو البقر أو الجمال، ثم يحلق رأسه أو يقصّر فيتحلل من إحرامه عدا الطيب والنساء.

ثم يأتي البيت الحرام مرة أُخرى ليطوف حول الكعبة سبعة أشواط ويصلي عند مقام إبراهيم، ويسعى بين الصفا والمروة كذلك سبعة أشواط فيحل له الطيب.

وعليه أنْ يأتي بطواف آخر لتحل له النساء، وهو ما يسمى في مصطلحات فقه أهل البيت عليهم السلام بطواف النساء، وفي فقه الجمهور بطواف الوداع.

كما على الحاج أنْ يبيت في منى ليلتي الحادي عشر والثاني عشر من ذي الحجة من أول الليل إلى منتصفه، أو من منتصفه إلى آخره على الأقل. وإنْ كان يستحب له - بل يجب عليه في بعض الحالات - أنْ يبيت الليلة الثالثة عشرة.

وعليه - أيضاً - أنْ يرمي الجمرات الثلاث الأولى (الصغرى) والثانية (الوسطى) والثالثة (العقبة) - التي رماها يوم العيد - بسبع حصيات لكل منها، وذلك يوم الحادي عشر والثاني عشر، وكذلك الثالث عشر لمن بات ليلته في منى.

هذه هي خلاصة صورة حج التمتع وواجباته في نظر فقه أهل البيت عليهم السلام، وهناك تفاصيل وآداب ومستحبات وفروض يتعرض لها الحاج لا مجال لذكرها.

وتكاد أنْ تكون هذه الصورة مطابقة تماماً لما يذهب إليه بقية مذاهب المسلمين، باستثناء بعض التفاصيل القليلة جداً أو الخيارات أو التقديم والتأخير في الآثار والمترتبات أو الشروع في الأعمال.

امتيازات الحج

ويمكن أنْ نشير هنا إلى بعض الميزات التي تتميز بها هذه العبادة عن غيرها من العبادات الأُخرى، ونذكر منها ثلاثاً:

الأُولى: أنّ هذه العبادة - كما أشرنا - تشتمل على عدة أنواع من العبادات، كالصلاة والصوم والجهاد والزكاة، فالطواف بالبيت صلاة بالإضافة إلى وجود صلاة الطواف، والإحرام مع محرماته نوع من الصوم، والإمساك عن الطيبات والشهوات، والإنفاق والهدي نوع من الزكاة، والمشقة والسفر والأعمال المضنية نوع من الجهاد، مضافاً إلى العبادات الأُخرى كالوقوف والرمي والحلق، فإنها ذات طبيعة مميزة لا نظير لها في

العبادات الأُخرى.

الثانية: الممارسة الجماعية الواسعة لهذه العبادة، حيث يأتي المسلمون الحجاج من طبقات الأُمة كلها، ومن كل فج عميق، ليؤدّوا هذه الفريضة في أيام معلومات بشكل جماعي، ويلبوا فيها النداء الإلهي الذي أطلقه إبراهيم عليه السلام، يتحركون به على صعيد واحد وبشكل واحد يعبر عن المساواة الحقيقية بين بني البشر، ويحقق الوحدة الكاملة للأُمة بشكل عملي.

الثالثة: تنوع الأهداف المنشودة من هذه العبادة، سواء على مستوى الفرد أم الجماعة، أم في جانبها المادي والروحي، أم في أبعادها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية والأخلاقية.

وشرح ذلك وإنْ كان يحتاج إلى حديث واسع، ولكن يحسن بنا أنْ نشير فيه إلى بعض نصوص أهل البيت عليهم السلام التي تناولت بعض الأبعاد الروحية والمادية، وكذلك الأهداف المقدسة التي استهدفتها هذه العبادة الشريفة.

فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: ((**وفرض عليكم حج بيته الحرام، الذي جعله قبلة للأنام. يردونه ورود الأنعام، ويألهون إليه ولوه الحمام، وجعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته، وإذعانهم لعزته. واختار من خلقه سُمّاعاً أجابوا إليه دعوته، وصدّقوا كلمته، ووقفوا مواقف أنبيائه، وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه. يحرزون الأرباح في متجر عبادته، ويتبادرون عنده موعد مغفرته. جعله سبحانه وتعالى للإسلام علماً، وللعائذين حرماً. فرض حقه وأوجب حجه، وكتب عليكم وفادته، فقال سبحانه: ﴿وَلله عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾**))[1].

(١) نهج البلاغة١: ٢٧، الخطبة١.

وقد روى الصدوق، عن الفضل بن شاذان - في حديث العلل التي سمعها من الرضا عليه السلام - قال: ((**فإنْ قيل: فلم أمر بالحج؟ قيل: لعلة الوفادة إلى الله عزّ وجل وطلب الزيادة، والخروج من كل ما اقترف العبد تائباً مما مضى مستأنفاً لما يستقبل، مع ما فيه من إخراج الأموال وتعب الأبدان والاشتغال عن الأهل والولد وحظر النفس عن اللذات، شاخصاً في الحر والبرد ذلك ثابتاً عليه دائماً، مع الخضوع والاستكانة والتذلل، مع ما في ذلك لجميع الخلق من المنافع، وذلك لطلب الرغبة إلى الله والرهبة منه وترك قساوة القلب وخساسة الأنفس ونسيان الذكر، وانقطاع الرجاء والأمل وتجديد الحقوق وحظر عن الفساد مع ما في ذلك من المنافع لجميع من في شرق الأرض وغربها، ومن في البر والبحر ممن يحج وممن لم يحج من بين تاجر وجالب وبايع ومشترٍ وكاسب ومسكين ومكار وفقير، وقضاء حوائج أهل الأطراف في المواضع الممكن لهم الاجتماع فيها، مع ما فيه من التفقّه ونقل أخبار الأئمة عليهم السلام إلى كل صقع وناحية، كما قال الله عزّ وجل: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ۞ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾.**

فإنْ قيل: فلم أمروا بحجة واحدة لا أكثر من ذلك، قيل: لأن الله تبارك وتعالى وضع الفرائض على أدنى القوم قوة، كما قال عزّ وجل: ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ يعني شاة ليسع القوي والضعيف، وكذلك سائر الفرائض إنما وضعت على أدنى القوم قوة فكان من تلك الفرائض الحج المفروض واحداً، ثم رغب بعد أهل القوة بقدر طاقتهم))[1].

وروى الصدوق أيضاً عن محمد بن سنان أنَ أبا الحسن علي بن موسى

---

(١) علل الشرائع ١: ٢٧٣، ح٩.

الرضاعليه السلام كتب إليه فيما كتب من جواب مسائله أنّ علة الحج **((الوفادة إلى الله تعالى وطلب الزيادة والخروج من كل ما اقترف، وليكون تائباً مما مضى مستأنفاً لما يستقبل، وما فيه من استخراج الأموال وتعب الأبدان وحظرها عن الشهوات واللذات، والتقرب في العبادة إلى الله عزّ وجل والخضوع والاستكانة والذل، شاخصاً في الحر والبرد والأمن والخوف دائباً في ذلك دائماً.**

وما في ذلك لجميع الخلق من المنافع والرغبة والرهبة إلى الله سبحانه وتعالى، ومنه ترك قساوة القلب وخساسة الأنفس ونسيان الذكر وانقطاع الرجاء والأمل، وتجديد الحقوق وحظر الأنفس عن الفساد، ومنفعة من في المشرق والمغرب ومن في البر والبحر ممن يحج وممن لا يحج، من تاجر وجالب وبايع ومشتري وكاسب ومسكين، وقضاء حوائج أهل الأطراف والمواضع الممكن لهم الاجتماع فيها. كذلك ليشهدوا منافع لهم. وعلة فرض الحج مرة واحدة لأن الله تعالى وضع الفرائض على أدنى القوم قوة، فمن تلك الفرائض الحج المفروض واحداً ثم رغب أهل القوة على قدر طاقتهم))[1].

خصائص نظرية أهل البيت في الحج

ويحسن بنا بعد هذا الاستعراض أنْ نذكر بشكل مختصر الخصائص التي تميز نظرة أهل البيتعليهم السلام إلى الحج، وفهمهم للدور الذي يمكن أنْ تقوم به هذه العبادة في حياة الأُمة الإسلامية بشكل عام، والجماعة الصالحة بشكل خاص. علماً بأنّا أكّدنا أنْ هذه الفريضة العظيمة تحظى باهتمام جميع المسلمين، وتعتبر من الشعائر والعبادات التي يتفق عليها جميع المذاهب

(١) علل الشرائع٢: ٤٠٤، ح٥.

الإسلامية، وتتوحد فيها كلمتهم وتعبر عن وحدة وجود الأُمة وكيانها.

وهذه الخصائص التي نشير إليها تعبر عن ميزات إضافية إلى هذا الموقف والفهم العام للمسلمين جميعاً.

الأولى: سعة دائرة الاهتمام

الاهتمام الواسع بالحج على مستوى حديث أهل البيت وتناول جميع الشؤون والتفاصيل، سواء على مستوى التصور العام للحج وتأريخه وفضله وقيمته ودوره وأهدافه، أم على مستوى الأحكام الفقهية لأعمال الحج وأقسامه، والفرضيات المختلفة التي يمكن أنْ يبتلى بها أبناء الأُمة وكيفية معالجتها.

ويمكن معرفة ذلك بمقارنة بسيطة وسريعة بين ما ورد وأُثر عن أهل البيت عليهم السلام في هذا المجال، وما تحدثوا فيه عن رسول الله بشكل مباشر أو غير مباشر، وبين ما ورد عن طريق غيرهم، حيث تشكل المادة التي وردت عن أهل البيت من حيث الكم[1] والكيف نسبة مضاعفة عدة مرات بالقياس لما ورد عن طريق غيرهم.

ولعل في هذين النموذجين ما يشير إلى هذه الحقيقة بوضوح:

الأول: الرواية التي تذكرها كتب الحديث المعروفة لدى الجمهور عن الإمام الباقر عليه السلام، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، والتي تتحدث عن حج رسول الله حجة الوداع بتفاصيل لا نراها في أي رواية أُخرى في هذه الكتب، وتمثل بذلك أساساً فقهياً لجميع مدارس الفقه

---

(١) فقد ذكر صاحب جامع أحاديث الشيعة - على سبيل المثال - في خصوص الروايات التي تتحدث عن تاريخ الحج وفضله وشؤونه العامة ثمانمائة وواحداً وثلاثين حديثاً.

الإسلامية في موضوع الحج[1].

الثاني: ما رواه الصدوق بسند معتبر عن زرارة بن أعين قال: ((**قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلني الله فداك، أسألك في الحج منذ أربعين عاماً فتفتيني. فقال: يا زرارة، بيت حج إليه قبل آدم عليه السلام بألفي عام تريد أنْ تفني مسائله في أربعين عاماً**))[2].

فإنّ هذا النص يعبر بشكل رائق وواضح عن سعة دائرة الاهتمام عملياً وخارجياً، ويفسرها بهذا الجانب التأريخي لهذه العبادة الشريفة.

الثانية: سعة المضمون العبادي

اهتمام أهل البيت عليهم السلام بالمحتوى والمضمون العبادي لجميع أعمال الحج والمناسك، حتى لا يكاد أنْ يؤدي الحاج أي عمل من أعمال الحج إلاّ ويكون إلى جانبه شيء من الصلاة أو الدعاء أو الذكر يسبقه أو يلحقه أو يقارنه، بل إنّ ذلك يصاحب الحاج ويبدأ معه منذ عزمه على السفر إلى الحج وحتى رجوعه منه. وهناك مئات النصوص والروايات تناولت هذا الموضوع[3].

وسوف نتناول في الفصل الآتي بعض تفاصيل هذا المضمون العبادي الواسع إنْ شاء الله.

الثالثة: زيارة النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام والمساجد

إكمال الحج بزيارة النبي صلى الله عليه وآله والمسجد النبوي الشريف، وهذا ما يصنعه

---

(١) التاج الجامع للأُصول٢: ١٥٣، عن صحيح مسلم وسنن أبي داود.

(٢) من لا يحضره الفقيه٢: ٥١٩، ح٣١١١.

(٣) راجع وسائل الشيعة٨: ٢٤٨ – ٣٣٨، أبواب آداب السفر إلى الحج وهي ثمانية وستون باباً.

جميع المسلمين بشكل عام[1]، ولكن أهل البيتعليهم السلام أعطوا لهذا الموضوع أهمية خاصة في الكم والكيف.

أمّا على مستوى الكم فهم يحثون على زيارة أئمة الهدى من آل الرسولصلى الله عليه وآله الذين دفنوا في البقيع، وهم الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب، والإمام علي بن الحسين وولده الإمام محمد بن علي بن الحسين وولده الإمام جعفر بن محمد بن عليعليهم السلام.

وكذلك أُمهم الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء بنت رسول الله المدفونة في بيتها[2] في جوار المسجد النبوي، وزوجات النبيصلى الله عليه وآله وفاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين وبقية الصحابة الصالحين، وشهداء معركة أُحد وفي مقدمتهم حمزة بن عبد المطلب عم رسول اللهصلى الله عليه وآله.

مضافاً إلى ذلك كله نجد الاهتمام البالغ بزيارة مساجد رسول الله ومواضع صلواته ودعائه ومواقفه، وكذلك مواضع الحوادث التأريخية والكرامات الإلهية.

وفي مقدمة هذه المواضع مسجد قبا والفتح والقبلتين، ومسجد أُحد،

---

(١) باستثناء ما يذهب إليه الوهابيون من تحريم شد الرحال لزيارة النبيصلى الله عليه وآله، وإنما يجوزونها لمن حضر (المدينة). نعم يجوز شد الرحال – في نظرهم – إلى مسجد النبيصلى الله عليه وآله في المدينة وتكون الزيارة للنبي في هامش زيارة المسجد الشريف. منهقدس سره.

(٢) هناك احتمالات متعددة في موضع دفنها أظهرها أنه في بيتها، واحتمال آخر أنه في البقيع والسبب في ذلك هو أنّ الصديقةعليها السلام – لظروف سياسية – أوصت علياًعليه السلام أنْ يخفي محل دفنها، وطلبت منه عدم السماح بمشاركة الشيخين في تشييعها؛ لأنها ماتت غاضبة عليهما، كما نصت على ذلك النصوص التي رواها جميع المسلمين.

ومسجد علي عليه السلام وسلمان الفارسي وفاطمة الزهراء والغمامة، ومشربة أُم إبراهيم وغيرها.

وكذلك زيارة (الأبطح) في مكة الذي فيه قبر خديجة أُم المؤمنين وقبر أبي طالب وغيرهما من الصالحين، وشعب أبي طالب، وغار حراء، ودار الأرقم، ودار الندوة وغيرها من الأماكن التأريخية الإسلامية المهمة، التي تذكّر المسلمين بعزهم وشرفهم وتضحياتهم والصعوبات التي واجهتها الرسالة، وتشدهم إلى هذا التأريخ العظيم وتبعث في نفوسهم الهمم والنهضة، وتعيدهم إلى أسباب النصر والاستقلال والكرامة[1].

وأمّا على مستوى الكيف فهم يعتبرون زيارة النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل البيت من إكمال الحج وإتمامه، كما وردت في ذلك النصوص التي أشرنا إلى بعضها في بحث الزيارات ومنها زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله.

عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: ((**إنّ لكل إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته، وإنّ من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم. فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاءهم يوم القيامة**))[2].

وعن إسماعيل بن مهران، عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال: ((**إذا حج أحدكم فليختم حجة بزيارتنا؛ لأن ذلك من تمام الحج**))[3].

وكذلك عن علي عليه السلام (في حديث الأربعمائة) قال: ((**أتمّوا برسول الله صلى الله عليه وآله حجكم إذا خرجتم إلى بيت الله الحرام؛ فإنّ تركه جفاء، وبذلك**

---

(١) إنّ من الملاحظ – مع الأسف – أنّ هناك محاولة لمحو هذه الآثار وإلقاء الستار عليها، بحيث لا يتم الاهتمام بها، بل هناك عمل منظم لإبعاد الحجاج عنها.

(٢) الكافي٤: ٥٦٧، ح٢.

(٣) عيون أخبار الرضا١: ٢٩٢، ح٢٨.

أمرتم وأتمّوا بالقبور التي ألزمكم الله عز وجل حقها وزيارتها واطلبوا الرزق عندها))[١].

وقد روى الكليني في الكافي عن أبي جعفرعليه السلام قال: ((**تمام الحجّ لقاء الإمام**))[٢].

الرابعة: تشخيص الموقف السياسي العام

إهتم أهل البيتعليهم السلام أنْ يكون الحج اجتماعاً سنوياً، يعقده المسلمون ليعرفوا فيه موقفهم السياسي العام والمواقف الهامة التي تهم المسلمين جميعاً.

وقد أخذوا ذلك عن رسول اللهصلى الله عليه وآله والقرآن الكريم.

ففي السنة الأُولى التي حج فيها المسلمون بعد الفتح نزلت سورة براءة، ليعلن فيها القرآن الكريم والنبيصلى الله عليه وآله الموقف السياسي الهام، وهو البراءة العامة من المشركين.

وفي حجة الوداع نجد أنّ خطبة النبيصلى الله عليه وآله في منى تتضمن هذه المفاهيم السياسية والاجتماعية.

كما أنه أعلن في نهاية الحج الولاية لعليعليه السلام على المسلمين في موقع غدير خم، وهذا مما رواه جميع المسلمين، حيث قال: ((**من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله**))[٣].

---

(١) الخصال: ٦١٦، ح١٠.

(٢) الكافي٤: ٥٤٩، ح٢.

(٣) ورد الحديث بألسنة متعددة، وهو من الأحاديث المتواترة. راجع: مسند أحمد١: ٨٤، ١١٨. وسنن ابن ماجه١: ٤٥. وسنن الترمذي٥: وغيرها الكثير.

كما أنّ النصوص السابقة التي ثبتناها حول الأهداف تشير إلى هذا الهدف والخط العملي في عبادة الحج.

وهذا مما تفرضه طبيعة هذه العبادة الشريفة، وهذا الاجتماع العظيم السنوي الذي يأتي فيه نخبة من أبناء الأُمة الإسلامية وذوو القدرة والاستطاعة فيها.

الخامسة: لقاء الإمام والقيادة الإسلامية

الاهتمام بلقاء الإمام في الحج وزيارته في حياته، والتزود بنصائحه وإرشاداته، ومعرفة المواقف التفصيلية تجاه مختلف القضايا منه، وعرض الأعمال والنشاطات التي يقوم بها المؤمنون عليه، وطرح مشاكلهم وقضاياهم الخاصة والعامة، وغير ذلك من الأُمور التي تقتضيها هذه العلاقة المباشرة المهمة في المجتمع الإسلامي وفي بناء الجماعة الصالحة، وهي علاقة الإمام بالمأموم مباشرة.

فقد روى الكليني والصدوق بسند معتبر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام ((**قال: إنما أُمر الناس أنْ يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها، ثم يأتونا فيخبرونا بولايتهم ويعرضوا علينا نصرهم**))[1].

وقد جاءت الإشارة إلى هذا الموضوع في عدة روايات أُخرى، الأمر الذي يؤكد أهمية هذا الخط والتوجه التنظيمي في الجماعة الصالحة من خلال هذا الموسم الشريف، واعتبار ذلك من العبادات التي يمكن أنْ يقوم بها الإنسان المؤمن.

وهذا التوجه التنظيمي هو مبدأ إسلامي جسده أهل البيت عليهم السلام في نظام

---

(١) الكافي٤: ٥٤٩، ح١.

الجماعة الصالحة - كما أشرنا إلى ذلك سابقاً[1]- حيث إنّ ارتباط الأمة بالقيادة الإسلامية والالتزام بالمواثيق والعهود تجاهها - سواء على مستوى توجيهاتها وأوامرها أم على مستوى النصرة لها في مواقفها - يمثل أصلاً من أصول الإسلام دعا إليه القرآن الكريم: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لله وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ الله يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾[2].

السادسة: الحج جهاد الضعفاء

لقد ورد في بعض النصوص عن النبيﷺ أنّ الحج جهاد، وقد قال ذلك بشأن النساء اللاتي أسقط الإسلام عنهن فرض الجهاد الابتدائي. فقد روى البخاري عن عائشة قالت: ((**يا رسول الله، نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد؟ قال: لا، لكن أفضل الجهاد حج مبرور**))[3]، وفي لفظ النسائي: ((**ولكن أحسن الجهاد وأجمله حج البيت**))[4].

ونجد أنّ النسائي يعمم هذا الحكم لكبار السن والصغار والضعفاء والنساء[5].

وبهذا الصدد نجد أنّ أهل البيتعليهم السلام يعطون للحج في هذا الجانب بعداً أوسع، بحيث يشمل كل أبناء الجماعة الصالحة التي تواجه ظروفاً

---

(١) وقد تحدثنا عن هذا الموضوع في الباب الثالث ((النظام العام)) في فصل العلاقات فراجع.

(٢) الأنفال:٢٤.

(٣) صحيح البخاري٢: ١٤.

(٤) سنن النسائي٥: ١١٤.

(٥) سنن النسائي٥: ١١٠.

استثنائية تمنعها من الجهاد لأسباب شرعية وأخلاقية، كل ذلك حفاظاً من أئمة أهل البيت عليهم السلام على فكرة الجهاد وروح عبادته وضرورة الممارسة لها في كل الأحوال، استلهاماً من موقف رسول الله صلى الله عليه وآله وفهمه لمضمون هذه العبادة.

فقد واجه شيعة أهل البيت عليهم السلام وأبناء الجماعة الصالحة الظروف السياسية والاستثنائية، التي كان يشن فيها الحكام الظالمون الجائرون الحروب دون مبررات أو أهداف إسلامية أو شرعية، وإنما لمجرد التسلط والحصول على المزيد من المكاسب والضرائب المالية، حتى وصل الحال ببعض الحكام الأمويين أنْ يمتنع عن قبول إسلام أبناء النصارى؛ لأن إسلامهم يعني سقوط الجزية عنهم، فكان يلزمهم بالجزية ويرفض إسلامهم ويبقيهم على نصرانيتهم(١).

وكان الموقف الشرعي لأئمة أهل البيت عليهم السلام هو عدم الإذن لأبناء الجماعة الصالحة في المشاركة في مثل هذه الحروب. ولكن هذا الموقف كان له تأثير روحي سلبي على الجماعة، حيث تجرد عملياً من الآثار المعنوية لعبادة الجهاد في سبيل الله.

وقد دعا أهل البيت عليهم السلام أبناء الجماعة الصالحة إلى عبادة الحج والاستزادة منها باعتبارها تعويضاً روحياً وتربوياً وأخلاقياً عن عبادة الجهاد، التي فرضت ظروفهم حرمانهم من ممارستها، استلهاماً لذلك من سنة رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقد سبق أنْ أشرنا في بداية الحديث عن الحج إلى ما ورد في الرواية المعتبرة عن الصادق عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: ((**هو أحد الجهادين.**

---

(١) هذا الموضوع من القضايا التأريخية التي نتناولها في مجال آخر.

هو جهاد الضعفاء ونحن الضعفاء))[١].

وفي نص آخر: ((**ونحن وشيعتنا الضعفاء**)) ولعل في هذين النصين ما يلقي الضوء على هذا الموقف والفهم من أهل البيت عليهم السلام.

ويتضح هذا الفهم من ملاحظة النصوص التالية التي ترتبط بين الموقف من الجهاد والحج.

١. روى جعفر بن محمد بن قولويه عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في حديث قال: ((**الجهاد أفضل الأشياء بعد الفرائض في وقت الجهاد، ولا جهاد إلاّ مع الإمام...**))[٢].

٢. روى الكليني وغيره بسند معتبر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: ((**لقي عباد البصري علي بن الحسين عليه السلام في طريق مكة فقال له: يا علي بن الحسين، تركت الجهاد وصعوبته، وأقبلت على الحج ولينه؟ إنّ الله عزّ وجل يقول: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ...﴾ الآية، فقال له علي بن الحسين عليه السلام: أتمّ الآية، فقال: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ...﴾ الآية، فقال علي بن الحسين عليه السلام: إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم فالجهاد معهم أفضل من الحج**))[٣].

وفي رواية أُخرى قال له: ((**إذا ظهر هؤلاء لم نؤثر على الجهاد شيئاً**))[٤].

وقد تقدم في بحث الجهاد الإشارة إلى هذا الموقف، ومن ذلك هذه الرواية المعتبرة عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام قال: ((**قال أمير**

(١) الكافي٤: ٢٥٣، ح٧.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٨٣، ح١٧.

(٣) الكافي٥: ٢٢، ح١.

(٤) وسائل الشيعة١١: ٣٤، ح٦.

المؤمنين عليه السلام: لا يخرج المسلم في الجهاد مع من لا يؤمن على الحكم، ولا ينفذ في الفيء أمر الله عزّ وجل؛ فإن مات في ذلك كان معيناً لعدوّنا في حبس حقوقنا والإشاطة بدمائنا، وميتته ميتة جاهلية))[١].

منهاج أعمال موسم الحج

يمكن تقسيم أعمال موسم الحج إلى الأقسام الأربعة التالية:

الأول: الأعمال التي تؤدى مقرونة بإعمال الحج.

الثاني: الأعمال الخاصة بيوم عرفة.

الثالث: الأعمال التي تؤدى في العشر الأوائل من ذي الحجة.

الرابع: الأعمال الخاصة بأيام التشريق.

الأول: الأعمال المقرونة بأعمال الحج

ذكر الفقهاء في رسائلهم العملية آداباً ومستحبات لأعمال الحج، تتضمن الطهارة والغسل والصلاة والدعاء والذكر وتنظيف وتحسين البدن والزينة، في تفاصيل واسعة لا يسعها هذا الكتاب ولكن نشير إلى بعض عناوينها.

١. فالإحرام يستحب فيه تنظيف البدن من الأوساخ وتقليم الأظافر، وإزالة الشعر من الإبطين والعانة وأخذ الشارب قبل الإحرام، وهكذا تسريح شعر الرأس واللحية من أول ذي القعدة لمن أراد الحج.

وكذلك الغسل للإحرام والدعاء عند الغسل بنص مخصوص وعند لبس ثوبي الإحرام.

والصلاة قبل الإحرام إمّا صلاة فريضة أو ستة ركعات من النوافل أو أقلها ركعتان، والدعاء قبل الإحرام بنص مخصوص.

وأنْ يضيف إلى التلبية الواجبة مجموعة أُخرى من التلبيات تتضمن ثناءً

---

(١) الخصال: ٦٢٥.

على الله وتوسلاً به، وتكرار التلبية في مختلف المواطن والحالات إلى أنْ يشاهد بيوت مكة.

٢. وفي الدخول إلى الحرم وهي دائرة واسعة محيطة بمكة المكرمة يستحب الترجل فيها، والغسل وخلع النعلين والدعاء بنص مخصوص.

٣. وفي دخول مكة والمسجد الحرام يستحب الغسل، وعند باب المسجد يستحب السلام على النبي وعلى إبراهيم والتسمية باسم الله تعالى والثناء عليه بنص مخصوص وبصيغ خاصة، والتوجه إلى الكعبة بدعاء مخصوص.

٤. وعند محاذاة الحجر يستحب الذكر والدعاء، ثم استلام الحجر مع الدعاء والذكر والصلاة على النبي ﷺ ودعاء مخصوص.

٥. وفي الطواف تستحب أدعية خاصة يقولها بشكل عام، وفي بعض المواضع مثل باب الكعبة والركن اليماني والحجر الأسود وظهر الكعبة وعند المستجار وحجر إسماعيل.

٦. وبعد صلاة الطواف يستحب حمد الله تعالى والثناء عليه والصلاة على رسول الله وآله. والدعاء في السجود.

٧. وفي شرب ماء زمزم دعاء، وكذلك في صبه على رأسه وبطنه وظهره.

٨. وفي السعي أذكار متعددة وصلاة على الرسول وآله وأدعية مخصوصة، وقراءة لسور خاصة من القرآن على الصفا والمروة وفي أثناء السعي.

٩. وفي إحرام الحج نفس مستحبات إحرام العمرة، ولكن بعد الإحرام أدعية خاصة عند التوجه إلى منى في الطريق إلى عرفات، وكذلك في منى يستحب المبيت فيها وإحياؤها بالعبادة وخصوصاً في مسجد الخيف، ودعاء خاص عند التوجه إلى عرفات.

١٠. وأما أعمال عرفات وآدابها فهي ما نذكره في القسم الثاني إنْ شاء الله؛ لأن فيها تفاصيل وأعمالاً مشتركة بينها وبين يوم عرفة في غير الحج.

١١. وفي المشعر الحرام الدعاء عندما يصل الكثيب الأحمر على يمين الطريق، والاقتصاد والبطء في المسير.

وإحياء ليلة العيد بالعبادة والدعاء، فقد ورد في الحديث: ((**وإنْ استطعت أنْ تحيي تلك الليلة فافعل؛ فإنّه بلغنا أنّ أبواب السماء لا تغلق تلك الليلة لأصوات المؤمنين، لهم دوي كدوي النحل. يقول الله جل ثناؤه: أنا ربكم وأنتم عبادي. أديتم حقي، وحق عليّ أنْ استجيب لكم، فيحط الله تلك الليلة عمن أراد أنْ يحط عنه ذنوبه ويغفر لمن أراد أنْ يغفر له**))[1].

مضافاً إلى ذلك كله يستحب له أنْ يدعو بالمأثور وهو بعض الأدعية المنصوصة.

كما أنه يستحب له بعد صلاة الصبح أنْ يحمد الله عزّ وجل ويثني عليه ويذكر من آلائه وبلائه ما قدر عليه، ويصلي على النبي وآله ثم يدعو بالمأثور وهو دعاء خاص ورد في هذا الوقت.

كما أنه يستحب له أنْ يسعى في وادي محسر بمقدار مائة خطوة، ويدعو بدعاء خاص عند هذا السعي.

١٢. وفي رمي جمرة العقبة وبقية الجمرات يستحب له أنْ يكون على طهارة، وأنْ يدعو بدعاء خاص عند أخذها والتكبير عند الرمي والدعاء الخاص به، ويدعو كذلك عندما يرجع إلى منى منها.

١٣. وعند الهدي والذبح يستحب له أنْ يدعو بدعاء خاص، وأنْ يباشره بنفسه أو يضع السكين بيد الذابح ويقبض على يده.

---

(١) الكافي ٤: ٤٦٨، ح١.

١٤. كما أنه يستحب له في الحلق أنْ يدعو بدعاء خاص.

١٥. وفي طواف الحج يستحب له ما ذكرناه في طواف العمرة، مضافاً إلى دعاء خاص يدعو به عند قيامه على باب المسجد للإتيان بالطواف.

١٦. مضافاً إلى ذلك كله توجد أُمور مستحبة يؤديها الحاج عند إقامته في مكة المكرمة:

أ) الإكثار من ذكر الله تعالى.

ب) الإكثار من قراءة القرآن الكريم وختم القرآن فيها.

ج) الشرب من ماء زمزم والدعاء الخاص عند الشرب.

د) الإكثار من النظر إلى الكعبة فإنّ فيه ثواباً عظيماً.

هـ) الطواف: وهو سبعة أشواط حول الكعبة كل يوم عشر مرات، ثلاثة في أول الليل وثلاثة في آخره وطوافان بعد الفجر وطوافان بعد الظهر.

و) أنْ يطوف بالبيت أيام إقامته في مكة ثلاثة وستين طوافاً، فإنْ لم يتمكن فاثنين وخمسين، فإنْ لم يتمكن أتى بما قدر عليه.

ز) دخول الكعبة والاغتسال له والدعاء عند الدخول والصلاة، وصلاة ركعتين بصورة مخصوصة، والصلاة في زوايا البيت والدعاء المخصوص بعد الصلاة، ثم التكبير عند الخروج منها والدعاء الخاص بذلك.

ح) طواف الوداع عند إرادة الخروج من مكة، ثم استلام الحجر وحمد الله والثناء عليه والصلاة على النبي وآله، ثم الدعاء بدعاء خاص.

ويمكن الرجوع إلى كتب المناسك لمعرفة هذه التفاصيل وغيرها مما أوردته كتب الحج المفصلة.

وهذا المنهاج يدل بشكل واضح على ما ذكرناه من سعة مضمون عبادة الحج بنظر أهل البيت عليهم السلام، بحيث لا يمكن أنْ يوازيه نظر آخر في المذاهب الإسلامية.

الثاني: أعمال ليلة ويوم عرفة

إنّ يوم عرفة له أهمية وقيمة خاصتان في نظر الإسلام، وكذلك ليلته، وهي ليلة مباركة تقبل فيها التوبة ويستجاب فيها الدعاء، وللعامل فيها بطاعة الله أجر سبعين ومائة سنة.

كما أنّ يوم عرفة هو يوم دعا الله فيه عباده إلى طاعته وعبادته، وبسط لهم موائد إحسانه وجوده، والشيطان فيه ذليل حقير طريد غضبان أكثر من أي وقت سواه، وهو يوم دعاء ومسألة[١].

وروي أنّ الإمام زين العابدين صلوات الله عليه: ((**سمع يوم عرفة سائلاً يسأل الناس، فقال له: ويلك! أتسأل غير الله في هذا اليوم، وهو يوم يرجى فيه للأجنة في الأرحام أنْ يعمها فضل الله تعالى فتسعد؟**))[٢].

وفي هذا اليوم يوجد منهاج واسع من الأعمال والعبادات، وهي وإنْ كانت قد وردت بالأصل بشأن الموقف يوم عرفة في الحج، فإنّ بعض النصوص وردت تشير إلى استحباب الدعاء والعبادة في هذا اليوم في بقية البلاد والأمصار، لاسيما بالنسبة إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام، حيث ورد فيها أنّ الله تعالى ينظر إلى زواره قبل أنْ ينظر إلى الواقفين بعرفات. كما روى طلحة بن زيد، عن أبي جعفر، عن أبيه، عن علي أنه قال: ((**لا عرفة إلاّ بمكة، ولا بأس أنْ يجتمعوا في الأمصار يوم عرفة يدعون الله**))[٣].

أعمال ليلة عرفة

وقد ذكر العلامة القمي منهاجاً لليلة عرفة ويومها نذكر خلاصته هنا:

---

(١) مفاتيح الجنان: ٢٥٣، ٢٥٨.

(٢) وسائل الشيعة١٠: ٢٨، ح١.

(٣) وسائل الشيعة١٠: ٣٢، ح٢.

الأول: الدعاء الذي ورد فيه أنّ من دعا به ليلة عرفة وليالي الجمع غفر الله له ذنوبه، وهو دعاء: ((**اللهم يا شاهد كل نجوى وموضع كل شكوى**)) الخ، وهو دعاء يشتمل على مضامين عالية من المدح والثناء والذكر لآيات الله والتوسل بها إليه، وطلب حوائج الدنيا والآخرة.

الثاني: التسبيحات الأربعة ألف مرة.

الثالث: زيارة الإمام الحسينعليه السلام.

أعمال يوم عرفة

الأول: الغسل عند الظهر.

الثاني: زيارة الإمام الحسينعليه السلام، وفيها نصوص مخصوصة بهذا اليوم تقدمت الإشارة إليها في الزيارات.

الثالث: الصلاة بعد فريضة العصر قبل البدء بدعوات يوم عرفة، يصليها الإنسان تحت السماء، ركعتين بالحمد مرة وبالتوحيد خمسين مرة.

الرابع: الصوم لمن لا يضعفه الدعاء في غير الحج لأنه يكون مسافراً.

الخامس: الذكر، وقد وردت فيه نصوص وصيغ متعددة وكثيرة، منها أنْ يذكر الله بالحمد والتسبيح والتهليل والتكبير بكل ما ورد في القرآن.

السادس: الدعاء بصيغ عديدة وكثيرة، وأهمها وأجملها دعاء الإمام الحسينعليه السلام يوم عرفة، الذي يعتبر آية في نصوص الدعاء الوارد عن أئمة الهدىعليهم السلام، حيث دعا به في جمع من الناس في أواخر وقت يوم عرفة، ويشتمل على مضامين عالية وهو من الأدعية المعدودة النادرة.

وكذلك دعاء الإمام السجاد علي بن الحسين المذكور في الصحيفة السجادية، وهو الدعاء السابع والأربعون.

السابع: الدعاء للإخوان والأرحام ولاسيما الأبوان.

وتكاد هذه الأعمال المخصوصة التي وردت فيها النصوص أنْ تستغرق

جميع وقت يوم عرفة.

الثالث: أعمال العشر الأوائل من ذي الحجة

لقد ورد في هذه الأيام الشريفة من أول ذي الحجة إلى يوم عرفة أعمال خاصة بها ومشتركة، وقد ورد فيها عن النبيﷺ أنه ما من أيام يُعمل فيها أحب إلى الله عزّ وجل من أيام هذه العشرة، أي بإضافة يوم العيد لها. نشير إلى خلاصتها:

الأول: صوم الأيام التسعة فإنّه يعدل صيام العمر كله.

الثاني: الصلاة ركعتين بين فريضتي المغرب والعشاء، يقرأ فيها الحمد والتوحيد مرة وآية: ﴿**وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ...**﴾[1] الآية.

الثالث: الدعاء بما رواه الشيخ الطوسي والسيد ابن طاووس عن الصادقعليه السلام وهو دعاء مخصوص، بالإضافة إلى دعوات أُخرى جاء بها جبرئيل هدية إلى عيسى ابن مريمعليه السلام.

الرابع: الذكر بالتهليل الخاص المروي عن أمير المؤمنينعليه السلام.

وقد ذكر لليوم الأول من هذه الأيام أعمال خاصة به أيضاً[2].

الرابع: أعمال أيام التشريق

أيام التشريق هي الأيام الثلاثة بعد يوم عيد الأضحى، وهناك أعمال مشتركة بين عيد الأضحى وهذه الأيام، ومن أهم هذه الأعمال في الحج هو رمي الجمرات كما ذكرنا، ولكن توجد أعمال مستحبة يؤتى بها في هذه الأيام أيضاً:

---

(١) الأعراف:١٤٢.

(٢) مفاتيح الجنان: ٢٥١ – ٢٥٢.

الأول: الأُضحية، وتستحب يوم العيد، ويمكن الإتيان بها في اليومين الحادي عشر والثاني عشر في الأمصار، وكذلك في اليوم الثالث عشر في منى.

الثاني: التكبيرات المعروفة، وهي ((**الله أكبر الله أكبر لا إله إلاّ الله والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد، الله أكبر على ما هدانا الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام، والحمد لله على ما أبلانا**))، حيث يستحب الإتيان بها في الحج ابتداءً من فريضة ظهر العيد إلى الثالث عشر من ذي الحجة بعد الفرائض والنوافل في منى، وأمّا في سائر الأمصار فيستحب ذلك إلى فجر الثاني عشر من ذي الحجة.

هذا هو مجمل أعمال هذا الموسم الشريف.



العبادات غير المؤقتة

١. الصلاة العامة

٢. الصوم العام

٣. الدعاء

٤. الذكر

٥. الجهاد

العبادات غير المؤقتة

إن العبادات غير المؤقتة، هي: تلك العبادات التي لم يحدد زمان معين لأدائها، بل تُرك وقت أدائها إلى المكلف حسب ظروفه الخاصة واختياره الخاص، أو حسب تحقق شروط وجوبها أو استحبابها، كما هو الحال مثلاً في الجهاد الذي هو عبادة واجبة، ولكنها ليست محددة بزمان معين، بل مرتبطة بتحقق موضوعه وشروطه.

وسوف نقتصر في تناولنا لهذا الصنف على العبادات والعناوين الخمسة التالية، وأمّا بقية العبادات فقد سبق الإشارة إلى بعضها كالصدقة والإنفاق والزكاة والخمس في بحث النظام الاقتصادي، أو الإحسان في المعاملة وحسن الخلق اللذين تحدثنا عنهما في بحث العلاقات.

وأمّا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين هما من أهم الفرائض والواجبات الإسلامية، فيمكن معرفة حكمهما من الجهاد ونظرية الإسلام فيه، على أنهما من العبادات التي يكون دورها هو حفظ العبادة والأحكام الشرعية فهما من شؤون الولاية كما أشرنا سابقاً.

كما أنهما في نفسهما يمثلان أحد المبادئ في العلاقات الاجتماعية، حيث تحدثنا عنهما في بُعد تقوية البناء الاجتماعي والبناء الفوقي له.

الأول: الصلاة.

الثاني: الصوم.

الثالث: الدعاء.

الرابع: الذكر.

الخامس: الجهاد.

وقد تحدثنا عن بعض مفردات هذه العناوين المؤقتة في الفصل الأول من العبادات وهي أهم هذه المفردات، وبقي علينا أنْ نتحدث عن هذه العناوين

ومفرداتها غير المؤقتة.

أوّلاً: الصلاة

تعتبر الصلاة أهم العبادات الإسلامية على الإطلاق، وقد تحدث عنها القرآن الكريم كثيراً، وهي عمود الدين التي إنْ قبلت قبل ما سواها وإنْ ردت رد ما سواها[1]، كما أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر. وقد نسب تاركها متعمداً إلى الكفر في بعض الروايات.

وقد ورد في فضلها والمحافظة عليها وآثارها وعلة تشريعها وكيفية أدائها، وغير ذلك مما له علاقة بالصلاة بشكل عام، مئات الروايات والنصوص، كما أنّ الحديث عن جميع هذه الأبعاد يحتاج إلى كتاب كامل واسع.

وقد أشرنا إلى بعض ذلك في الحديث عن الصلاة اليومية ونشير هنا إلى بعض النصوص المناسبة.

فقد ورد في فضلها في حديث معتبر عن معاوية بن وهب قال: ((**سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أفضل ما يتقرب به العباد إلى ربهم وأحب ذلك إلى الله عزّ وجل ما هو؟ فقال: ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة. ألا ترى أنّ العبد الصالح عيسى بن مريم عليه السلام قال: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً﴾**))[2].

وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام بشأن الصلاة في حديث يوصي به أصحابه أنه قال: ((**تعاهدوا أمر الصلاة، وحافظوا عليها، واستكثروا منها، وتقرّبوا بها، فإنها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً. ألا تسمعون إلى جواب أهل النار حين سئلوا ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾.**

---

(١) راجع وسائل الشيعة٣: ٢٠، ح٦، ١٠، ١٣.

(٢) الكافي٣: ٢٦٤، ح١.

وإنها لتحتّ الذنوب حتّ الورق، وتطلقها إطلاق الربق، وشبّهها رسول الله ﷺ بالحمّة تكون على باب الرّجل فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرات، فما عسى أنْ يبقى عليه من الدّرن، وقد عرف حقها رجال من المؤمنين الذين لا يشغلهم عنها زينة متاع ولا قرّة عين من ولد ولا مال. يقول الله سبحانه: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ الله وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾، وكان رسول الله ﷺ نَصِباً بالصلاة بعد التبشير له بالجنّة، لقول الله سبحانه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ وكان يأمر بها أهله ويصبر عليها نفسه))[1].

وللصلاة شروط وآداب ترتبط بالمصلي ولباسه ومكانه ومسجده، أهمها الطهارة في بدنه ولباسه وفي مسجده من النجاسات، والوضوء، وهو الطهارة المعنوية التي يحصل عليها الإنسان بالوضوء أو الغسل، وأنْ يكون مكانه مباحاً غير مغصوب، وألاّ يكون لباسه من الحرير أو الذهب أو من حيوان غير مأكول اللحم أو الميتة. إلى غير ذلك من الأحكام التي يمكن الحصول عليها مفصلة في الرسائل العملية للفقهاء.

الصلاة المستحبة غير المؤقتة

أمّا الصلوات الواجبة فهي اليومية وهي: صلاة الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء، ومنها صلاة الجمعة التي تكون بدلاً عن صلاة الظهر يوم الجمعة، وصلاة العيدين والآيات[2]، والصلاة الواجبة بالنذر أو العهد أو

---

(١) نهج البلاغة٢: ١٧٨، الخطبة١٩٩.

(٢) تجب صلاة العيدين في حضور الإمام المعصوم. وفي حالة غيابه تكون مستحبة، وقد تقدم الحديث عنها، وكذلك الحال في صلاة الجمعة التي تجب تخييراً بينها وبين ←

اليمين أو الاستئجار، وصلاة الطواف. وقد سبق الحديث عن أكثر هذه العناوين في الفصل السابق.

وأمّا الصلوات المستحبة فهي كثيرة منها المؤقتة التي سبق الحديث عنها في الفصل السابق ومنها الصلاة غير المؤقتة، والتي يمكن أنْ نجمع أهمها في ستة عناوين:

١. صلاة التطوع.
٢. صلوات المعصومين.
٣. صلاة جعفر الطيار.
٤. صلاة الحاجة.
٥. صلاة الاستخارة.
٦. صلاة الهدية.

١. صلاة التطوع

صلاة التطوع هي الصلاة التي يأتي بها الإنسان تطوعاً وتقرباً إلى الله تعالى، دون عنوان معين أو صيغة خاصة وفي أي وقت شاء أو أي موضع، فإنّ الصلاة خير موضوع، فمن شاء أستقل ومن شاء أستكثر. وقد قال رجل لرسول الله ﷺ: **((ادع الله أنْ يدخلني الجنة، فقال له: اعنّي بكثرة**

الظهر في عصر الغيبة على أحد الأقوال المعروفة عند فقهاء مذهب أهل البيت عليهم السلام.

وأمّا صلاة الآيات فهي: ركعتان بكيفية مخصوصة تجب عند الظواهر الفلكية أو الجوية أو الأرضية، مثل الخسوف والكسوف والزلزلة والريح السوداء المخوفة، وغيرها من الآيات.

وتفصيل أحكام هذه الصلوات وكيفيتها موكول إلى الرسائل العملية الفقهية.

السجود))[١].

كما ورد عن الإمام الصادقعليه السلام في حديث معتبر: ((**الصلاة قربان كل تقي**))[٢].

ومن هذه الصلوات ما يأتي به الإنسان عند دخول المسجد تحية له، فإنَّ تحية المسجد هي الصلاة فيه فريضة أو تطوعاً أو أي صلاة أُخرى. ويكون الإتيان بصلاة التطوع والصلوات المستحبة وكذلك النوافل على شكل ركعتين يختمان بالتشهد والتسليم، ما لم يأتِ نص في ذلك، كما في الصلوات الواجبة ما عدا الصبح، وكما في الوتر في صلاة الليل، أو كما في صلاة الأعرابي أو غيرها.

ويحسن بالإنسان الإتيان بالنوافل والتطوع بالصلاة عند وجود الإقبال والرغبة لديه فيها، فقد ورد في الحديث عن النبيصلى الله عليه وآله أنه قال: ((**إنَّ للقلوب إقبالاً وإدباراً، فإذا أقبلت فتنفلوا وإذا أدبرت فعليكم بالفريضة**))[٣].

ولكن لابدّ للإنسان دائماً أنْ يعالج قلبه ونفسه من أجل أنْ يقبل على الصلاة، فإنَّ صلاة النافلة والتطوع بالصلاة يكمل ما يذهب على الإنسان من سهو وغفلة وشرود في صلاة الفريضة، وإنْ ما يرفع من الصلاة هو ما يقبل به الإنسان على ربه فقط، فقد ورد في عدة روايات معتبرة، منها ما رواه محمد بن مسلم، عن أبي جعفر الباقرعليه السلام قال: ((**إنَّ العبد ليرفع له من صلاته نصفها أو ثلثها أو ربعها أو خمسها، فما يرفع له إلاّ ما أقبل عليه منها بقلبه، وإنما أمرنا بالنافلة ليتم لهم بها ما نقصوا من الفريضة**))[٤].

---

(١) من لا يحضره الفقيه١: ٢١٠، ح٦٣٥.

(٢) وسائل الشيعة٤: ٤٤، ح٢.

(٣) الكافي٣: ٤٥٤، ح١٦.

(٤) الكافي٣: ٣٦٣، ح٢.

٢. صلاة المعصومين

لقد وردت نصوص تنسب إلى المعصومين عليهم السلام، صيغاً معينة من الصلوات المستحبة التي كان يأتي بها المعصومون، وهي صلاة تطوع بصيغ معينة لها أهميتها لإتيان المعصوم بها، وقد ذكر الحر العاملي في كتابه وسائل الشيعة ثلاث صلوات للنبي صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام.

أ) صلاة النبي صلى الله عليه وآله

ذكر الشيخ الطوسي في مصباح المتهجد أنّ صلاة النبي صلى الله عليه وآله ركعتان يقرأ فيهما الحمد مرة ثم سورة القدر خمس عشرة بعد الفاتحة في القيام، وكذلك في الركوع وفي القيام بعد الركوع وفي السجدة الأُولى وبعد الجلوس منها وفي السجدة الثانية وبعد الجلوس منها، فإذا سلّم منهما عقّب بما أراد وانصرف وليس بينه وبين الله عزّ وجل ذنب إلاّ غفره[١]. وقد روى هذه الصلاة السيد ابن طاووس بسند معتبر عن الإمام الرضا عليه السلام وذكر بعدها دعاءً خاصاً بها[٢].

ب) صلاة علي عليه السلام

روى الكليني في الكافي والشيخ في التهذيب عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: **((من صلى أربع ركعات يقرأ في كل ركعة قل هو الله أحد خمسين مرة، لم ينفتل وبينه وبين الله ذنب))**[٣].

---

(١) مصباح المتهجد: ٢٩٠.

(٢) جمال الإسبوع: ١٦٢.

(٣) الكافي٣: ٤٦٨، ح٢.

وقد ذكر الشيخ في المصباح بعدها دعاءً خاصاً بها[١].

ج) صلاة فاطمة الزهراء عليها السلام

ذكر صاحب الوسائل صفتين لهذه الصلاة، إحداهما مطابقة لصلاة أمير المؤمنين علي عليه السلام، والثانية ذكرها الشيخ في المصباح وهي: ركعتان يقرأ في الأُولى الحمد مرة والقدر مائة مرة، وفي الثانية الحمد مرة والتوحيد مائة مرة[٢].

وذكر العلامة القمي صيغاً أُخرى لهذه الصلاة مع دعاء يدعى به بعدها[٣].

مضافاً إلى هذه الصلوات ذكر الحر العاملي رحمه الله عن علي بن موسى بن طاووس في كتابه (جمال الأُسبوع)، صلوات نسبها إلى الأئمة الأحد عشر من أهل البيت عليهم السلام، لكل واحدة منها كيفية خاصة، ولكن لم يذكر وجود رواية فيها أو نسبتها لقول معصوم[٤].

وذكر العلامة القمي هذه الصلوات مع دعاء بعد كل واحد منها. ويبدو أنّه أخذها عن ابن طاووس أيضاً[٥]، ولكن لإرسالها وعدم نسبتها إلى أحد من الأئمة لم نذكرها.

٣. صلاة جعفر

ومن أشهر هذه الصلوات ومن أفضلها الصلاة المعروفة بصلاة جعفر،

---

(١) مصباح المتهجد: ٢٩٤.

(٢) وسائل الشيعة٥: ٢٤٤، ح٦.

(٣) مفاتيح الجنان: ٤٠ – ٤٢.

(٤) وسائل الشيعة٥: ٣٩٧، باب التطوع بصلوات الأئمة.

(٥) مفاتيح الجنان: ٤٢ – ٤٥.

نسبة إلى جعفر الطيار بن أبي طالب ابن عم رسول الله، وهي من الصلوات التي يستحب الإتيان بها في كل الأوقات والأزمنة، ولاسيما في أيام الجمعة وليلة النصف من شعبان وبقية الأوقات الشريفة، كما يستحب فيها القنوت قبل الركوع للركعة الثانية والرابعة. ويمكن أنْ تحتسب من النوافل اليومية.

وقد وردت في وصفها وفضلها أحاديث عديدة نذكر منها ما يغنينا في تكوين صورة مناسبة عنها.

الأول: ما ورد بسند معتبر عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ((**قال رسول الله صلى الله عليه وآله لجعفر**[1]**: ألا أمنحك؟ ألا أعطيك؟ ألا أحبوك؟ فقال له جعفر: بلى يا رسول الله. قال: فظن الناس أنّه يعطيه ذهباً أو فضة، فأشرف (فتشوف) الناس لذلك، فقال له: إني أعطيك شيئاً إنْ أنت صنعته في كل يوم كان خيراً لك من الدنيا وما فيها، وإنْ صنعته بين يومين غفر الله لك ما بينهما أو كل جمعة، أو كل شهر، أو كل سنة غفر لك ما بينهما تصلّي أربع ركعات تبتدئ فتقرأ وتقول إذا فرغت: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر، تقول خمس عشرة مرة بعد القراءة، فإذا ركعت قلته عشر مرات، فإذا رفعت رأسك من الركوع قلته عشر مرات، فإذا سجدت قلته عشر**

(١) قال ذلك له على ما في بعض الروايات المشابهة لهذه الرواية عند مجيئه من هجرته إلى الحبشة، حيث صادف ذلك يوم فتح خيبر، فعندما جاء خبر وصول جعفر وقدومه قال رسول اللّه: ((**واللّه ما أدري بأيهما أنا أشد سروراً، بقدوم جعفر أو بفتح خيبر؟**))، والغريب أنّ هذه الصلاة نفسها وردت في كتب الجمهور بعنوان صلاة التسابيح، وأنها هدية النبي إلى عمه العباس. ولا نعتقد بصحة هذه النسبة؛ إذ لا موجب لمثل هذه الهدية والحبوة للعباس، مضافاً إلى أنّ أهل البيت أدرى بالذي فيه. وهذه النسبة هي من موضوعات العباسيين على الظاهر.

مرات، فإذا رفعت رأسك من السجود فقل بين السجدتين عشر مرات، فإذا سجدت الثانية فقل عشر مرات، فإذا رفعت رأسك من السجدة الثانية قلت عشر مرات وأنت قاعد قبل أنْ تقوم، فذلك خمس وسبعون تسبيحة في كل ركعة، ثلاثمائة تسبيحة في أربع ركعات، ألف ومائتا تسبيحة وتهليلة وتكبيرة وتحميدة، إنْ شئت صليتها بالنهار، وإنْ شئت صليتها بالليل))[1].

الثاني: ورد في أكثر من رواية معتبرة أنّه يصليها بقل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون، ولكن في رواية أُخرى معتبرة أنه يقرأ بعد الفاتحة في الركعة الأُولى الزلزلة وفي الثانية العاديات وفي الثالثة النصر وفي الرابعة التوحيد، أو الزلزلة والنصر والقدر والتوحيد.

وقد ورد في ثوابها أنّه لو كان عليه مثل رمل عالج ذنوباً غفر الله له، وأنّ ذلك للسائل ولأصحابه[2].

الثالث: عن أبي سعيد المدائني قال: ((**قال لي أبو عبد الله عليه السلام: ألا أعلّمك شيئاً تقوله في صلاة جعفر؟ فقلت: بلى، فقال: إذا كنت في آخر سجدة من الأربع ركعات فقل إذا فرغت من تسبيحك: سبحان من لبس العز والوقار، سبحان من تعطّف بالمجد وتكرّم به، سبحان من لا ينبغي التسبيح إلاّ له، سبحان من أحصى كل شيء علمه، سبحان ذي المن والنعم، سبحان ذي القدرة والكرم. اللهم إني أسألك بمعاقد العز من عرشك، ومنتهى الرحمة من كتابك، واسمك الأعظم وكلماتك التّامة التي تمّت صدقاً وعدلاً، صلِّ على محمد وأهل بيته وافعل بي كذا وكذا))**[3].

---

(١) وسائل الشيعة٥: ١٩٤، ح١.

(٢) الكافي٣: ٤٦٦، ح١.

(٣) الكافي٣: ٤٦٧، ح٦.

٤. صلوات الحاجة

لقد وردت أحاديث ونصوص متعددة تتحدث عن صلاة لقضاء الحاجات، بصيغ مختلفة متعددة تشكل الصلاة جزءاً مهماً منها. وفي بعضها تكون الصلاة والدعاء بعدها لطلب الحاجة هو تمام العبادة.

ولعل أهم صيغة وأشهرها لطلب الحاجة الخاصة هي صلاة الاستسقاء التي يؤتى بها جماعة كما في صلاة العيدين؛ من أجل أنْ يُستسقى بها من الجدب وانقطاع نزول المطر.

وكيفيتها مثل صلاة العيدين ((حيث يخرج الإمام ويبرز إلى مكان نظيف في سكينة ووقار وخشوع ومسكنة، ويبرز معه الناس، فيحمد الله ويمجده ويثني عليه ويجتهد في الدعاء ويكثر من التسبيح والتهليل والتكبير، ويصلي مثل صلاة العيدين ركعتين في دعاء ومسألة واجتهاد، فإذا سلّم الإمام قلب ثوبه وجعل الجانب الذي على المنكب الأيمن على المنكب الأيسر والذي على الأيسر على الأيمن، فإنّ النبيﷺ كذلك صنع))[1].

وفي بعض الروايات الأُخرى تفاصيل أُخرى، ولأهميتها أفردها الفقهاء في أبواب مستقلة كصلاة العيدين.

ومن الصيغ الأُخرى للحاجة التي رويت بطريق معتبر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام وولده موسى بن جعفر عليهما السلام، هي صيغة رواها الكليني والصدوق والشيخ الطوسي يتصدق فيها صاحب الحاجة على ستين مسكيناً لكل منهم صاع من تمر أو برّ أو شعير، ثم يصلي ركعتين بالفاتحة والتوحيد وبالفاتحة وقل يا أيها الكافرون، ويكون ذلك في الثلث الأخير من الليل بعد الغسل، ويلبس أدنى ما يلبسه أفراد عائلته ويكون فيه إزار، وفي السجدة

---

(١) وسائل الشيعة٥: ١٦٢، ح١، وهو معتبر السند.

الأُولى من الركعة الأخيرة يهلّل الله ويعظمه ويقدّسه ويمجدّه ويذكر ذنوبه فيقرّ بما يعرف منها، ثم يرفع رأسه، فإذا وضع رأسه للسجدة الثانية استجار الله مائة مرة وقال: ((**اللهم إني استجيرك**))، ثم يدعو بما شاء ويقول: ((**يا كائناً قبل كل شيء، ويا مكون كل شيء، ويا كائناً بعد كل شيء افعل بي كذا وكذا**)) ويسأل الله تعالى حاجته، وكلما سجد باشر بركبتيه الأرض ورفع الإزار وجعله من خلفه بين أليتيه وباطن ساقيه.

وهناك عدة صيغ ذكرها الحر العاملي في كتابه الوسائل[1]، والعلامة القمي في مفاتيح الجنان.

صلوات أُخرى لحاجات خاصة

وهناك صلوات أُخرى لحاجات معينة مهمة ولها صيغ خاصة. منها هذه العناوين (غفران الذنوب)، و(المهمات)، و(الانتصار من الظالم)، و(الذكاء وجودة الحفظ)، و(الأمر المخوف)، و(طلب الرزق عند الخروج للسوق)، و(قضاء الدين)، و(دفع شر السفر)، و(أُم المريض ودعاؤها له بالشفاء)، و(عند خوف المكروه وعند النعم)، و(للخلاص من السجن)، و(للخوف من العدو)، و(الاستعداء والانتصار)، و(عند إرادة الحَبَل)[2].

وهناك ثلاث صلوات مهمة قد لا تدخل تحت عنوان الحاجة، وإنْ كان لها علاقة وهي: الصوم والصلاة عند نزول البلاء من أجل صرفه، والصلاة ركعتين للشكر، والصلاة عند إرادة الدخول بالزوجة، وهي تعبر عن آداب

(١) وسائل الشيعة٥: ٢٥٥ – ٢٦١، ومفاتيح الجنان: ٢٢٦ و٢٣٣ و٢٣٤ و٢٣٨ و٢٣٩ و٢٤١ وغيرها من قسم الباقيات الصالحات.

(٢) ذكر هذه الصلوات صاحب الوسائل في الجزء الخامس حسب تسلسل العناوين في الصفحات التالية: ٢٤٤ و٢٤٥ و٢٤٦ و٢٤٨ و٢٥٠ و٢٥٢ و٢٥٣ و٢٥٤ و٢٥٥ و٢٦٢ و٢٦٣ و٢٦٥ و٢٦٦ و٢٦٨.

ورسوم إسلامية سندها معتبر[١].

٥. الاستخارة وصلاتها

ومن جملة العبادات هي الاستخارة وصلاتها؛ وذلك أنّ الإنسان إذا أراد فعلاً أو همّ بشيء من سفر أو بيع وشراء أو حج وعمرة أو تجارة، وكان متردداً في الإقدام عليه أو كان لديه أكثر من خيار في فعله، فإنّه يحسن به أنْ يصلي ثم يطلب من الله تعالى الخيرة له في دينه ودنياه أو في عاجله أو آجله.

فقد ورد في حديث معتبر عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: ((**صلّ ركعتين واستخر الله، فو الله ما استخار الله مسلم إلاّ خار له البتّة**))[٢].

وفي رواية أُخرى قال: ((**من استخار الله راضياً بما صنع الله له، خار الله له حتماً**))[٣].

وقد وردت في هذا الموضوع روايات عديدة متظافرة جاء في بعضها تعليم كيفية هذه الاستخارة: ((**ائت المسجد في غير وقت صلاة الفريضة فصل ركعتين فاستخر الله مائة مرة، ثم انظر أي شيء يقع في طلبك فاعمل به. وفي بعض الروايات ورد العدد مائة مرة ومرة**))[٤].

كما جاء في رواية أُخرى تفصيل ما يقوله بعد الصلاة ((**ثم ليحمد الله وليثنِ عليه ويصل على محمد وأهل بيته ويقول: اللهم إنْ كان هذا الأمر**

---

(١) ذكرت هذه الصلوات في الوسائل أيضاً ج٥ حسب التسلسل التالي للأبواب: ٢٦١ و٢٦٦ و٢٦٧.

(٢) الكافي٣: ٤٧٠، ح١.

(٣) وسائل الشيعة٥: ٢٠٤، ح٢.

(٤) الكافي٣: ٤٧٢، ح٥.

خيراً لي في ديني ودنياي فيسره لي واقدره، وإن كان غير ذلك فاصرفه عني))[١]، وإنّه يقرأ بعد الفاتحة ما يشاء من السور وإنْ شاء قرأ التوحيد والكافرون.

وفي رواية أُخرى معتبرة السند يعلمنا الإمام الباقر عليه السلام صيغة أُخرى للاستخارة أكثر تفصيلاً وأشد عملاً. عن زرارة قال: ((**قلت لأبي جعفر عليه السلام: إذا أردت أمراً وأردت الاستخارة كيف أقول؟ فقال: إذا أردت ذلك فصم الثلاثاء والأربعاء والخميس، ثم صلِّ يوم الجمعة في مكان نظيف ركعتين فتشهد ثم قل وأنت تنظر إلى السماء: اللهم إني أسألك بأنك عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم أنت عالم الغيب. إنْ كان هذا الأمر خيراً فيما أحاط به علمك فيسّره لي وبارك لي فيه وافتح لي به، وإنْ كان ذلك لي شرّاً فيما أحاط به علمك فاصرفه عني بما تعلم، فإنك تعلم ولا أعلم وتقدر ولا أقدر، وتقضي ولا أقضي وأنت علام الغيوب، تقولها مائة مرة))**[٢].

ونجد صيغاً أُخرى في روايات أُخرى أيضاً[٣]. الأمر الذي يدل أنّ الاستخارة إنما هي صلاة ودعاء وتضرع لله تعالى في طلب الخيرة، وكلما تمكن الإنسان من توفير شروط الدعاء - والاستجابة كالصدقة والصيام والأوقات الخاصة والتضرع وغير ذلك - فإنّ ذلك يكون أقرب إلى استجابة دعائه.

ويؤكد ذلك ما ورد في رواية عن الإمام الصادق، أنّه إذا أراد شراء العبد أو الدابة أو الحاجة الخفيفة أو الشيء اليسير، استخار الله فيه سبع

---

(١) الكافي٣: ٤٧٢، ح٦.

(٢) وسائل الشيعة٥: ٢٠٧، ح١١.

(٣) راجع وسائل الشيعة٥: ٢٠٤، أبواب صلاة الاستخارة وما يناسبها.

مرات، فإذا كان أمراً جسيماً استخار الله مائة مرة[١].

كما وردت صيغة أُخرى فيها صلاة ورقاع مكتوب فيها ((افعل)) و((لا تفعل))، فإذا سحبها وجاء الأمر في البداية أكثر من النهي فعل، وإلاّ ترك[٢].

ويبدو من الروايات المتظافرة أنه يحسن بالإنسان دائماً أنْ يطلب من الله تعالى الخيرة له من أمره، ولاسيما في الصلوات اليومية وقبل الدخول في أي عمل يريد أنْ يقوم به.

٦. صلاة الهدية

صلاة الهدية هي: أنْ يأتي الإنسان بالصلاة هدية لأهل البيت عليهم السلام، أو لوالديه أو لإخوانه المؤمنين أو أولاده وأرحامه.

ولاشك أنّ الأعمال الصالحة التي يأتي بها الإنسان في الدار الدنيا، يمكن أنْ يهدي ثوابها إلى الأموات فيصلهم هذا الثواب بإذن الله تعالى، سواء كانت هذه الأعمال صلاة أم صوماً أم حجاً أم صدقة أم قراءة للقرآن أم ذكراً لله تعالى أم أي عمل صالح غير ذلك. وقد وردت في ذلك نصوص متعددة وعمل به أئمة أهل البيت عليهم السلام.

فقد نقل العلامة القمي أنه ورد في الحديث الصحيح أنّ الإمام الصادق عليه السلام كان يصلّي عن والديه كل يوم ركعتين يقرأ في الأُولى بعد الفاتحة القدر وفي الثانية بعدها الكوثر. كما ورد عنه أنه كان يصلّي عن ولده إسماعيل في كل ليلة ركعتين أيضاً، وأنّ الميت يفرح بالدعاء والاستغفار كما يفرح الحي بالهدية، وأنّه يدخل على الميت في قبره الصلاة

---

(١) راجع وسائل الشيعة٥: ٢١٣، ح١.

(٢) راجع وسائل الشيعة٥: ٢٠٨، ح١.

والصوم والحج والصدقة والبرّ والدعاء ويكتب أجره للذي يفعله وللميت[١].

وقد ذكرنا في أعمال الأُسبوع صلاة هدية تهدى إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام بطريقة خاصة وصيغة معينة[٢].

أ) صلاة ليلة الدفن

ومن الصلوات المعروفة في أوساط الجماعة الصالحة من مصاديق صلاة الهدية هي صلاة ليلة الدفن، وهي ركعتان يصليها الإنسان ويهديهما إلى الميت من إخوانه أو أرحامه ليلة دفنه، وقد ذُكر لها صيغتان:

الأُولى: أنْ يقرأ بعد الفاتحة في الركعة الأُولى آية الكرسي، وفي الركعة الثانية القدر عشر مرات، ثم يقول: اللهم صلّ على محمد وآله محمد وابعث ثوابها إلى قبر فلان[٣].

الثانية: أنْ يقرأ بعد الحمد في الأُولى التوحيد مرتين وفي الثانية التكاثر عشر مرات ويقرأ الدعاء السابق[٤].

وقد ذكر السيد ابن طاووس في كتابه جمال الأُسبوع ثواباً عظيماً لمن أهدى صلاته للنبي والأئمة المعصومين من بعده بذكر خاص في ركوعها وسجودها[٥].

---

(١) مفاتيح الجنان الباقيات الصالحات: ٢١٤ – ٢١٥.

(٢) وسائل الشيعة٥: ٢٨٤، ح١.

(٣) وسائل الشيعة٥: ٢٨٥، ح٢.

(٤) وسائل الشيعة٥: ٢٨٥، ح٣.

(٥) جمال الإسبوع: ٢٩.

ب) صلاة الولد لوالديه

وهناك صلاة الولد لوالديه، وهي من صلوات الهدية ذكرها العلامة القمي، وهي ركعتان يقرأ في الأولى الفاتحة وعشر مرات آية ﴿**رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ**﴾، وفي الثانية بعد الفاتحة يقرأ عشر مرات آية ﴿**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾ وبعد التسليم يقول عشر مرات: ﴿**رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً**﴾[1].

ثانياً: الصوم

الصوم من العبادات المهمة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ**﴾[2]، وهذا يعني أنّ هذه العبادة لها جذر تأريخي يمتد مع الرسالات الإلهية. وقال تعالى أيضاً: ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إلا عَلَى الْخَاشِعِينَ**﴾[3]، حيث فُسر الصبر في هذه الآية بالصوم.

والصوم فيه واجب ومستحب ومحرم.

الصوم الواجب

أمّا الصوم الواجب فهو صوم شهر رمضان وهو أفضله.

ويجب الصوم في الكفارة في قتل العمد وغيره شهرين متتابعين، وكذلك في كفارة اليمين ثلاثة أيام.

---

(١) مفاتيح الجنان: ٢١٦.

(٢) البقرة:١٨٣.

(٣) البقرة:٤٥.

ويجب على الحاج الذي لا يجد الهدي أنْ يصوم عشرة أيام ثلاثة في الحج وسبعة عند رجوعه إلى أهله.

ويجب الصوم - أيضاً - بالنذر والعهد واليمين والنيابة عن الميت.

وهناك من الفقهاء من يوجب الصوم على من نام عن صلاة العشاء، حيث يجب عليه أنْ يصبح صائماً ذلك اليوم. ويجب على المعتكف الذي أمضى يومين من اعتكافه أنْ يتم اليوم الثالث من اعتكافه، فيلزمه الصوم كما سوف نذكره.

وتفصيل أحكام الصوم الواجب مذكورة في الرسائل العملية الفقهية، ولابدَّ من التفقه فيها ومراجعتها.

وقد اهتم أهل البيت بهذه العبادة اهتماماً بالغاً، حيث وردت فيها مئات الروايات التي تناولت تفاصيلها المختلفة.

ويحرم الصوم يومي العيدين وأيام التشريق بمنى ويوم العاشر من محرم الحرام بعنوان التبرك. وكذلك يحرم صوم الوصال بأنْ يصلَ يوم الصوم باليوم الآخر من دون إفطار وبنية واحدة.

الصوم المندوب

يستحب الصوم في جميع أيام السنة عدا الأيام المحرمة التي سبق ذكرها، وقد عرفنا أنه يتأكد استحبابه في شهري رجب وشعبان، وفي الأيام الثلاثة من كل شهر الخميس الأول والأربعاء الوسط والخميس الآخر، فإنه يعدل صوم الدهر كما ورد في الروايات، وكذلك في الأيام الأربعة في السنة وغيرها مما ذكرناه في الأبواب السابقة من الفصل السابق.

ويمكن استفادة استحباب الصوم من تظافر الروايات المطلقة التي وردت

في فضل الصوم وحسنه[١]. مضافاً إلى ما ورد في تفسير الآية الكريمة السابقة.

ولكن توجد موارد يتأكد فيها استحباب الصوم لاقترانه بخصوصية تقتضي ذلك.

١. يبدو من بعض الروايات والنصوص أنّ الصوم في الصيف أكثر فضلاً وأجراً، بل جاء التعبير في بعضها عن الصوم في الحر بأنه جهاد، وأنّ أفضل الجهاد الصوم في الحر[٢].

٢. الصوم للشاب الذي لا يستطيع الزواج، حيث يكون الصوم وجاءً لشهوته ولجاماً لها، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((**من استطاع منكم الباه فليتزوج، ومن لم يستطع فليصم؛ فإنّ الصوم وجاؤه**))[٣]. كما ورد عنه ﷺ أنه قال لعثمان بن مظعون عندما طرح عليه فكرة أنْ يختصي: ((**لا تفعل يا عثمان فإنّ اختصاء أمتي الصيام**))[٤].

وفي حديث عن الصادق عليه السلام قال: ((**قال لقمان لابنه: صمْ صوماً يقطع شهوتك، ولا تصمْ صياماً يمنعك من الصلاة، فإنّ الصلاة أحب إلى الله تعالى من الصوم**))[٥].

٣. وقد جاء التأكيد - في بعض الروايات المعتبرة - لصوم يوم الأربعاء، معللة ذلك بأنّ النار أو العذاب إنما يكون فيه، فيكون الصوم جنة من النار. ولكن لا يبعد أنْ يكون المقصود من يوم الأربعاء هو الأربعاء في وسط

---

(١) وسائل الشيعة٧: ٢٩٨، أبواب الصوم المندوب.

(٢) بحار الأنوار٩٣: ٢٥٦، ح٣٨.

(٣) وسائل الشيعة٧: ٣٠٠، ح٤.

(٤) وسائل الشيعة٧: ٣٠٠، ح٢.

(٥) بحار الأنوار١٣: ٤١١، ح٢.

الشهر، كما يشير إلى ذلك بعض هذه الروايات.

٤. ورد في بعض الروايات استحباب صوم يوم الجمعة على أنْ يسبقه بصوم يوم أو يومين قبله، الأربعاء والخميس، ولا يبعد أنْ يكون المقصود من هذه الروايات نفي كراهة صومه أو بيان جوازه؛ لتوهم الحظر والحرمة فيه باعتبار أنّه يوم عيد[1]، وأنّ هذه الكراهة - لو كانت - ترتفع بصوم الأربعاء والخميس.

٥. ورد في بعض الروايات استحباب الصوم عند الشدائد والنوازل والضيق والمصيبة والزلزال، وأنه يحسن بالإنسان أنْ يصوم، وخصوصاً الأربعاء والخميس والجمعة، والدعاء يوم الجمعة برفع هذه الشدائد. ويبدو أنّ الصوم المقرون بالصدقة يدفع البلاء[2].

٦. ومن الصوم المستحب صوم الاعتكاف، وهو عبادة مقرونة بالصوم يلتزم الإنسان فيها المسجد طيلة ثلاثة أيام مع الليلتين المتخللتين بينها على الأقل، ويمكن أنْ يكون أكثر من ذلك. ويمتنع فيه عن بعض المحللات كالنساء والطيب وغيرهما مما يذكره الفقهاء في رسائلهم العملية.

ويتأكد استحبابه في شهر رمضان وفي العشر الأواخر منه، والأفضل أنْ يكون في المسجد الحرام أو مسجد النبي أو الكوفة أو البصرة أو المسجد الجامع في البلد، على تفصيل مذكور في الكتب الفقهية.

ملاحظات في الصوم المستحب

وفي الختام يحسن بنا أنْ نذكر بعض الملاحظات العامة حول الصوم

---

(١) كما يفهم ذلك من رواية التهذيب، راجع جامع أحاديث الشيعة٩: ٤١٤، ح٢، وكذلك بقية أحاديث هذا الباب.

(٢) راجع وسائل الشيعة٥: ١٥٨، باب١٣.

المندوب:

الأولى: أنه يحسن كتمان الصوم وعدم التظاهر به، فقد روى الكليني بطريق مشهور عن أبي عبد الله قال: ((**من كتم صومه قال الله عزّ وجل لملائكته: عبدي استجار من عذابي فأجيروه، ووكل الله تعالى ملائكته بالدعاء للصائمين، ولم يأمرهم بالدعاء لأحد إلاّ استجاب لهم فيه**))[١].

الثانية: أنّ المؤمن إذا كان قد صام صوماً مستحباً ودخل على أخيه المؤمن فدعاه للأكل، يستحب له أنْ يفطر ويكون له بذلك الثواب الأفضل من الصوم، وفي بعض الروايات أنه يحسن به أنْ يكتم الصوم فلا يخبر به أخاه فيمنٍّ عليه بإفطاره[٢].

الثالثة: ورد في مجموعة من الروايات أنّ الزوجة لا يصح لها أنْ تصوم تطوعاً إلاّ بإذن زوجها، وكذلك نصت بعض هذه الروايات على أنّ الولد والضيف لا يحسن بهم أنْ يصنعوا ذلك إلاّ بإذن الوالد والمضيِّف[٣].

وهذه الأحكام لها مداليل وأبعاد اجتماعية وأخلاقية وتنظيمية كما هو واضح.

ثالثاً: الدعاء

الدعاء من أفضل العبادات، وقد ورد الحث عليه في القرآن الكريم في آيات عديدة منها قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾[٤]،

---

(١) الكافي٤: ٦٤، ح١٠.

(٢) راجع وسائل الشيعة٧: ١١٠، باب٨.

(٣) راجع الكافي٤: ١٥١، باب من لا يجوز له صيام التطوع إلا باذن غيره.

(٤) البقرة:١٨٦.

وقوله تعالى: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾[(١)]، وقوله تعالى: ﴿**قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً**﴾[(٢)]، وقوله تعالى: ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾[(٣)]، كما نقل القرآن الكريم الدعاء على لسان عدد من الأنبياء والصالحين من المؤمنين في مواقف حرجة، وكانت الاستجابة لهم بذلك.

وأصل الدعاء واجب من الواجبات الشرعية ولابدّ للمؤمن من الإتيان به وممارسته في الجملة، كما تدل على ذلك الآيات السابقة. وورد أيضاً في الحديث التأكيد لذلك.

فقد روى الكافي بطريق معتبر عن سدير، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: ((**قلت لأبي جعفر: أي العبادة أفضل؟ فقال: ما من شيء أفضل عند الله عزّ وجل من أنْ يُسأل ويطلب مما عنده، وما أحد أبغض إلى الله عزّ وجل ممن يستكبر عن عبادته ولا يسأل ما عنده**))[(٤)].

وفي رواية معتبرة رواها الكافي عن حماد بن عيسى، عن أبي عبد الله قال: ((**سمعته يقول: ادعُ ولا تقلْ قد فرغ من الأمر؛ فإنّ الدعاء هو العبادة. إنّ الله عزّ وجل يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾**))[(٥)].

---

(١) الأعراف:٥٥.

(٢) الفرقان:٧٧.

(٣) غافر: ٦٠.

(٤) الكافي٢: ٤٦٦، ح٢.

(٥) الكافي٢: ٤٦٧، ح٥.

وفي رواية معتبرة عن ميسر بن عبد العزيز، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **((قال لي: يا ميسر، ادعُ ولا تقلْ إنّ الأمر قد فرغ منه. إنّ عند الله عزّ وجل منزلة لا تُنال إلاّ بمسألة، ولو أنّ عبداً سدّ فاه ولم يسأل لم يعط شيئاً، فسلْ تعطَ. يا ميسر، إنه ليس من باب يقرع إلاّ يوشك أنْ يفتح لصاحبه))**[1].

وكذلك ورد أنّ الدعاء مفتاح كل رحمة ونجاح كل حاجة، وأنّه ترس المؤمن، وأنّه مخ العبادة، وأنّه إذا قل الدعاء نزل البلاء[2]. كما ورد أيضاً أنه سلاح المؤمن وعمود الدين، وأنّه يدفع شر الأعداء ويرد البلاء قبل نزوله وعند نزوله وبعد نزوله[3]، وأنّه شفاء من كل داء[4].

أسباب إجابة الدعاء

وقد ورد للدعاء آداب منها:

١. أنْ يرفع الداعي يديه في الدعاء والتضرع بتقليبهما، والتعبير بهما بحركات تنبئ عن التذلل والاستكانة والتبتل[5]، ومسح الوجه بهما والرأس والصدر بعده.

٢. الإقبال بالقلب حالة الدعاء وحضور القلب فيه وحسن النية.

٣. معرفة الله وحسن الظن به[6].

٤. الحمد والثناء والتمجيد لله تعالى قبل الدعاء.

---

(١) الكافي٢: ٤٦٦، ح٣.

(٢) الدعوات: ١٨، ح١٩.

(٣) الكافي٢: ٤٦٩، ح١.

(٤) الكافي٢: ٤٧٠، ح١.

(٥) جامع أحاديث الشيعة١٥: ١١٤، باب٥.

(٦) جامع أحاديث الشيعة١٥: ٢٢٠، ح١، ٦، ٧، ٩.

٥. الصلاة على رسول الله وآله الأطهار، فإنّ الدعاء محجوب حتى يصلي الداعي على محمد وآله[١].

٦. ختم الدعاء بالصلاة على النبيﷺ، فإنّه ورد في ذلك أنّه من كانت له إلى الله حاجة فليبدأ بالصلاة على محمد وآل محمد ثم يسأل حاجته، ثم يختم بالصلاة على محمد وآل محمد، فإنّ الله عزّ وجل أكرم من أنْ يقبل الطرفين ثم يدع الوسط؛ إذ كانت الصلاة على محمد وآله لا تحجب عنه[٢].

٧. البكاء أو التباكي وهو طلب البكاء ولو بمثل رأس الذبابة[٣].

٨. الإقرار والاعتراف بالذنوب والاستغفار منها[٤].

٩. التوسل إلى الله تبارك وتعالى بمحمد وآله الطاهرين[٥].

١٠. الاستغاثة بالله تعالى بأنْ يكرر يا الله أو يا رب أو يا سيداه، أو يا رحمن يا رحيم أو يا أرحم الراحمين عشر مرات قبل ذكر الحاجة، فإنّه ورد أنّه ما قالها أحد من المؤمنين قط إلاّ قال الله له: ((**لبيك عبدي سلْ حاجتك**))[٦].

١١. تسمية الحاجة وذكرها، ففي الحديث أنّ الله تبارك وتعالى يعلم ما يريد العبد إذا دعاه، ولكنه يحب أنْ تبث إليه الحوائج، فإذا دعوت فسمِّ حاجتك[٧].

---

(١) الكافي٢: ٤٩٣، ح١.

(٢) الكافي٢: ٤٩٤، ح١٦.

(٣) جامع أحاديث الشيعة١٥: ٢٢٤، باب٧.

(٤) الكافي٢: ٤٨٥، ح٣.

(٥) جامع أحاديث الشيعة١٥: ٢٤٤، باب١١.

(٦) جامع أحاديث الشيعة١٥: ٢٥٧، باب١٢.

(٧) الكافي٢: ٤٧٦، ح١.

١٢. الإلحاح بالدعاء والمعاودة فيه، فقد ورد أنّ الله يحب إلحاح الملحين في الدعاء[١].

١٣. الدعاء بالسر في الأُمور الخاصة، فقد ورد أنّ الدعوة في السر تعدل سبعين دعوة في العلن[٢].

١٤. أنْ يستسلم لأمر الله تعالى في دعائه ويقول: ((**ما شاء الله ولا حول ولا قوة إلاّ بالله**))[٣]، فقد ورد أنّ الله تعالى بعد أنْ يقول العبد ذلك يقول: ((**استبسل عبدي واستسلم لأمري، اقضوا حاجته**))[٤].

١٥. التوبة إلى الله تعالى والتقوى له والورع عن محارمه، فإنّه ورد أنّ من سره أنْ يستجاب له دعوته فليطب مكسبه، فإنّ الرجل يرفع اللقمة إلى فيه فما يستجاب له دعوة أربعين يوماً[٥].

١٦. الاجتماع للدعاء بعدد أربعين أو أربعة، فإنّ الاتفاق بينهم في الدعاء على أمر يكون من أسباب الاستجابة[٦]. وقد ورد أنّ الإمام الباقر عليه السلام إذا أحزنه أمر جمع النساء والصبيان ثم دعا وأمّنوا. وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: ((**الداعي والمؤمّن شريكان**)).

١٧. التعميم بالدعاء وعدم التخصيص لنفس الداعي، بل يعم به إخوانه المؤمنين، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: ((**إذا دعا أحدكم فليعم فإنه**

---

(١) انظر الكافي٢: ٤٧٤، باب الإلحاح في الدعاء.

(٢) جامع أحاديث الشيعة١٥: ٢٧٣، باب١٦.

(٣) الكافي٢: ٥٢١.

(٤) انظر مكارم الأخلاق: ٢٧٥، الباب العاشر.

(٥) الكافي٢: ٤٨٧، باب الاجتماع في الدعاء.

(٦) جامع أحاديث الشيعة١٥: ٢٩٨، باب٢٥.

أوجب للدعاء))[١]، كما ورد الحث على أنْ يقول الإنسان في دعائه: ((**اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات**)) وأنّ له بذلك ثواباً عظيماً[٢].

١٨. عدم تجاوز الحدود في الدعاء، أو الدعاء بغير الحق أو الإثم، فقد ورد ((**أنّ العبد ليكون مظلوماً فما يزال يدعو حتى يكون ظالماً**))[٣].

١٩. رد مظالم الناس التي في ذمته إليهم، فقد ورد أنّ الله تعالى يقول: ((**وعزتي وجلالي لا أجيب دعوة مظلوم دعاني في مظلمة ولأحد عنده مثل تلك المظلمة**))[٤].

٢٠. الطهارة والوضوء حال الدعاء.

٢١. استقبال القبلة حال الدعاء.

٢٢. التصدق قبل الدعاء.

٢٣. التقدم بالدعاء قبل نزول البلاء.

٢٤. التماس دعاء الإخوان المؤمنين له، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: ((**ليس شيء أسرع إجابة من دعوة غائب لغائب**))، وورد أنّ الله لا يحجب دعوة المؤمن لأخيه بظهر الغيب، بل يقال له: ((**ولك مثله**))[٥].

٢٥. أنْ يقدم في دعائه لنفسه الدعاء لأربعين مؤمناً، وهذا من التعميم في الدعاء ولكن بأسلوب خاص[٦].

---

(١) الكافي٢: ٤٨٧، ح١.

(٢) أمالي الصدوق: ٥٤١، ح٣.

(٣) الكافي٢: ٣٣٣، ح١٧.

(٤) ثواب الأعمال: ٢٧٢.

(٥) الكافي٢: ٥٠٩، ح٢.

(٦) أمالي الصدوق: ٥٤١، ح٤.

أسباب أُخرى للإجابة

مضافاً إلى ما مرّ من آداب وأسباب لإجابة الدعاء، هناك أسباب أُخرى ترتبط بوقت الدعاء أو بمكانه أو بالأحوال التي يكون عليها الداعي.

أمّا بالنسبة إلى وقت الدعاء فقد مرّ الإشارة إلى بعضها، وهذه الأوقات المباركة، هي: يوم الجمعة وليلته وآخر ساعة منه، والثلث الأخير من الليل، وشهر رمضان، وليالي القدر الثلاث منه خاصة ويتأكد ذلك في الليلة الثالثة والعشرين، وكذلك ليلة عرفة ويومها، فإنّ الدعاء فيه أفضل من الصوم، وإنما يستحب الصوم فيه إذا لم يضعفه عن الدعاء، وكذلك ليلة المبعث ويومه وليلة العيدين الفطر والأضحى، وليلة الغدير ويومه، وليلة أول رجب وليلة النصف من شعبان، وليلة النصف من رجب ويومها، ويوم مولد النبيّ صلى الله عليه وآله، وعند الزوال، وما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وكذلك عند غروبها، وعند هبوب الرياح وزوال الأفياء ونزول القطر، وأول قطرة من دم القتيل المؤمن، فإنّ أبواب السماء تفتح عند هذه الأشياء[1].

وكذلك عند قراءة القرآن وعند الأذان والتقاء الصفين للشهادة[2]، وعند دعوة المظلوم فإنّه ليس لها حجاب دون العرش[3].

وكذلك عند اقشعرار الجلد وعند إفاضة العبرة، وإذا كانت الشمس في كبد السماء أو زاغت، فإنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء ويرجى فيها

---

(١) انظر وسائل الشيعة٤: ١١٤، ح١.

(٢) انظر وسائل الشيعة٤: ١١٤، باب٢٣.

(٣) انظر أمالي الصدوق: ١٧١، ح٧.

العون من الملائكة والإجابة من الله تبارك وتعالى[١].

وفي أدبار الصلوات وبين الصلاتين وعند الإفطار[٢].

أماكن الدعاء

وأمّا بالنسبة إلى المكان ففي المسجد الحرام والمشاهد المشرفة في الحج في عدة مواضع، عند الميزاب من حجر إسماعيل، وعند المقام وعند الحجر الأسود وبين المقام والباب وجوف الكعبة، وعند بئر زمزم وعلى الصفا وعلى المروة وعند المشعر الحرام وعند الجمرات وعند رؤية الكعبة[٣].

وكذلك عند قبر النبيﷺ وفي مسجده، وخصوصاً الروضة وهي بين القبر والمنبر، وكذلك الحائر الحسيني والمساجد المشرفة كمسجد الكوفة.

أحوال الداعي

وأمّا بالنسبة إلى أحوال الداعي فدعاء الصائم لا يرد، ودعاء المريض ودعاء الحاج والمعتمر، وثلاثة نفر اجتمعوا عند أخ لهم يأمنون بوائقه ولا يخافون غوائله.

والمظلوم على ظالمه ولمن انتصر له، فقد ورد عن الصادقعليه السلام قال: ((**كان أبي يقول: اتقوا دعوة المظلوم؛ فإنّ دعوة المظلوم تصعد إلى السماء**))[٤].

والمؤمن المحتاج لأخيه إذا وصله، وعليه إذا قطعه مع استغناء أخيه

---

(١) انظر مكارم الأخلاق: ٣١٧.

(٢) الخصال: ٤٨٨، ح٦٥.

(٣) راجع بحار الأنوار٩٠: ٣٤٩، الباب الحادي والعشرون.

(٤) الكافي٢: ٥٠٩، ح٤.

وحاجته إلى رفده.

والمريض لعائده والسائل لمعطيه والمسافر، ودعاء الوالد لولده إذا بره وعليه إذا عقه، والإمام المقسط والجار لجاره[١].

أشخاص لا يستجاب دعاؤهم

وقد ورد في أحاديث أهل البيت عليهم السلام أنّ الدعاء إذا كان على خلاف القواعد والأُصول، والأسباب الطبيعية أو الشرعية التي وضعها الله تعالى تحت تصرف الإنسان لقضاء حاجته، وهو قادر بسعيه على تحقيق ما يريده من الله تعالى، فإنّ مثل هذا الدعاء لا يستجاب، وقد وردت نماذج في الحديث عن مثل هؤلاء الأشخاص وهم:

١. القادر على السعي للرزق وقد أمره الله تعالى بذلك، ولكنه يجلس في بيته ويدعو الله أنْ يرزقه.

٢. القادر على طلاق زوجته والخلاص منها وهي تؤذيه فلا يطلقها، بل يدعو عليها.

٣. المتساهل في توثيق ديونه بالإشهاد أو غيره على غرمائه، فيترك ذلك فينكره الغرماء فيدعو عليهم.

٤. القادر على تغيير داره فيؤذيه جاره فلا يغير داره ثم يدعو عليه.

٥. المفسد لماله الذي رزقه الله تعالى إياه فيتلف ماله ثم يدعو الله ليرزقه.

٦. المصرون على المعاصي وآكلو المال الحرام، وهم قادرون على التوبة والإنابة وترك أكل المال بالباطل، فإنه لا يستجاب دعاؤهم[٢].

وبهذا يمكن أنْ نفهم أنّ تغيير المجتمع الإنساني لما كان له سبب طبيعي هو

---

(١) بحار الأنوار ٩٠: ٣٤٩، الباب الحادي والعشرون.

(٢) الكافي ٢: ٥١٠، باب من لا تستجاب دعوته.

تغيير ما بالنفس بقاعدة ﴿**إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾.
فإنَّ ذلك لا يحصل بالدعاء، بل بأن يسعى المجتمع بتغيير نفسه، وعندئذ يكون الدعاء مؤثراً لإزالة الموانع الأُخرى أو تهيئة الأسباب الخارجة عن قدرة الإنسان.

تعليمات خاصة في الدعاء

وقد أدب أهل البيت عليهم السلام الجماعة الصالحة بأدب خاص في الدعاء مضافاً إلى ما سبق، فعلموهم كيف يدعون وماذا يقولون في دعائهم، وهناك نصوص كثيرة في هذا المجال يجدها المتتبع في مواضع عديدة نشير إلى بعضها:

الأول: الدعاء على الأعداء

لقد كان يبتلى أبناء الجماعة الصالحة بكثرة الأعداء والحاقدين، كما كان يبتلى بهم أئمة أهل البيت عليهم السلام، وكان الدعاء سلاح المؤمن عندما تضيق السبل بهم في مواجهة أعدائهم، وتتحدث لنا النصوص عن بعض الموارد التي كان يستخدمها أهل البيت وشيعتهم في هذا المجال.

عن رجال الكشي، عن المسمعي قال: ((**لما أخذ داود بن علي (العباسي) المعلى بن خنيس حبسه وأراد قتله، فقال له المعلى: أخرجني إلى الناس فإنّ لي ديناً كثيراً ومالاً حتى أشهد بذلك، فأخرجه إلى السوق فلما اجتمع الناس قال: يا أيها الناس، أنا معلى بن خنيس فمن عرفني فقد عرفني. اشهدوا أني ما تركت من مال عين أو دين أو أمة أو عبد أو دار أو قليل أو كثير فهو لجعفر بن محمد. قال: فشد عليه صاحب شرطة داود فقتله. قال: فلما بلغ ذلك أبا عبد الله عليه السلام خرج يجر ذيله حتى دخل على داود بن علي وإسماعيل ابنه خلفه، فقال: يا داود، قتلت مولاي وأخذت**

مالي. فقال: ما أنا قتلته ولا أخذت مالك. قال: والله لأدعونَّ الله على من قتل مولاي وأخذ مالي. قال: ما قتلته ولكن قتله صاحب شرطتي. فقال: أو بغير إذنك؟ فقال: بغير إذني. فقال: يا إسماعيل، شأنك به، فخرج إسماعيل والسيف معه حتى قتله في مجلسه.

قال حماد: فأخبرني المسمعي عن معتب قال: فلم يزل أبو عبد الله عليه السلام ليلته ساجداً وقائماً. فسمعته في آخر الليل وهو ساجد يقول: اللهم إني أسألك بقوتك القوية وبمحالك الشديدة، وبعزتك التي خلقك لها ذليل أنْ تصلّي على محمد وآل محمد وأنْ تأخذه الساعة الساعة. قال: فوالله ما رفع رأسه من سجوده حتى سمعنا الصائحة...))[1].

وعن سهل بن زياد، عن إسحاق بن عمار قال: ((**شكوت إلى أبي عبد الله عليه السلام جاراً لي وما ألقى منه قال: فقال لي: ادع عليه. قال: ففعلت فلم أرَ شيئاً، فعدت إليه فشكوت إليه فقال لي: ادع عليه. قال: فقلت: جعلت فداك، قد فعلت فلم أرَ شيئاً. فقال: كيف دعوت عليه؟ فقلت: إذا لقيته دعوت عليه. قال: فقال: ادع عليه إذا أدبر وإذا استدبر، ففعلت فلم ألبث حتى أراح الله منه))**[2].

وروى الكليني في الكافي، عن يونس بن عمار قال: ((**قلت لأبي عبد الله عليه السلام إنَّ لي جاراً من قريش من آل محرز قد نوه باسمي وشهرني، كلما مررت به قال هذا الرافضي يحمل الأموال إلى جعفر بن محمد. قال: فقال لي: فادع الله عليه إذا كنت في صلاة الليل وأنت ساجد في السجدة الأخيرة من الركعتين الأوليين، فاحمد الله عزّ وجل ومجّده وقل: اللهم إنَّ فلان بن فلان شهرني ونوه بي وغاظني وعرضني للمكاره، اللهم اضربه بسهم**

---

(١) بحار الأنوار ٤٧: ٣٥٢، ح٥٩.

(٢) الكافي ٢: ٥١٢، ح١.

عاجل تشغله به عني. اللهم وقرب أجله واقطع أثره، وعجل ذلك يا رب الساعة الساعة. قال: فلما قدمنا الكوفة قدمنا ليلاً فسألت أهلنا عنه قلت: ما فعل فلان؟ فقالوا: هو مريض، فما انقضى آخر كلامي حتى سمعت الصياح من منزله وقالوا: قد مات))[1].

الثاني: المباهلة

علّم أهل البيت عليهم السلام شيعتهم (مباهلة) الأعداء، عند الاحتجاج والمخاصمة وعدم التمكن من هدايتهم بالمنطق والموعظة الحسنة. وهذا الأسلوب مستلهم من القرآن الكريم في مباهلة النبي صلى الله عليه وآله لنصارى نجران.

فقد روى الكليني في الكافي، عن أبي مسروق، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **((قلت: إنّا نكلم الناس فنحتج عليهم بقول الله عزّ وجل: ﴿أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ فيقولون: نزلت في أمراء السرايا، فنحتج عليهم بقوله عزّ وجل: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ الله وَرَسُولُهُ﴾ إلى آخر الآية فيقولون: نزلت في المؤمنين، ونحتج عليهم بقول الله عزّ وجل: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ فيقولون: نزلت في قربى المسلمين، قال: فلم أدع شيئاً مما حضرني ذكره من هذه وشبهه إلاّ ذكرته، فقال لي: إذا كان ذلك فادعهم إلى المباهلة. قلت: وكيف أصنع؟ قال: أصلح نفسك ثلاثاً، وأظنه قال: وصم واغتسل وابرز أنت وهو إلى الجبّان، فشبك أصابعك من يدك اليمنى في أصابعه، ثم أنصفه وابدأ بنفسك وقل: اللهم رب السماوات السبع ورب الأرضين السبع، عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم، إنْ كان أبو مسروق جحد حقاً وادعى باطلاً فأنزل عليه**

---

(١) الكافي٢: ٥١٢، ح٣.

حسباناً من السماء أو عذاباً أليماً، ثم رد الدعوة عليه فقل: وإنْ كان فلان جحد حقاً أو ادعى باطلاً فأنزل عليه حسباناً من السماء أو عذاباً أليماً، ثم قال لي: فإنك لا تلبث أنْ ترى ذلك فيه. فو الله ما وجدت خلقاً يجيبني إليه))[١].

وفي رواية معتبرة عن أبي جعفر محمد بن النعمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**قال لي: خاصموهم وبينوا لهم الهدى الذي أنتم عليه وباهلوهم في علي عليه السلام**))[٢].

ويؤيد هذا الأُسلوب ما ذكرناه سابقاً في بحث النظام الأمني للجماعة الصالحة ونظام العلاقات، من أنّ أصل الدعوة إلى الحق واجب إلهي، وإنما منع أهل البيت شيعتهم - أحياناً - من ذلك مراعاة للظروف السياسية الخاصة التي كانت تواجهها الجماعة.

الثالث: التنبيه على مواطن الاشتباه في الدعاء

وقد اهتم أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة بالتنبيه على مواطن الاشتباه في الدعاء، ومخاطبة الله تعالى أو مناجاته. وقد وردت النصوص تشير إلى بعض النماذج من هذا التعليم والتنبيه.

فعن صفوان بن يحيى، عن الكاهلي قال: ((**كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام في دعاء الحمد لله منتهى علمه، فليس لعلمه منتهى، فكتب إليّ: لا تقولن منتهى علمه، ولكن قل: منتهى رضاه**))[٣].

وعن جعفر بن محمد عليهما السلام قال: ((**سمع أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً يقول:**

---

(١) الكافي٢: ٥١٣، ح١، والجملة الأخيرة من كلام أبي مسروق.

(٢) الحكايات: ٧٥، ح١٤.

(٣) الكافي١: ١٠٧، ح٣.

اللهم إني أعوذ بك من الفتنة. قال: أراك تتعوذ من مالك وولدك. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ ولكن قل: اللهم إني أعوذ بك من مضلات الفتن))[١].

وروى الكليني في الكافي، عن أبان بن عبد الملك قال: **((حدثني بكر الأرقط عن أبي عبد الله عليه السلام، أو عن شعيب، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه دخل عليه واحد فقال: أصلحك الله، إني رجل منقطع إليكم بمودتي، وقد أصابتني حاجة شديدة، وقد تقربت بذلك إلى أهل بيتي وقومي فلم يزدني بذلك منهم إلاّ بعداً. قال: فما آتاك الله خير مما أخذ منك. قال: جعلت فداك، ادع الله لي أنْ يغنيني عن خلقه. قال: إنّ الله قسم رزق من شاء على يدي من شاء، ولكن سل الله أنْ يغنيك عن الحاجة التي تضطرك إلى لئام خلقه))**[٢].

وفي رواية عن الإمام جعفر بن محمد عليهما السلام قال: **((كان رجل جالساً عند أبي فقال: اللهم أغننا عن جميع خلقك، فقال له أبي: لا تقل هكذا، ولكن قل: اللهم أغننا عن شرار خلقك؛ فإنّ المؤمن لا يستغني عن أخيه المؤمن))**[٣].

وعن الكليني في الكافي، عن أبي الحسن عليه السلام قال: **((نظر أبو جعفر عليه السلام إلى رجل وهو يقول: اللهم إني أسألك من رزقك الحلال، فقال أبو جعفر عليه السلام: سألت قوت النبيين. قل: اللهم إني أسألك رزقاً حلالاً واسعاً طيباً من رزقك))**[٤].

---

(١) أمالي الطوسي: ٥٨٠، ح٦.

(٢) الكافي٢: ٢٦٦، ح١.

(٣) جامع أحاديث الشيعة١٥: ٣٣٦، ح٣.

(٤) الكافي٢: ٥٥٢، ح٨.

الرابع: أفضل الدعاء ما جرى على اللسان

إنّ الدعاء تارة يُنشئه الإنسان من نفسه ليمجّد به الله ويثني عليه، أو ليعبر به عن عواطفه وأحاسيسه وحاجاته من الله تعالى.

وأُخرى: يدعو بالمأثور من الدعاء الذي ورد في صيغ مخصوصة عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، أو تضمنه القرآن الكريم.

وفي الوقت الذي علّم أهل البيت شيعتهم أساليب الدعاء من خلال النوع الثاني، لم يكتفوا بذلك، بل حثوا شيعتهم والجماعة الصالحة على ممارسة النوع الأول من الدعاء أيضاً؛ تربية وتعليماً لهم على الابتكار والإبداع في هذا العمل الصالح، وتأكيداً أنْ يكون الدعاء معبراً حقاً عن الحالة الوجدانية والروحية التي تتفاعل مع مشاعر الإنسان وحاجاته، رعاية لليسر والسهولة في الدعاء، وتلبية للحاجات الإنسانية دون التقيد بالحفظ أو النص المكتوب ومصاحبته.

وفي الوقت نفسه يبقى للدعاء بالمأثور مرتبته السامية، ودوره العظيم في التعليم والتزكية والتعبير، كما ذكرنا وسوف نشير إليه أيضاً.

فقد روى ابن طاووس عن كتاب الدعاء لسعد بن عبد الله بإسناده عن زرارة قال: ((**قلت لأبي عبد الله عليه السلام علمني دعاءً فقال: إنّ أفضل الدعاء ما جرى على لسانك**))[1].

وقد روى الصدوق في الخصال بإسناده عن محمد بن إسماعيل، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: ((**سبعة مواطن ليس فيها دعاء موقت: الصلاة على الجنائز، والقنوت، والمستجار، والصفا والمروة، والوقوف بعرفات، وركعتا**

(١) الأمان من أخطار الأسفار: ١٩.

الطواف))[١].

وتفسر بعض الروايات ذلك باليسر والسهولة.

فقد روى الكليني في الكافي والشيخ الطوسي في التهذيب عن بكر بن حبيب ((**قلت: أي شيء أقول في التشهد والقنوت؟ قال: قل بأحسن ما علمت، فإنه لو كان موقتاً لهلك الناس**))[٢].

وفي رواية أخرى: ((**لو كانوا كما يقولون واجباً على الناس هلكوا، إنما كان القوم يقولون أيسر ما يعلمون**))[٣].

النظرية في الدعاء

ومن خلال هذا الاستعراض للدعاء وشؤونه يمكن أنْ نكوّن نظرية عامة عن الدعاء نشير إلى معالمها باختصار.

١. إنّ الدعاء هو منهاج للتربية والتعليم والتزكية والتطهير، وتشخيص طريقة مخاطبة الإنسان لربه في تمجيده وحمده والثناء عليه، واللجوء إليه واستنزال الرحمة الإلهية وطلب الحاجات. وهذا ما يحققه بشكل واضح الدعاء بالمأثور والتعليمات الصادرة عن أهل البيت في أُسلوب الدعاء ووسائل إجابته.

٢. إنّ الدعاء هو تعبير عن موقف عملي للإنسان تجاه ربه وخالقه، وهو الإيمان بالله تعالى، والالتزام بعبادته، وكذلك تعبير عن إيمانه بالغيب، ودور عالم الغيب في حياة الإنسان المادية وارتباطها به؛ ولذا كان الدعاء من الواجبات الشرعية.

---

(١) الخصال: ٣٥٧، ح٤١.

(٢) الكافي٣: ٣٣٧، ح٢.

(٣) الكافي٣: ٣٣٧، ح١.

٣. إنّ هذا الكون الذي خلقه الله تعالى وفق نظام محكم شامل فيه جانب قهري تكويني، وفيه جانب اختياري إرادي يرتبط بالإنسان وإرادته ومسبباتها ونتائجها وآثارها.

ويدخل في ضمن هذا النظام الشامل الدعاء عاملاً مؤثراً في هذا النظام، من خلال العلاقة بين إرادة الإنسان وعمله وسلوكه، والإرادة الإلهية القادرة والمهيمنة على جميع هذا الوجود بما فيه الإنسان وإرادته. فتصبح هذه الإرادة الإلهية مستجيبة لإرادة هذا الإنسان وندائه وفق شروط وموازين وضوابط.

ومن هذه الشروط والضوابط:

أ) مستوى العلاقة بين الإنسان وربه من خلال عمله وسلوكه وتكامله في انسجامه مع الإرادة التشريعية - الأحكام الشرعية والحدود الإلهية - لله تعالى. فكلما كان الانسجام بين الإرادة التشريعية الإلهية وإرادة الإنسان في سلوكه كانت استجابة الإرادة التكوينية لله تعالى منسجمة مع دعاء الإنسان وإرادته ورغبته في الشيء.

ب) الإقبال من الإنسان على الله في موضع الحاجات وإحساسه بالفقر واللجوء إلى الله تعالى، وحسن الظن بالله ومعرفته به.

ج) بذل الإنسان لجميع طاقاته وجهده المشروع والميسور في سبيل الحصول على حاجته وانسداد الأبواب في طريق الوصول إلى حاجته. فالدعاء هو طلب إعمال الإرادة التكوينية لله تعالى في مجال كوني خارج عن إرادة الإنسان، وليس تعويضاً للإرادة الإنسانية بالإرادة الإلهية، وإلاّ لانتفت الحكمة الإلهية في خلق الإنسان مريداً.

د) عدم وجود الموانع الإرادية والاختيارية من قبل الإنسان في سلوكه وعمله، التي تقتضي حجب الدعاء والاستجابة والعون والمساعدة.

هـ) عدم وجود مصلحة أخرى في تأخير الاستجابة أو عدم تحققها تتعلق بالإنسان نفسه، أو بغيره من الناس الصالحين ((**ولعل الذي أبطأ عني هو خير لي لعلمك بعاقبة الأمور**))، ﴿**وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ**﴾[1].

وقد روى الكليني في الكافي بسند معتبر عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام قال: ((**قلت لأبي الحسن عليه السلام: جعلت فداك، إني قد سألت الله حاجة منذ كذا وكذا سنة، وقد دخل قلبي من إبطائها شيء، فقال: يا أحمد، إياك والشيطان أنْ يكون له عليك سبيل حتى يقنّطك. إنّ أبا جعفر صلوات الله عليه كان يقول: إنّ المؤمن يسأل الله عزّ وجل حاجة فيؤخّر عنه تعجيل إجابته حبّاً لصوته واستماع نحيبه.**

ثم قال: والله ما أخّر الله عزّ وجل عن المؤمنين ما يطلبون من هذه الدنيا خيرٌ لهم مما عجل لهم فيها، وأي شيء الدنيا؟ إنّ أبا جعفر عليه السلام كان يقول: ينبغي للمؤمن أنْ يكون دعاؤه في الرّخاء نحواً من دعائه في الشدّة، ليس إذا أعطي فتر، فلا تملّ الدعاء فإنّه من الله عزّ وجل بمكان.

وعليك بالصبر وطلب الحلال وصلة الرحم، وإياك ومكاشفة الناس فإنّا أهل البيت نصلُ من قطعنا ونحسن إلى من أساء إلينا، فنرى والله في ذلك العاقبة الحسنة.

إنّ صاحب النعمة في الدنيا إذا سأل فأعطي طلب غير الذي سأل وصغرت النعمة في عينه فلا يشبع من شيء، وإذا كثرت النعم كان المسلم من ذلك على خطر للحقوق التي تجب عليه وما يخاف من الفتنة فيها.

---

(١) البقرة:٢١٦.

أخبرني عنك لو أني قلت لك قولاً أكنت تثق به منّي؟ فقلت له: جعلت فداك، إذا لم أثق بقولك فبمن أثق وأنت حجة الله على خلقه؟ قال: فكن بالله أوثق فإنك على موعد من الله، أليس الله عزّ وجل يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، وقال: ﴿لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ﴾، وقال: ﴿وَاللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً﴾، فكن بالله عزّ وجل أوثق منك بغيره، ولا تجعلوا في أنفسكم إلاّ خيراً فإنه مغفورٌ لكم))[1].

الدعاء بالمأثور

لقد وردت نصوص كثيرة ومختلفة في الطول والقصر والمضمون والأسلوب عن أهل البيت عليهم السلام، تتضمن روائع وبدائع في الدعاء والمناجاة لله تعالى وحمده والثناء عليه، وتمجيده والاعتراف بين يديه والتوسل إليه واللجوء إلى حماه.

وتعتبر هذه الثروة الكبيرة المعنوية والأدبية والبيانية والروحية من مميزات مدرسة أهل البيت عليهم السلام، التي تدل بوضوح على مقامهم السامي وعلو درجاتهم وإمامتهم وفضلهم على الناس.

وقد أشرنا في الفصول والأبواب السابقة إلى عدد كبير منها، حيث وجدنا أنّ لهم في كل موطن وحال ومقام وزمان نصاً مأثوراً، وخصوصاً في العبادات والأوقات المباركة والأماكن المقدسة، فضلاً عن الشعائر.

مضافاً إلى ذلك كله توجد صحائف كثيرة ومطولة اشتملت على المأثور من الأدعية عنهم عليهم السلام.

---

(١) الكافي ٢: ٤٤٨، ح١.

وقد اشتهر من بين أئمة أهل البيت بشكل خاص في هذا المجال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والإمام علي بن الحسين عليهما السلام، حيث كانت أدعية الصباح وكميل والمناجيات الخمس عشرة وغيرها، وكذلك الصحيفة العلوية مصداقاً لذلك.

كما توجد الصحيفة السجادية المعروفة مضافاً إلى دعاء أبي حمزة الثمالي، وما جمعه العلماء من دعاء الإمام زين العابدين، فكان المجموع ست صحف منسوبة إليه سلام الله عليه.

ولكن أهل البيت عليهم السلام هم من نور واحد، ولذلك نجد بعض الأدعية الأُخرى لهذا الإمام أو ذاك مما يعبر عن هذه الحقيقة، كما نجد ذلك في دعاء الإمام الحسين في عرفة، ودعاء البهاء للإمام الباقر، ودعاء الافتتاح المنسوب للحجة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، والزيارة الجامعة المنسوبة للإمام الهادي عليه السلام، وغيرها من النصوص الأُخرى.

واستقصاء الحديث عن المأثور وذكر عناوينه يحتاجان إلى الكتب المطولة، ولذلك نجد أنّ علماء الجماعة الصالحة - خصوصاً في العهود الأُولى - كتبوا كتباً مطولة اختصت بهذا الأمر خارج كتب الحديث المعروفة، ويمكن الرجوع إليها.

ولكن هنا نشير إلى بعض العناوين المعروفة من هذه الأدعية، والتي يمكن أنْ يجدها المؤمن في كتاب مفاتيح الجنان المنتشر بين الناس، فضلاً عن كتب مصباح المتهجد للشيخ الطوسي أو المصباح للكفعمي، أو الإقبال للسيد ابن طاووس أو غيرها.

ومن هذه الأدعية المعروفة دعاء كميل، ودعاء السمات، ودعاء العشرات، ودعاء الصباح، ودعاء الجوشن الكبير، ودعاء الجوشن الصغير، ودعاء المشلول، ودعاء المجير، ودعاء يستشير، والمناجاة الخمس عشرة،

ودعاء الافتتاح، ودعاء البهاء، ودعاء أبي حمزة الثمالي، ودعاء السحر، والمناجاة الشعبانية، ودعاء مكارم الأخلاق.

وهناك أدعية عرف تداولها ولم تنسب إلى الأئمة، مثل دعاء الندبة.

إنّ هذه النصوص بمجموعها تمثل مدرسة ومنهاجاً عملياً تطبيقياً يعيشه الإنسان في تفاصيل حياته، تربيه على مخاطبة الله وتعرفه صفات الله ونعمه وعطاياه، وتحثه على الورع والتقوى وعلى التوبة والإنابة، وعلى مكارم الأخلاق ومعالجة شهوات النفس ونوازعها ومجاهدة هذه الشهوات والانحرافات، وتبين له مواطن الخلل في سلوكه، وتعرفه الأعمال الصالحة والسلوك الشرعي الراقي، وتكشف له وسائل الشيطان ومداخله التي يدخل منها إلى الإنسان، إلى غير ذلك مما يحتاجه الإنسان في حياتيه الدنيا والآخرة.

رابعاً: الذكر

نقصد من الذكر مجموع الكلمات التي يذكر بها الله تعالى بالثناء والتمجيد أو الاستعانة، من قبيل الحمد لله، وبسم الله، وما شاء الله، والله أكبر، ولا إله إلاّ الله، وسبحان الله...الخ.

وكذلك يقصد منه الاستغفار وإعلان التوبة والإنابة لله من الذنوب والمعاصي، وأيضاً الدعاء بالصلاة على النبي محمد وآله[1].

---

(١) الظاهر أنّ الاستغفار والصلاة على الأنبياء من الدعاء وليس من الذكر، ولكنها تذكر لمشابهتها الذكر في البناء اللفظي في جمل قصيرة (استغفر اللّه ربي وأتوب إليه)، و(اللّهم صلّ على محمد وآل محمد)، وأيضاً لأنه ورد في استحبابها تكرارها في بعض المواضع مرات عديدة، شأنها في ذلك شأن الذكر، ولذا يتم الحديث عنها في هذا الباب، كما أنه ورد في بعض الروايات أنّ الصلاة على النبيﷺ تعوض عن ذكر اللّه وتسبيحه. منهقدس سره.

والذكر بهذا المعنى الواسع عبادة من العبادات الإسلامية الواجبة التي حث عليها القرآن الكريم في كثير من آياته، أو جاءت نصوصها في آياته، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ۞ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾(١).

وقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ ۞ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(٢).

وقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(٣).

وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾(٤).

وقال: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾(٥).

وقال: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا

---

(١) الإنسان:٢٥ – ٢٦.

(٢) آل عمران:١٩٠ – ١٩١.

(٣) آل عمران:١٣٥.

(٤) النساء:٦٤.

(٥) هود:٣.

عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[١].

وقال: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ۝ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾**[٢].

وقد ورد في الحديث المعتبر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: **((مكتوب في التوراة التي لم تغيّر أنّ موسى عليه السلام سأل ربه فقال: يا رب، أقريب أنت مني فأناجيك، أم بعيد فأناديك؟ فأوحى الله عزّ وجل إليه: يا موسى، أنا جليس من ذكرني. فقال موسى: فمن في سترك يوم لا ستر إلاّ سترك؟ فقال: الذين يذكرونني فأذكرهم ويتحابون فيّ فأحبهم، فأولئك الذين إذا أردت أنْ أُصيب أهل الأرض بسوء ذكرتهم فدفعت عنهم بهم))**[٣].

وروى الكليني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **((قال رسول الله صلى الله عليه وآله من أكثر ذكر الله عزّ وجل أحبه الله، ومن ذكر الله كثيراً كتبت له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق))**[٤].

وروي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خرج على أصحابه فقال: **((ارتعوا في رياض الجنّة. قالوا: يا رسول الله، وما رياض الجنة؟ قال: مجالس الذكر، اغدوا وروحوا واذكروا، ومن كان يحب أنْ يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده، فإنّ الله تعالى ينزل العبد حيث أنزل العبد الله من نفسه. واعلموا أنّ خير أعمالكم وأزكاها وأرفعها في درجاتكم، وخير ما طلعت**

---

(١) الأحزاب: ٥٦.

(٢) الأحزاب: ٤١ – ٤٣.

(٣) الكافي ٢: ٤٩٦، ح٤.

(٤) الكافي ٢: ٥٠٠، ح٣.

عليه الشمس ذكر الله سبحانه، فإنّه أخبر عن نفسه فقال: أنا جليس من ذكرني، وقال سبحانه: فاذكروني أذكركم بنعمتي، واذكروني بالطاعة والعبادة أذكركم بالنعم والإحسان والرحمة والرضوان))[1].

أقسام الذكر

ويحسن بنا تقسيم البحث في الذكر إلى ثلاثة أقسام:

الأول: الذكر بالمعنى الخاص.

الثاني: الاستغفار.

الثالث: الصلاة على النبيﷺ وبقية الأنبياء والمؤمنين.

الأول: الذكر بالمعنى الخاص

الذكر بالمعنى الخاص هو كل ذكر لله تعالى بأسمائه أو صفاته أو الثناء عليه أو تمجيده وتحميده، ولكن ورد في النصوص أنّ هناك مفردات خاصة للذكر تحظى بأهمية خاصة في هذا الموضوع. نذكر أهمها، وهي:

١. البسملة

البسملة آية من القرآن الكريم، بل هي آية في كل سور القرآن الكريم عدا براءة. وقد جاء في بعض الروايات أنها أفضل الآيات، فقد روى الشيخ الطوسي في التهذيب بسند معتبر عن محمد بن مسلم قال: **((سألت أبا عبد الله عليه السلام عن السبع المثاني والقرآن العظيم هي الفاتحة؟ قال: نعم، قلت: بسم الله الرحمن الرحيم من السبع؟ قال: نعم، أفضلهن))**[2].

---

(١) عدة الداعي: ٢٣٨، الباب الخامس.

(٢) تهذيب الأحكام٢: ٢٨٩، ح١٣.

وفي حديث آخر عن الباقر عليه السلام قال: ((**بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من ناظر العين إلى سوادها**))[١].

وفي رواية أُخرى: ((**أول كل كتاب نزل من السماء بسم الله الرحمن الرحيم فإذا قرأت بسم الله الرحمن الرحيم فلا تبالي ألا تستعيذ. وإذا قرأت بسم الله الرحمن الرحيم سترتك فيما بين السماء والأرض**))[٢].

ولأهمية البسملة في نظر أهل البيت عليهم السلام تحولت إلى علامة وشعار للجماعة الصالحة يمتازون بها عن بقية المسلمين، حيث يمكن أنْ نلاحظ هذا الأمر في الأُمور التالية:

١. الالتزام بقراءتها في الصلاة جزءاً من سورة الفاتحة ومن كل سورة.

٢. الجهر بالبسملة في الصلاة حتى الإخفاتية منها، وهذا ما تحدثنا عنه في بحث الصلاة اليومية.

عن الحكم بن عمير قال: ((**صليت خلف النبي صلى الله عليه وآله فجهر في الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم في صلاة الليل وصلاة الغداة وصلاة الجمعة**))[٣].

٣. الالتزام بأنّ البسملة هي جزء من جميع سور القرآن الكريم عدا براءة، كما نصت على ذلك الروايات الواردة عنهم عليهم السلام وعن رسول الله صلى الله عليه وآله، وكما يؤكده الرسم القرآني المتداول بين المسلمين، حيث يكتبون البسملة كما يكتبون الآيات القرآنية الأُخرى.

٤. الالتزام بذكر البسملة في مختلف شؤون حياتهم فضلاً عن البدء بها في الكتابة، بل يرون البدء بها في جميع أعمالهم كما ورد ذلك عن أئمتهم.

---

(١) تهذيب الأحكام٢: ٢٨٩، ح١٥.

(٢) الكافي٣: ٣١٣، ح٣.

(٣) الدر المنثور١: ٨.

فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((**كل أمر ذي بالٍ لا يذكر بسم الله فيه فهو أبتر**)). وفي رواية أُخرى: ((**كل كتاب لا يبدأ فيه بذكر الله تعالى، فهو أقطع**))[1].

وقد عرف شيعة أهل البيت عليهم السلام بهذا حتى أصبح الجهر بالبسملة من علامات المؤمن الخمس، كما ذكرنا آنفاً في البحث السابق.

٢. الاستعاذة

الاستعاذة هي قول: ((**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**))، أو ((**أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم**)) أو أي صفة أُخرى[2].

وقد وردت الإشارة إليها في القرآن الكريم عند البدء بقراءة القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾[3].

وقد ورد في الروايات عن صلاة بعض أئمة أهل البيت أنهم كانوا يأتون بها في الصلاة قبل البسملة وعند قراءة القرآن أيضاً.

كما في رواية قرب الإسناد عن حنان بن سدير قال: ((**صليت خلف أبي عبد الله المغرب، قال فتعوذ جهاراً: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وأعوذ بالله أنْ يحضرون، ثم جهر ببسم الله الرحمن الرحيم**))[4].

وقد ذكر الطبرسي في مجمع البيان أنّ الاستعاذة عند التلاوة مستحبة غير

---

(١) جامع أحاديث الشيعة١٥: ٣٧٨، ح٤، ٥.

(٢) نور الثقلين٣: ٨٤، ح٢١٩، ٢٢٠.

(٣) النحل: ١٦.

(٤) قرب الإسناد: ١٢٤، ح٤٣٦.

واجبة بلا خلاف في الصلاة وخارجها[1].

وقد روى الكليني في الكافي بإسناده، عن فرات بن أحنف، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ((**سمعته يقول: أول كل كتاب نزل من السماء بسم الله الرحمن الرحيم، فإذا قرأت بسم الله الرحمن الرحيم فلا تبالي ألاّ تستعيذ**))[2].

٣. التهليل

التهليل هو قول ((**لا إله إلاّ الله**))، أو ((**لا إله إلاّ هو**))، وقد ورد في القرآن الكريم في عدة مواضع منها قوله تعالى: ﴿**شَهِدَ الله أَنَّهُ لا إِلَهَ إلا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إلا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾))[3].

والشهادة به هو جزء من الشهادتين اللتين تتكرران في الأذان والإقامة، وتجبان في الصلاة عند التشهد.

وقد وردت روايات عديدة في فضله تتضمن أنّه ليس شيء أعظم وأفضل وأرجح وأثقل من شهادة أنْ لا إله إلاّ الله، كما ورد في حديث سلسلة الذهب المعروف عن الإمام الرضا، الذي حدّث به الناس في نيسابور عند مقدمه إلى خراسان أنه قال عن آبائه، عن رسول الله، عن جبرائيل، عن الله: ((**شهادة لا إله إلاّ الله حصني، من قالها مخلصاً من قلبه دخل حصني، ومن دخل حصني أمن من عذابي**))[4].

وأنَّ هذه الشهادة هي أفضل الكلام وسيد القول، وأنَّ من قالها صادقاً

---

(١) مجمع البيان٦: ١٩٨.

(٢) الكافي٣: ٣١٣، ح٣.

(٣) آل عمران: ١٨.

(٤) عيون أخبار الرضا١: ١٤٧، ح٢.

استوجب الجنة، ومن قالها كاذباً عصمت ماله ودمه وكان مصيره إلى النار[1].

ومن هنا أصبح التهليل شعار المسلمين في الدنيا، وشعارهم أيضاً على الصراط يوم القيامة، حسب ما أشارت إليه الروايات[2].

وانطلاقاً من ذلك أصبح للجهر بها ثواب عظيم مضاعف.

فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: ((**ما من مسلم يقول: لا إله إلاّ الله يرفع بها صوته فيفرغ، حتى تتناثر ذنوبه تحت قدميه كما تتناثر ورق الشجر تحتها**))[3].

ولاشك أنّ ضم الشهادة الثانية لها وهي أنّ محمداً رسول الله يزيد في الأجر والثواب.

كما ورد في بعض الروايات بيان ثواب الشهادتين أنّه كتابة ألف ألف حسنة، وأنّه نجاة من النار ويوجب دخول الجنة[4].

٤. الحمد لله

الحمد لله أول ما يفتتح به العبد صلاته في سورة الفاتحة بعد البسملة. وقد أدبنا القرآن الكريم به، كما أنّه آخر دعوى المؤمنين وكلامهم: ﴿**وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[5].

وقد ورد في القرآن الكريم مكرراً على لسان الأنبياء والصالحين، والحمد

---

(١) انظر وسائل الشيعة٤: ١٢٢٦، ح١٤.

(٢) انظر بحار الأنوار٩٠: ٢٠٤، ح٤٣.

(٣) ثواب الأعمال: ٦٠.

(٤) انظر الكافي٢: ٥١٨.

(٥) يونس: ١٠.

هو أحب الأعمال لله تعالى.

فقد روى الكليني في الكافي عن محمد بن مروان قال: ((**قلت لأبي عبد الله عليه السلام أي الأعمال أحب إلى الله عزّ وجل؟ فقال: أنْ تحمده**))[1].

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكثر من الحمد في الصباح والمساء[2].

٥. التسبيح لله

ورد التسبيح لله تعالى في القرآن الكريم في مواضع عديدة، وبه افتخر الملائكة عندما أرادوا لأنفسهم أنْ يكونوا خلفاء الله في الأرض: ﴿**قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ**﴾[3].

كما أنّ التسبيح لله تعالى يمثل ظاهرة كونية تشمل كل الكائنات حسب ما أكده القرآن الكريم: ﴿**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً**﴾[4].

وقد جاء الحث في القرآن الكريم للنبي والمؤمنين على التسبيح لله تعالى: ﴿**فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ**﴾[5].

وقد وردت روايات عديدة في فضل التسبيح. منها ما رواه في السرائر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: ((**ما من كلمة أخف على اللسان ولا أبلغ**

---

(١) الكافي٢: ٥٠٣، ح٢.

(٢) انظر الكافي٢: ٥٠٣، باب التحميد والتمجيد.

(٣) البقرة: ٣٠.

(٤) الإسراء: ٤٤.

(٥) الحجر: ٩٨.

من سبحان الله...))[1]. وكذلك ما رواه الصدوق في ثواب الأعمال عن الصادق عليه السلام قال: ((**من قال سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده كتب الله له ثلاثة آلاف حسنة ومحا عنه ثلاثة آلاف سيئة، ورفع له ثلاثة آلاف درجة، ويخلق منها طائراً في الجنة يسبح الله وكان أجر تسبيحه له**))[2].

٦. التكبير لله

لقد ورد الحديث عن التكبير في القرآن في عدة مواضع، كما في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۞ قُمْ فَأَنْذِرْ ۞ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ**﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿**وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا الله عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿**وَقُلِ الْحَمْدُ لله الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً**﴾[5].

والتكبير هو شعار المسلمين أيضاً؛ لأنه ورد في الأذان عدة مرات، وكذلك في الإقامة للصلاة. وبدء الصلاة والإحرام بها يكون بالتكبير، وكذلك الانتقال من فعل إلى آخر في الصلاة يكون بالتكبير.

وقد ورد في فضله أنّه قرن بالتهليل في الفضل في بعض الروايات، حيث إنه ليس شيء أحب إلى الله تعالى من التهليل والتكبير، وأنّ ثمنه الجنة، وأنّه

---

(١) مستطرفات السرائر: ٦٠١.

(٢) ثواب الأعمال: ١٢.

(٣) المدثر: ١ – ٣.

(٤) البقرة: ١٨٥.

(٥) الإسراء: ١١١.

يكفّر الذنوب[١].

والتكبير هو قرين التسبيح والحمد والتهليل في التسبيحات الأربع المعروفة التي ورد فيها ثواب وفضل كبيران[٢]، ويعوض الإتيان بها عن الفاتحة في الركعتين الأخيرتين من الصلاة.

٧. الحوقلة

الحوقلة: هي قول لا حول ولا قوة إلاّ بالله. وقد وردت الإشارة إليها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ الله لا قُوَّةَ إلا بِالله**﴾[٣].

وقد وردت روايات عديدة تؤكد أنّ هذا الذكر له فضل كبير في دفع الهم والحزن والوسوسة والفقر، وفي عدة روايات أنها كنز من كنوز الجنة، وأنّ قولها يسقط الذنوب حيث يخرج الإنسان منها كيوم ولدته أُمه[٤].

٨. المشيئة

المشيئة هي: قول ما شاء الله، وقد ذكرها القرآن الكريم في الآية ٣٩ من سورة الكهف، وقد عرفنا فضلها الكثير في بحث الدعاء، وأنها تعبر عن التسليم للإرادة الإلهية. وقد وردت هذه الصيغة في بعض الأذكار المؤقتة،

---

(١) انظر الكافي٢: ٥٠٦، ح٢.

(٢) جامع أحاديث الشيعة١٥: ٣٩٩، باب١٧، خصوصاً الرواية الأُولى وهي معتبرة السند، وكذلك باب ١٨، والظاهر أنّ هذه التسبيحات هي أفضل الذكر على الإطلاق لما اشتملت عليه من الأشكال الأربعة للذكر، ولأنها تأتي عوض الفاتحة وهي أفضل سورة في القرآن الكريم، مضافاً إلى ما ورد في فضلها والله أعلم. منه ﷻ.

(٣) الكهف:٣٩.

(٤) انظر أمالي الصدوق: ٦٥١، مجلس ٨٢.

كما عرفنا ذلك خصوصاً في أعمال شهر رجب.

٩. الاسترجاع

الاسترجاع هو: قول إنّا لله وإنّا إليه راجعون، وهو ذكر يقوله الإنسان عند المصيبة كما ورد ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۞ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾[١]. وقد ورد في معنى الاسترجاع عن علي عليه السلام أنه قال للأشعث بن قيس لما سمعه يسترجع: ((**أتدري ما تأويلها؟ فقال الأشعث: لا، أنت غاية العلم ومنتهاه، فقال له: أما قولك: إنّا لله فإقرار منك بالملك، وأمّا قولك: وإنّا إليه راجعون فإقرار منك بالهلاك**))[٢].

كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله في أهمية الاسترجاع وفضله أنّه خصلة وصفة تجعل الإنسان في دائرة نور الله الأعظم[٣].

ويبدو من بعض الروايات أنّ الاسترجاع من الآداب التي اختص الله بها تعالى الأُمة الإسلامية الخاتمة. فقد ورد في تفسير علي بن إبراهيم أنّ أبا عبد الله الصادق عليه السلام سئل: ((**ما بلغ من حزن يعقوب على يوسف؟ قال: حزن سبعين ثكلى بأولادها. وقال: إنّ يعقوب لم يعرف الاسترجاع، ومن هنا قال: وا أسفاه على يوسف**))[٤].

---

(١) البقرة:١٥٦ – ١٥٧.

(٢) نور الثقلين١: ١٤٤، ح٤٥٥ عن أُصول الكافي، وكذلك ورد هذا المضمون في نهج البلاغة عن علي عليه السلام.

(٣) انظر المحاسن١: ٨، ح١٩.

(٤) تفسير القمي١: ٣٥٠.

وللاسترجاع آثار وفوائد كثيرة تحدثت عنها الآية القرآنية، وأكدتها الروايات عن أهل البيت عليهم السلام، فإنّ فيه الصلوات من الله تعالى والرحمة الإلهية والهداية كما أشارت إلى ذلك الآية الكريمة.

كما أنّ فيه المغفرة من الله تعالى وجبران المصيبة وحسن العاقبة والخلف الصالح. وفي تكرارها عند تذكر المصيبة الأجر والثواب، وكذلك لقولها عند حدوث المصيبة[١].

الثاني: الاستغفار

ورد الاستغفار في القرآن الكريم في عدة مواضع، سواء بلسان الحث عليه والترغيب فيه ببيان آثاره وفوائده المادية والمعنوية، كما في قوله تعالى: **﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾**[٢]، **﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾**[٣].

أم بلسان الدعاء على لسان الصالحين، كما في قوله تعالى: **﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْأِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾**[٤].

أم بلسان التأكيد لوجود فرصة التوبة والمغفرة في كل الظروف: **﴿قُلْ يَا**

---

(١) انظر الكافي٣: ٢٢٤، باب الصبر والجوع والاسترجاع.

(٢) هود:٣.

(٣) هود:٥٢.

(٤) الحشر:١٠.

عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ الله إِنَّ الله يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾[١].

إلى غير ذلك من الأساليب والصيغ مثل صيغة بيان أسباب المغفرة وحصولها، أو صيغة انقطاع مهلة المغفرة وانسداد أبوابها، أو توضيح الطريق لحصول المغفرة ووقوعها.

وقد ورد في فضل الاستغفار وآثاره روايات عديدة، منها أنّه خير الدعاء، كما ورد فيه أيضاً: ((**إنّ للقلوب صدأ كصدأ النحاس فاجلوها بالاستغفار**))[٢]، وكذلك ((**إذا أكثر العبد من الاستغفار رفعت صحيفته وهو يتلألأ**))[٣].

والاستغفار واجب أيضاً، لأنه يعبر عن التوبة إلى الله تعالى والإنابة إليه من الذنب الذي يرتكبه الإنسان[٤].

والتوبة إلى الله تعالى التي يعبر عنها الاستغفار من الواجبات الشرعية

---

(١) الزمر:٥٣.

(٢) عدة الداعي: ٢٤٩.

(٣) الكافي٢: ٥٠٤، ح٢.

(٤) الذنوب التي يرتكبها الإنسان أو يشعر بها ويستغفر اللّه منها لها درجات ومراتب، حيث قد يكون ذنباً كبيراً أو حتى شركاً باللّه تعالى خفياً أو ظاهراً، فيرجع عنه الإنسان إلى اللّه تعالى، وقد يكون ذنباً صغيراً من اللمم كما يعبّر القرآن الكريم، وقد يكون غفلة ونسياناً أو تركاً لما هو أولى وأفضل فيشعر الإنسان الصالح الطاهر أنه قد أساء وأذنب، وقد يكون تقصيراً بإزاء اللّه تعالى في شكر نعمة أو أداء واجب أو وظيفة، أو في مواساة فقير أو أخ في اللّه، أو في ترك مودة مؤمن أو فعل مكروه وغير ذلك. وبعض هذه العناوين وإنْ لم يطلق عليها اسم الذنب في الاصطلاح الفقهي إلاّ أنه يكون مورداً لطلب المغفرة أيضاً، خصوصاً من أصحاب الدرجات العالية في الكمالات الإنسانية. منهﻗﺪﺱﺳﺮﻩ.

الإلهية، ولذلك فإنّ تركها معصية وذنب قد يحوّل الذنوب الصغيرة إلى ذنوب كبيرة. وفعلها حسنة يحوّل الذنوب الكبيرة إلى رحمة ومغفرة إلهية. فقد ورد في الحديث الشريف ((**لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار**))[١]. وقد فسر الإصرار في بعض الروايات بترك الاستغفار والتوبة[٢].

ففي رواية عن الإمام الصادقعليه السلام، عن أبيه الباقرعليه السلام، عن رسول اللهصلى الله عليه وآله قال: ((**أربع من كن فيه كان في نور الله الأعظم: من كانت عصمة أمره شهادة أنْ لا إله إلاّ الله وأني رسول اللهصلى الله عليه وآله، ومن إذا أصابته مصيبة قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ومن إذا أصاب خيراً قال: الحمد لله رب العالمين ومن إذا أصاب خطيئة قال: استغفر الله وأتوب إليه**))[٣].

وفي رواية معتبرة عن معاوية بن وهب قال: ((**سمعت أبا عبد اللهعليه السلام يقول: إذا تاب العبد توبة نصوحاً أحبّه الله فستر عليه في الدنيا والآخرة. قلت: وكيف يستر عليه؟ قال: ينسي ملكيه ما كتبا عليه من الذنوب، ويوحي إلى جوارحه: اكتمي عليه ذنوبه، ويوحي إلى بقاع الأرض: اكتمي ما كان يعمل عليك من الذنوب، فيلقى الله حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب**))[٤].

والتوبة (النصوح) في الروايات هي أنْ يكون باطن الرجل كظاهره أو أفضل[٥].

---

(١) الكافي٢: ٢٨٨، ح١.

(٢) انظر الكافي٢: ٢٨٨، ح٢.

(٣) الخصال: ٢٢٢، باب الأربعة.

(٤) الكافي٢: ٤٣٠، ح١.

(٥) انظر التفسير الصافي٥: ١٩٦.

وقد ورد في أهمية الاستغفار عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قوله: ((**ما من مؤمن يقارف في يومه وليلته أربعين كبيرة فيقول وهو نادم: استغفر الله الذي لا إله إلاّ هو الحيّ القيوم بديع السماوات والأرض ذا الجلال والإكرام، وأسأله أنْ يصلّي على محمد وآل محمد وأنْ يتوب عليّ إلاّ غفرها، ولا خير فيمن يقارف في يومه أكثر من أربعين كبيرة**))[1].

كما ورد فيه - أيضاً - أنه من أركان الإيمان[2].

حد الاستغفار

وقد ورد في حديث أهل البيت تشخيص (الحد) للاستغفار، وأنّه لابدّ أنْ يكون حقيقياً نابعاً من القلب والوجدان، مقروناً بالندم على الذنب وبالعزم على تركه. فقد جاء في تحف العقول في حديث كميل بن زياد مع أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه سأله: ((**قلت يا أمير المؤمنين، العبد يصيب الذنب فيستغفر الله منه، فما حد الاستغفار؟ قال: يا ابن زياد، التوبة. قلت: بس؟ قال: لا. قلت: كيف؟ قال: إنّ العبد إذا أصاب ذنباً قال: استغفر الله بالتحريك. قلت: وما التحريك؟ قال: الشفتان واللسان يريد أنْ يتبع ذلك بالحقيقة، قلت: وما الحقيقة؟ قال: تصديق القلب وإضمار أنْ لا تعود إلى الذنب الذي استغفر منه. قلت: فإذا فعلت ذلك فأنا من المستغفرين؟ قال: لا؛ لأنك لم تبلغ إلى الأصل بعد. قلت: فأصل الاستغفار ما هو؟ قال: الرجوع إلى التوبة من الذنب الذي استغفرت منه، وهي أول درجة العابدين. وترك الذنب والاستغفار اسم واقع لمعانٍ ست: أولها: الندم على ما مضى، والثاني: العزم على ترك العود أبداً، والثالث: أنْ**

---

(١) ثواب الأعمال: ١٦٩.

(٢) وسائل الشيعة١١: ٢٦٨، ح٩.

تؤدي حقوق المخلوقين التي بينك وبينهم، والرابع: أنْ تؤدي حق الله في كل فرض، والخامس: أنْ تذيب اللحم الذي نبت على السحت والحرام حتى يرجع الجلد إلى عظمه ثم تنشئ فيما بينهما لحماً جديداً، والسادس: أنْ تذيق البدن ألم الطاعات كما أذقته لذات المعاصي))[1].

المبادرة إلى الاستغفار

كما لابدّ في الاستغفار من المبادرة إليه وعدم التأخير، كما ورد في القرآن الكريم الإشارة إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ**﴾[2].

كما ورد في الروايات تأكيد على ذلك، ففي حديث معتبر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: ((**من عمل سيئة أُجّل فيها سبع ساعات من النهار، فإنْ قال: استغفر الله الذي لا إله إلاّ هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات لم تكتب عليه**))[3].

وفي حديث آخر معتبر عن زرارة قال: ((**سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ العبد إذا أذنب ذنباً أُجّل من غدوة إلى الليل، فإنْ استغفر الله لم تكتب عليه**))[4].

وعن الصادق عليه السلام قال: ((**لما نزلت هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ صعد إبليس جبلاً بمكة يقال له ثور، فصرخ بأعلى صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه، فقالوا: يا سيدنا**

---

(١) تحف العقول: ١٩٧.

(٢) آل عمران:١٣٥.

(٣) الكافي٢: ٤٣٨، ح٥.

(٤) وسائل الشيعة١١: ٣٥١، ح٤.

لِمَ دعوتنا؟ قال: نزلت هذه الآية فمن لها؟ فقام عفريت من الشياطين فقال: أنا لها بكذا وكذا، قال: لست لها، فقام آخر فقال مثل ذلك، فقال: لست لها، فقال الوسواس الخنّاس: أنا لها، قال: بماذا؟ قال: أعدهم وأُمنّيهم حتى يواقعوا الخطيئة، فإذا واقعوا الخطيئة أنسيتهم الاستغفار، فقال: أنت لها فوكّله بها إلى يوم القيامة))[١].

وفي رواية عن سفيان بن السّمط قال: ((**قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا أراد الله تعالى بعبد خيراً فأذنب ذنباً تبعه بنقمة ويذكره الاستغفار، وإذا أراد الله تعالى بعبد شراً فأذنب ذنباً تبعه بنعمة لينسيه الاستغفار ويتمادى به، وهو قول الله عزّ وجل: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾ بالنّعم عند المعاصي))**[٢].

كما أنّ أفضل الاستغفار ما يكون مقروناً بالإقرار بالذنب وتسميته بعنوانه واسمه الخاص أو بعنوانه العام.

روى الكليني، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ((**والله ما ينجو من الذنب إلاّ من أقر به. قال: وقال أبو جعفر عليه السلام: كفى بالندم توبة))**[٣].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: ((**لا والله ما أراد الله تعالى من الناس إلاّ خصلتين: أنْ يقرّوا له بالنعم فيزيدهم، وبالذنوب فيغفرها لهم))**[٤].

والذنب تمرد على الله تعالى وخروج عن طاعته وعبوديته، ولذلك إذا كان الذنب جهاراً أدى إلى العقوبة واستوجب لما هو الأشد منها، وأما إذا تستر به العبد حياءً من الله تعالى ومن الذنب فهو نوع من ضعف الإرادة

---

(١) أمالي الصدوق: ٥٥١، ح٥.

(٢) علل الشرائع٢: ٥٦١، ح١.

(٣) الكافي٢: ٤٢٦، ح١.

(٤) الكافي٢: ٤٢٦، ح١.

أمام الشهوات، ولكنه في نفس الوقت يعبر عن مكنون نفسي في الإنسان ينبئ عن الخشية، ويكون داعياً للإنابة والرجوع إلى الله تعالى وطلب المغفرة منه.

فقد روي عن الرضا، عن رسول الله ﷺ أنه قال: **((المستتر بالحسنة يعدل سبعين حسنة، والمذيع بالسيئة مخذول، والمستتر بالسيئة مغفور له))**[١].

وبهذا الاستعراض يمكن أنْ نعرف أهمية الاستغفار، وأنّه مضافاً إلى دوره في ذهاب السيئات والذنوب أو المنع عن تثبيتها، يعبر عن ركن من أركان الإيمان وتكامل في حركة الإنسان.

كما عرفنا أنّ الاستغفار باللسان وتكراره لابدّ أنْ يكون ذا مضمون قلبي ووجداني، وأنْ يكون معبراً عن التوبة النصوح.

وقد ورد في حديث معتبر عن الإمام الصادق عليه السلام قال: **((كان رسول الله ﷺ يستغفر الله عزّ وجل في كل يوم سبعين مرة ويتوب إلى الله عزّ وجل سبعين مرة. قال: قلت: كان يقول: استغفر الله وأتوب إليه؟ قال: كان يقول: استغفر الله، استغفر الله سبعين مرة ويقول: أتوب إلى الله، أتوب إلى الله سبعين مرة))**[٢].

الثالث: الصلاة على محمد وآله

لقد ورد الأمر بالصلاة على النبي في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا**

---

(١) مشكاة الأنوار: ٢٧٥.

(٢) الكافي٢: ٥٠٤، ح٥.

تَسْلِيماً﴾(١). ولذا فإنْ الصلاة عليه وآله من الواجبات الشرعية لدى جميع المسلمين، ولا تكمل الصلاة اليومية إلاّ بها حيث تجب في التشهد للصلاة.

وهنا نشير إلى بعض النصوص التي وردت في فضل الصلاة على محمدﷺ وآثارها وفوائدها وكيفيتها وحكمها عند ذكر النبيﷺ، وهذا الأمر مما يكاد يجمع عليه المسلمون، وإنْ كان أتباع أهل البيت يعيرونه أهمية خاصة، ويلتزمون به حتى أصبح أحد الشعائر المميزة لهم عن غيرهم.

وقد ورد في فضل الصلاة روايات عديدة، منها ما رواه الكليني في الكافي بطريق معتبر عن أحد الصادقينعليهما السلام قال: ((**ما في الميزان شيء أثقل من الصلاة على محمد وآل محمد. وإنّ الرجل لتوضع أعماله في الميزان فيميل به فيُخرج الصلاة عليه فيضعها في ميزانه فيرجح به**))(٢).

وقد ورد هذا المضمون بطرق متعددة وبيانات مختلفة، مثل ما روي عن رسول اللهﷺ: ((**أنا عند الميزان يوم القيامة، فمن ثقلت سيئاته على حسناته جئت بالصلاة عليّ حتى أثقل بها حسناته**))(٣)، ومثل ما روي عنهﷺ قوله: ((**لن يلج النار من صلى عليّ، ومن نسي الصلاة عليّ فقد أخطأ طريق الجنة**))(٤)، وعن الإمام الرضاعليه السلام: ((**وإنّ الصلاة تعدل عند الله عزّ وجل التسبيح والتهليل والتكبير**))(٥).

---

(١) الأحزاب: ٥٦.

(٢) الكافي٢: ٥٠٤، ح٥.

(٣) وسائل الشيعة٤: ١٢١٣، ح١١.

(٤) جامع أحاديث الشيعة١٥: ٤٦٣، ح٥.

(٥) عيون أخبار الرضا٢: ٢٦٥، ح٥.

فوائد الصلاة على محمد وآله

ومن فوائد الصلاة على النبي وآله أنها تمحق الخطايا وتهدم الذنوب هدماً، فقد روى الصدوق في ثواب الأعمال عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ((**الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله أمحق للخطايا من الماء للنار**))[1].

وكذلك روى الصدوق في عيون أخبار الرضا والأمالي: ((**إنّ الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله تهدم الذنوب هدماً**))[2].

كما أنّ من فوائدها أنها تذهب بالنفاق، فقد روى الكليني بسند معتبر وكذلك الصدوق عن الإمام الصادق، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ((**ارفعوا أصواتكم بالصلاة عليّ، فإنها تذهب بالنفاق**))[3].

وفي رواية أُخرى معتبرة رواها الكليني أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله: ((**الصلاة عليّ وعلى أهل بيتي تذهب بالنفاق**))[4].

كما أنّ من فوائد الصلاة على النبي وآله أنها موجبة للشفاعة، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله في وصيته لعلي عليه السلام: ((**يا عليّ، من صلى عليّ كل يوم أو كل ليلة وجبت له شفاعتي ولو كان من أهل الكبائر**))[5].

ومن فوائدها أنها تستنزل الرحمة الإلهية والصلاة من الله تعالى على قائلها، فقد وردت روايات عديدة بهذا المضمون، منها ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**إذا ذكر النبي صلى الله عليه وآله فأكثروا الصلاة عليه؛ فإنّه من صلى**

---

(١) ثواب الأعمال: ١٥٤.

(٢) أمالي الصدوق: ١٣١، ح٨.

(٣) الكافي٢: ٤٩٣، ح١٣.

(٤) الكافي٢: ٤٩٢، ح٨.

(٥) مستدرك الوسائل٥: ٣٣٤، ح١٥.

على النبي ﷺ صلاة واحدة صلى الله عليه ألف صلاة في ألف صف من الملائكة، ولم يبقَ شيء مما خلقه الله إلاّ صلى على العبد لصلاة الله عليه وصلاة ملائكته...))[1].

وكذلك ورد في آثار وفوائد هذه الصلاة ما ذكره في الجعفريات بإسناده عن علي عليه السلام قال: **((قال رسول الله ﷺ صلاتكم عليّ مجوزة لدعائكم ومرضاة لربكم وزكاة لأبدانكم))**[2].

كيفية الصلاة على النبي وآله

لقد تم التأكيد في النصوص على أنّ كيفية الصلاة على النبي ﷺ هي الصلاة على محمد وآله تشبيهاً لها بالصلاة على النبي إبراهيم وعلى آله. وقد وردت في ذلك روايات عديدة وبصيغ متعددة كلها تؤكد هذا المضمون نشير هنا إلى نصين منها:

الأول: ما رواه الصدوق في كتابه عيون أخبار الرضا بسند معتبر عن الريان بن الصلت قال: **((حضر الرضا عليه السلام مجلس المأمون بمرو، وقد اجتمع في مجلسه جماعة من علماء أهل العراق وخراسان، فقال المأمون: أخبروني عن معنى هذه الآية... إلى أنْ قال... أمّا الآية السابعة فقول الله عزّ وجل: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ قالوا: يا رسول الله، قد عرفنا التسليم عليك فكيف الصلاة عليك؟ فقال: تقولون: اللهم صلّ على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد. فهل بينكم معاشر الناس في هذا خلاف؟ فقالوا: لا. فقال المأمون: هذا مما لا خلاف فيه أصلاً وعليه إجماع**

---

(١) ثواب الأعمال: ١٥٤.

(٢) جمال الأسبوع: ١٥٩.

الأمة))[١].

الثاني: ما رواه الشيخ شرف الدين في الفوائد بسنده عن ابن أبي ليلى الفقيه المعروف، يقول: ((**لقيت كعب بن عجزة فقال: ألا أهدي لك هدية؟ إنّ رسول الله** ﷺ **خرج علينا فقلنا: يا رسول الله، قد علمتنا كيف السلام عليك فكيف الصلاة عليك؟ قال: قولوا: اللهم صلِّ على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد))**[٢].

كما ورد أيضاً التأكيد على إضافة (آل محمد) أو (أهل بيته) في هذه النصوص، وأنّ ترك هذه الإضافة ظلم لحق آل رسول الله، وأنّ النبي نهى عن الصلاة دون هذه الإضافة وسماها الصلاة المبتورة.

فقد روى الكليني في الكافي عن أبي القداح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**سمع أبي رجلاً متعلقاً بالبيت وهو يقول: اللهم صلِّ على محمد. فقال أبي: يا عبد الله، لا تبترها. لا تظلمنا حقنا. قل: اللهم صلِّ على محمد وأهل بيته))**[٣].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام، عن رسول الله ﷺ قال: ((**لا تصلوا عليَّ صلاة مبتورة، بل صلوا إلى أهل بيتي ولا تقطعوهم؛ فإنّ كل نسب وسبب يوم القيامة منقطع إلاّ نسبي))**[٤].

---

(١) عيون أخبار الرضا٢: ٢١٣.

(٢) جامع أحاديث الشيعة١٥: ٤٧٦، ح٦٢.

(٣) الكافي٢: ٤٩٥، ح٢١.

(٤) وسائل الشيعة٤: ١٢٢٢، ح١٧.

مواضع الصلاة على النبي وآله

وقد ورد في النصوص الإشارة إلى استحباب الصلاة على محمد وآله والآثار الوضعية المترتبة عليها في عدة مواضع:

١. الدعاء، فقد أشرنا سابقاً في بحث الدعاء إلى أهمية الصلاة على محمد وآله في بدايته وختمه، حيث إنه يرفع الدعاء بها.

٢. التعقيب بعد الصلاة فضلاً عن وجوب ذكرها في الصلاة عند التشهد.

٣. في ليلة الجمعة ويومها، وفي شهري رمضان وشعبان، وغيرها.

٤. الصلاة على النبي وآله عند ذكر الله تعالى.

فقد روى الكليني عن عبد الله بن عبد الله الدهقان قال: ((**دخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام فقال لي: ما معنى قوله: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾؟ قلت: كلما ذكر اسم ربه قام فصلى. فقال لي: لقد كلف الله عزّ وجل هذا شططاً. فقلت: جعلت فداك، فكيف هو؟ فقال: كلما ذكر اسم ربه صلى على محمد وآله**))[1].

٥. الصلاة على النبي وآله عند ذكر أحد من الأنبياء.

فقد روى عيسى بن عبيد، عن معاوية بن عمار قال: ((**ذكرت عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام بعض الأنبياء فصليت عليه، فقال: إذا ذكرت أحداً من الأنبياء فابدأ بالصلاة على محمد ثم عليه. صلى الله على محمد وآله وعلى جميع الأنبياء**))[2].

٦. الصلاة على النبي وآله عند آخر الكلام.

فقد روى محمد بن عمر بن محمد بن مسلم بن البراء الجعابي، قال:

---

(١) الكافي٢: ٤٩٩، ح١٨.

(٢) أمالي الصدوق: ٤٢٤، ح٨.

((حدثني أبو محمد الحسن بن عبد الله بن محمد بن العباس الرازي التميمي، قال: حدثني سيدي علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: حدثني أبي موسى بن جعفر، قال: حدثني أبي جعفر بن محمد، قال: حدثني أبي محمد بن علي، قال: حدثني أبي علي بن الحسين، قال: حدثني أبي الحسين بن علي، قال: حدثني أبي علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من كان آخر كلامه الصلاة عليّ وعلى علي دخل الجنة))[(١)].

٧. الصلاة على النبي وآله عند نسيان شيء حيث تكون سبباً لإضاءة القلب والتذكر.

روى أبو هاشم داود بن قاسم الجعفري، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام قال: ((**أقبل أمير المؤمنين** عليه السلام **ذات يوم ومعه الحسن بن علي** عليهما السلام **وسلمان الفارسي** رضي الله عنه. **إلى أنْ قال الحسن** عليه السلام: **وأمّا ما ذكرت من أمر الذكر والنسيان فإنّ قلب الرجل في حق وعلى الحق طبق، فإنْ صلى الرجل عند ذلك على محمد وآل محمد صلاة تامة انكشف ذلك الطبق عن ذلك الحق، فأضاء القلب وذكر الرجل ما كان نسيه، وإنْ هو لم يصلِّ على محمد وآل محمد أو نقص من الصلاة عليهم انطبق ذلك الطبق على ذلك الحق فاظلم القلب))**[(٢)].

النظرية ومواقع الذكر

ويبدو من الآيات الشريفة أنّه لا يوجد وقت خاص للذكر، وإنْ كان وقتا الصبح والمساء (البكرة والأصيل أو الغدوّ والعشي) هما الأفضل؛ لأنهما يمثلان البداية في أوقات الإنسان المقسمة على الليل والنهار.

---

(١) جامع أحاديث الشيعة١٥: ٤٩١، ح١.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ٣١٤، ح١.

ولكن مع ذلك نصت الآيات الكريمة والروايات الشريفة على الإطلاق في وقت الذكر. فمن الآيات التي تدل على الإطلاق قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً﴾**[1].

وقد جاء في الروايات ما يؤكد ذلك. فقد روى الكليني عن أبي القداح، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: **((ما من شيء إلاّ وله حد ينتهي إليه، إلاّ الذكر فليس له حد ينتهي إليه. فرض الله عزّ وجل الفرائض فمن أداهن فهو حدهن، وشهر رمضان فمن صامه فهو حده، والحج فمن حج فهو حده، إلاّ الذكر فإنّ الله عزّ وجل لم يرض منه بالقليل ولم يجعل له حداً ينتهي إليه. ثم تلا هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً ۞ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ فقال: لم يجعل الله عزّ وجل له حداً ينتهي إليه، قال: وكان أبي عليه السلام كثير الذكر. لقد كنت أمشي معه وإنّه ليذكر الله، وآكل معه الطعام وإنّه ليذكر الله، ولقد كان يحدّث القوم وما يشغله ذلك عن ذكر الله، وكنت أرى لسانه لازقاً بحنكه يقول: لا إله إلاّ الله، وكان يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتى تطلع الشمس، ويأمر بالقراءة من كان يقرأ منا، ومن كان لا يقرأ منا أمره بالذكر. والبيت الذي يُقرأ فيه القرآن ويذكر الله عزّ وجل فيه، تكثر بركته وتحضره الملائكة وتهجره الشياطين ويضيء لأهل السماء كما يضيء الكوكب الدري لأهل الأرض، والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن ولا يذكر الله فيه، تقل بركته وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين...))**[2].

ولكن مع ذلك كله شُخّصت في الروايات والنصوص مواقع وأوقات

---

(١) الأحزاب: ٤١.

(٢) جامع أحاديث الشيعة ١٥: ٣٥٩، ح٤٢.

للذكر، يبدو من خلالها أنّ الذكر فيها يكون أفضل وآكد بسبب الزمان أو الحال أو المكان أو الاستحقاق، ومنها الصباح والمساء. وهذا الإطلاق من ناحية والتخصيص من ناحية أُخرى يوضح لنا أبعاد النظرية الإسلامية في الذكر.

مواقع الذكر

وهنا نشير إلى بعض الموارد التي تم تأكيد الذكر فيها، ونذكر بعدها معالم النظرية في الذكر.

أمّا المواضع فهي التالية:

١. الذكر بحمد الله تعالى عند تظاهر النعم على الإنسان، وفي إلحاح الفقر بالحوقلة، فقد روى محمد بن يوسف قال: ((**حدثني محمد بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من تظاهرت عليه النعم فليقل الحمد لله رب العالمين، ومن ألح عليه الفقر فليكثر من قول لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم؛ فإنّه كنز من كنوز الجنة وفيه شفاء من اثنين وسبعين داء أدناها الهم**))[1].

٢. الذكر عند غفلة القلب وسهوه وفراغه من العواطف والأحاسيس، وإصابته بحالة الركود عندما يصبح كالخرقة البالية أو العظم النخر، فقد روى الكليني في الكافي عن أبي أُسامة قال: ((**زاملت أبا عبد الله عليه السلام. قال: فقال لي: اقرأ. قال: فافتتحت سورة من القرآن فقرأتها فرق وبكى، ثم قال: يا أبا أُسامة، ارعوا قلوبكم بذكر الله عزّ وجل واحذروا النكت؛ فإنّه يأتي على القلب تارات أو ساعات الشك من صباح ليس فيه إيمان ولا كفر شبه الخرقة البالية أو العظم النخر. يا أبا أُسامة، أليس ربما تفقدت قلبك فلا**

---

(١) أمالي الصدوق: ٦٥١، ح١٣.

تذكر به خيراً ولا شراً ولا تدري أين هو؟ قال: قلت له: بلى إنه ليصيبني وأراه يصيب الناس. قال: أجل ليس يعرى منه أحد. قال: فإذا كان ذلك فاذكروا الله عزّ وجل واحذروا النكت؛ فإنّه إذا أراد بعبد خيراً نكت إيماناً وإذا أراد به غير ذلك نكت غير ذلك. قال: قلت: ما غير ذلك جعلت فداك؟ ما هو؟ قال: إذا أراد كفراً نكت كفراً))[1].

٣. الذكر عند حدوث الوسوسة في القلب تجاه صفات الله تعالى أو خلقه، حيث يحسن له أنْ يقول لا حول ولا قوة إلاّ بالله، أو لا إله إلاّ الله، أو أي نحو من أنحاء الذكر[2].

٤. الذكر عند انشغال الناس بالأعمال كما في الأسواق، فإنّ له ألف حسنة، ويغفر الله له مغفرة لم تخطر على بال إنسان، كما ورد في الحديث[3].

٥. الذكر عند القيام من المجلس وختمه بقوله تعالى: ﴿**سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۞ وَالْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾، أو بقوله: ((**سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلاّ أنت أستغفرك وأتوب إليك**)).

٦. الذكر في الغافلين من الناس، فإنه يكون كالمقاتل في المحاربين والغازين أو عن الفارين[4].

٧. الذكر عندما ينظر الإنسان إلى المرآة، فيحمد الله تعالى على كمال الخلقة وحسن الصورة والزينة، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول

---

(١) الكافي٨: ١٦٧، ح١٨٨.

(٢) انظر جامع أحاديث الشيعة١٥: ٣٧٤، باب٩.

(٣) راجع الخصال: ٦١٤، حديث الأربعمائة.

(٤) انظر الكافي٢: ٥٠٢، ح١.

عند النظر في المرآة: ((**الحمد لله الذي أكمل خلقي وأحسن صورتي وزان مني ما شان من غيري، وهداني للإسلام ومنّ عليّ بالنبوة**))[١].

٨. الذكر في الملأ والخلاء (أي في الاجتماع والخلوة) وفي السر والعلن، فقد ورد في الحديث عن الصادق عليه السلام أنه قال: ((**شيعتنا الذين إذا خلوا ذكروا الله كثيراً**))[٢].

كما ورد في المحاسن عن أبي عبد الله عليه السلام قوله: ((**قال الله تعالى: ابن آدم، اذكرني في نفسك أذكرك في نفسي. ابن آدم، اذكرني في خلاء أذكرك في خلاء. ابن آدم، اذكرني في ملأ أذكرك في ملأ خير من ملأك. وقال: ما من عبد يذكر الله في ملأ من الناس إلاّ ذكره الله في ملأ من الملائكة**))[٣].

وهنا يحسن بنا أنْ نذكر أنّ بعض الروايات تشير إلى أنّ كل طاعة لله تعالى فهي ذكر لله، وأنّ كل معصية لله تعالى فهي نسيان لله[٤]، وبذلك يصبح للذكر معنىً أعمق من مجرد حركة اللسان، بل هو تذكّر الله والالتفات إليه وإلى وجوده وعلمه بأعمالنا، ومحاسبته لنا وثوابه وعقابه على هذه الأعمال.

كما أنّ بعض الروايات تشير إلى أنّ ذكر رسول الله والأئمة هو ذكر لله تعالى؛ لأن الله قرن رسوله بنفسه[٥].

---

(١) النوادر: ١١٢.

(٢) الكافي٢: ٤٩٩، ح٢.

(٣) المحاسن١: ٣٩، ح٤٥.

(٤) راجع وسائل الشيعة١١: ٢٠٣، ح١٣.

(٥) انظر وسائل الشيعة٤: ١٢١٥، باب٣٦.

النظرية

ومن خلال هذا الاستعراض لمواضع الذكر وآثاره تصبح أبعاد نظرية الذكر واضحة المعالم.

حيث يكون الذكر العامل الملازم للإنسان باستمرار في جميع أحواله وأوقاته، والمؤثر في تحقيق أهدافه في التكامل الدنيوي والأُخروي، سواء في جانب العلاقة مع الله تعالى أم في الجانب الروحي والنفسي والمحتوى الداخلي له، أم في جانب الإرادة وصفاتها وقوتها في مقاومة الهوى والضغوط، أم في جانب العمل والسلوك.

فإنّ الذكر بهذا المعنى الواسع الذي ذكرناه وعرفناه من خلال نصوصه ومواضعه وآثاره:

أ) يؤكد علاقة الإنسان بالله تعالى ويقوي رابطته به عزّ وجل، فيحصل بذلك أعلى الدرجات وأفضل الثواب.

ب) يكون الذكر علاجاً لأمراض النفس وشفاءً لما في الصدور، وتطهيراً للقلوب من الدنس وجلاءً لها من الصدأ.

ج) كما أنّ الذكر يكون تربية للإرادة على الصبر والثبات والتسليم والرضا والسلوة في المحن والآلام.

د) وفي الوقت نفسه يكون الذكر رادعاً للإنسان عن المعصية، وآمراً له بالطاعة وضماناً للتقوى والورع، والتزاماً بمنهج الحق في السلوك والعمل وفي القول والفعل، وذلك عندما يتذكر الإنسان حضور الله تعالى وعلمه بكل حركاته وسكناته، ويلتفت إلى ثوابه وعقابه.

بعض آثار الذكر الأُخرى وآدابه

ومن آثار الذكر مضافاً إلى ما عرفناه سابقاً هو أنّ الصاعقة لا تصيب

الذاكرين لله تعالى، كما ورد في بعض الأحاديث[١].

ومن آثاره - أيضاً - أنّ الإنسان إذا كانت له حاجة وانشغل عنها بذكر الله تعالى حتى نسيها أعطاه الله تعالى أفضل مما سأله[٢].

ومن آثار الذكر - أيضاً - أنّ من ذكر الله أو رسوله في مجلس كان له بذلك عشر حسنات، وأنّ المجلس إذا خلا من ذكر الله ورسوله كان على أهله وبالاً وحسرات يوم القيامة[٣].

ومن آثار الذكر أنّ في حضور مجالسه منفعة وخيراً للإنسان في الدنيا والآخرة؛ فإنها من رياض الجنة ومراتعها. وقد نصح لقمان ولده بحضور مجالس الذكر ((لأنهم يعلمونه إنْ كان جاهلاً، وينفعونه إن كان عالماً، ولعل الله تعالى يظلهم جميعاً برحمته فتشمله هذه الرحمة))[٤].

خامساً: الجهاد

الجهاد في سبيل الله من الواجبات والعبادات المهمة التي تحدث عنها القرآن الكريم في مواضع عديدة: ﴿**وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ**﴾[٥].

---

(١) وسائل الشيعة٤: ١١٨٦، ح١.

(٢) انظر الكافي٢: ٥٠١، ح١.

(٣) انظر الكافي٢: ٤٩٦، ح٢.

(٤) راجع جامع أحاديث الشيعة١٥: ٤٥٧، باب٢٩.

(٥) الحج:٧٨.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

والجهاد له مفهوم واسع في الإسلام والقرآن الكريم، حيث إنّه مأخوذ من الجُهد، وهو الوُسع والطاقة، فيكون الجهاد: هو بذل الوسع في المدافعة والمغالبة من أجل الله، وبذل الطاقة في سبيل نشر الإسلام والدفاع عنه. فكل ما يتحمله الإنسان من عناء وتعب وكل ما يقدمه من عطاء وفداء في سبيل الله يكون جهاداً، سواء كان ذلك نفسياً أم بدنياً، وسواء كان في الحديث أم التأليف أم المال أم طلب العلم والمعرفة النافعة، أم في إصلاح ذات البين أم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فضلاً عن بذل النفس والقتال في سبيل الله.

ولكن الجهاد في المصطلح الفقهي يطلق - عادة - على خصوص القتال في سبيل الله، من خلال استخدام السلاح والتعرض إلى القتل والموت والاستشهاد.

وقد فرض الله تعالى هذا النوع من الجهاد على الإنسان المسلم في ظروف معينة، وأباح له، بل أوجب عليه أنْ يعرض نفسه للقتل وللموت دفاعاً عن النفس والإسلام والمظلومين.

قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ...﴾[2].

وقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ

---

(١) الصف: ١٠ – ١١.

(٢) البقرة: ٢١٦.

لَقَدِيرٌ ۞ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً﴾[2].

ويبدو من القرآن الكريم أنّ أصل تشريع القتال كان من أجل الدفاع عن النفس. وذلك بعد أنْ استخدم المشركون والكفار وأعداء الإسلام ضد المسلمين أساليب القمع والاضطهاد والفتنة والعدوان، والمطاردة والإخراج من الديار والحصار الاقتصادي والاجتماعي وأساليب التعذيب ومحاولات القتل، كما تشير الآيتان السابقتان الثانية والثالثة.

وكما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۞ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ ۞ فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ ۞ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[3].

---

(١) الحج: ٣٩ – ٤٠.

(٢) النساء: ٧٥.

(٣) البقرة: ١٩٠ – ١٩٤.

حيث يفهم من هذه الآيات الشريفة أنّ القاعدة والأصل في هذا القتال هو الدفاع ورد العدوان، وأنّ القتال يتوقف عندما ينتهون من العدوان.

أهمية الجهاد وفضله

وللجهاد فضل عظيم للإنسان والأُمة المجاهدة، وأهمية كبرى في تحقيق الأهداف المقدسة التي وضعها الله تعالى أمام الإنسان في حركته التكاملية التي لا يبلغها إلاّ من خلال البأساء والضراء، وتفسر البأساء بالقتال.

وقد نص القرآن الكريم على ذلك في آيات عديدة مثل قوله تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّه أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّه قَرِيبٌ**﴾[1].

وقوله تعالى بعد ذكر الجهاد: ﴿**يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللّه وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّه أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۞ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّه مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّه وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّه لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿**وَفَضَّلَ اللّه الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۞**

---

(١) البقرة:٢١٤.

(٢) الصف:١٢ – ١٣.

(٣) آل عمران:١٦٩ – ١٧١.

دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[١].

وقوله تعالى: **﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ۞ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾**[٢].

وقوله تعالى: **﴿مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۞ وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾**[٣].

وآيات أُخرى عديدة تقدمت الإشارة إلى بعضها.

كما أنّ الروايات الكثيرة وردت عن النبي وأهل بيته الكرام تؤكد أهمية الجهاد ودوره العظيم في المحافظة على الإسلام والعزة والكرامة والإنسانية، وقوة المجتمع الإسلامي، وتحقيق الأهداف التكاملية للحركة الفردية والجماعية للإنسان.

فقد روى الكليني في الكافي بسند معتبر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: ((**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الخير كله في السيف، وتحت ظل السيف، ولا يقيم الناس إلاّ السيف، والسيوف مقاليد الجنة والنار**))[٤].

كما روى الكليني - أيضاً - في الكافي، والشريف الرضي في نهج البلاغة

---

(١) النساء:٩٥ – ٩٦.

(٢) التوبة:٢١ – ٢٢.

(٣) التوبة:١٢٠ – ١٢١.

(٤) الكافي٥: ٢، ح١.

عن علي عليه السلام أنه قال: ((**أمّا بعد، فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه (إلى أنْ قال): هو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذلّ، وشمله البلاء، وفارق الرضا، ودُيث بالصَّغار والقماءة، وضرب على قلبه بالأسداد، وأُديل الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف، ومنع النصف**))[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: للجنة باب يقال له باب المجاهدين، يمضون إليه فإذا هو مفتوح وهم متقلّدون بسيوفهم، والجمع في الموقف والملائكة ترحب بهم. ثم قال: فمن ترك الجهاد ألبسه الله عز وجل ذلاً وفقراً في معيشته ومحقاً في دينه. إنّ الله عز وجل أغنى**[٢] **أُمتي بسنابك خيلها ومراكز رماحها**))[٣].

وقد روى الصدوق في الخصال والشيخ الطوسي في التهذيب عن جعفر الصادق عليه السلام، عن أبيه، عن آبائه أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: ((**فوق كل ذي برٍ برّ حتى يقتل في سبيل الله، فإذا قتل في سبيل الله فليس فوقه برّ، وفوق كل ذي عقوق عقوق حتى يقتل أحد والديه، فإذا قتل أحد والديه فليس فوقه عقوق**))[٤].

كما روى الصدوق في عقاب الأعمال في ثواب المجاهد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: ((**ومن خرج مرابطاً في سبيل الله تعالى أو مجاهداً فله بكل خطوة سبعمائة ألف حسنة، ويمحى عنه سبعمائة ألف سيئة، ويرفع له سبعمائة ألف درجة، وكان في ضمان الله تعالى، حتى يتوفاه بأي حتف**

---

(١) الكافي٥: ٤، ح١.

(٢) وفي رواية ((أعزّ)).

(٣) الكافي٥: ٢، ح٢.

(٤) تهذيب الأحكام٦: ١٢٢، ح٤.

كان شهيداً، فإنْ رجع رجع مغفوراً له مستجاباً دعاؤه))[١].

وفي رواية أُخرى عن منصور بن حازم قال: ((**قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أي الأعمال أفضل؟ قال: الصلاة لوقتها، وبر الوالدين، والجهاد في سبيل الله عز وجل**))[٢].

كما روى في الخصال بسند معتبر عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: ((**ما من قطرة أحب إلى الله عزّ وجل من قطرتين: قطرة دم في سبيل الله، وقطرة دمعة في سواد الليل لا يريد بها عبد إلاّ الله عزّ وجل**))[٣].

كما روى في أمالي الطوسي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: ((**الموت طالب ومطلوب، لا يعجزه المقيم ولا يفوته الهارب، فقدّموا ولا تتكلموا، فإنّه ليس عن الموت محيص. إنكم إنْ لم تُقتلوا تموتوا. والذي نفس عليّ بيده لألف ضربة بالسيف على الرأس أهون من موت على فراش**))[٤].

كما روى الصدوق في أماليه عن الصادق عليه السلام قال: ((**قال رسول الله صلى الله عليه وآله أشرف الموت قتل الشهادة**))[٥].

وقد حاولنا أنْ نشير في كل واحدة من هذه الروايات إلى أحد الأبعاد في فضل الجهاد والمجاهد والآثار المترتبة على الجهاد.

أقسام الجهاد

وينقسم الجهاد إلى عدة تقسيمات بلحاظ أنواعه أو أحكامه أو موارده.

---

(١) ثواب الأعمال: ٢٩٣،

(٢) الكافي٢: ١٥٩، ح٤.

(٣) الخصال: ٥٠، ح٦٠.

(٤) أمالي الطوسي: ٢١٦، ح٢٨.

(٥) بحار الأنوار١٠٠: ١٠، ح٤.

١. أنواع الجهاد

فهو ينقسم إلى جهاد العدو الخارجي وجهاد النفس. وقد ورد التعبير في الرواية المعتمدة عن رسول الله ﷺ تسمية جهاد النفس بالجهاد الأكبر، وتسمية جهاد العدو الخارجي بالجهاد الأصغر.

فقد روى الكليني في الكافي والصدوق في كتابيه المجالس ومعاني الأخبار أنّ النبي ﷺ بعث سرية، فلما رجعوا قال: ((**مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر. قيل: يا رسول الله، وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس**))[1].

وقد تقدم الحديث عن جهاد النفس في بعض المواضع السابقة من هذا الكتاب.

كما أنّ المحدثين أفردوا له كتاباً خاصاً يشتمل على أبواب عديدة تتعرض إلى تفاصيله[2]. ولا يتوهم إنسان أنّ جهاد النفس بديل عن جهاد العدو الخارجي، وأنّه يمكنه الاستغناء به عن جهاد العدو، لاسيما وأنه أكبر منه، بل الصحيح أنّ جهاد النفس هو أشمل وأعم من جهاد العدو الخارجي، والجهاد الأصغر هو شعبة من شعب الجهاد الأكبر ومصداق من مصاديقه، فلا يتحقق الجهاد الأكبر بدونه عند تحقق شروطه.

٢. بعض أحكام الجهاد

وقد ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام تقسيم الجهاد من حيث أحكامه إلى عدة أقسام.

---

(١) أمالي الصدوق: ٥٥٣، ح٩.

(٢) راجع الوسائل ١١: ١٢٢ – ٣٩٢.

فقد روى الكليني والشيخ الطوسي بطريق معتبر عن فضيل بن عياض وحفص بن غياث قال: ((**سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الجهاد أسنة هو أم فريضة؟ فقال: الجهاد على أربعة أوجه، فجهادان فرض، وجهاد سنّة لا تقام إلاّ مع الفرض، وجهاد سنّة، فأما أحد الفرضين فمجاهدة الرجل نفسه عن معاصي الله عزّ وجل وهو من أعظم الجهاد، ومجاهدة الذين يلونكم من الكفار فرض، وأمّا الجهاد الذي هو سنّة لا يقام إلاّ مع فرض، فإنّ مجاهدة العدوّ فرض على جميع الأمة، ولو تركوا الجهاد لأتاهم العذاب وهذا هو من عذاب الأمة، وهو سنّة على الإمام وحده أنْ يأتي العدو مع الأمة فيجاهدهم، وأمّا الجهاد الذي هو سنّة فكل سنّة أقامها الرجل وجاهد في إقامتها وبلوغها وإحيائها فالعمل والسعي فيها من أفضل الأعمال؛ لأنها إحياء سنّة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سنّ سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أنْ ينقص من أجورهم شيء**))[1].

والظاهر أنّ القسم الثاني (الفرض) يختلف عن القسم الثالث (السنّة) التي تقام مع الفرض، ذلك أنّ الفرض هو الجهاد الدفاعي الذي يجب على جميع المسلمين رجالاً ونساءً وفي جميع الأحوال، مع وجود الإمام العادل أو عدم وجوده، بخلاف القسم الثالث الذي هو الجهاد الابتدائي الذي يجب على الرجال بشروط معينة، من أهمها وجود الإمام العادل، ووجوب الدعوة إلى الإسلام وإبلاغها قبل القتال.

فقد روى الشيخ الطوسي عن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**سألته عن رجل دخل أرض حرب بأمان فغزا القوم الذين دخل عليهم قوم آخرون، قال: على المسلم أنْ يمنع نفسه ويقاتل على حكم الله وحكم**

---

(١) تهذيب الأحكام٦: ١٢٤، ح١.

رسوله، وأمّا أنْ يقاتل الكفار على حكم الجور وسنّتهم فلا يحلّ له ذلك))[١].

ويؤكد هذا الخبر ما رواه الكليني في الكافي عن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**قلت له: أخبرني عن الدعاء إلى الله والجهاد في سبيله، أهو لقوم لا يحل إلاّ لهم ولا يقوم به إلاّ من كان منهم، أم هو مباح لكل من وحّد الله عزّ وجل وآمن برسوله صلى الله عليه وآله، ومن كان كذا فله أنْ يدعو إلى الله عزّ وجل وإلى طاعته، وأنْ يجاهد في سبيله؟. فقال: ذلك لقوم لا يحل إلاّ لهم، ولا يقوم لك بذلك إلاّ من كان منهم. فقلت: من أولئك؟ قال: من قام بشرائط الله عزّ وجل في القتال والجهاد على المجاهدين فهو المأذون له في الدعاء إلى الله عزّ وجل، ومن لم يكن قائماً بشرائط الله عزّ وجل في الجهاد على المجاهدين فليس بمأذون له في الجهاد ولا الدعاء إلى الله، حتى يحكم في نفسه ما أخذ الله عليه من شرائط الجهاد**))[٢].

كما روى الكليني في الكافي في وجوب الدعوة إلى الإسلام قبل القتال عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: ((**قال أمير المؤمنين علي عليه السلام بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اليمن فقال: يا علي،لا تقاتلن أحداً حتى تدعوه، وأيم الله، لأن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت، ولك ولاؤه يا علي**))[٣].

ويفهم من الآيات الكريمة الدالة على وجوب الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة والصبر على أداء الرسالة وبلاغها، ومن سيرة النبي صلى الله عليه وآله أنّ القتال

---

(١) تهذيب الأحكام٦: ١٣٦، ح٥.

(٢) الكافي٥: ١٣، ح١.

(٣) الكافي٥: ٢٨، ح٤.

الابتدائي لنشر الإسلام لا يلجأ إليه المسلمون إلاّ بعد استنفاد جميع الوسائل الأُخرى الممكنة، بحيث تقام الحجة البالغة ولا يبقى إلاّ الحاجز النفسي لدى الأعداء من قبول الدعوة والرسالة، فيكون القتال الابتدائي لكسر هذا الحاجز النفسي المعبر عنه بالجحود. ولعل هذا هو السر في اشتراط الجهاد الابتدائي بحضور وإجازة الإمام العادل؛ لأن تشخيص هذه الحالة يحتاج إلى خبرة ودراية ومعرفة كاملة بالأوضاع الاجتماعية وتقوى عالية وعدالة كاملة.

وللجهاد أحكام عديدة أُخرى تتعلق باستخدام وسائل القتل كالسم والنار وأساليب القتال، ومن يجب عليه الجهاد كالرجال غير الضعفاء أو النساء في حالات خاصة، وبالغنائم وتقسيمها وإخراج الخمس منها، وكيفية التعامل مع الأسرى من الاسترقاق أو المن أو الفداء عند الإثخان، أو جواز القتل قبل الإثخان، والأمان وأوقاته، وكذلك الفرق في المعاملة بين المشركين وأهل الكتاب والبغاة، والفرار من الزحف وغير ذلك من التفاصيل التي وردت في الكتب الفقهية.

كما أنّ له آداباً في الشروع به وفي المبارزة، وفي معاملة الأسرى في حال الأسر.

ومن النصوص البديعة في هذا الموضوع ما ورد عن مالك بن أعين قال: **((حرّض أمير المؤمنين عليه السلام الناس بصفين فقال: إنّ الله عزّ وجل قد دلّكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، ويشفى بكم على الخير الإيمان بالله، والجهاد في سبيل الله، وجعل ثوابه مغفرة للذنب، ومساكن طيّبة في جنات عدن، وقال عزّ وجل: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ فسوّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص فقدّموا الدارع، وأخروا الحاسر، وعضّوا على النواجذ، فإنه أنبى للسيوف عن الهام،**

والتووا على أطراف الرماح، فإنّه أمور للأسنّة، وغضّوا الأبصار فإنّه أربط للجأش، واسكن للقلوب، وأميتوا الأصوات فإنه أطرد للفشل، وأولى بالوقار، ولا تميلوا براياتكم ولا تزيلوها ولا تجعلوها إلاّ مع شجعانكم؛ فإنّ المانع للذمار والصابر عند نزول الحقائق هم أهل الحفاظ.

ولا تمثّلوا بقتيل، وإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً، ولا تدخلوا داراً، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلاّ ما وجدتم في عسكرهم، ولا تهيجوا امرأة بأذىً وإنْ شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم؛ فإنّهن ناقصات القوى والأنفس والعقول، وقد كنا نؤمر بالكف عنهنّ وهنّ مشركات، وإنْ كان الرجل ليتناول المرأة فيعير بها وعقبه من بعده.

واعلموا أنّ أهل الحفاظ هم الذين يحتفون براياتهم ويكتنفونها، ويصيرون حفافيها ووراءها وأمامها، ولا يضيّعونها، لا يتأخرون عنها فيسلموها، ولا يتقدمون عليها فيفردوها. رحم الله امرأً واسى أخاه بنفسه، ولم يكل قرنه إلى أخيه فيجتمع عليه قرنه وقرن أخيه فيكتسب بذلك اللائمة، ويأتي بدناءة، وكيف لا يكون كذلك وهو يقاتل الاثنين، وهذا ممسك يده قد خلّى قرنه على أخيه هارباً منه ينظر إليه، وهذا فمن يفعله يمقته الله، فلا تتعرضوا لمقت الله فإنّ ممركم إلى الله، وقد قال الله عزّ وجل: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلا قَلِيلًا﴾ وأيم الله، لئن فررتم من سيوف العاجلة لا تسلمون من سيف الآجلة، فاستعينوا بالصبر والصدق، فإنما ينزل النصر بعد الصبر، فجاهدوا في الله حق جهاده، ولا قوة إلاّ بالله))[١].

(١) وسائل الشيعة ١١: ٧١، ح٣.

٣. موارد الجهاد

ويمكن تلخيص موارد الجهاد التي يمكن استنباطها من القرآن الكريم والسنة الشريفة، والتي تبرر القتال واستخدام السلاح في مواجهة الأعداء، بالأمور التالية:

الأول: الدفاع عن الإسلام عندما يتعرض الدين وبيضة الإسلام إلى الخطر، سواء من قبل الكفار أم المرتدين من أبناء الإسلام. كما ذكرنا ذلك سابقاً.

الثاني: الدفاع عن النفس، سواء كان دفاعاً عن الفرد أم الجماعة المسلمة التي تتعرض إلى القتل أو الفتنة، بل في حال الدفاع عن المال والعرض أيضاً.

فقد روى الكليني في الكافي بسند معتبر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: ((**قال رسول الله صلى الله عليه وآله من قتل دون مظلمته فهو شهيد**))[1].

وورد في حديث آخر تفسير المظلمة بأنْ: ((**يقتل دون أهله ودون ماله وأشباه ذلك**))[2].

الثالث: مقاومة الظلم والطغيان الذي تتعرض له الأُمة بدرجة عالية، بحيث يستهتر فيها الحكم بكل القيم الإنسانية، ويصادر فيها حرية الإنسان وكرامته وحقوقه الأساسية: ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۞ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ**

---

(١) الكافي٥: ٥٢، ح١.

(٢) الكافي٥: ٥٢، ح٢.

أئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[١].

الرابع: تحرير المظلومين والمستضعفين من أيدي الطغاة والظالمين، كما دل على ذلك قوله تعالى: **﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنْكَ نَصِيراً﴾**[٢].

كما ورد عن رسول الله ﷺ أنّه قال: ((**من سمع رجلاً ينادي: يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم**))[٣].

الخامس: مقاتلة البغاة من المسلمين، سواء أولئك الذين يخرجون على الحاكم العادل الجامع للشرائط - كما في حروب الإمام علي عليه السلام ضد أصحاب الجمل (الناكثين)، ومعاوية (القاسطين) والخوارج - أم البغاة من الجماعة المسلمة التي تعتدي على جماعة أُخرى حيث يجب السعي للصلح بينها، فإنْ أصرت الفئة الباغية على عدوانها وبغيها وجب على المسلمين أنْ يقاتلوها، ويقفوا في وجه العدوان والظلم، ومن مصاديق مجاهدة البغاة ومقاتلة أولئك الطغاة الظالمين من أبناء المسلمين الذين يحكمون المسلمين بالجور والظلم والعدوان، كما شهد بذلك موقف الإمام الحسين عليه السلام ضد يزيد بن معاوية.

فقد ورد عن الحسين عليه السلام أنه قال - في تفسير موقفه من يزيد -: ((**أيها الناس، إنَّ رسول الله ﷺ قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنّة رسول الله ﷺ يعمل في عباد الله بالإثم**

---

(١) القصص: ٤ – ٥.

(٢) النساء: ٧٥.

(٣) الكافي ٢: ١٦٤، ح٥.

والعدوان، فلم يغيّر ما عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أنْ يدخله مدخله. ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحرموا حلاله))[1].

وبهذا يمكن أنْ نفهم - أيضاً - دفاع أئمة أهل البيت عن حركة زيد بن علي بن الحسين عليه السلام، التي كانت مصداقاً من مصاديق هذا المورد، حيث يقول الإمام الصادق عليه السلام عنه في حديث معتبر: **((...فإنّ زيداً كان عالماً وكان صدوقاً ولم يدعكم إلى نفسه، إنما دعاكم إلى الرّضا من آل محمد صلى الله عليه وآله، ولو ظهر لوفى بما دعاكم إليه...))**[2].

وقد ورد عن علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال للمأمون: **((لا تقس أخي زيداً**[3] **إلى زيد بن علي، فإنّه كان من علماء آل محمد صلى الله عليه وآله، غضب لله فجاهد أعداءه حتى قُتل في سبيله، ولقد حدّثني أبي موسى بن جعفر أنّه سمع أباه جعفر بن محمد عليه السلام يقول: رحم الله عمّي زيداً، إنّه دعا إلى الرضا من آل محمد، ولو ظفر لوفى بما دعا إليه، لقد استشارني في خروجه فقلت: إنْ رضيت أنْ تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك** (إلى أنْ قال): **فقال الرضا عليه السلام: إنّ زيد بن علي لم يدع ما ليس له بحق، وإنّه كان أتقى الله من ذلك. إنّه قال: أدعوكم إلى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله))**[4].

كما ورد عنهم عليهم السلام أنهم أثنوا على ثورة الحسين بن علي صاحب فخ

---

(١) تاريخ الطبري٣: ٣٠٤.

(٢) الكافي٨: ٢٦٤، ح٣٨١.

(٣) المعروف بزيد النار.

(٤) وسائل الشيعة١١: ٣٥، ح١١.

وأهل بيته، واعتبروا المصيبة به أعظم مصيبة بعد مصيبة الطف[1].

ولاشك أنّ الأنظمة غير الإسلامية التي تحكم بلاد المسلمين - وإنْ كان الحاكم فيها مسلماً - ينطبق عليها في كثير من الأحيان عنوان المورد الأول أو الثالث أو الرابع أو الخامس.

كما أنّ المقاومة واستخدام القتال والسلاح فيها إنما يصح اللجوء إليها إذا لم تتوفر الوسائل الأُخرى في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، في التغيير أو استخدام الحكم أو الحاكم القوة لمنع المسلمين من إبلاغ الرسالات الإلهية، أو لفرض الحكم غير الإسلامي عليهم ولا يترك لهم حرية الرأي والاختيار.

وفي جميع الأحوال لابدّ من توفر القدرة لدى المسلمين لاستخدام القتال وسيلة للدفاع، وإلاّ فلابدّ من انتظار الفرصة المناسبة.

كما لابدّ أنْ يتم هذا القتال تحت إشراف المجتهد العادل الجامع لشروط القيادة السياسية الشرعية.

المرابطة في الثغور الإسلامية

ومن مصاديق الجهاد في سبيل الله المرابطة، وهي الإرصاد لحفظ الحدود وثغور بلاد المسلمين، والاستعداد والتهيؤ للدفاع عن جماعتهم في مناطق الثغور والحدود مع الكفار وبلادهم، وهي واجبة لدى وقوع بلاد المسلمين في معرض الخطر من هجوم الكفار، وأما إذا لم تكن في معرض الخطر من الكفار فلا تجب وإنْ كانت في نفسها أمراً مرغوباً فيه في الشريعة الإسلامية

---

(١) تنقيح المقال١، ترجمة الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب صاحب فخ.

المقدسة[١].

وفي حديث معتبر عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالا: ((**الرّباط ثلاثة أيام، وأكثره أربعون يوماً، فإذا جاوز ذلك فهو جهاد**))[٢].

نظرية الجهاد

وبعد هذا الاستعراض يمكن أنْ نخرج بخلاصة تكوّن النظرية الإسلامية في الجهاد. يمكن أنْ تتحدد في النقاط التالية:

١. إنّ الجهاد من العبادات المهمة التي يقوم بها حفظ الإسلام والمجتمع الإسلامي، ومقاومة الطغيان والظلم والفساد والعدوان، وبه تتحقق العزة والكرامة للمسلمين.

٢. إنّ الجهاد وسيلة من وسائل نشر الرسالة الإسلامية في ظرف خاص وبصورة استثنائية، وذلك ما إذا تم استنفاد جميع الوسائل الأُخرى من الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وإبلاغ الرسالة وإقامة الحجة البالغة والصبر عليها، بحيث لا يبقى عذر لمعتذر، ويكون المانع لقبول الرسالة هو الحاجز النفسي والجحود بعد وضوح الهدى وبلوغ الحجة. فيستخدم الجهاد لكسر هذا الحاجز النفسي إذا اقتضى الحال.

٣. إنّ القاعدة العامة في الجهاد تقوم على أساس الدفاع عن النفس في مقابل العدوان المباشر الفعلي على الإسلام أو الجماعة المسلمة، أو العدوان على وحدة المجتمع الإسلامي أو النظام الإسلامي، أو في مقابل الأخطار والتهديدات التي يمكن أنْ يتعرض لها الإسلام أو المجتمع الإسلامي، فيكون الجهاد وقاية ضد هذه التهديدات وهو (الجهاد الوقائي). ولابدّ من

---

(١) راجع منهاج الصالحين١ للسيد الخوئي: ٣٧٦، ط ٢٨.

(٢) وسائل الشيعة١١: ١٩، ح١.

الاستعداد في مثل هذه الحالة إذا وجدت قرائن ودلائل على وجود هذه الأخطار.

٤. إنّ جهاد الحكام المنحرفين المسلمين إنما يكون إذا استخدم الحاكم المنحرف القوة لمنع المسلمين من إبلاغ الرسالة، أو لفرض الحكم غير الإسلامي على المسلمين، ولم يترك لهم حرية الرأي أو حرية الاختيار وذلك بعد إبلاغ الحجة.

٥. إنّ وجوب القتال لابدّ أنْ يكون مع توفر القدرة عليه وتحقيق الهدف منه ولو على المدى البعيد، وإلاّ فلابدّ من إعداد القوة وانتظار الفرصة المناسبة، كما لا يجوز تفويت الفرصة أو إضعاف القوة.

٦. إنّ القتال لابدّ أنْ يكون تحت نظر الإمام العادل، وهو في هذا العصر المجتهد العادل الخبير المتصدي للعمل السياسي والاجتماعي العارف بالظروف السياسية والاجتماعية، الشجاع القادر على تشخيص الموقف واتخاذ القرار المناسب تجاهه وفق الحكم الشرعي.

وبهذا القدر من الحديث عن العبادات نختم حديثنا في الكتاب الرابع من هذه الموسوعة المباركة (أهل البيت عليهم السلام)، الذي خصصناه في موضوع (دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة). أسأله تعالى قبول هذا العمل القليل الضعيف بكرمه الجزيل. كما أسأله تعالى أنْ يغفر لنا أخطاءنا وغفلاتنا، وأنْ يجعله خالصاً لوجهه الكريم بمنه وفضله وكرمه. كما أسأله تعالى أنْ يكون مقبولاً من سادتي وموالي أهل بيت العصمة والطهارة محمد وآله الطيبين الأطهار، ولاسيما سيدنا ومولانا بقية الله في أرضه، وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب، والحمد لله رب العالمين والصلاة على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا

وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

المحتويات

الباب السادس
نظام العلاقات الاجتماعية العامة

الفصل الثاني

الباب السابع
نظام الشعائر والعبادات

القسم الأول

الفصل الأول

الفصل الثالث

الفصل الثاني



لقد اهتَم أهل البيت (عليهم السلام) بالبناء العقائدي للجماعة الصالحة، والحفاظ على معالم العقيدة الإسلامية الأصيلة، بحيث تكون بعيدة عن الانفعال بالمؤثَرات الفكرية أو السياسية أو الاجتماعية ، التي كانت تواجهها الأُمة في القرون الأُولى للإسلام، مثل المحتوى الفكري والثقافي للحضارة الرومانية والفارسية واليونانية التي قادت بعض الجماعات إلى الزندقة والإلحاد والتحلل.